المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة



الاضطهاد الديني عند النصارى وآثاره

دراسة تحليلية تقويمية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب:

حسن بن أحمد يحيى المسعودي

الرقم الجامعي: ٤٣٠٧٧٠١٨

إشراف فضيلة الشيخ:

أ. د/ سالم بن محمد القرني

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

طباعة الفطاني


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين... أما بعد:

اسم الباحث: حسن بن أحمد يحيى المسعودي.

العنوان: الاضطهاد الديني عند النصارى وآثاره دراسة تحليلية تقويمية.

الدرجة: دكتوراه.

وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة:

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ثم الدراسات السابقة والمنهج الذي اتبعته في البحث والخطة.

الفصل الأول: كان الحديث فيه عن اضطهاد المخالفين للنصارى وركزت على اضطهاد اليهود والرومان للنصارى.

الفصل الثاني: كان عن اضطهاد النصارى مع بعضهم البعض وتناولت فيه جانبين: الطوائف القديمة والحديثة.

الفصل الثالث: تناولت اضطهاد النصارى للمخالفين لهم من اليهود والمسلمين.

الفصل الرابع: كان مخصصاً لبيان صور وآثار الاضطهاد الديني النصراني.

الخاتمة والتي حوت نتائج البحث ومنها:

١- إن دعوة المسيح عليه السلام قد واجهت عنتاً وصدوداً من بني إسرائيل؛ دفعهم إلى اضطهاده عليه السلام وأمه وأتباعه.

٢- إن الصراع بين النصارى بدأ مبكراً بين المسيحية المتهودة والمسيحية البولسية، وكان الانتصار حليف البولسية التي تسببت في تحريف رسالة المسيح عليه السلام.

٣- إن تلك الاضطهادات التي لحقت أتباع المسيح عليه السلام كانت لها آثار وخيمة على دعوته والمصدر الرباني الذي أنزله الله عليه وهو الإنجيل فقد تم ضياعه وفقدانه نتيجة تلك الاضطهادات.

٤- إن النصارى استمرأوا الاضطهاد ومارسوه حتى وجد منهم من ينظر للاضطهاد ويسميه الاضطهاد العادل.

ثم انهيت الر سالة بفهارس توضيحية وكاشفة ثم مراجع البحث،،، وبالله التوفيق.



Abstract

All praise and thanks to Allah the exalted, the Lord of the universe, and May the blessings and peace of Allah be upon the last Messenger and Prophet , Muhammad, his family, Companions and all those who follow footsteps till the end of this universe.

The researcher's name : Hassan Ahmad Yahya Al-Masoudi .

The title : The Religious Persecution of Christians and its Effects.

The degree : Doctorate

The research consists of an introduction and preface, three chapters and a conclusion.

I have written in the introduction the importance of the subject, and the reasons why I have chosen it , then the previous studies and the approach taken by the researcher and the plan.

The first chapter : It was about the persecution of the Christians by opposition to Christians and focused on the persecution of Christians by the Jews and the Romans.

The second chapter : It was about the persecution of Christians with each other, and I dealt with two sides: The old denominations and the modern denominations .

The third chapter : It was about the persecution of Jews and Muslims by Christians.

The fourth chapter : It was intended to show the images and the effects of religious Christian persecution.

The Conclusion which contains the research results, including the :

1. The call of Christ peace be upon him had faced reluctance and in aversion of the children of Israel; pushed them into persecute him, peace be upon him and his mother and his followers.

2. The conflict between Christians began early between Jewish Christianity and Paulist Christian, and Paulist won in this conflict and caused the distortion of the message of Christ peace be upon him.

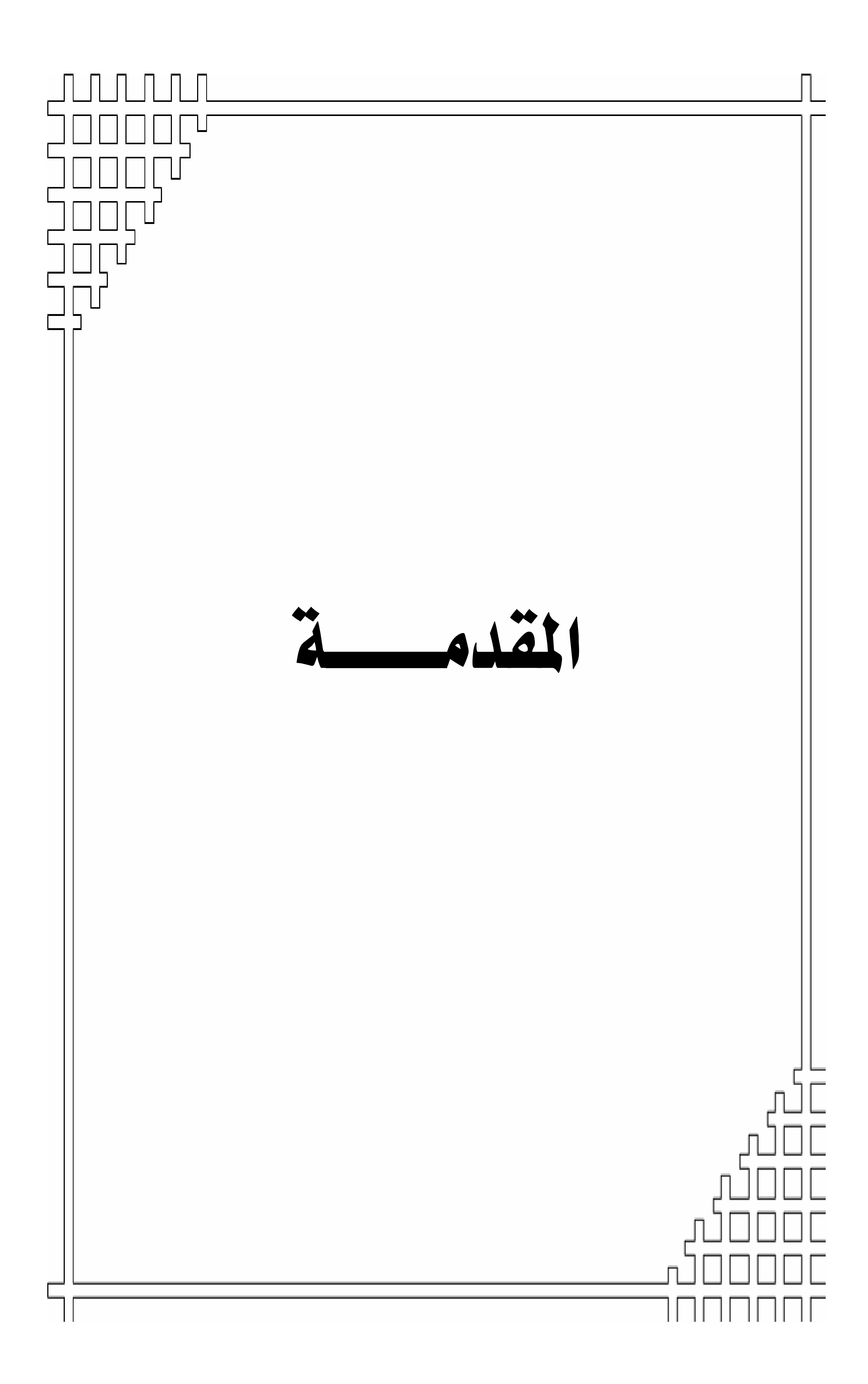
3-These persecutions suffered by the followers of Christ, peace be upon him , had disastrous effects on his call and on the Lord and the source revealed by God, the Bible, which it is lost and lost its identity as a result of these persecutions.

4- The Christians enjoyed this persecution and practiced it till some of them called it " fair persecution ".

Finally, I finished the research with illustrative and revealing indexes and the references of research.

May Allah bless





المقدمـــــــــة

المقدمـــــة

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على دينه كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد النَّبِي الْأُمِّي الذي أرسله الله للناس كافة ورحمة للعالمين، وجعل من نفسه متمماً لما بناه إخوانه قبله من الأنبياء والمرسلين، والذي قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"(1).

لاشك أن هذه الديانات السماوية مبناها على قواعد ثابتة من الإيمان بالله تعالى رباً واحداً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شبيه له ولا شريك ولا نظير ولا مثيل لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وهذه العقيدة كانت منطلق جميع الأنبياء وأساس دعوتهم وهو ما نادى به المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة:١١٧].

لكن هذه العقيدة الصحيحة التي نادى بها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تعرضت للتغيير والتحريف عبر التاريخ وأُحْدِثَ فيها ما لم يكن منها، وهذه كله نتيجة أحداث ووقائع وصراعات جعلت هذه الديانة تتبدل وتتغير، ويصيبها من الانحراف والزلل في كثير من عقائدها وشرائعها.

وهذا كله نتيجة تلك العوامل التي واجهت رسالة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقوضت معالمها وانحرفت بمسيرتها إلى طريق ملي بالوثنيات والشركيات، ومن أهمها الاضطهادات التي توالت على المسيحيين واستمرت إلى قرون طويلة، كانت كفيلة بالقضاء على أتباع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسجنهم مما جعلهم يتخفون بدينهم وبدعوتهم في السر.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [مريم: ١٦] رقم ٣٤٤٣.

كل ذلك أثّر في نقل الديانة الصحيحة الحقيقية إلى الأجيال التي تليهم، وساهم في نمو أفكار جديدة لم تكن معهودة في ديانة المسيح عليه السلام.

كان هذا لوناً من ألوان الاضطهاد الذي وقع عليهم وكان تأثيره واضحاً في تحريف رسالة المسيح عليه السلام، لكن هناك لون آخر من الاضطهاد استمر طويلاً -وما زال- مع النصارى ألا وهو اضطهاد النصارى مع بعضهم البعض أو مع مخالفيهم.

وكل هذه الاضطهادات سواءً الذي وقعت على النصارى أو تلك التي كانت بينهم أو مع مخالفيهم كانت لها آثار عقدية وفكرية، جعلت ديانة المسيح عليه السلام تنحرف بعيداً عن التوحيد.

وهذا كله يحتاج إلى بيانٍ وتوضيحٍ في بحث علمي؛ وهو مما دفعني إلى تسجيله لمرحلة الدكتوراه بعنوان: "**الاضطهاد الديني عند النصارى وآثاره دراسة تحليلية تقويمية**".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- إن النصارى يشكلون نسبة كبيرة على وجه البسيطة، ولذلك ينبغي أن تتوجه بعض الأبحاث لدراسة دينهم ومعتقدهم وبيان ما فيه من خلل وانحراف.

٢- أن الاضطهاد الذي وقع على أتباع المسيح عليه السلام، ومن جاء بعدهم من النصارى كان له أثر كبير في تحريف ديانة النصرانية، واتصالها بالوثنيات الرومانية.

٣- الحاجة الماسة إلى إظهار موقف النصارى من المخالفين، سواءً ممن يشتركون معهم في الديانة أو من يخالفونهم وكيف تعاملت معهم بكل قسوة وعنف بدلاً من السماحة والمحبة.

٤- أن الاضطهاد يعتبر حدثا مهماً في تاريخ النصرانية حيث اعْتُبِر الحدُّ الفاصل بين اعتبارها طائفة من جملة الطوائف اليهودية وبين اعتبارها طائفة مستقلة.

٥- بيان الجانب المظلم في التاريخ النصراني، وما حوى من ظلم واضطهاد للمخالفين، وإن أكثر من اكتوى بظلمهم واضطهادهم هم المسلمون.

۞ أهداف البحث:

١- إبراز موقف النصارى من دينهم، وإظهار حالة الانقسام والخلافات التي فيما بينهم؛ مما يبعد عن الإسلام التهم التي توجهها كنائسهم ومراكزهم البحثية بوصفه دين العنف والاكراه والابتزاز.

٢- أن هذه الصراعات الطائفية التي نزلت بالمجتمعات الغربية النصرانية لا تزال تؤثر في حاضرها كما أثرت في ماضيها؛ ولذا ينبغي استغلال ذلك في رد كيد العدو، وتوجيه الدعوة الإسلامية إليهم.

٣- النقد الموضوعي لأفكار وعقائد النصارى والتي جاءت نتيجة الاضطهاد الديني.

٤- تسليط الضوء على الآثار التي خلفها الاضطهاد الديني على ديانة المسيح عليه السلام.

۞ الدراسات السابقة:

من خلال رجوعي للمواقع الالكترونية للجامعات، ودليل الرسائل العلمية لم أجد من كتب في هذا الموضوع رسالة علمية وإنما حصولي دراسات تناولت الموضوع على شكل فصول ومن ذلك:

١- أهم عوامل انحراف النصرانية، للشيخ إبراهيم التركي، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٥هـ، وقد رجعت إلى الرسالة ووجدت أنه جعل الاضطهاد أحد العوامل في انحراف النصرانية لكن يؤخذ على البحث:

- تناول الموضوع باختصار كبير، فلم يبين واقع ذلك الاضطهاد وصوره، والآثار التي نجمت عنه.
- اعتماد الباحث على مراجع ثانوية غير كافية في تأصيل الموضوع.

٢- عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام حتى المجمع المسكوني الثامن عام

٨٧٩م، للطالبة: بسمة أحمد جستنية، وهي رسالة ماجستير بجامعة أم القرى عام ١٤١٧هـ وقد تحدثت عن أثر الاضطهاد في تحريف النصرانية في صفحات معدودة وكان جهدها منصباً على الاضطهاد الروماني، ولم تتحدث عن الاضطهاد الذي وقع من النصارى تجاه مخالفيهم أو مع بعضهم البعض.

٣- قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، للدكتور توفيق الطويل، وبحثه -وإن كان مختصراً- إلا أنه مفيد في بابه إذ أعطى إشارات سريعة لهذا الموضوع ولكن يؤخذ عليه أنه لم يستخدم المنهجية العلمية في أصول البحث من حيث المراجع والترتيب، كذلك لم يشر إلى الآثار العقدية لهذا الاضطهاد.

۞ خطة البحث:

قمت بتقسيم الرسالة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، وفهارس علمية وتفصيل البحث على النحو التالي:

المقدمـــــة:

وتحتوي على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ثم الخطة، والمنهج العلمي الذي أتبعته في الدراسة.

التمهيـــــد وفيه:

أولاً: معنى الاضطهاد والدين في اللغة والاصطلاح

ثانياً: موقف اليهودية والنصرانية والإسلام من الاضطهاد

الفصل الأول: اضطهاد المخالفين للنصارى وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اضطهاد اليهود للنصارى وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاضطهاد القولي للمسيح عيسى عليه السلام وأمه.

المطلب الثاني: الاضطهاد الفعلي للمسيح عيسى عليه السلام وأتباعه.

المبحث الثاني: اضطهاد النصارى للمسلمين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجذور العقدية والفكرية لاضطهاد النصارى للمسلمين.

المطلب الثاني: واقع الاضطهاد الديني النصراني للمسلمين قديماً وحديثاً

المطلب الثالث: أساليب اضطهاد النصارى للمسلمين.

الفصل الرابع: صور وآثار الاضطهاد الديني عند النصارى وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صور الاضطهاد الديني في النصرانية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: السلطة الكنَسِيَّة.

المطلب الثاني: المجامع النصرانية.

المطلب الثالث: محاكم التفتيش.

المطلب الرابع: الحروب الدينية.

المبحث الثاني: آثار الاضطهاد الديني في النصرانية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار الإيجابية من الاضطهاد الواقع على النصارى.

المطلب الثاني: الآثار السلبية من الاضطهاد الديني على النصارى وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أثر الاضطهاد في تحريف دعوة المسيح عليه السلام.

المسألة الثانية: أثر الاضطهاد الديني على دعوة المسيح وأتباعه.

المسألة الثالثة: أثر اضطهاد الكنيسة على النصارى.

المسألة الرابعة: أثر الاضطهاد النصراني على الموحدين قديماً وحديثاً.

ثم الخاتمة فالتوصيات فالفهارس العلمية.

۞ المنهج العلمي المتبع في البحث:

*المنهج التاريخي "الاستردادي" وقد كان حاضراً طيلة البحث، وخاصة في مثل هذه المواضيع عندما تتحدث عن تاريخ ديانة مرت عليها قروناً طويلة.

*المنهج الوصفي: وقد استخدمت هذا المنهج في جانب من البحث خاصة عندما تحدثت عن العلاقة بين النصارى ومخالفيهم أو حتى مع الطوائف الأخرى النصرانية.

*المنهج التحليلي: كانت طبيعة البحث تستلزم تحليلاً لتلك الأحداث والوقائع حتى تتضح الصورة.

*المنهج النقدي: كان هذا المنهج ماثلاً في هذه الدراسة، خاصة عند الحديث عن تلك الأحداث المتعارضة، والعقائد المنحرفة.

بالإضافة إلى جانب ذلك اعتمدت في البحث على ما يلي:

١- جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية، فقد رجعت إلى كتب النصارى أنفسهم مثل كتب التاريخ الكنسي، والتفاسير والعقائد.

٢- عند النقل من أحد المصادر، فإني أشير في الحاشية إلى اسم الكتاب؛ والجزء؛ والصفحة، وبقية بيانات النشر أذكرها مفصلةً في فهرس المصادر والمراجع، وعند عدم ذكري لدار النشر، أو تاريخ الطبعة، ورقمها، فذلك لعدمه.

٣- أما بالنسبة للنقول فإني إذا نقلت كلاماً بنصه، دون تبديل أو تغيير في كلمة من الكلمات فإني أذكر في الهامش اسم المرجع دون كلمة انظر، أما في حالة تصرفي في النص المنقول تصرفاً يسيراً أو في حالة نقله بالمعنى فإني أذكر في الهامش كلمة انظر.

٤- قمت بعزو الآيات الموجودة في البحث إلى مواضعها في القرآن بذكر اسم السورة، ورقم الآية

٥- خَرَّجْتُ الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما في التخريج، وإلاّ خرجته من كتب السنن.

٦- في حالة العزو إلى الكتاب المقدس فإني أجعل النص بين قوسين وأشير في الهامش إلى السفر ثم رقم الإصحاح ثم الصفحة.

٧- شرحت بعض الألفاظ والمصطلحات الكنسية من مصادرها المعتمدة والتي شعرت أنها بحاجة إلى توضيح.

٨- ترجمت للأعلام المذكورين في صلب البحث، في أول موضع يرد فيه، وتركت بعضهم إما لشهرته أو أني لم أستطع أن أقف على ترجمةٍ له -وهذا قليل- مع بذل الجهد في ذلك.

٩- عرفت بالطوائف والفرق والمذاهب من كتب الملل والنحل ومن بعض المعاجم والموسوعات.

١٠- التعريف بالأماكن والمواضع التي يمر ذكرها في البحث تعريفاً مختصراً.

١١- ذيلت البحث بفهارس كاشفة للمراجع والموضوعات.

وفي الختام فإني أحمد الله تعالى، وأشكره على ما مَنَّ به عليَّ من نعم لا تعد ولا تحصى ومن أعظمها وأجلِّها نعمة الإسلام، ثم نعمة سلوك طريق العلم، وتيسيره لي ومن ذلك ما وفقني الله به من إتمام هذا البحث الذي أساله أن يكون خالصاً لوجه الكريم.

وإني أشكر من أمرني الله بشكرهما والديَّ الكريمين، أمد الله أعمارهما على طاعته، وجزاهما عني خير الجزاء، إنه جوادٌ كريمٌ.

كما أخص بالشكر، جامعة أم القرى ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين وقسم العقيدة على ما يبذله المشايخ الفضلاء من جهدٍ ونفع لطلاب العلم ورواده.

كما أتقدم بالشكر الوافر للمشرف على هذه الرسالة صاحب الفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ سالم بن محمد القرني الذي غمرني بخلقة وعلمه وفضله ومتابعته وتشجيعه المستمر في جميع مراحل البحث، فنسأل الله ﷻ له حسن العمل وصلاح الذرية.

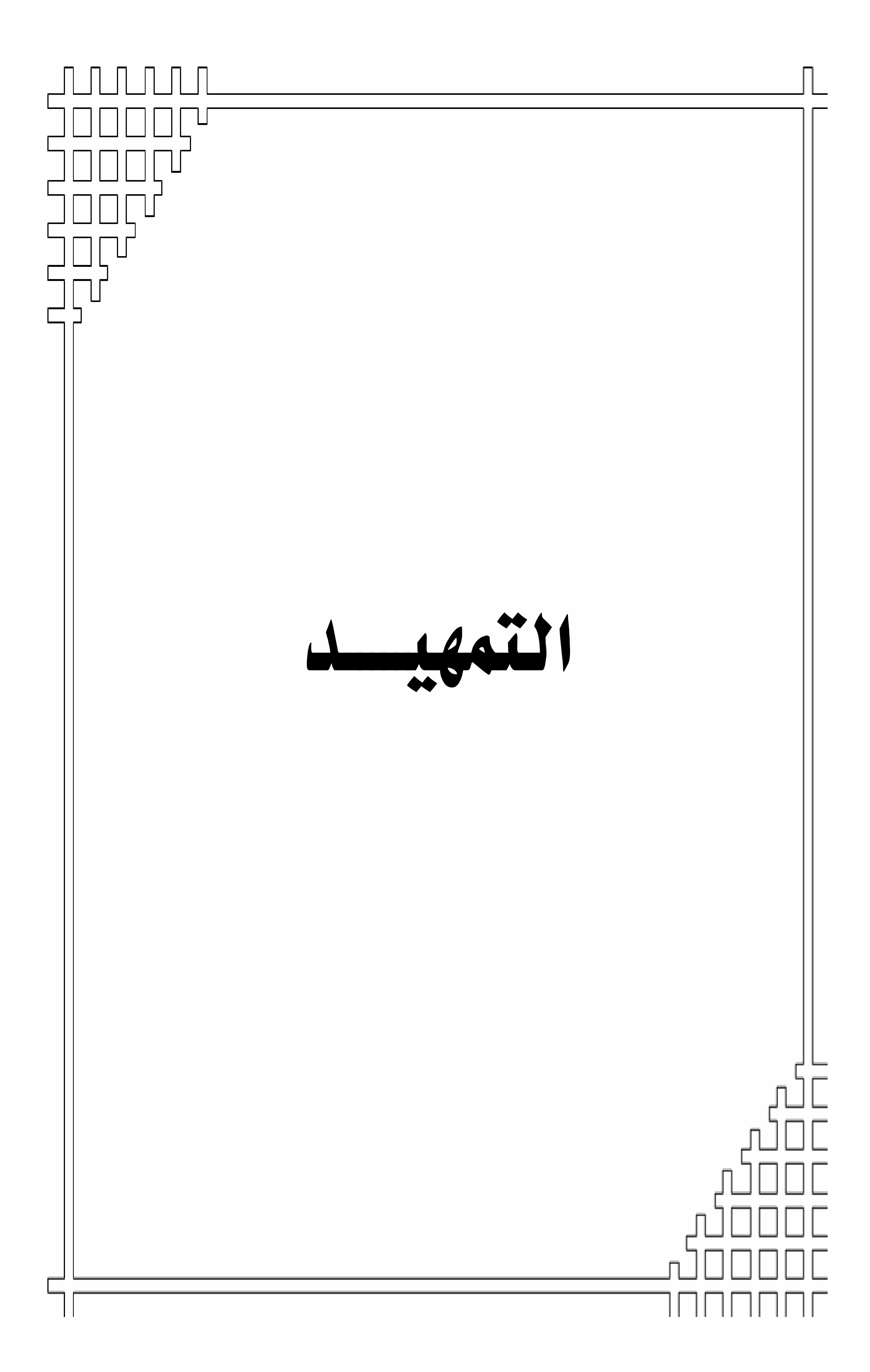
وختاماً أشكر كلَ من أعانني بمشورةٍ أو نصيحةٍ خيرَ الجزاءِ، وهم إخواني وأحبابي قضوا معي أوقات طويلة ومستمرة وأسال الله ﷻ أن يجزيهم عني أحسن الجزاء، وأوفاه.

تقبل الله منا صالح القول والعمل، ورزقنا حسن القصد، وتفضل علينا بعطاياه ومننه التي لا تحد، وأورثنا دار كرامته.

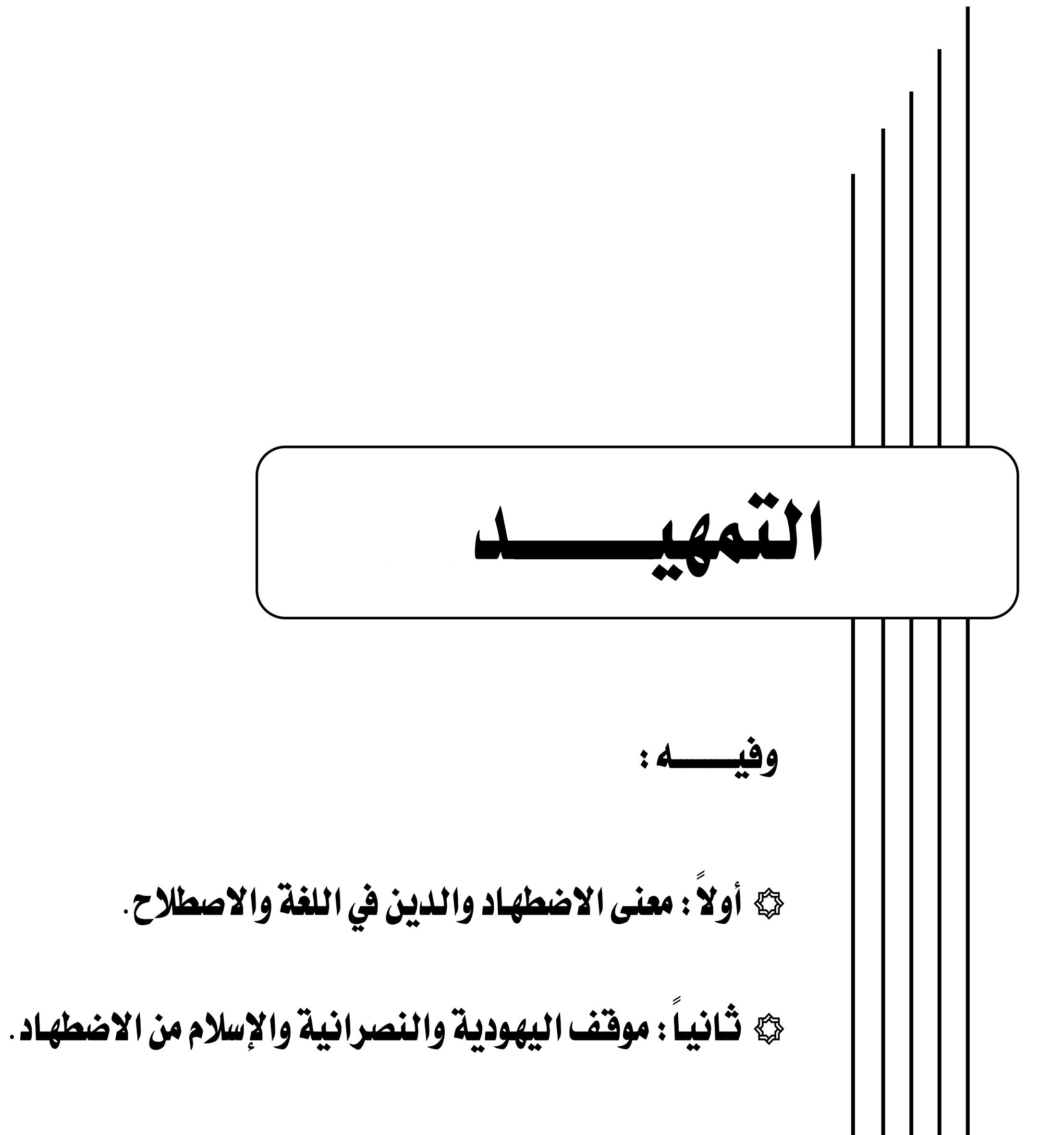
وصلى الله وسلَّمَ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب / حسن بن أحمد بن يحيى المسعودي





التمهيـــد



التمهيـــــد

وفيـــــه :

۞ أولاً : معنى الاضطهاد والدين في اللغة والاصطلاح.

۞ ثانياً : موقف اليهودية والنصرانية والإسلام من الاضطهاد.

أولاً

معنى الاضطهاد والدين في اللغة والاصطلاح

أ – معنى الاضطهاد في اللغة والاصطلاح:

١- معنى الاضطهاد في اللغة:

الاضطهاد: افتعال من ضهد، يُقَالُ ضَهَدَه، وأَضْهَدَه، واضْطَهَدَه. وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الإِفْتِعَالِ[1]، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: اضطهاد: مفرد، وجمعه: اضطهادات (لغير المصدر).[2]

ويأتي الاضطهاد على معان منها:

- القهر والإذلال، يقال: ضَهَد فلانٌ فلاناً واضطَهَدَهُ، إذا قَهَرَه وأذلّه. وهو مُضْطَهَدٌ: مَقْهورٌ وذليلٌ[3].

- الظلم، يقال: "(ضَهَدُه، كمَنَعَه: قَهَرَهُ) وظَلَمَه"[4].

الجور والاستئثار بالشيء، يقال: "أضهدْتُ بِالرجلِ إضْهاداً، وَهُوَ أَن تجُور عَلَيْهِ وتَسْتَأْثر"[5].

---

(١) لسان العرب (٣/ ٢٦٦)

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار بمساعدة فريق عمل ٢/ ١٣٧٣.

(٣) كتاب العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ٣/ ٤٠٦، وانظر: تهذيب اللغة، للأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ٦/ ٦٢.

(٤) تاج العروس، للزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٨/ ٣١٦.

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، (٦/ ٦٢).

وفي الظلم والجور معنى القهر والإذلال ولهذا قال ابن فارس: "(ضهد) الضاد والهاء والدال كلمة واحدة. ضهدت فلاناً: قهرته، فهو مضطهد ومضهود".[1]

٢- معنى الاضطهاد في الاصطلاح:

ارتبط تعريف الاضطهاد في الاصطلاح بما يحدث القهر والألم[2]، ومن ذلك ما ورد في معجم الإيمان المسيحي في مفردة (اضطهاد): (في الكتاب المقدس، اختبر شعب الله الاضطهاد، وهو مرتبط بالألم).[3]

وقد عرف الاضطهاد في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنه:

تجاوز الحدّ في السُّلطة ومعاملة قهريّة تعسُّفيَّة، وانتهاك المبادئ الدستوريَّة وخاصَّة ما كان متعلِّقًا بحماية حقوق الإنسان[4].

وفي دائرة المعارف الكتابية عرفوا الاضطهاد بقولهم:

اضطهده: بالغ في ظلمه وإذلاله، وبخاصة في حالة الاختلاف في العرق أو الوطن أو الرأي أو الدين[5].

ويظهر مما سبق أن الاضطهاد أنواع وأنه قد يكون بتجاوز السلطة أو المعاملة ويشمل جميع ما يتعلق بحقوق الإنسان، وأن من أسبابه الاختلاف في العرق أو الوطن أو الرأي أو الدين.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٧٥)

(٢) الإسلام والنصرانية، محمد عبده، ص١٦٣؛ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، ص١٠٥.

(٣) معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي، ص٤٥.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٣٧٣.

(٥) دائرة المعارف الكتابية، د. القس منيس، وآخرون، ٥/ ٩٢

ومن أشهر أنواع الاضطهاد:

الصراع الطائفي وهو: صدام ناتج عن حالة من الاحتقان واللاتسامح بين الطوائف داخل المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات المختلفة؛ هذه الحالة تنبع في أساسها من دائرة الاعتقاد الديني، وقد تظل هذه الصراعات فكرية لاهوتية، وقد تتطور إلى مصادمات بل حروب[1].

۞ ب – معنى الدين في اللغة والاصطلاح:

١- الدين في اللغة:

يأتي على عدة معان منها:

١- الطاعة، يقال دان له يدين دينا، إذا أصحب وانقاد وطاع. ومنه قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦] أي في طاعته[2].

٢- الجزاء والحساب، يقال دانه بما فعل: إذا جازاه.وقد دنته إذا جزيته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة:٤] أي يوم يدان فيه العباد، أي يجازون بأعمالهم[3].

٣- الذل والعبودية، يقال: دانه ديناً أي أذله واستعبده، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الواقعة:٨٦] قال الفراء ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾، أي غير مملوكين[4].

---

(١) انظر: الصراع الطائفي النصراني وأثره على الصراع الدولي الحرب العالمية الأولى نموذجاً، فيصل الكاملي،بحث ضمن تقرير ارتيادي لمجلة البيان، الإصدار الحادي عشر، ص٣٦١.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ٣١٩، لسان العرب ١٣/ ١٧٠، تاج العروس ٣٥/ ٥٦، الدين، د. عبدالله دراز، ص٣٨.

(٣) انظر: تهذيب اللغة للإزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، ١٤/ ١٢٨، مقاييس اللغة ٢/ ٣١٩-٣٢٠، لسان العرب ١٣/ ١٦٩، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوني، ١/ ٨١٤.

(٤) معاني القرآن، للفراء، ٣/ ١٣١.

٤- العادة والشأن: تقول العرب مازال ذلك ديني وديدني أي عادتي[١]. قال: أمرؤ القيس:

كدينك من أم الحويرث قبلها......

٥- الحال: قال النضر بن شميل: سألت أعرابيا عن شيء فقال: لو لقيتني على دين غير هذه لأخبرتك[٢].

ونخلص من هذه المعاني أن فعل الدين مشتق من دان فتارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، فإذا تعدى بنفسه يكون دانه بمعنى سيطر وقهر، وإذا تعدى باللام دان له يكون المعنى الخضوع والذلة، أما في حالة تعديه بالباء دان به فيكون المعنى اتخذه ديناً ومذهباً[٣].

٢- الدين في الاصطلاح:

يأتي بتعريفات عدة فكل شخص يجنح إلى تعريف معين حسب إيمانه، وسعي الإنسان نحو الكمال من حيث اتصاله بأعمق العواطف والمعتقدات.

١- الدين هو: وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ[٤].

٢- أو هو مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن به جماعة معينة، يسد

---

(١) انظر: جمهرة اللغة ٢/ ٦٨٨.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور ١٣/ ١٧٠، المنجد في اللغة ص٨٠

(٣) انظر: الدين، ص٣٨، الوحدانية، د. بركات دويدار، ص١٥، في علم الأديان مفهوم العقيدة تطورها، د. محمد شامة، ص٣٧-٣٨.

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني، ص١١.

حاجة الفرد والمجتمع على السواء، أساسه الوجدان وللعقل مجال فيه(١).

٣- وبعضهم يعرفه بالعقيدة والملة وهو معلومات وعقائد يعتقدها المرء فتجري أعماله على مقتضاها(٢).

٤- وهو عند كانت: الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية(٣).

ومن أحسن تلك التعاريف ما عبر به دراز عن الدين بأنه " هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها إرادة واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان؛ اعتقادًا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد"(٤).

والمقصود بالاضطهاد في هذه الدراسة ما كان سببه الدين، وعليه فيمكن تعريف المراد بالاضطهاد الديني عند النصارى بأنه:

حالة من الظلم والذل والقهر وفرض عقائد باطلة، وقعت منهم أو عليهم بسبب معتقدهم ودينهم المحرف، الذي أدى إلى الاقتتال والانشقاق فيما بينهم أو مع مخالفيهم.

أو نقول: هو التعسف والظلم بإيقاع الأذى الجسدي والنفسي بالمخالف الديني.



(١) انظر: المعجم الفلسفي، ص٨٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٨٤.

(٣) انظر: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص٤٠.

(٤) المصدر السابق، ص٤٢.

ثانياً

موقف اليهودية والنصرانية والإسلام من الاضطهاد

اتفقت الشرائع السماوية على منع الاضطهاد والظلم للآخرين، فقد أرسل الله ﷻ رسله وأنزل كتبه من أجل إحقاق العدل كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:٢٥]، لكن تلك الأمم اختلفت بحسب مصادرها التي تعتمد عليها.

۞ أولاً: اليهودية:

لقد حفلت مصادر اليهود بنصوص عديدة تفيض كلها بما يرسخ مبدأ العنف والاضطهاد وعدم التسامح مع المخالف بأي حال من الأحوال، حتى أن بعض أولئك الباحثين الذين يؤمنون بالعهد القديم أوجدت تلك النصوص عنده شيئاً من القلق وعدم الارتياح، فقال: "يتضمن العهد القديم أكثر من ستمائة مقطع نرى فيها شعوباً وملوكاً وأشخاصاً يدمر بعضهم بعضاً ويتنازعون. كما أننا نرى إله العبرانيين خاصة يأمر أكثر مرة بالمجازر، ويشجع على الحرب، فيسبب غضبة أكثر من ألف مرة الدمار أو الانتقام.إن عدد المصطلحات المرادفة للعنف يبلغ المائة تقريباً في الكتاب المقدس كلّه، فنستطيع القول دون مبالغة بأن موضوع العنف يشكل أحد المحاور الرئيسة في الكتاب المقدس"(١).

---

(١) العنف في العهد القديم، للأب سمير بشارة اليسوعي، ضمن كتاب: وجه الإنسان وكلام الله، بعناية الخوري بولس الفغالي نقلاً الحرب في اليهودية عرض ونقد، د.خالدالشنيبر، ص٢٣٣،مجلة الدراسات =⇦

إن الـذي يتـصفح كتـاب العهـد القـديم يجـد نـصوصاً كثـيرة تـدعو صراحـة إلى اضـطهاد المخـالفين وإلى تـدميرهم وإبـادتهم وسـحقهم بـشتى الوسـائل، وأن هـذا الاضطهاد من قبيل القانون العام عندهم وليست المسألة حالات فردية، اضطر فيها اليهود إلى مثل هذا الفعل ثم أعقب ذلك تسامح وتعايش، فقد جاء في سفر التثنية: "فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتُحَرِّمها، بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتُحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد"[1].

وجاء في هذا السفر كذلك "حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء، والاطفال، والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا، التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما - الحثيين والاموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليوسيين، كما أمرك الرب إلهك "[2].

وما فعله يشوع[3] -بزعم كتابهم- بشعوب الأرض من ضربهم بحد السيف

= الاسلامية تصدر عن جامعة الملك سعود، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، جمادى الآخرة عام ١٤٣٤هـ.

(١) سفر التثنية ١٣/ ١٦- ١٧.

(٢) المصدر السابق ٢٠/ ١٠-١٧.

(٣) يوشع بن نون: هو يوشع بن نون بن أفرائيم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبرهيم الخليل عليهم السلام وأهل الكتاب يقولون يوشع ابن عم هود. وهو من أخرج بني إسرائيل من التيه، وحبست له = ⇦

وكل نفس بها، ولم يبق بها شارداً، بل حرم كل نسمة بها، يقول يشوع: "فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها، لم يبق شارداً، بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل"[(١)].

ويروي الكاتب حزقيال[(٢)] في سفره خبر أكثر من عشر أمم أهلكت بالسيف وأبيدت عن آخرها، حيث قال: "هناك أشور وقومه جميعاً قد أحاطت به قبورهم كلهم صرعى السيف، الذين جعلت قبورهم في أسافل الجب وحول قبور حلفائه كلهم قتلى صرعى السيف أولئك الذين أشاعوا الرعب في أرض الأحياء"[(٣)].

ومن مصادرهم التي يعتمدون عليها ويستمدون منها شرائعهم وعلاقتهم بالآخر التلمود[(٤)] الذي يحتل عند اليهود منزلة مهمة جدًّا تزيد على منزلة التوراة وهو

= الشمس، وظل يحكم بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٦٨، البداية والنهاية ٢/ ٢٣٦).

(١) سفر يشوع ١٠/ ٢٨- ٤٠.

(٢) حزقيال: اسم عبري معناه " الله يقوّي " وهو حزقيال الكاهن ابن يوزي وهوعندهم نبي من أسرة صادوق الكهنوتية ومن قبيلة إفرايم، أطلق حزقيال نبوءاته في القدس، ثم في بابل، حيث هجّر مع اليهود الذين هجروا إلى هناك، واستمر في التنبؤ لسنوات طويلة (٥٩٣- ٥٧٠ق م)، يتميز حزقيال بتأكيده المسئولية بشكل أوضح.(انظر: دائرة المعارف الكتابية ٣/ ٧٢، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/ ١٢٢).

(٣) سفر حزقيال ٣٢/ ٢٢-٢٤.

(٤) التلمود: معناه التعليم أو الشرح أو التفسير، وهو عبارة عن مجموعة الشرائع المدنية والاجتماعية اليهودية المتوارثة التي نقلها الأحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة واستنباطاً من أصولها.ويتكون من قسمين: الأول المشنا، وهو المتن.والثاني: الجمارا وهو الشرح لهذا المتن. وكلاهما يُشكل التلمود.
(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، د. عرفان عبدالحميد، ص٨٥).

مليءٌ بالنصوص التي تدعو إلى إباحة دماء غير اليهود، واضطهاد المخالفين وإبادتهم، يقول التلمود: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين"[(١)].

وقد أباح علماء التلمود كل ما له صله بالأغيار، فقد جاء في إباحتهم للأعراض: "لا يخطئ اليهود إذا تعدى على عرض الأجنبي؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة والعقد لا يوجد مع البهائم وما شاكلها"[(٢)].

كذلك يحرم تقديم الهدايا لغير اليهود وإذا حدث يجب أن يكون شيئاً قابلاً للتلف أو شيئاً يضره أو شيئاً حرمته الشريعة فقد جاء: لا تعطيهم -يقصد الأغيار- أي هدايا مجانية[(٣)].

وقد أخبر الله ﷻ عن فعلهم وصنيعهم هذا وعده محض افتراء وكذب فقال ﷻ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ [آل عمران:٧٥].

فالأميون هم العرب، والمشركون، وكل من ليس بيهودي، وقد قال الزمخشري[(٤)] في تفسيره ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ ": أي لَا يتطرق علينا عتاب وذم

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف نصر الله ص٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص٩٥.

(٣) انظر: ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود (عفودا زارا)، شيماء مجدي حسن، ص٦٢.

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم، كبير المعتزلة، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان توفي سنة ٥٣٨هـ، من أشهر كتبه: الكشاف في تفسير ⇐ =

في شأن الأمِّيين، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وما فعلنا بهم ما فعلنا من حبس أموالهم والإضرار بهم، إلا لأنهم ليسوا على ديننا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم، ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة"[(١)].

إذاً من خلال تلك النصوص التي تفيض بها مصادرهم ندرك أن الاضطهاد واستخدام العنف وإقامة المذابح الجماعية عقيدة راسخة لا يمكن أن تتخلى عنها اليهود متى ما امتلكت القدرة على ذلك.

۞ ثانياً: النصرانية:

جاءت نصوص الأناجيل الموجودة بين أيدي النصارى الآن متناقضة ومختلفة كعادتها في موقفها من المخالفين، فهناك نصوص في كتاب العهد الجديد تدعو صراحة إلى أن المسيح عليه السلام جاء بالسلام مع الأعداء والمحبة للمخالفين وعدم أذيتهم واضطهادهم، ومن تلك النصوص ما جاء في متى: "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من اجل البر لان لهم ملكوت السماوات، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم"[(٢)].

وهناك نصوص أخرى تدعو صراحة إلى الحرب والي اضطهاد المخالف، وتعلن على أن من لا يملك سيفاً أن يبتاع واحداً، وأن المسيح لم يأت ليلقي السلام بل السيف، ومن تلك النصوص ما جاء في إنجيل متى: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأفرق الإنسان ضدّ أبيه

= القرآن، وأساس البلاغة والمفصل. (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٨).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ١/ ٣٧٥.

(٢) إنجيل متى ٥/ ٩-١٢.

والابنة ضدّ أمها والكِنة ضدّ حماتها"[1].

وجاء أيضاً منسوباً إلى المسيح: "أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدّامي"[2].

وقد تسببت هذا النصوص مع التي قبلها في إحداث تعارض وتناقض مما جعل بعض الباحثين يصرح بذلك كالناقد الفرنسي بابيه[3]، حيث يقول: "وثمة نقطة أخيرة، يتأكد فيها تضاد هذين المذهبين الأخلاقيين بوضوح أعظم بل وبما يشبه القسوة: إن المذهب الأول، وهو كثير الارتياب، يقتضي صفحاً لا نهائياً، والآخر يبشر بالجحيم"[4].

ولذا اجتهد بعض مفسري الأناجيل في الجمع بين هذه النصوص المتعارضة، فادعى بأن السلام الذي جاء به المسيح، سلام خاص" بمن قبل دعوته، وأمّا من حاربها واضطهد أتباعها فيوجبون مقاومته بما يستحقه[5].

لكن الواقع يشهد بخلاف ذلك فنجد أن اضطهاد النصارى لم يقتصر على المخالفين لهم في العقيدة من أتباع الأديان الأخرى، بل إنهم تسلطوا على كل مخالف لهم حتى من أبناء جلدتهم، ولذلك أفنوا طوائف شتى من النصارى كما سيأتي معنا.

ومن أقوى الدلائل على اتكاء النصارى على الاضطهاد ورغبتهم الجامحة

---

(١) إنجيل متى ١٠/ ٣٤، إنجيل لوقا ١٢/ ٤٩-٥٠.

(٢) إنجيل لوقا ١٩/ ٢٧.

(٣) ألبير باييه: ولد في فرنسا سنة ١٨٨٠م، وعين أستاذا لعلم الاجتماع في السوربون الفرنسية، له اهتمام بالعلوم الاجتماعية والأخلاقية، تولى رئاسة عصبة حقوق الإنسان، من كتبه مدخل إلى حقوق الإنسان. (انظر: ترجمته في مقدمة كتابه: أخلاق الإنجيل، ترجمة، د.عادل العوا، ص٤)

(٤) أخلاق الإنجيل دراسة سوسيولوجية، البير بايه، ترجمة، د. عادل العوا، ص٦٧.

(٥) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ١/ ١٦٢.

في ذلك معرفة واقع حالهم في أول الأمر وكيف كانوا قلة مستضعفة تطاردهم اليهود في كل مكان، ثم انتشرت النصرانية بعد ذلك في انحاء كثيرة من العالم ولم يكن ذلك الا بسبب ميلهم إلى القتال ولولاه لما بقي منها أثر.

يقول الخزرجي حول ذلك :" فكانك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم إنما كان بأسباب القتال مع اليهود، وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان.

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثراً،فإن الدولة كانت لهم،قد قتلوا إلهكم على زعمكم !ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حوارياً، وسبعين مبشراً هاربين خائفين، ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتله.فلو التزمتم ما أوجبه عليكم شريعتكم بالمسالمة !!! لما قامت لكم قائمة، وما بقي منكم باقية.ولكنكم أقمتم دينكم برفض معالمة، ونصرتموه بمحو آثاره، والتزمتم القتل والقتال،فعصيتم في الأول، ومازلتم إلى الآن على خلاف ما أمركم به إنجيلكم تعملون"(١).

كما يشهد تاريخ الديانة النصرانية انها لم تعرف سلاماً إطلاقاً، بل حمل النصارى الناس حملاً على إعتناقها، فمنذ أن أصاب النصرانية ما أصابها من التحريف إلى يومنا هذا وهي تخضب أقطار الأرض جميعاً بالدماء، باسم السيد المسيح، خضبتها الروم وخضبتها أمم أوربا كلها.

والحروب الصليبية إنما أذكى لهيبها النصارى لا المسلمون، ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوربا مئات السنين، قاصدة أقطار الشرق الإسلامية تقاتل، وتحارب، وتريق الدماء، وفي كل مرة كان البابوات خلفاء المسيح يباركون هذه الجيوش الزاحفة للاستيلاء على بيت المقدس، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة، أفكان هؤلاء البابوات جميعاً هراطقة وكانت مسيحتهم زائفة؟

---

(١) بين الإسلام والمسيحية،أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق د. محمد أبو شامة، ص٢٦٥.

أم كانوا أدعياء جهالاً، لا يعرفون أن النصرانية تنكر القتال على إطلاقه؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى،عصور الظلام، فلا يحتج بها؟ إن يكن ذلك بعض ما قد يقولون، فان هذه القرون المتاخرة والتي نعيش فيها والذي يسمونه عصر الحضارة الإنسانية العليا، قد راى ما رأت تلك العصور المظلمة، فقد وقف اللورد اللنبي ممثل الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول في بيت المقدس في سنة ١٩١٨م حين استيلائه عليه: "اليوم انتهت الحروب الصليبية" وفي هذا القرن تقتل جيوش الحضارة الغربية السكان الآمنين في أفغانستان والعراق وفلسطين والشام وغيرها من بلاد العالم الإسلامي[(١)].

إن تحول أوربا إلى المسيحية لم يأت عن دعوة هادئة أخذت تتسلل إلى عقول الناس ومشاعرهم حتى دخلوا فيها عن قناعة واستسلام كلي وإنما نتيجة للرعب والخوف من القتل وطلباً لمكاسب مادية لا علاقة لها بالديانة الصحيحية ويكفي التذكرة بما فعله شارلمان حين قتل في يوم واحد ٤٥٠٠ إنسان رفضوا التنصر،ثم ما فعلته البابوية حين فؤضت فرسانها بغزو شعوب البلطيق، والاستيلاء على أراضيها ثم تقديم النصرانية اليها، لقد كان بالفعل السيف هو الوسيلة الوحيدة لتعامل الصليبية مع نفسها، كما حدث في الحروب الصليبية المحلية بين مختلف القوى الصليبية الأوروبية.

۞ ثالثاً : الإسلام :

لم تأت شريعة من الشرائع السماوية، بمثل ما جاءت به شريعة الإسلام من حفظ الحقوق لغير المسلمين، وقد وضع القرآن الكريم قاعدة تعد الدستور الأساسي في معاملة المسلمين لغيرهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ

(١) انظر: المصدر السابق، ص١١٤ – ١١٥ (من كلام محقق الكتاب د.محمد أبو شامة)، بتصرف يسير.

ﭐﻟَّﺬِﻳﻦَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة:٨-٩].

وقد ذكر الإمام "ابن جرير الطبري"[(١)] عدة أقوال فيها ثم قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله ﷻ عم بقوله: الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض"[(٢)].

ولا يعني هذا أن يبقى الإسلام ذليلاً خاضعاً للمشركين دون أن يواجهم ويقارعهم بالسيف فالله سبحانه وتعالى كما شرع العدل والصلة للمشرك الغير مقاتل والمعلن لعداوته،أمر بقتال المشرك ومحاربته،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار.

فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت، وأمره بنبذ العهود المطلقة، فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال"[(٣)].

إن القبول بالآخر والتعايش معه ليس مجرد قبول بأمر واقع، إنما هو القبول بسنة الله والامتثال لإرادته والتسليم بمشيئته، وأن هذا الاختلاف هو من سنن الله تبارك

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، كان إماماً في علوم شتى، وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠. له كتب شهيرة منها: أخبار الرسل والملوك، جامع البيان في تفسير القرآن، تهذيب الآثار.(انظر: الأعلام للزركلي، ٦/ ٦٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق، د. عبدالله التركي ٢٢/ ٥٧١.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل الدين الصحيح،١/ ٢٣٧.

وتعالى في خلقه كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾[هود:١١٨-١١٩])(١).

ومن أبرز خصائص دعوة النبي ﷺ الرحمة، فهو الرحمة المهداة، ليس لقومه فحسب بل للبشر جميعاً، بل للعالمين، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقد مال "ابن جرير الطبري" رحمه الله إلى تفسير ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم، وكافرهم(٢).

وقال ابن عاشور(٣): "وأما رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإنما نعني به رحمته بالأمم الداخلة تحت سلطانه وهم أهل الذمة. ورحمته بهم عدم إكراههم على مفارقة أديانهم، وإجراء العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة"(٤).

وقد جاء الإسلام بمبادئ وأحكام تضمن حقوق كل من يعيش في بلاد الإسلام، ومن ذلك التسامح الخلق الذي بينه القرآن وحث عليه فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [الجاثية:١٤]. وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)﴾ [الحجر:٨٥].

---

(١) انظر: الموقف من الديانات الأخرى، د. محمد عمارة، ص١٣.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٦/ ٤٤٠.

(٣) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامعة الزيتونة، ولد بتونس سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي بها سنة ١٣٩٣هـ. من مصنفاته: موجز البلاغة، مقاصد الشريعة الإسلامية. (انظر: الأعلام ٦/ ١٧٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٧/ ١٦٩.

ومن المعلوم أن شتى أصحاب الديانات من اليهود والنصارى والصابئة عاشوا في بلاد المسلمين قروناً طويلة وعصوراً مديدة ولا يزالون دون أن يتم تشريدهم أو اضطهادهم من الدولة الإسلامية، بل تجاوز مبدأ التسامح معهم إلى حفظ حقوقهم وحفظ كرامتهم، فقد أقر لهم الإسلام حقوقاً في غاية العدل والإنصاف، وجعلهم من أهل الذمة التي هي من الذمام وهي الحرمة والضمانة، فقد جاء في الصحيح في شأن أهل الذمة " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة"(١).

ومن تلك الحقوق التي أقرتها شريعة الإسلام عدم الإكراه في الدين، فقد قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٥٦].

يقول ابن كثير(٢) حول هذه الآية: "أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً"(٣).

ويقول "توفيق الطويل"(٤): "وقد عقب رسول الله بفيض من الأحاديث النبوية

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم ٣١٦٦، ج١/ ٨٣٠.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري ثم الدمشقي، ولد سنة ٧٠١هـ في قرية من أعمال بصرى الشام. الحافظ الكبير والفقيه الشافعي، صحب ابن تيمية فاستفاد منه وأكثر عنه، توفي في دمشق سنة ٧٧٤هـ. من كتبه: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، جامع المسانيد.(انظر: الأعلام ١/ ٣٢٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ١/ ٦٨٢.

(٤) هو محمد توفيق الطويل، من أعلام الفكر المعاصر، ويعد رائداً للفلسفة الخلقية في العالم العربي المعاصر، ولد بحي بولاق بالقاهرة عام ١٩٠٩م.التحق بالمدرسة الابتدائية عام ١٩٢٠م، ثم الثانوي عام ١٩٣٠م، والتحق بجامعة القاهرة، وواصل دراساته العليا الماجستير ثم الدكتوراه من نفس الجامعة، ثم حصل على الدكتوراه ثانياً من جامعة السربون بباريس عام ١٩٥٤م، ودرس بجامعة القاهرة وشغل العديد من المناصب العلمية وعضواً لعدد من المجامع والمجالس. توفي سنة ١٩٩١م. من مؤلفاته: أسس الفلسفة، =

يؤيد بها التسامح المحمود - وهذه الأحاديث لم تصدر عن حماسة رجل ضعيف لا حول له ولا قوة، ولا عن فلسفة حالم قصت القوى المعادية جناحه، ولكنها صدرت عن رجل كان في أوج قوته على رأس أمة فتية منظمة قادرة على أن تفرض بحد السيف عقيدتها. ولم تكن الدعوة إلى التسامح في الإسلام وليدة الضعف والحاجة إلى المعاملة اللينة، بل لقد صاغ محمد التسامح قانوناً أقر فيه حرية العبادة حقاً للشعوب المهزومة، ومن أبى منهم الإسلام ألزم بدفع الجزية وبقي حراً في عقيدته - فلم يزاول الإسلام الاضطهاد ولم ينشئ رجاله قط محكمة التفتيش"(١).

وهناك مواقف عديدة من سيرة المصطفى ﷺ تبين رحمته وعطفه وتعزيزه لمحاسن الإسلام والتسامح حتى مع أهل الكتاب، فكان للنبي ﷺ خادم يهودي فمرض فزاره النبي ﷺ يعوده(٢).

ومرت جنازة يهودي فقام لها النبي ﷺ، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفساً؟!»(٣).

وقد كان النبي ﷺ يشمت عاطسهم، ففي الحديث عن أبى موسى كانت يهود يأتون رسول الله ﷺ فيتعاطسون رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول: "يهديكم الله ويصلح بالكم"(٤).

= فلسفة الأخلاق، التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام، التصوف في مصر إبان العصر العثماني.(انظر: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، ص١٨٤ - ١٨٩).

(١) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص١٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، رقم ١٣٥٦، ج١/ ص٤٥٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، رقم ١٣١٢، ج١/ ص٤٤٥، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، رقم ٩٦١، ص٣٩٣.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي، رقم ٥٠٣٨، ٧/ ٣٨٠، والترمذي، أبواب =

وقد اقتفى علماء الإسلام رحمهم الله سيرة المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذه الفضائل والأخلاق حتى مع المخالفين لهم من الأديان الأخرى، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية عندما أفتك أسارى المسلمين من التتار لم يرض إلا بفكاك الجميع حتى من اليهود والنصارى، يقول في رسالته إلى ملك قبرص النصراني: "ومع هذا فإنا كنا نعامل أهل ملتكم بالإحسان إليهم والذب عنهم. وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان[(١)] وقطلوشاه[(٢)] وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنا نفتكهم ولا ندع أسيرا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله"[(٣)]

يقول توماس آرنولد[(٤)]، وهو يتحدث عن اضطهاد الفرس للمسيحيين، موازنًا بين سلوكهم وسلوك المسلمين: "ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حرمت مثل هذه

= الأدب، باب ما جاء كيف يشمت العاطس، رقم ٢٧٣٩، ٥/ ٨٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) غازان ويقال قازان محمود بن أرغون بن بغا. أحد ملوك التتار. استولى على بلاد الشام واعتنق الإسلام سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٠٣هـ.(انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ١٨/ ٣٥، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، ٢/ ٢).

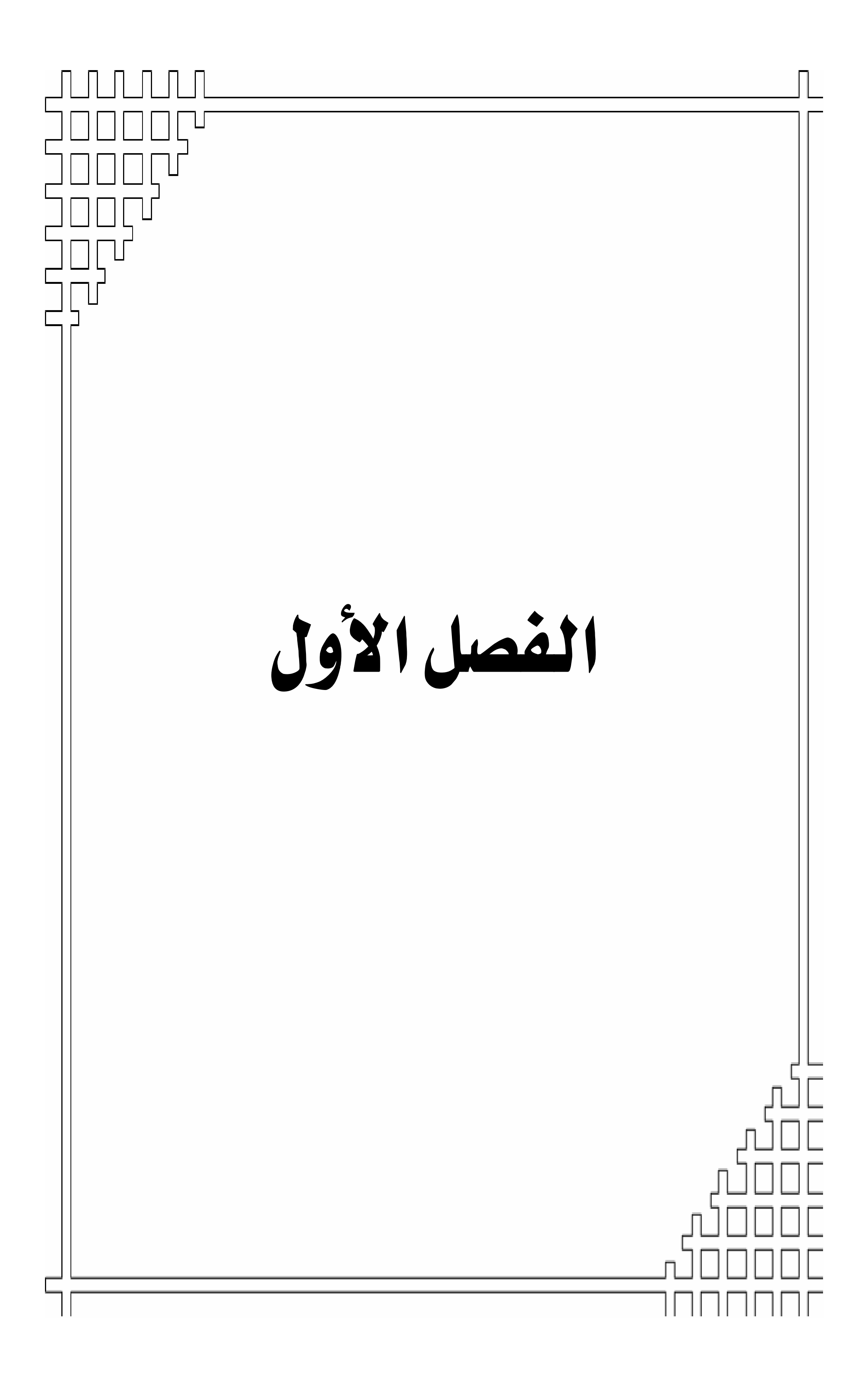
(٢) الأمير سيف الدين قطلوبك التشنكير الرومي، كان من أكابر الأمراء، وولي الحجوبية في وقت، وهو الذي عمر القناة بالقدس. توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول، سنة ٧٢٩هـ (انظر: البداية والنهاية ١٨/ ٣١٤).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٦١٧- ٦١٨.

(٤) تومس ووكر أرنولد "١٢٨٠- ١٣٤٩هـ"، مستشرق إنكليزي، تعلم في كمبردج، واشتغل بالتدريس في عدة جامعات بالهند وباكستان، ثم عاد إلى لندن ودرس في جامعتها، عين مديرًا لمعهد الدراسات الشرقية. له عدة كتب بالإنجليزية عن العلوم الإسلامية. (انظر: الأعلام للزركلي، ٢/ ٧٦- ٧٧. وانظر: المستشرقون، نجيب العقيقي ٢/ ٨٤).

الأعمال -التي كان يمارسها الفرس على رعاياهم من المسيحيين التي تنطوي على الظلم - بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهدًا في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس"[1].

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة، حسن إبراهيم حسن وزملائه، ص٦٥.



الفصل الأول



اضطهاد المخالفين للنصارى

وفيه مبحثـــــان :

- **المبحث الأول : اضطهاد اليهود للنصارى.**
- **المبحث الثاني : اضطهاد الرومان للنصارى.**

المبحث الأول

اضطهاد اليهود للنصارى

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الاضطهاد القولي للمسيح عيسى عليه السلام وأمه.
- المطلب الثاني: الاضطهاد الفعلي للمسيح عيسى عليه السلام وأتباعه.
- المطلب الثالث: الاضطهاد الفكري للمسيح عيسى عليه السلام وأتباعه.

* *   * ** *   * *

التمهيد

وفيه أسباب اضطهاد اليهود للمسيح عيسى عليه السلام وأتباعه.

كان عصر اليهود قبل مجيء المسيح عليه السلام مليئاً بالاضطرابات والانقسامات فكانوا يعيشون حالة كبيرة من الفوضى والشتات والاضطهاد وقد وصف "جيمس هاستنكز " البيئة اليهودية فقال: "إن هذا المجتمع بدأ يتفلت من تطبيق القوانين والتشريعات التي جاءت بها التوراة، وإن طقوس المعبد قد قوطعت بواسطة الوثنيين غير اليهود المسيطرين، وإن المدينة المقدسة قد وقعت تحت حكم الأجنبي، وانقطع الإحساس بالانتماء إلى (يهوه)[(١)] هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين لا زالوا يتطلعون إلى تلك الساعة التي تتحقق فيها الأحلام والرؤى القديمة ويعود إسرائيل، ليأخذوا الإنصاف كشعب الله المختار، وقيام مملكة الله المنتظرة... وفي هذه الظروف المختلطة من الإيمان العنيد، والمرارة الروحية، والسحق الاجتماعي والعمى الديني والخلقي، والهزيمة السياسية، والآمال المعتمدة على الأحلام والرؤى، نشأ المسيح وترعرع"[(٢)].

يقول "رينان"[(٣)]: أما الوسط المضطرب الذي ربى فيه السيد فلا مثيل له في الاضطراب في تاريخ العالم بيئة كلها خرافات وشعوذة، و.... وسيطرة وثنية الرومان"[(٤)].

---

(١) يهوه: كلمة عبرية أحد أسماء الله المذكورة في التوراة وفي العهد القديم في الكتاب المقدس.(انظر: الموسوعة الحرة)

(٢) Encyclopaedia of religion and Ethics/James Hastingsvo 117 p. 508 نقلاً عن النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص٣٦.

(٣) أرنست رينان (١٨٢٣- ١٨٩٢م)، مستشرق ومؤرخ فرنسي، عني خصوصاً بتاريخ النصرانية، وتاريخ شعب إسرائيل.من كتبه: حياة يسوع، ابن رشد والرشدية. (انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي ص٣١١، موسوعة المورد العربية، ٢/ ٥٦٤)

(٤) أصول المسيحية، ص٢٥٦.

فهذا هو واقعهم وحالهم، فكانوا ينتظرون على أحر من الجمر مجيء شخصٍ ينقذهم من الرق والاضطهاد، ويعيد لهم العزة والسعادة ويرتقي بمستوى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية[١].

هذه الظروف التاريخية التي مر اليهود بها، جعلت لهم تفسيراً دينياً يوافق مكانهم وزمانهم، وكانت النتيجة إبطال مفاهيم دينية قديمة، وتطوير مفاهيم جديدة تناسب عصور أزمات التاريخ اليهودي، وتطورت لهذا السبب مفاهيم غريبة على التوحيد منها مفهوم الاختيار الإلهي لبني إسرائيل، وتخصيص التوحيد أي جعله قصراً على اليهود، وكذلك عقيدة المسيح المنتظر وهي عقيدة عنصرية تقوم على أساس انتظار قدوم مسيح يحقق الخلاص القومي للشعب اليهودي ويقيم مملكة الله على الأرض جاعلاً اليهود في أرقى منازلها[٢].

لقد انتشرت هذه العقائد المسيانية وعلى نطاق واسع جداً بين اليهود في آخر حكم "هيرودس"[٣]، أي قبل ميلاد المسيح ببضع سنوات، ووصلت هذه العقائد إلى ذروتها في الانتشار في أيام المسيح نفسه، ففي هذا الوقت كان الشعب اليهودي ينتظر بفارغ الصبر مجيء المسيا[٤].فقد كانت التربة مهيأة ومعدة لذلك، فالشعب اليهودي الذي كان يئن متألماً تحت نير الرومان القاسي الظالم كان ينتظر مخلصاً يخلصهم

---

(١) انظر: المسيحية دراسة وتحليل،ساجد مير ص٢٤، قصة الحضارة، ١١/ ٢١٥.

(٢) انظر: علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية،د. محمد خليفة حسين،ص١٢-١٣، اليهودية، د. أحمد شلبي ص٢١٠، المعتقدات الدينية لدى الغرب، د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن،ص١٨٤.

(٣) هيرودس: هو هيرودس الكبير ابن أيتباس الأدومي الأصل، حكم فلسطين لمدة أربع وثلاثين سنة، وقد ولد المسيح عليه السلام في أواخر أيامه. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٠٨-١٠٠٩).

(٤) المسيا: هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية " مسياس " المأخوذة من الكلمة الآرمية " مشيحا " التي تعني مسيح، والمقصود هنا هو المسيح المنتظر. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٨٩٠)

من ذلك[1].

إذاً نشأت المسيحية في بيئة يهودية مشبّعة بآمال الترقب والانتظار والخلاص، والعودة، ودنو آخر الأزمنة وهذا يعني أن اليهود في تلك الفترة الزمنية كانوا يتوقعون ظهور المسيح لكي ينقض على الروماني الوثني ويطرده من أرض إسرائيل ويعيد السيادة إلى أهلها، ويحقق لهم عهداً جيداً من السلام والرخاء، ومن القوة والعظمة، وينهي بقوته وإلى الأبد حالات الحزن والقنوط والتبعية والإذلال[2].

فالمسيح عندهم هو الملك العظيم والقائد الجبار الزمني والمخلص الذي يخلصهم من الاسترقاق والاستعباد بجنود تأتيه من السماء ويخلصهم من الذلة والهوان بقوة تأتيه من ملكوت الله كما خلصهم موسى من قبل، ويعيد إليهم ملكهم المضاع ومجدهم الغابر وهم قاعدون[3].

إنه لم يكن هناك تصور واحد في أذهان اليهود عن المسيح ودوره، بل ثمة تصورات أخرى، فقد تخيلوه إما قائداً عسكرياً ظافراً يحقق البعث الوطني، ملكاً من سلالة داوود، وإما (ابن الإنسان) مرسلاً من فوق كما جاء في سفر النبي دانيال[4] وهو الذي يعني مجيئه نهاية هذا الجيل، ووقوع الكارثة، وقيام يوم الحساب الإلهي الذي يتلوه ظهور سماء جديدة وأرض جديدة. إن مثل هذا التصور هو الذي كان سائداً في

(١) تاريخ الفكر المسيحي، د. القس حنا جرجس الخضري، ١/ ١٢٩.

(٢) انظر: المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص٣٢٢، صلب المسيح ومسئولية اليهود قراءة جديدة في الأناجيل، نصري سلهب،ص٩، الدولة والكنيسة، د. رأفت عبد الحميد، ص٢٩.

(٣) انظر: تاريخ الأديان، فاروق الدملوجي، ص٤٧٦.

(٤) دانيال: كلمة عبرية معناها " الإله قضى "، وهو أحد الأنبياء الأربعة الكبار. كان دانيال من عائلة شريفة، ويُظن أنه وُلد في القدس. (انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ١٢١، قاموس الكتاب المقدس، ص٣٥٧)

تلك الفترة عن اليهود[1].

فلما جاء عيسى عليه السلام جاء بالدعوة إلى التوحيد الكامل، والبشر بقرب ملكوت الله، وأن من وحده فهو قريب من ملكوت الله وأنه ماهو إلا رسول دعا إلى عبادة المعبود وهو الله تعالى ودعا كذلك إلى الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي، وإلى التصديق باليوم الآخر، واعتبار الآخرة هي الدار الأبدية التي يسعى إليها كافة البشر[2].حينئذٍ انقسم الناس في دعوته إلى ثلاثة أقسام:

قسم كفر به وهم عتاة اليهود، فأنكروا رسالته فعادوه وكذبوه وناصبوه العداء من أول ما قال لهم: "مملكتي ليس من هذا العالم[3].

وقسم آمن به وصدَّقه وناصره ودعا إلى دينه وشريعته ولذلك تعرض للاضطهاد وللأذى وهم الحواريون ومن تابعهم ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٢-٥٣].

وقسم ثالث: غلا في عيسى عليه السلام، ورفعه فوق منزلته التي جعلها الله له، فبالغت في إطرائه، حتى أوصلته إلى مرتبة الإلوهية فزاد بذلك الانحراف والانقسام في النصرانية حتى أوصلتها إلى ديانة وثنية بعيدة تماماً عن دعوة عيسى عليه السلام[4].

---

(١) انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، ص٥٢-٥٣.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص٢١٦، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، د. بسمة أحمد جستنية، ص٥٥.

(٣) إنجيل يوحنا (١٨ : ٣٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٤٧،دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد بن عبدالعزيز القاضي، ص٨٥-٨٦، مظاهر الشرك في الديانة النصرانية، د. محمد السحيم، ص٤٥.

وكعادة اليهود الخبيثة التي ذكرها الله ﷻ في كتابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران:١١٢] لم يكتفوا بتكذيب عيسى عليه السلام وبما جاء به من الحق بل تعداه إلى اضطهاده وإيذائه، ومناهضة دعوته وثمة أسباب وراء هذا الفعل القبيح منهم، أهمها:

١- أن اليهود -كما سبق بيانه- كانوا ينتظرون ظهور نبي يكون ملكاً عليهم، يخلصهم مما هم فيه من مشقة وعنت وتفرق، ويعيد لهم على الأرض مملكة داوود وسليمان، ويحقق لهم عهداً جديداً من السلام والرخاء والقوة والعظمة لكنهم فوجئوا بنبي يدعوهم إلى الصبر والإيمان وحسن الخلق ولين الجانب، ويزين لهم ملكوت السماوات ويعدهم وعداً حسناً في الدار الآخرة، وأدرك حينها رجال السطوة والنفوذ من الصدوقين(١) والفريسيين(٢) والكتبة(٣) ومختلف الطوائف الأخرى، وأعضاء مجلس السنهدرين(٤) اليهودي أن مكانتهم إلى نهاية، وأن نفوذهم لا محالة

---

(١) الصدوقيون: طائفة دينية، بين سنة ١٥٠ق.م إلى سنة ٧٠م، ينسبون أنفسهم إلى الكاهن الأكبر صادوق، كان الصدوقيون يحافظون على اللاهوت، تنكر هذه الفرقة التلمود إنكاراً مطلقاً فهم لا يعترفون به، ينكرون الغيب والبعث واليوم الآخر وينكرون جميع ما يتعلق بهذا اليوم.(انظر: معجم الأديان الدليل الكامل للأديان العالمية، تحرير جورج هينليس، ترجمة: هاشم أحمد محمد، ص٦٢٤، اليهوديه، د. عرفان عبد الحميد، ص١٠٢).

(٢) الفريسيون: بمعنى المنعزلين، وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين الصدوقيين والأسنيين، وكانت أضيقها رأياً وتعليماً. ومن حيث المعتقد فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة، وبخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٧٤).

(٣) الكتبة: هو لقب يطلق على الحاخامات اليهود الذين كانوا يقومون بتدريس وشرح الشريعة حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد إلى عام ١٠٠ ق. م، ويعتبر عزرا أول الكتبة حين وضع الدراسات الحاخامية. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية،المسيري، ٥/ ١٥١).

(٤) السنهدرين أو السنهدريم: هو مجمع عام لكبار علماء اليهود داخل الدولة الرومانية، حيث كان لهم مجلس =⇦

ضائع ومن ثم كفروا بالمسيح وبما جاءهم به، ونالوا منه ومن دعوته وأتباعه وراحوا يؤلبون عليه وعليهم جميعاً شعب الرومان والحكومة(١).

يقول موسى بن ميمون(٢) مقرراً هذا الأمر في واقع اليهود: "لو كان أعاد بناء الهيكل، أو كان نجح في لمّ شمل كل أسباط إسرائيل من الشتات لكان قد أصبح من الممكن اعتباره المسيح المنتظر، لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك،... إذاً فهو ليس المسيح الذي علمتنا الشريعة أن ننتظر مجيئه... إن المسيح الذي ننتظره سوف يكون على يديه فداء إسرائيل وخلاصها وإنقاذ شعبها من النفي، وترسيخ شريعتها"(٣).

٢- دعوته الكهان وأرباب الأموال ونبذ الشرك والابتعاد عن المال الحرام وذلك؛ لأنهم اتخذوا الدين مطية لكسب الحرام عن طريق القرابين وفسروا الطقوس والأسرار الدينية وافق أهواءهم، وادعوا أن ما يقدمه الناس من عبادات ونذور لا تكون مقبولة إذا لم يباركها كاهن. وهذا التصرف كان من أهم العيوب التي جاء المسيح لمحاربتها(٤).

يقول "شارل جنيبير"(٥): "أما علماء الدين فقد رأوا فيه رجلاً يتطاول عليهم،

= مستقل يحلون فيه القضايا الداخلية، ويمثلهم أمام الدولة ويرأسه رئيس الكهنة في الهيكل، وفي عضويته سبعون عضواً، قد توقف عمله بعد عام ٧٠م وذلك بعد خراب أورشليم. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٤٨٩، التلمود البابلي، المقدمات ١/ ١٣٥).

(١) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية للأعظمي، ص٢٨٦، الدولة والكنيسة، د. رأفت عبدالحميد، ٢/ ٢٩.

(٢) موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م): فيلسوف يهودي ومفسر للتوراة والتلمود، ولد في قرطبة وتعلم هناك اللغة والأدب العبري، وكان لقبه بالعربية أبا عمران موسى بن ميمون بن عبدالله، ومن كتبه: السراج، وكتاب الشرائع. (انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د عبد المنعم حفني، ٢/ ١٣٩٢).

(٣) انظر: المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ص٥٥.

(٤) انظر اليهودية، د. أحمد شلبي، ص٢١٧، الحواريون من النصارى، ص٦٩.

(٥) شارل جنيبير: أستاذ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس، ولد من أبوين نصرانيين في البيئة الريفية الفرنسية، وتعمق بكثرة في الديانة النصرانية حتى أصبحت محور تخصصة. (انظر: الميزان في مقارنة الأديان، ص٢٦٣)

ويعتقد -في سذاجته - أن الحكمة يمكن أن تحل محل القلم، وأن البصيرة يمكن أن تغني عن المنطق. يتحدث إليهم في ثقة وقوة؛ لأنه كان يشعر بتأييد من الله في نفسه. ولم يكن ليعجبه منطقهم، ولم يكن توثب عاطفته الدينية الفطرية إلا ليتصادم مع تفكيرهم المتشبث بالتدقيق إلى أقصى الحدود في الأمور الدينية فكان من الطبيعي أن تنشأ العداوة من الطرفين"(١).

وقد وصف ﷻ حالهم في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:٣٤].

قال ابن كثير: "الأحبار هم علماء اليهود...وذلك أنهم كانوا يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك"(٢).

ولما بعث الله عيسى عليه السلام نعى على كهنة اليهود وأحبارهم هذا الصنيع الذي مكنهم من التسلط على أموال النسا وحرياتهم ودعاهم إلى التقرب إلى الله مباشرة بلا واسطة من الأحبار والكهان. جاء في إنجيل متى قول المسيح عليه السلام: "الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون، ولا تدعون الداخلين يدخلون"(٣).

وقد وصفهم عيسى عليه السلام، بشتى نعوت القدح والذم، وأنهم مراؤون ماديون، جهال، عميان، مرابون، قد حولوا المعبد إلى مغارة لصوص وسوق للمراباة، متمسكون ظاهرياً بالشريعة وقلوبهم فاسدة وسلوكياتهم تناقض دعاوى التزامهم بأحكامها، وأعلن النكير عليهم بالتهديد والوعيد، فجاء في إنجيل متى: "الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون، فإنكم تنظفون الكأس والصحفة من الخارج

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، ص٥٧-٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ١٣٧- ١٣٨.

(٣) إنجيل متى، ٢٣: ١٣.

ولكنهما من الداخل ممتلئتان مما كسبتهم بالنهب والطمع، أيها الفريسي الأعمى نظف أولاً داخل الكأس ليصير خارجها أيضاً نظيفاً"(١).

٣- دعوة بني إسرائيل إلى الالتزام بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن والطقوس القديمة التي هي من صنع الإنسان(٢)، ولذلك أنكر على أصحاب السلطة الدينية وهزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة، وفي مقابل ذلك أخذ يخالط الأصناف الهامشية والمنبوذة في المجتمع اليهودي من عشارين وبغايا وأناس بسطاء محتقرين لجهلهم بالشريعة، وأوضح مثال على ذلك ما قام به عيسى عليه السلام من طرده للصيارفة الذين يوفرون للحجيج النقود الخالية من الصور البشرية حتى يتمكنوا من أداء الضريبة للهيكل، وكذلك للتجار الذين يعرضون على المؤمنين الحيوانات الصالحة للقربان بأسعار خيالية، إنما يهاجم أقوى وسط في الشعب اليهودي وسط المتصرفين في الهيكل وفي ثرواته وطقوسه(٣).

واعتبر الهيكل(٤) بسبب ممارسات الكهنة ورؤساء اليهود مركزاً للشر، وأعلن أن علاقة الإنسان بالله لا تتم من خلال الهيكل بل مباشرة بينه وبين الله بصورة فردية(٥). ولذلك اتفق عدد كبير من الكهنة على كراهية المسيح وانتظروا الفرصة المواتية للنيل منه والقضاء عليه.

---

(١) المصدر السابق، ٢٣: ٢٥-٢٦.

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري، ٢/ ٢٢٩.

(٣) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٤٦، قصة الحضارة، ١١/ ٢٢٠.

(٤) الهيكل: كلمة سومرية تعني " البيت الكبير " وهو مكان عبادة الله عند اليهود، ولا يطلقونه اليهود إلا على مكان واحد كبير في القدس، وهذا الهيكل بناه سليمان بن داود وقام البابليون بهدمه تماماً بعد غزوهم أورشليم سنة ٥٨٦ق.م وأعيد بناءه في عهد قورش الفارسي ثم هدم ودمر في عصر الرومان سنة ٧٠م. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠١٢)

(٥) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية، القس أكرم لمعي، ص٥٤.

٤- اتباع الهوى الذي لازم اليهود، وخلع نفوس الأحبار والرهبان من القيود الشرعية وغمسها في أنواع الملذات والشهوات والانحرافات المختلفة، كانت سبباً في رد تعاليم المسيح القديمة، كما أخبر الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧][1].

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل الدين المسيح،١/ ٢٣١، الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري، ص٣٧٣.

المطلب الأول
الاضطهاد القولي للمسيح عيسى عليه السلام وأمه

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الطعن في مولده ونسبه وأمه:

لم يقتصر رفض اليهود لعيسى عليه السلام ودعوته، بل تجاوزا ذلك إلى عدم ذكره في كتبهم، فلم يكن تصريح صريح للبشارة بعيسى عليه السلام في العهد القديم، وحتى ما قيل في بعض نصوص العهد القديم أنها نبوءات وبشارات نجدها عند التمحيص والتدقيق بعيدة عن ذلك.

إن الرفض اليهودي للمسيح عليه السلام ودعوته أخذ صوراً وأشكالاً عدة بداية من مولده فوصموه بألقاب قاسية تحط من شأنه وتطعن في شخصه فزعمت اليهود أنه ولد من الزنا، وقد واجهوه بذلك وهذا ظاهر من قولهم له: "نحن لم نولد من زنا"[(١)]. وادّعت أن أبوه العسكري الروماني بانديرا[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان بنو إسرائيل قد عتوا وتمردوا وذهب أكثرهم إلى التكذيب به ورسالته وكفروا به وزعموا أنه ابن بغي ورموا أمه بالفرية ونسبوه إلى يوسف النجار"[(٣)].

والتلمود الذي يعتبر كتاب اليهود المقدس والمقدم على التوراة عند بعض الفرق اليهودية يصور عيسى عليه السلام بصورة مشوهة وأوصاف وعبارات محتقرة لا تطلق على إنسان بريء فضلاً عن نبي من أولي العزم من الرسل.

---

(١) يوحنا، ٨: ٤١.

(٢) انظر المعتقدات الدينية، ص٣٢١، بين الإسلام والمسيحية، ص٢٢١.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٠/ ١٠٠، ٢٨/ ٦٠٦.

يقول صاحب كتاب "فضح التلمود: "الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو جيشو آهانوتسري Jeschu aHanotsri أي يسوع الناصري..وبما أن كلمة (جيشو) تعني المنقذ أو المخلص، فإن اسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية، وهو يختصر دائماً تقريباً باسم جيشوJeschu الذي اقتبس بحقد في الواقع من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث اياش شيموفيزيكر Immach Chemo Vezikor أي: ليمح اسمه وذكره"[1].

ويقول: "وعلى سبيل التحقير والازدراء يدعى يسوع أيضاً نجار بارنجار Naggar bar Naggar أي نجار ابن نجار كذلك يدعى بن شار شايتيم Ben Char schEtaim أي ابن الحطاب"[2].

واشتمل تلمودهم على قبائح تشمئز منها الفطر السليمة، والعقول السامية، ومما جاء فيه "يعلم التلمود أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي حملته أمه خلال فترة الحيض، وكانت تتقمصه روح أيسو Esau وأنه مجنون مشعوذ، مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثناً له يعبدونه"[3].

ويذكر صاحب فضح التلمود عن أحد أسفار التلمود "تولدون جيشو": بأنهم يصفون فيه المسيح عليه السلام بأنه مجدف وساحر ومشعوذ"[4].

وجاء في التلمود أيضاً: أن المسيح كان ساحراً ووثنياً... مجنوناً، كافراً لا يعرف الله، وأن تعاليمه كفر، وذلك لأنهم يرونه مرتداً، ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان[5].

(١) فضح التلمود، الأب أي بي براناتيس، ص٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص٥٥.

(٣) المصدر السابق، ص٥٧.

(٤) المصدر السابق، ص٦٤.

(٥) انظر: الكنز المرصود من قواعد التلمود، ص٢٧.

وقد تعرض كتاب التلمود لما يحمله من عداء واضح للنصارى للحذف والحرق ولكن مع ذلك بقي بعض النصوص التي تطعن في عيسى عليه السلام وتصفه بأنه عبد الأوثان، فقد جاء في التلمود - الطبعة الأصلية الغير مراقبة: "أفاق يوشع وعيسى ذهبا إلى الحانة..."[(١)].

وقد نقل _نصري سلهب[(٢)] _ بعض الفقرات التلمودية عن المسيح ومريم عليهما السلام ومن ذلك: "قال ربي شمعون من عزّاي: لقد وجدت ليسوع شجرة عائلة وارد فيها: "فلان هو ابن امرأة زانية" فما هو ابن الزنا؟ إنه ذلك الذي بسببه ممكن القضاء أن يحكم على أهله بالموت."[(٣)].

ويقول "باركلي"[(٤)]: "إن الطبعات الأولى من التلمود شملت كثيراً من كلمات السب والشتم ضد سيدنا المسيح عليه السلام، والمسيحية، ولكن الطبعات الأخيرة لا تشمل إلا القليل جداً بعد أن طهرتها الكنيسة[(5)]. ومن طبعات التلمود التي كانت تسب وتشتم سيدنا المسيح طبعة أمستردام، لسنة ١٦٤٥، وقد نعت فيها المسيح

---

(١) التلمود البابلي نقلاً عن موقف اليهود والنصارى من عيسى عليه السلام، ص٤١-٤٢.

(٢) نصري سلهب: نصراني لبناني، عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والنصرانية في لبنان - كما يزعم- له العديد من المحاضرات والكتب، منها: لقاء المسيحية والإسلام، على خطى محمد. (انظر: قالوا عن الإسلام، لعماد الدين خليل، ص٦٩).

(٣) صلب المسيح ومسئولية اليهود، قراءة جديدة، ص٨٦.

(٤) باركلي: (١٦٨٥-١٧٥٣) فيلسوف وقس إيرلندي من أشهر من نظّر للاتجاه التجريبي في الفلسفة الحديثة القائل بأنه من المستحيل أن يكون للأشياء وجود مستقل عن إدراكنا له. (انظر: موسوعة المورد العربية ١/ ١٨٨)

(٥) الكنيسة هي متعبد النصارى، ومكان اجتماعهم، وهي كلمة لاتينية الأصل (ECCLESIA) وتعني مجمع أو محفل في اللغة الرومانية، والمعنى اللاهوتي لكلمة كنيسة: يراد بها العقيدة أو المذهب، ويراد بها الجماعة من النصارى عندما يجتمعون للعبادة في مكان ما. (انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٧٠٠، تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ١/ ٥٢).

بالكلمات الآنية:

١-ذلك الرجل.

٢-مثل ذلك الرجل.

٣-أحمق.

٤-المجذوم.

٥-غشاش بني إسرائيل.

٦-يدعى أنه ابن الجندي يوسف بنديرا، وجاء في نفس الطبعة أيضاً حبلت به مريم (نعوذ بالله من هذا البهتان الأثيم) قبل زواجها"[١].

كذلك نجد أن المسيح عليه السلام وأمه لم يسلما من عداوة اليهود وقبحهم المشين حتى في العصر الحديث ويتضح ذلك فيما يلي:

أولاً: دائرة المعارف اليهودية:

فمن مقالاتهم في ذلك: "ولا يوجد أي علاقة تدل في الكتابات اليهودية على أن ظهور المسيح سواء كان معلماً أو قائداً أو مرشداً اجتماعياً أو سياسياً - كان له تأثير عميق أو دائم على الأمة اليهودية بصفة عامة، فخارج مدينة الجليل لا يكاد يعرف، وهذا على الأقل يوضح لنا الحقيقة بأن الأجزاء التلمودية وأكثرها كان قديماً وضعت عيسى في نفس مستوى ابن استادا الذي حوكم في لد، وربما كان مساوياً ومشابهاً (لينودوس الساحر) المسيح الكذاب الذي ظهر في عام ٤٤م، وكذلك يشبه النبي المصري الكذاب الذي اختلق ثورة مسيحية بعد ذلك بسنوات"[٢].

---

(١) the Talmud. Dr Barclay، ص٣٨-٣٩، وكذلك الأدب العبري، د. جوزيف باركلي، ص٣٤-٣٦ نقلاً عن: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص٦١-٦٢.

(٢) دائرة المعارف اليهودية ٧/ ٥٠، نقلاً عن: موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام ص٥٢.

وتزيد دائرة المعارف اليهودية في تشويه صورة المسيح عليه السلام فتنقل من مصادر غير موثوقة ما فيه تحقير وتصغير لشخصية عيسى عليه السلام، وذلك بنعته بولادة غير شرعية (ابن زنا) وبنعته بالسحر وبالموت الغير شريف، وبعض ما كتب عنه أنه ساحر... ولأسباب جدلية أصر اليهود على أن ولادة عيسى غير شرعية وذلك ضد رجوع نسبه إلى داوود الذي أدعته الكنيسة المسيحية.

وهناك كتابات من مراجع موثوق بها تقول بأن عيسى ولد عن طريق غير شرعي فالجملة الخفية (ذلك الرجل) المذكورة في تلك المراجع قد وجدت في سجل العائلة لذلك الباحث الذي قد وجدها ويظهر أنها تدل على عيسى وفي الكتابات المتأخرة قد استعملت (الرجل الغير مسمّى) وترك ذكر اسم عيسى، أما لفظ (ابن زنا) فقد استعمل في الأيام المتأخرة، وذاك السجل العائلي للباحث المذكور ربما كان قد حفظ في القدس في المجتمع اليهودي المسيحي.

واليهود الذين اعتبروا كأعداء لعيسى في الأناجيل القانونية، اعتبروه بأنه ابن شرعي وولد بطريقة شرعية! وقد ظهر بيان معاكس لوجهتهم، هذه لأول مرة. كما يقرر أحد الباحثين. إلى أن من زنا بها كان جندياً اسمه بانثيرا [1].

ومما ادعته دائرة المعارف اليهودية في حق عيسى عليه السلام: "أن تأثيره كان بين أهله وجيرانه متبايناً ومختلفاً حيث اعتبره بعضهم بأنه مجنون ومختل العقل"[2].

ثانياً: من خلال مؤلفاتهم ورواياتهم:

لقد أصبح عداء اليهود لعيسى عليه السلام ولأمه واضحاً، وأمراً معلوماً فهناك وسائل كثيرة يهودية مهمتها القيام بهذه الأعمال فدور النشر في الغرب تدعو صراحة لقراءة

---

(١) TheJewish Encyclopedia ‎٧/ ١٧٠ نقلاً عن موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، ص٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص٦٧.

مثل هذه الكتب وتذيل كل كتاب بعبارة "اذا استمتعت بقراءة هذا الكتاب، فعندنا عدد كبير من الكتب الأخرى في انتظارك"[١].

ومن تلك الكتب السيئة كتاب "تُلْدوت يشوع" والذي يقول عنه كلسنر: "وهذا الكتاب النادر في أيامنا[٢]، كان فيما مضى رائجاً رواجاً كبيراً بعناوين مختلفة باللغة العبرية وباليديّة. كانت أمهاتنا يعرفن محتواه بفعل التقليد الشفهي وكن يعلمنه لأولادهن، يوجد لهذا الكتاب أكثر من نص مخطوط، بعض تلك النصوص تتابع الخرافات التلمودية عن بن ستادا أو بنديرا أو يبُّوس بن يهودا ومريم مجدلا ويسوع. وبعضها الآخر يبتعد عن تلك الخرافات"[٣].

ويقول جوزف كلسنر: "إن رجلاً يدعى يوحنّان، متضلعاً من أحكام الشريعة عائشاً في خوف الله، ومنتسباً إلى بيت داود، عقد خطبته على مريم التي هي من بيت لحم، ابنة أرملة، جارتة، فتاة طاهرة، بتول. ولكن مريم أعجبت بصبي جميل خالي الشرف يدعى جوزف بنديرا(أو بِنْبنديرا) جاء يزورها، مساء ذات سبت وهي في حالة الدنس، التبس الأمر على مريم فظنت أن بندير هو خطيبها يوحنان. ورغم مقاومتها رأت نفسها مرغمة على الاستسلام...."[٤].

وفي عام ١٩٥٥م أصدر الكاتب اليوناني "نيكوس كازا نتزاكس"[٥] روايته عن المسيح بعنوان: (التجربة الأخيرة للمسيح)، والتي ألحقت بالمسيح كل أذى وشر،

---

(١) خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل ص٣٤-٣٥.

(٢) عام ١٩٣٣م، تاريخ صدور هذا الكتاب، مطبعة العريش.

(٣) صلب المسيح ومسئولية اليهود، ص٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص٨٩-٩٠، موقف اليهود والنصارى من المسيح، ص٩٧.

(٥) نيكوس كازا نتزاكس: (١٨٨٣-١٩٥٧) كاتب وفيلسوف يوناني، اشتهر بروايته " زوربا اليوناني " درس بباريس وتأثر بالفيلسوف والشاعر نيتشه. (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا)

وكانت مع ذلك من أكثر الكتب رواجاً[(١)].

وزيادة في احتقار عيسى عليه السلام تحولت هذه الرواية في عام ١٩٨٨م إلى فيلم داعر يظهر المسيح إنساناً ضعيفاً متردداً يتعاون مع الرومان إذ يصنع لهم صلباناً - بحكم أنه نجار- يعدمون عليها الثوار اليهود، أما تلميذه يهوذا فهو وطني غيور، مقاوم للاستعمار الروماني لا يعجبه سلوك معلمه يسوع فيوبخه بعنف قائلاً: يا خائن! أنت متعاون معهم! يهودي تصنع صلباناً لهم!

ثم يعتري المسيح كرب عظيم، فيهيم على وجهه حتى يقف أمام باب وخلف الباب يكشف ماخوراً تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة، يطلب منها المغفرة ثم يسقط في الإثم[(٢)].

وعلى أن ما سبق غاية في الفحش فثمة صور من الصعب تدوينها أو كتابتها لما فيها من القبح والشناعة على عيسى عليه السلام وهذا الذي يفعلونه على مرأى ومسمع من المؤسسات الدينية المسيحية في الغرب تحت قانون حرية الفكر فأخذوا يعبثون بكل ما هو مقدس وله صلة بالدين.

وهذه الإساءة لعيسى عليه السلام ولأمه والطعون التي وجهها اليهود لهما يعترف بها كثير من علماء النصارى مع محاولات الفاتيكان الكثيرة في تبرئة اليهود من إيذاء عيسى عليه السلام ومن علماء النصارى الذين صرحوا بهذا الاتهام.

١- الدكتور "وليم باركلي" يؤكد أن اليهود اتهموا المسيح بأنه ابن زنا حيث قال: "أطلق اليهود أقسى الشائعات عن (يسوع) وكيف أن العذراء خانت عهد خطبتها وكانت غير أمينة ليوسف، أما ذلك الذي سقطت معه في غفلة من رجلها، فقد كان جندياً

---

(١) انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السَّامية، أحمد عبدالوهاب، ص١٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

رومانياً يدعونه (بانثيرا) أو (بانديرا) وجاء يسوع نتيجة هذه الصلة الآثمة.."[1].

٢- ويقول الدكتور القس "حنا الخضري"[2]: "إن التلمود يعتبر من أهم المصادر التاريخية القديمة التي تكلمنا عن يسوع ومن أهم هذه النصوص التي ذكرها التلمود والتي حفظت في كتابات السنهدريم في التلمود البابلي النص الآتي: (لقد علق يسوع الناصري على خشبة في عشية عيد الفصح، لمدة أربعين يوماً كان يتقدمه منادٍ صارخاً: لقد استعمل السحر وأغوى إسرائيل وجره إلى العصيان، فهو إذن مستحق الرجم، فإن كان يوجد من يدافع عنه لكي يبرر موقفه فليدافع، ولكن لم يوجد من يدافع عنه أو يبرره، ولذلك قضى عليه في عشية عيد الفصح)، ثم يقول جوجل: إنه يوجد تقليد يهودي قديم يرجع إلى العصر الأول وبداية القرن الثاني يقول هذا التقليد: إن يسوع ابن عسكري روماني. وهدف هذا التقليد هو استبعاد يسوع من النسل الداودي"[3].

۞ المسألة الثانية: الطعن في معجزاته ورسالته:

لما كانت المعجزات دليلاً على صدق النبوة، وهي ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله.[4] فإن ميلاد عيسى عليه السلام بحد ذاته يعتبر معجزة إلهية، إذ لم تجر العادة على مثل هذا النحو من الولادة، فقد جاء عيسى عليه السلام بقدرة إلهية تقول للشيء كن فيكون ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ

(١) تفسير العهد الجديد "شرح بشارة يوحنا"، ص٦٣.

(٢) حنا الخضري: قس مصري معاصر يحمل الدكتوراه في اللاهوت من فرنسا، وعمل راعياً لعدد من الكنائس في فرنسا، من مؤلفاته: مارثن لوثر، حياته وتعاليمه. (انظر: مقدمة الجزء الثالث من كتابه: تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ٧)

(٣) تاريخ الفكر المسيحي، ص١٤٨.

(٤) انظر: المواقف في علم الكلام، الإيجي ص٣٣٩.

أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ [آل عمران:٤٧].

ثم لما أرسله الله ﷻ إلى بني إسرائيل جعل له من المعجزات والعلامات التي تتوافق مع عصره وقومه، فكان ينفخ في الروح فيما كان يخلقه من الطين على هيئة الطير، ويبرئ الأكمه، والأبرص، ويحيي الموتى، ويخبر عن ما يدخره الناس كل ذلك بإذن الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [سورة المائدة: ١١٠].

ولما كان عصر عيسى عليه السلام فيه نزعة مادية كان الإتيان بمثل هذه المعجزات من المعايير المعتمدة في تمييز النبي من سائر الناس عند اليهود والنصارى(١).

وقد ساد في ذلك العصر إنكارهم الروح في أقوالهم وأفعالهم، وكذلك الإيمان بالأسباب العادية والمسببات، بحيث يعتقدون أنه لا يمكن أن ينفك السبب عن مسببه، واللازم عن ملزومه، فلا توجد نتائج من غير سبب عادي، فلا ولد من غير والد، ولا حياة تكون بعد موت من يموت، فلا يرتد حياً وقد عجزت الأسباب عن أن يرتد حياً من يموت، وعجزت الأسباب عن أن يرتد بصيراً من يولد أعمى، لذلك كانت معجزات عيسى عليه السلام متضمنة الرد والتنبيه على ذلك، يقول محمد أبو زهرة(٢) معللاً هذا الأمر بقوله: "لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة،

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر، د. عبدالمجيد الشرفي، ص٥٨٢.

(٢) محمد بن أحمد أبو زهرة، عالم أزهري مصري معاصر، ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر سنة ١٣١٦هـ، تعلم بمدرسة القضاء الشرعي، ودَرَّس في الأزهر وفي كلية الحقوق بجامعة القاهرة، توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ. من كتبه: تاريخ المذاهب الإسلامية، القرآن المعجزة الكبرى، زهرة التفاسير.(انظر: الأعلام للزركلي، ٦/ ٢٥-٢٦).

مصدق لما يأتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح، وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، ما ذاك إلا لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى، وأخذت أشلاؤه في التحلل، وأوشكت أن تصير رميماً، أو صارت، يناديه المسيح عليه السلام، فإذا هو حي يجيب نداء من ناداه، وما ذاك إلا أن روحاً غير الجسم الذي غيّره البلى حلت فيه بذلك النداء، ففاضت عليه الحياة، وهكذا. فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته، وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. وهل ترى أن معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار في إنكاره أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر في جحوده"[1].

والواقع أن اليهود رأوا تأثير هذه المعجزات على الناس وتصديقهم بدعوته وإيمانهم به كما في معجزة شفاء المسيح للأعمى التي جاءت في إنجيل يوحنا[2] وقد أوردها بكل تفاصيلها" إنها صنعت علانية في إنسان معلوم وفي موضع مشهور وأمام كثيرين حتى لا يستطيع اليهود إنكارها"[3].

ومع هذا كله فاليهود مجمعة على أنه لم يظهر لهم معجزة، ولا بدت لهم منه آية.

ولما طلبته اليهود معجزة كالمن والسلوى، فرد المسيح: "إن كان موسى أطعمكم خبزاً بالمفاز، فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً"[4]، فلو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك،

---

(١) محاضرات في النصرانية ص٢٤. وانظر: المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص١١-١٢.

(٢) إنجيل يوحنا ٩/ ١-٤١.

(٣) الكنز الجليل تفسير الإنجيل (إنجيل يوحنا)، وليم إدي، ص١٠٧.

(٤) إنجيل يوحنا ٦/ ٢٨-٣٥.

ثم هو لم يجبهم على قولهم بمعجزة أو آية[1].

ومن ذلك: أن الكتبة والفريسيين قالوا: يا معلم، نريد أن نرى منك آية، فأجابهم: "جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية"[2].

يقول أدي مفسراً هذا النص: "فإنهم شاهدوا معجزته في شفاء المرضى وإخراج الشياطين، ولكنهم لم يعتبروها برهاناً كافياً على أن يسوع هو المسيح؛ لأنه كان يفعلها بيده، وكانت متعلقة إما بأهل الأرض وإما بأهل الجحيم، فسألوه معجزة السماء لا يد له فيها لتكون مجرد برهان من الله على أنه المسيح.. وفي سؤالهم ذلك تعريض بأن يسوع كان يعمل المعجزات بالسحر، أو بخفة يد، ولذلك سألوه معجزة لا تصل يده إليها...(لا تعطى له آية) أراد أنه لا يعطيهم آية من نوع طلبهم، وليس أنه لا يجري المعجزات أمامهم بعد ذلك، ورفض طلبهم لأنهم أهانوا المسيح به إذا احتقروا المعجزات التي صنعها قبلاً كأنها من أعمال السحر والشعوذة"[3].

وقد أخذ اليهود في الحط من شأنه والتشكيك في معجزاته، فقد ذكر لوقا في إنجيله قوله: "وإذا برجال يحملون مخلعاً على سرير وكانوا يلتمسون أن يدخلوا به ويضعوه أمامه، ولذا لم يجدوا به لسبب الجمع صعدوا به إلى السطح ودلوه بين اللبن مع سريره إلى الوسط قدام يسوع، فلما رأى إيمانهم قال: يا رجل مغفورة لك خطاياك فجعل الكتبة الفريسيون يفكرون ويقولون: من هذا الذي يتكلم بالتجديف من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده، فعلم يسوع أفكارهم، فأجاب وقال لهم: بماذا تفكرون في قلوبكم، ما الأيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش"[4].

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية للخزرجي، تحقيق د. محمد شامة ص٢٢٠.

(٢) إنجيل متى ١٢/ ٣٨-٣٩.

(٣) الكنز الجليل تفسير الإنجيل إنجيل متى، ص١٢٨-١٢٩.

(٤) لوقا ٥/ ١٨-٢٤، مرقس٢/ ١١-١٢، متى ٩/ ٢-٦، ومثل هذا التشكيك من اليهود كثير انظر: لوقا =

إلى جانب هذا التشكيك والسخرية منهم امتد الأمر إلى الطعن في كل ما أتى به المسيح عليه السلام من معجزات واعتبارها من أعمال السحر وأنها من أعمال الشياطين وخدمتهم له فقال اليهود في المسيح: "إن معه بعلزبول وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين"[(١)].

فقال المسيح لليهود: فإن كان الشيطان هو الذي يخرج الشيطان فكيف يدوم ملكه وعزه؟ فبهت اليهود عند ذلك[(٢)].

ورد المعجزات والآيات التي جاء بها المسيح عليه السلام كانت سمة من سمات العناد اليهودي، فكانت من أهم موضوعات الجدل اليهودي ضد النصرانية الطعن في كل ما أتى به المسيح من معجزات، فالنصارى يعتقدون أن عيسى عليه السلام قام من الأموات[(٣)] في اليوم الثالث، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء[(٤)]، وجادلت اليهود في صعود المسيح إلى السماء، ولم يعتقدوا في قيامه من الأموات، لإيمانهم بأن ذلك لا يحدث إلا في نهاية العالم، ولجميع البشر على حد سواء، كذلك رد المجادلون اليهود على النصارى في معجزات المسيح في إبراء الأبرص والأكمه، وفي مقابل إحياء المسيح عليه السلام

= ٥/ ٢٣-٣٩، ٦/ ١-٥، ٦/ ٦-١٠، مرقس ٢/ ١٨-٢٢، ٢/ ٢٣-٢٨، ٣/ ١-٥، متى ٩/ ١٢-١٤، ١٧/ ١-١٢، ٨/ ١-١٣.

(١) مرقس ٣/ ٢٢، لوقا ١١/ ١٥.

(٢) انظر: الدين والدولة، لابن ربن الطبري، ص١١٢.

(٣) تعتبر قيامة المسيح من الأموات من أهم العقائد النصرانية، وهي من العقائد التي بشر بها بولس، وقد وردت في الأناجيل الأربعة حادثة قيامة المسيح من الاموات إلا أن هذه الروايات لم تتفق فيما بينها إلا في شيء واحد وهو عدم تصديق التلاميذ لخبر قيام المسيح من الموت، وهذه العقيدة مرتبطة بعقيدة الصلب فبدون الصلب لا يوجد قيام، وحيث إن عقيدة الصلب لم تقع على المسيح عليه السلام، بل رفعه إلى السماء بجسده وروحه، فلا يمكن القول بقيامته من الأموات كما يعتقد النصارى.(انظر: متى ٢٨/ ١٦-١٨، لوقا ٢٤/ ٣٦-٤٣، مرقس ١٦/ ٩-١١، يوحنا ٢٠/ ١-١٣، اللاهوت المسيحي، ص٧١- ٧٢).

(٤) لوقا ٢٤/ ٥١.

للموتى،[1] مع أنه ورد في العهد القديم عدد من المواقف التي أحيا منها أنبياء بني إسرائيل الموتى[2][3].

وغاية ما في جدال اليهود التكذيب والعناد وإلا فإن صدق الرسل تدل عليه اعتبارات أخرى منها قرائن الأحوال وعدم الاقتصار على المعجزات، ثم إن عيسى عليه السلام نفسه يصرح بأنه لم يختص بعمل المعجزات فهو القائل: "من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها"[4].

لقد ضل اليهود بهذه الآيات والمعجزات فتآمر الكهنة على إهلاك عيسى والقضاء عليه حين علموا بآياته وأشفقوا أن تقود الناس إلى الإيمان برسالته، ففي إنجيل يوحنا: "فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً، وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، وإن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون، ويأخذون موضعنا وأمتنا فقال لهم واحد منهم وهو قيافا[5]. كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها"[6].

---

(١) متى٩:/ ١٨-١٩، ٩/ ٢٣-٢٥، لوقا: ٧/ ١٢-١٥، ٨/ ٤٩-٥٥، يوحنا: ١١/ ٣٨-٤٤.

(٢) انظر: الملوك الثاني ٤:/ ٨-٣٧، الملوك الأول: ١٧/ ١٧-٢٤، حزقيال: ٣٧/ ١-١٤.

(٣) انظر: الجدل اليهودي ضد المسيحية في ضوء الجنيزا القاهرية ص٢١-٢٢.

(٤) إنجيل يوحنا ١٤/ ١٢.

(٥) قيافا: اسم أرامي قد يكون معناه " صخرة "، كان رئيساً للكهنة من (١٨-٣٦م)، وكان صهراً لحنان رئيس الكهنة السابق. وقد عينه رئيساً الوالي الروماني " فاليريوسجراتوس " والي سورية، وظل قيافا يشغل مركز رئيس الكهنة إلى أن خلعه " فيتليوس " والي سورية.(انظر: دائرة المعارف الكتابية ٦/ ٢٧١)

(٦) يوحنا ١١/ ٤٧-٥٠.

۞ المسألة الثالثة: إثارة الشعب الإسرائيلي ضده:

يدرك اليهود خطورة التفاف الجماهير حول عيسى عليه السلام، وأنه متى ما كثر الأتباع فقد ذهبت هيبتهم وسلطتهم ولذلك يقول قيافا: "لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره"(١).

وكانوا يطلقون عليه مضلل الشعب، وأنه لما أحضروه أمام بيلاطس(٢) قال لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد علة في هذا الإنسان، فكانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب".(٣)

وقد تآمروا على إلقاء القبض عليه ولكن أجلوا هذا العمل بعد العيد لكي لا يحدث اضطراب بين الشعب(٤).

ويستفاد من نص عبارة الإنجيل على حد ما ترويه "... لئلا يكون شغب في الشعب" إن الكتبة والكهنة والفريسيون كانوا يسيطرون على الشعب اليهودي، وكانوا أيضاً في معزل عن الشعب، وكانت سياستهم ومعتقداتهم لا تمثل الخط السياسي أو الاجتماعي أو الديني الذي يمكن أن يكون عليه الشعب اليهودي وأن هذا الشعب بالمقدار الذي سمعه وأتيحت له فيه الفرصة لكي يسمع السيد المسيح ويتعلم منه آيات الدعوة قد أصبح مرتبطاً به ومتعلقاً بذاته إلى الحد الذي أدرك فيه رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب حين بدأوا ينسجون خيوط مؤامراتهم ضد السيد المسيح أنهم لكي ينجحوا في أن يؤلبوا الشعب عليه لابد أن يمسكوه بمكر ويقتلوه(٥).

---

(١) إنجيل يوحنا ١٨/ ١٤.

(٢) بيلاطس البنطي: حاكم اليهودية الروماني (٢٦-٣٦م)، أسلم المسيح للموت (بزعمهم) وغسل يديه متبرئاً من دمه. (انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص١٦٠)

(٣) إنجيل لوقا ٢٣/ ٤-٥.

(٤) إنجيل متى، ٢٦/ ٣-٥.

(٥) انظر: التاريخ اليهودي العام، د. صابر طعيمة، ص٣٣٩ -٣٤٠.

ومن ثم فقد حاولوا إثارة غضب الشعب عليه، عندما صاروا يلصقون به ادعاء الألوهية أو البنوة أي أنه يدعي مرة أنه إله وأخرى أنه ابن الإله، فلم يكن لسخط الرؤساء نهاية ولا حدود ولولا خوفهم من الشعب لكان الكهنة والمعلمون قد آذوه من أول الأمر، لكن الرأي العام كان قوياً جداً في جانب المسيح، فكثيرون من الشعب رأوا في المسيح الصديق الذي شفى أمراضهم، وطيب قلوب المحرومين بينهم، فبّرروا شفاءه للمريض عند بركة بيت حسدا، ولذلك اضطرَّ أولئك الرؤساء إلى كبح نيّة الغدر التي كانوا يضمرونها للسيد المسيح[1].

وبعد ذلك أخذ اليهود يشغبون على يسوع لأنه يفعل ذلك يوم السبت. فقال لهم يسوع: "إن أبي ما يزال يعمل وأنا أيضاً أعمل فاشتد سعي اليهود لقتله"[2]، ولا يفهم من قوله هذا أن يكون معادلاً نفسه بالله تعالى، بل يفهم منه أن الله يعمل الخير في يوم السبت، والمسيح أيضاً يفعل الخير في يوم السبت[3].

وقد أخذ اليهود في إشاعة الفتنة وإثارتها بين الشعب الإسرائيلي ومن ذلك ما ورد في إنجيل برنابا أنه حينما كان المسيح خارجاً يدعو إلى الله رآه أحد الذين يؤمنون بأنه إله فصرخ "إن إلهنا آت وآثار الذين في المدينة قائلاً: إن إلهنا آت يا أورشليم تهيئي لقبوله فخرج الناس وخرج الحاكم ورئيس الكهنة وأرسلا رسولاً إلى هيرودوس فخرج أيضاً ليرى يسوع... فلما عرفوه أخذوا يسجدون له... فتنفس يسوع الصعداء وقال انصرفوا عني أيها المجانين لأني أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت... وجاء من بعيد الوالي الذي أراد أن يسجد له فصرخ يسوع قائلاً حذاري ما أنت فاعل يا كاهن الله الحي لا تخطئ إلى الله"[4].

---

(١) انظر: مشتهى الأجيال، آلن هوايت، ص١٨٥.

(٢) يوحنا، ٥/ ١٦-١٨.

(٣) انظر: المسيح عيسى ابن مريم مصدق لما بين يديه من التوراة، ص١٤٢-١٤٣.

(٤) إنجيل برنابا، ٩٢/ ١-٢٢٠، ٩٣/ ١٤-١٨.

ومما يظهر خبث رئيس الكهنة وتبريره لإثارة الشعب قوله: "إن اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله فاضطررت بسبب الشغب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس فنرجوك من قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك لأن فريقاً يقول إنك الله وآخر يقول إنك ابن الله وثالث يقول إنك نبي"[(١)].

فيجيب عيسى عليه السلام بجواب سديد يقول: "وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة هل جننت أنت أيضاً؟ هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً ؟ أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان"[(٢)].

ثم أعلن المسيح عليه السلام رفضه لمثل هذه التهم الكاذبة فقال "إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني أني أعظم من بشر، لأني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله وأعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام، لعمر الله الذي نفسي بحضرته إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته، ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة"[(٣)].

ولما لم تفلح محاولة اليهود في إثارة الفتنة القولية وقضى عليها عيسى عليه السلام عمد اليهود إلى إثارة غضب الحاكم فسألوا المسيح عليه السلام عما إذا كان يجوز دفع الضرائب للدولة الرومانية فقال لهم: "أروني أولاً النقود "فأروه ديناراً فسألهم لمن هذه الصورة وهذه الكتابة اللتان على الدينار وأجابوه أنها لقيصر، فقال إذاً أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا"[(٤)].

---

(١) المصدر السابق ٩٣/ ١٩-٢١.

(٢) المصدر السابق ٩٣/ ١٩-٢٢.

(٣) المصدر السابق ٩٤/ ١-٤.

(٤) إنجيل متى، ٢٢/ ١٤-٢٣، ونص ١٢/ ١٤-١٨، ولا يفهم من قول المسيح عليه السلام - إن صحت العبارة =

ولقد ذكرت أناجيلهم أن الشعب اليهودي ممثلاً في سادته وشيوخه وكهانه استجاب لموجة من التضليل رهيبة ومخيفة أعمت الشعب جميعه عن الحقيقة التي أرادوا قتلها والتخلص منها.(1)

ويقول "متى هنري"(2): "... لما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي"(3).

ومن هنا يظهر تقلَّب حال الجماهير، فلولم يكن الشعب اليهودي جميعه قد غلب على أمره، وضلل تماماً، وأصبح إرادة عمياء تبغي ما يريد رؤساء الكهنة والشيوخ الفريسيين والكتبة، لما تيسر للمجتمعين أن يحققوا ما ابتغوا ولقامت في وجههم طوائف الجموع الفقيرة.

إن الشعب الإسرائيلي تأثر بذلك التضليل والتشويش حتى أصبح الشعب ينادي بهلاك المسيح عليه السلام وكما ورد في إنجيل متى وهو يرسم الجو العام لحال الشعب اليهودي حين إقرار الخطيئة قبل تنفيذها: "ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلقوا باراباس ويهلكوا يسوع فأجاب الوالي وقال لهم: من من

= - الرضا بمساواة قيصر مع الله عز وجل في الطاعة والإتباع، بل دعوته قائمة على التوحيد من أساسها، ولكن عرف بحكمته عليه السلام أن اليهود كانوا يريدون إيقاعه وأتباعه في فتنة مع الحاكم الروماني من أجل القضاء عليه وعلى دعوته. (انظر: العلمانية، نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، ص٦٧).

(١) التاريخ اليهودي العام، ص٣٤٧.

(٢) متى هنري: رجل دين انجليزي، درس الثيولوجيا وأصبح قس مجمع بريزبتري في تشستر ثم انتقل إلى هاكني. يعرف هنري بسبب تعليقه التفسيري على العهدين القديم والجديد. مات بالنزف في رحلة من تشستر إلى لندن عام ١٧١٤م. (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا)

(٣) متى، ٢٧/ ١-٢.

الاثنين تريدون أن أطلق لكم فقالوا باراباس فقال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعي المسيح قال له الجميع ليصلب، فقال الوالي وأي شر عمل فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شعباً قال أني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا، حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فخلوه وأسلمه ليصلب"[1].

---

(١) إنجيل متى، ٢٧/ ٢٠-٢٦.

المطلب الثاني
الاضطهاد الفعلي للمسيح عيسى عليه السلام وأتباعه

وفيه مسائل:

۞ المسألة الأولى: اضطهاد عيسى عليه السلام:

أولاً: التآمر السري على عيسى عليه السلام:

تبين لدى اليهود أن دعوة عيسى عليه السلام أخذت تتسع، وتنتشر وأن المواجهة القولية التي سلكوها فشلت ولم توقف مدّ هذه الدعوة ولا التقليل من شأنها عندئذ اتجهت قريحتهم المجرمة إلى إيقافها ولو أدى ذلك إلى المواجهة الفعلية وهو ما كان بالفعل إذ هي طريقتهم مع الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة:٨٧].

فلما ازدادت خشية الكهنة والفريسيين من امتداد سلطان المسيح عليه السلام وانتشار نفوذه، قرروا أن يعقدوا اجتماعاً سرياً ليروا كيف يستطيعوا إيقاف يسوع عن الوعظ، ويمنعوا عدد أتباعه من الازدياد.

ودعا الحاخام الأكبر مجلس السنهدريم إلى الاجتماع، وأعلن فيه: "أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ولا تهلك الأمة كلها"(1).

وقد ذكرت الأناجيل هذا التآمر، كما هو عند متى "وعندئذ اجتمع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب في دار رئيس الكهنة المدعو قيافا وتآمروا ليقبضوا على يسوع

---

(١) إنجيل يوحنا، ١١/ ٥٠.

بمكر ويقتلوه، ولكنهم قالوا لا في حفلة العيد، لئلا يحدث اضطراب بين الشعب[1].

وقد ذكر" متى هنري" في تفسيره لهذا الإصحاح من إنجيل متى أن هناك مشاورات تمت لنفس هذه الغاية، غير أن المؤامرة الحالية كانت أقوى من سابقاتها؛ لأن كل أصحاب المراكز العالية انخرطوا فيها:

أ- المكان الذي تقابلوا فيه "دار رئيس الكهنة".

ب- المؤامرة نفسها: لكي يمسكوا يسوع "بمكر ويقتلوه" ولم يكن يشفي غليلهم سوى دم ا لمسيح، أن يغتالوه ويقضوا على حياته.

ج- سياسة المتآمرين: "ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب: كانوا في رعب، ليس لخوفهم الله بل لخوفهم من الشعب، وكان جل اهتمامهم ينصب على سلامتهم الشخصية[2].

لقد اتفقت الأناجيل الأربعة على أن اليهود كان قرارهم التخلص من عيسى عليه السلام، بحجة أن لو تركوه لأقبل عليه الناس، وآمنوا بدعوته، وعندها يأتي الرومان ويدمروا الهيكل المقدس والأمة معه ففضلوا أن يضحوا بفرد لمصلحة أمة.

يقول "متى هنري": "لقد تنبأوا أنه إذا آمنت به غالبية الأمة فسوف ينصب غضب الرومان عليهم... (فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا)وهنا يظهر جبنهم، فلو كانوا حافظوا على أمانتهم لما كانوا في حاجة للخوف من الرومانيين ولكنهم كانوا يائسين. فحين يفقد الناس تقواهم فإنهم بالتالي يفقدون شجاعتهم. وكان كذباً ذلك الذي ادعوه من أن هناك خطراً ينجم عن غضب الرومانيين من أمتهم نتيجة انتشار إنجيل المسيح، لأن المسيح كان يعلم الناس بأن يدفعوا الجزية لقيصر وألا يقاوموا الشر، ثم إن الحاكم الروماني لم (يجد فيه علة عند محاكمته)،

---

(١) متى، ٢٦/ ٣-٥، مرقس ٣/ ١٩، ١٤، ١-٢، لوقا ٦/ ١٦/ ٢٢/ ١-٦، يوحنا ١١/ ٤٥-٥٧.

(٢) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري ١/ ٢٥٦-٢٥٧ بتصرف.

والإدعاء بالخوف كثيراً ما يكون الذريعة التي يحيكون من ورائها خططاً شريرة، وكثيراً ما برر أعداء إنجيل المسيح عداوتهم بادعائهم الخوف على الصالح العام وأمن المجتمع، ووصفوا أنبياءه وخدامه كرجال يريدون أن يقلبوا العالم رأساً على عقب فالسياسة الزمنية أحياناً ما تتخذ من الحفاظ على أمن الدولة شعاراً للتجاوز عن بعض قواعد العدالة"[(١)].

لقد أدرك المسيح عليه السلام أن قوى البغي المتمثلة في المؤسسات الدينية اليهودية أصدرت قراراً بالقبض عليه واتخذت في ذلك خطوات من أجل نيل مرادهم وهي كما يلي:

١- التجسس:

وقد ورد ذلك في الإنجيل المنسوب إلى لوقا: "فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكام الوالي وسلطانه"[(٢)].

وقال في محل آخر: "وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا كلمة من فمه لكي يشتكوا عليه"[(٣)].

يقول "وليم أدي" مفسراً العهد الجديد: "وكان الفريسيون قبل ذلك يسألون المسيح كما اتفق لكل منهم، ولكنهم اتحدوا وتشاوروا بعد ذلك واختاروا مسائل معينة اتفقوا عليها، ظنوا أنه لابد أن يقع ولو في جواب واحدة منها، ليجدوا علة يشتكون بها عليه إلى بيلاطس الوالي كمهيج الناس على الحكومة، واختاروا أن يسألوه بواسطة أناس يتظاهرون بأنهم يبتغون الاستفادة منه"[(٤)].

---

(١) التفسير الكامل ١/ ٦٨٦.

(٢) لوقا ٢٠/ ٢٠-٢١، متى ٢٢/ ١٥.

(٣) المصدر السابق ١١/ ٥٤.

(٤) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل/ أنجيل متى ص٢٣٦.

لم يعد خافياً على عيسى عليه السلام هذه المراقبة، فقد أحس بذلك فترك المجيء إلى المدن والإقامة في الجليل "كان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه"[1]، ولكنه لم يسلم من الرقابة وهو في الجليل أيضاً فكانوا يأتون للسؤال في أمر من أمور الشريعة ليتخذوها حجة عليه، وهو يعلم قصدهم: فكان يلتزم جانب الاختفاء وعدم الظهور والحذر من الوقوع بأيدي هؤلاء الجواسيس والمأجورين والكهنة وأصحاب الثروات والرقباء، ومع ذلك كان يؤدي واجباته الدينية على أكمل وجه، فكان مواظباً على نشر تعاليمه، والقيام بما تتطلبه نبوته ورسالته ودعوة اليهود إلى تهذيب الأخلاق والتمسك بروح الشريعة لا بأشكالها ومراسيمها ولو سراً لا جهراً"[2].

لقد كانت الأوامر الخاصة بالقبض عليه تتسم بالصرامة، فقد أعلن مجلس السنهدريم العظيم أعلاناً عاماً بأنه "إن عرف أحد أين هو فليدل عليه لكي يمسكوه" ويلاحظ هنا:

- كيف أنهم كانوا مصممين على محاكمته.

- كيف أنهم كانوا مستعدين لإشراك الآخرين في الجرم المقبلين عليه، وإنه لما يضاعف خطايا الحكام الأشرار أنهم في العادة يجعلون مرؤوسيهم أدوات لتنفيذ مآربهم الشريرة[3].

٢- المسائل المغلوطة:

المسيح عليه السلام صاحب رسالة إلهية ليس له بد من أن يؤديها مهما كانت الظروف والأحوال فظهر في أورشليم وصعد إلى الهيكل واجتمع حوله الشعب وجلس يخطب

---

(١) يوحنا ١٠/٧.

(٢) انظر: تاريخ الأديان، فاروق الدملوجي، ص٤٨٠ بتصرف.

(٣) انظر: التفسير الكامل، الكتاب المقدس، متى هنري ١/ ٦٨٨.

ويكرز[1] فأحاطته الجواسيس والرقباء فكانوا يسمعون أقواله ويترقبون زلاته[2].

وقد جاء في أنجيل متى: "حينئذٍ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة"[3]. يقول مفسر إنجيل متى حول هذا النص: "يصطادوه: اصطياد الطيور يتم بشرك أو فخ، ورغب الفريسيون اصطياد المسيح فيعرضونه لغضب الشعب أو غضب الوالي، وتوقعوا ذلك بثلاث مسائل:

(١) سياسية دينية.

(٢) أخلاقية تتعلق بالطلاق.

(٣) علمية تتعلق بتفسير كتبهم الدينية.

فالأولى قدمها الفريسيون والهيرودسيون والثانية قدمها الصدوقيون والثالثة قدمها أحد الكتبة، فغلبهم المسيح كلهم وأرجعهم خائبين"[4].

ويضيف مفسر آخر لبيان هذا النص: "ومن ثم فقد كان السؤال "مصيدة" أعدت بذلك ولم تأت فرصة استعمل فيها الفريسيون ذكاءهم للإيقاع بيسوع تضارع هذه الفرصة، لكن من الواضح أن هذه الفرصة قد ولت الآن".[5]

يقول "محمد أبو زهرة": "واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن، فبثوا حوله العيون يرصدونه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام، عساهم يجدون كلمة يتعلقون بها وينقلونها للحاكم الروماني، فلم يجدوا؛ لأن المسيح

---

(١) التكريز: المناداة علناً بالإنجيل للعالم غير المسيحي. هكذا يطلقها النصارى. وهي ترادف معنى كلمة تبليغ الدين، أو الدعوة إلى الله. (انظر: دائرة المعارف الكتابية، ٦/ ٣٣٤).

(٢) انظر: تاريخ الأديان فاروق الدملوجي، ص٤٨١ بتصرف.

(٣) إنجيل متى ٢٢/ ١٥.

(٤) الكنز الجليل، ص٢٣٦.

(٥) التفسير الحديث للكتاب المقدس، أنجيل متى فرانس، ص٣٢٨.

ما كان يدعوا إلا إلى إصلاح الجانب النفسي الخلقي، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد"(١).

٣- الإغراء بالمال من أجل الخيانة:

تذكر الأناجيل أن عيسى عليه السلام قد تنبأ بخيانة أحد تلاميذه له، وتسليمه لليهود فجاء في إنجيل متى لما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر، وبينما هما يأكلون قال الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلمني، فحزنوا جداً، وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو، فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني"(٢).

وقد جاء في إنجيل برنابا: "فبعد غسل التلاميذ وجلوسهم على المائدة ليأكلوا قال يسوع لقد غسلتكم ولكن مع ذلك لستم كلكم طاهرين؛ لأن ماء البحر لا يطهر من لا يصدقني. قال هذا يسوع لأنه علم من سيسلمه، فحزن التلاميذ لهذه الكلمات فقال يسوع أيضاً: الحق أقول لكم: إن واحدا منكم سيسلمني فأباع كخروف ولكن ويل له لأنه سيتم كل ما قال داوود أبونا عنه: (أنه سيسقط في الهُوَّة التي أعدَّها للآخرين)، فنظر من ثم التلاميذ بعضهم إلى بعض قائلين بحزن: من سيكون الخائن؟ قال حينئذ يهوذا(٣): أنا هو يا معلم؟ أجاب يسوع: لقد قلت لي: من هو الذي سيسلمني أما الرسل العشرة فلم يسمعوه"(٤).

فكان يهوذا الإسخريوطي هو من تعاون مع اليهود في محاولة القبض على المسيح فقد ورد في أنجيل متى: "عندئذ ذهب واحد من الاثنى عشر وهو المدعو يهوذا

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص٢٦.

(٢) متى ٢٦/ ٢١-٢٤.

(٣) يهوذا الأسخريوطي: هو ابن سمعان الإسخريوطي، أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، وهو التلميذ الذي خان سيده وذلك بتسليمه لأعدائه كما تذكره أناجيلهم. (انظر: دائرة المعارف الكتابية ١/ ٢١٩، قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٩)

(٤) برنابا ٢١٤/ ٢٠-٣٠.

الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال كم تعطوني لأسلمه إليكم؟ فأعطوه ثلاثين قطعة من الفضة ومن ذلك الوقت أخذ يهوذا يتحين الفرصة لتسليمه"(١).

يقول "متى هنري" عن هذا النص: "ما الذي طلبه نظير قيامه بما تعهد به (ماذا تريدون أن تعطوني) كان المال هو الشيء الوحيد الذي حمل يهوذا على خيانة سيده، فلم يكن باعثه هو كراهيته لسيده، أو وجود نزاع معه، بل كان الأمر مجرد حب المال فقط. فالمال - وليس شيء غيره - هو الذي جعل يهوذا خائناً"(٢).

ولكن في الواقع لم يكن المال هو السبب في هذه الخيانة فقط بل وجدت دوافع أخرى ذكرها برنابا وتتركز على أمرين:

أحدهما: أن يهوذا لم يؤمن بالمسيح من بدء الأمر، فكان الشك يخالط قلبه من البداية(٣).

والآخر هو أن يهوذا كان يطمع في تولي منصب في الملك الذي كان يظن أن المسيح جاء لإرسائه، فلما خابت ظنونه استحكمت الخيانة في قلبه(٤).

وقد تحول هذا الاضطهاد السري إلى اضطهاد علني مع مرور الوقت كما وصفه برنابا فقال: "تكلم رئيس الكهنة بطريقة أعرض لأجلها كثيرون عن يسوع فتحول بذلك الاضطهاد السري إلى اضطهاد علني حتى أن رئيس الكهنة ذهب بنفسه إلى هيردوس وإلى الوالي الروماني متهماً يسوع بأنه رغب في أن يجعل نفسه ملكاً على إسرائيل وكان عندهم على هذا شهود زور فالتأم من ثم مجلس عام ضد يسوع لأن أمر الرومانيين أخافهم ذلك أن مجلس الشيوخ الروماني أرسل أمرين بشأن يسوع يتوعد

---

(١) إنجيل متى ٢٦/ ١٤-١٦.

(٢) التفسير الكامل للكتاب المقدس، ١/ ٢٥٨.

(٣) انظر: إنجيل برنابا، ٢١٢/ ١٧-٢٠.

(٤) الشواهد على ذلك كثيرة فعلى سبيل المثال برنابا ١٤٢/ ١/ ٧، ١٤٣/ ١-٤.

في أحدهما بالموت من يدعوا يسوع الناصري نبي اليهود: الله، ويتوعد في الآخر بالموت من يشاغب في شأن يسوع الناصري"[1].

ثانياً: القبض على المسيح عيسى عليه السلام كما يزعمون:

لقد فشل اليهود في وقف دعوة المسيح عليه السلام بشتى الوسائل السابقة ولذلك انتقلوا إلى القضاء عليه نهائياً، فشرعوا في تنفيذ مخططهم وذلك بتسليمه إلى السلطة الحاكمة من أجل قتله، فقاموا بالقبض عليه ومحاكمته وصلبه حسب اعتقادهم وزعمهم.

فقد ذكرت دائرة المعارف اليهودية قصة القبض على المسيح وكيف تم صلبه - حسب اعتقادهم- فقالوا: "وقد أخذ علماء بني إسرائيل يسوع إلى معبد طبرية وربطوه إلى عمود، أنطاكية، وفي مساء عيد الفصح دخل القدس راكباً حماراً، متنكراً، ولكن يهوذا أحد تلاميذه السابقين قد خانه فقبض عليه، وقد أعدم في مساء عيد الفصح والذي كان يوافق مساء السبت أيضاً، ولم يتمكن جلادوه من شنقه على شجرة لأنه استحلف جميع الأشجار باسم الله أن لا تقبله، ولذلك كسرت جميع الأشجار، وأخيراً قبله جذع الكرنب الكبير!! ودفن في نفس اليوم حسب الشريعة، وقد بكى حواريوه المترددون على قبره، وقد بحث حواريوه عن جثته في القبر ولمّا لم يجدوها اتخذوا من ذلك دليلاً أمام الملكة (هيلينا) بأنه قد قتل ورفع إلى السماء وظهر بعد ذلك بأن هنالك رجلاً يسمى أحياناً يهوذا البستاني، وأحياناً يهوذا الاسكربوتي، وأحياناً سيد البستان، قد أخرج الجثة من القبر واستعملها كسد يمنع الماء من دخول حديقته وامتلأت حديقته بالماء!!، وقد عادت السعادة إلى بني إسرائيل ثانية بعد أن أخذت الجثة للملكة في القدس، وشعر المسيحيون بالخجل"[2].

---

(١) إنجيل برنابا ٢١٠/ ١٠-١٨.

(٢) انظر: TheJewish Encyclopedia ٧/ ١٧٢نقلاً عن موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام، ص٩٢-٩٣.

وتضيف دائرة المعارف اليهودية: "وفي الروايات المتأخرة وجدت محاولات تؤدي إلى الانطباع بأن عيسى كان يعرف المصير الذي ينتظره في القدس، بينما الروايات الأولى عرف أن حوارييه لم يفهموا التلميح الغامض، وهناك ما يؤيد بأن زيارته للقدس كانت رحلة انتحارية مشرفة، ففي آخر لحظة في جشماني حاول أن يقاوم القبض عليه، فقد كانت القدس في ذلك الوقت في حالة فوضى، فقد كانت هناك محاولة انقلاب وفتنة من شخص آخر يدعى عيسى باراباس الذي قبض عليه وكان في السجن في ذلك الوقت ويظهر من عادة بيلاطس أن يأتي إلى القدس كل عام في عيد الفصح، والغرض من ذلك التصدي لأي فتنة في ذلك الوقت والتي تنادي بخلاص إسرائيل"[1].

وتقول دائرة المعارف اليهودية: "ويظهر أنه في الوقت الذي أحس فيه عيسى عن نوايا علية الكهنة في إلحاق الضرر به لأنه بعد احتفال العشاء الأخير أخفى نفسه، في حديقة جشيماني[2] ولكن مكان اختفائه قد عرف بعد أن وشى به أحد أتباعه القريبين وهو يهوذا الاسخريوطي"[3].

أما الأناجيل الأربعة فتذكر لنا مؤامرة القبض على المسيح بحسب زعمهم، لكنها اختلفت اختلافاً كبيراً في رواية هذه القصة، وتفاصيلها مما جعلها عرضة للنقد، والتمحيص وبالتالي تفقد قيمتها التاريخية كما سنبين فيما بعد ولعلنا نذكر رواية مرقس باعتباره أقدم الأناجيل فيقول: "وجاؤوا إلى ضيعة اسمها جشيماني فقال لتلاميذه

(١) انظر: المصدر السابق، ص٩٤.

(٢) جشيماني: كلمة أرامية معناها معصرة الزيت،جاء في متى: "وكان بستاناً فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون " متى ٢٦: ٣٠.(انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٤٩).

(٣) TheJewish Encyclopedia ٧/ ١٦٤نقلاً عن موقف اليهود والنصارى من المسيح ، ص٩٤.

اجلسوا هنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب وقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا هنا ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذا الكأس ولكن ليكن لاما أريد أنا بل ما تريد أنت ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة أسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشط وأما الجسد فضعيف ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذا كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه، ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفي قد أتت الساعة هوذا ابن الإنسان يسلم إلى الخطاة قوموا ليذهب هوذا الذي يسلمني قد اقترب"(١).

وفي مرقس أيضاً: "وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الإثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي ومن عند رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ. وكان مسلمه (يهوذا) قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو. هو. أمسكوه وأمضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي. وقبله فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه: فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، فأجاب يسوع وقال لهم: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني. ولكن لكي نكمل الكتب فتركه الجميع وهربوا"(٢).

ويروي متى كلاماً مشابهاً لرواية مرقس إلا أنه يختلف عنه بإضافة قول يهوذا: "السلام يا سيدي، وكذلك قول يسوع إلى أحد تابعيه بعد قطع أذن عبد رئيس الكهنة رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون.

---

(١) مرقس ١٤/ ٣٢-٤٢.

(٢) المصدر السابق، ١٤/ ٤٣-٥٣.

أتظـن أني لا اسـتطيع الآن أن أطلـب إلى أبي فيقـدم لي أكثـر مـن اثنـي عـشر جيـشاً من الملائكـة فكيـف تكمـل أنـه هكـذا ينبغـي أن يكـون"[١]. كـذلك حـذف متـى قـصة مرقس عن الشاب الذي هرب عرياناً[٢].

الرواية الثانية: وهـي روايـة لوقـا والتـي توافـق روايـة متـى في بعـض الجوانـب، وترفض رواية الإثنى عشر جيشاً من الملائكة، وكذلك رواية مرقس عن الشاب الذي هرب عرياناً، ويخـالف في قبلـة يهـوذا وأنهـا لم تحـصل وإنـما كـان عـلى وشـك إذ يقـول: "وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الإثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان"[٣].

الرواية الثالثة: وهي رواية يوحنا إذ لا يعرف شيئاً عن القبلة التي كانـت علامـة للتعرف على المسيح، وبالتالي فقد روى صورة مغايرة لكيفية القبض، إذ يقول: "فأخذ يهـوذا الجنـد وخـداماً مـن عنـد رؤسـاء الكهنـة والفريـسيين وجـاء إلى هنـاك بمـشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع وهو عالم بكـل مـا يـأتي عليـه وقـال لهـم مـن تطلبـون أجابوه يسوع الناصري، قال له يسوع أنا هو، وكان يهـوذا مـسلمه أيـضاً واقفـاً معهـم، فلـما قـال لهـم إني أنـا هـو رجعـوا إلى الـوراء وسـقطوا عـلى الأرض فـسألهم أيـضاً مـن تطلبـون، فقـالوا: يـسوع النـاصري، أجـاب يـسوع: قـد دلكـم إني أنـا هـو، فـإن كنـتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون، ليـتم القـول الـذي قالـه أن الـذين أعطيتنـي لم أهلـك منهم أحداً.

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد مَلْخُس، فقـال يـسوع لبطـرس اجعـل سـيفك في الغمـد،

---

(١) متى ٢٦/ ٤٧-٥٤.

(٢) انظر: (Hibber diurnal (vol. xix for 1920-1,pp.476ft)،نقلاً عن المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص١٤٥-١٤٦).

(٣) لوقا ٢٢/ ٤٧-٤٨.

الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه"[1].

إذاً نحن أمام روايات لحادثة واحدة وهي كيفية القبض على المسيح بحسب زعمهم ومع ذلك نجد فيها من الاختلافات التي هي من قبيل اختلاف التضاد لا التنوع الذي يفقد قيمتها وبالتالي يسقط حجيتها.

ثالثاً: محاكمة المسيح عيسى عليه السلام -كما يزعمون- وصلبه:

أ- محاكمة المسيح:

إن وقائع محاكمة المسيح عليه السلام -حسب زعمهم- متوافرة في أناجيلهم، وهي تقضي بأن هناك ثلاث محاكمات وقعت وهي كالآتي:

- المحاكمة الأولى: أمام مجمع اليهود:

يقول مرقس: "مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه. ومعه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة، وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخدام يستدفئ عند النار.

وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا؛ لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتبين شهادتهم... فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلطمونه ويقولون له تنبأ وكان الخدام يلطمونه"[2].

وأما رواية متى فقد اختصر الكثير منها وأضاف إليها بعض الإضافات منها قسم رئيس الكهنة: "استحلفك بالله الحي أن تقول هل أنت المسيح ابن الله"[3].

---

(١) إنجيل يوحنا ١٨/ ٣-١٢.

(٢) إنجيل مرقس ١٤/ ٥٣-٦٥.

(٣) متى ٢٦/ ٦٣.

وأما لوقا فإن روايته تختلف عن متى ومرقس في عنصر مهم وهو أنهما جعلا محاكمة المسيح أمام مجمع اليهود تحدث في الليل عقب القبض عليه مباشرة بينما يجعلها لوقا في صباح اليوم التالي وهو صباح الجمعة.

أما رواية فإنها تختلف عن الروايات السابقة إذ تجعل القوة تذهب بالمنصوص عليه إلى حنان[1] أولاً بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة، ثم إن حنان أرسله موثوقاً إلى قيافا دون ذكر شيء من مجمع اليهود[2].

- المحاكمة الثانية: أمام بيلاطس:

يقول مرقس: "وللوقت في الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكهنة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس.

فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود فأجاب وقال له: أنت تقول. وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً.

فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً: أما تجيب بشيء انظر كم يشهدون عليك. فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً ممن طلبوه وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفاقه في الفتنة.

فصرخ الجمع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائماً يفعل لهم. فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؛ لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا

---

(١) حنان: اسم عبري " اختصار حنانيا، يهوه قد انعم "، رئيس كهنة في أورشليم، عينه كيرينيوس والي سورية رئيس كهنة نحو٦م. وخلعه الوالي الحاكم الموكل على اليهودية فاليوريو سجراتوس نحو ١٥م، وإلى يوحنا أُخذ المسيح أولاً، وبعدما فحصه أرسله مقيداً إلى قيافا، ولما قبض على بطرس ويوحنا فيما بعد كان حنان بارزاً بين من فحصوهما. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٣٢٣-٣٢٤).

(٢) يوحنا ١٨: ٢٤.

قد أسلموه حسداً فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالأحرى باراباس"[1].

يقول "نصري سهلب": "إن ما يهمنا هنا هو قول مؤرخ يهودي -قريب نسبياً من الأحداث - أن بيلاطس حكم بالصلب على يسوع بناء على شكوى الأعيان اليهود. ذلك دليل على ما أورده الأنجيليون الأربعة في هذا الصدد، صحيح ومتفق مع الحقيقة التاريخية بقطع النظر عن الجزئيات والتفاصيل التي لا تؤثر في الجوهر الذي يوجز في أن شكوى الأعيان اليهود على يسوع هي التي أدت إلى محاكمته أمام بيلاطس وإلى الحكم عليه بالصلب"[2].

وقد وافق مرقس كلاً من متى[3] ولوقا[4] في روايته.

فنجد في رواية مرقس ومتى أن المسيح لم يتكلم إلا بقوله: "أنت تقول" في إجابته على سؤال الوالي بيلاطس مع حث بيلاطس على تقديم إجابة لكي يدافع بها عن نفسه مما أثار العجب عن بيلاطس، وقد وافقهما لوقا في ذلك مع بعض الاختلاف.

أما إنجيل يوحنا فإنه يختلف في سياقه عن الأناجيل المتوافقة، حيث يقول: "ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع، وقال له: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون، قالوا لك أعني؟ أجابه بيلاطس: ألعلي أنا يهودي. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هذا العالم لكن خدامي يجاهدون لكي

(١) مرقس ١٥/ ١-١٢.

(٢) صلب المسيح ومسؤولية اليهود – قراءة جديدة في الأناجيل، نصري سلهب، ص٢٣.

(٣) متى ٧/ ١١-١٤.

(٤) مرقس ١٥/ ٢-٥.

لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال بيلاطس: أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي قال بيلاطس وهو الحق؟"(١)

وفي هذا النص من إنجيل يوحنا يشير إلى أن المسيح أخذ يرد على بيلاطس ويناقشه في كل ما يقول، ويدور بينهما حديث لا ينتهي إلا بأن يخرج بيلاطس بعد ذلك لليهود تاركاً المسيح، بل نجده اقتنع ببراءة المسيح.

- المحاكمة الثالثة أمام هيرودس:

وهذه المحاكمة انفرد بذكرها لوقا حيث قال: "كانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا. فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي وحين علم أنه من ولاية هيرودس أرسله إلي هيرودس... فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس"(٢).

- المحاكمة الرابعة: أمام بيلاطس مرة أخرى:

ولم يذكر هذه المحاكمة إلا لوقا وفيها: "فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والشعب وقال لهم: قد قدّمتم إلي هذا الإنسان كمن يُفْسد الشعب. وها أنا قد فحصت قدّامكم ولم أجد في هذا الإنسان علّةً مما تشتكون به عليه، ولا هيرودس أيضاً، لأني أرسلتكم إليه. ولا شيء يستحق الموت صنع منه. فأنا أؤدبه وأطلقه"(٣).

إن المتأمل في مسألة محاكمة المسيح عليه السلام - بحسب زعمهم -مليئة بالتناقضات، وعدم الانسجام في جميع تفاصيلها مما يقطع بعدم صحتها، وقد كانت مثار شك حتى

(١) إنجيل يوحنا ١٨/ ٣٣-٣٨.

(٢) لوقا ٢٣/ ٥-١١.

(٣) لوقا ٢٣/ ١٣-٢٠.

لدى عدد من الباحثين الغربيين[1]، وكان الخلل الأول فيها من حيث عدد المحاكمات فعند متى ومرقس مرتين المرة الأولى في بيت قيافا رئيس الكهنة، والمرة الثانية في بيت بيلاطس البنطي، وأربع مرات عند لوقا فكانت المرة الأولى في بيت قيافا رئيس الكهنة، والمرة الثانية في بيت بيلاطس، والمرة الثالثة في بيت هيرودس، والمرة الرابعة عند بيلاطس مرة أخرى، وعند يوحنا ثلاث مرات، فقد استجوب أولاً في بيت حنان حما قيافا وبعده أرسله حنان إلى بيت قيافا وهذه المحاكمة الثانية، ثم إلى بيت بيلاطس حيث كانت المحاكمة الثالثة.

ولما نأتي إلى روايات محاكمات المسيح لتحليلها ومعرفة الأحداث التي دارت فيها نجد اختلافات وتناقضات نسطرها فيما يلي:

١-يذكر مرقس المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع اليهودي وهذا يعني أن جميع أعضاء مجمع السنهدرين قد حضروا هذه الجلسة فهل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء المجمع ولو لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التي تسبق المحكمة في منتصف ليلة عيد الفصح؟إن محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت لا يمكن تصديقه[2].

٢-وقت المحاكمة يختلف في الأناجيل عن بعضها البعض فرواية متى ومرقس تجعل محاكمة المسيح أمام المجمع اليهودي تحدث في الليل عقب القبض عليه مباشرة بينما يجعلها لوقا في صباح اليوم التالي، أما رواية يوحنا فإنها مختلفة عنهم إذ إنها تجعل القوة تذهب بالمقبوض عليه إلى حنان أولاً بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة[3].

---

(١) انظر: المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص١٥٠-١٥٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٥٠-١٥١ بتصرف.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٥٢-١٥٣، اللاهوت المسيحي نشأته وطبيعته، أنهار أحمد محمد، ص٤٦.

٣-تناقضت الأناجيل واختلفت فيمن تبع المقبوض عليه - المسيح في زعمهم - عند محاكمته وهل هو بطرس أم هناك شخص آخر غيره فرواية مؤلفي متى ولوقا تقول أن بطرس وحده هو الذي تبعه لا غير[(١)].

أما رواية مرقس فتقول أنه لم يكن بطرس وحده هو الذي اتبعه، وإنما هناك شاب آخر تبعه ولكن الجند أمسكوا به فاستطاع الخلاص منهم بهروبه أما بطرس فقد تبعه.[(٢)]

الرواية الثالثة وهي رواية مؤلف يوحنا[(٣)] إذ يقول أنه لم يكن بطرس وحده هو الذي تبعه، وإنما كان هناك تلميذ آخر وهذا التلميذ لم يهرب - كما ورد في رواية مرقس- بل هو الذي توسط حتى أدخل بطرس فقد كان معروفاً عند رئيس الكهنة[(٤)].

وهناك اختلاف وتناقض كبير في قصة بطرس حيث يقول نينهام: "إن قصة إنكار بطرس تثير عدداً من المشاكل... ويرى بولتمان أنها أسطورية"[(٥)].

ويتضح هذا الاختلاف أكثر عندما تراجع كل إنجيل عن شخصية المستفهم من بطرس، ففي مرقس نجد أن السؤال الأول كان من جارية في الدار أسفل- وكان السؤال الثاني من نفس الجارية خارجاً في الدهليز - وكان السؤال الثالث من الحاضرين.

ويقول متى: إن الأسئلة الثلاثة كانت كالآتي: الأول من جارية وكان بطرس جالساً خارجاً في الدار، والثاني من جارية أخرى في الدهليز والثالث من القيام.

---

(١) انظر: متى ٢٦/ ٥٨-٧٥، لوقا ٢٢/ ٥٤-٥٥.

(٢) انظر: مرقس ١٤/ ٥-٥٤.

(٣) يوحنا ١٨/ ١٥-١٧.

(٤) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة العبادي، ص٢٦٢-٢٦٤، بتصرف.

(٥) مصادر المسيح في العقائد المسيحية، ص١٥٥.

وفي لوقا نجد أن الأول من جارية وكان عند النار، والثاني من رجل، والثالث من رجل آخر.

ويقول يوحنا أن الأول كان من الجارية البوابة، وكان الثاني من الواقفين مع رئيس الكهنة وكان الثالث من واحد من عبيد رئيس الكهنة[1].

٤-ذكر متى أن زوجة بيلاطس الحاكم الروماني الذي حاكم المسيح رأت حلماً بيَّن براءة المسيح، فطلبت من زوجها أن يعفو عنه وقالت له: (إياك وذلك البار)[2]، لكن الأناجيل الأخرى لا تذكر شيئاً عن هذا الأمر[3].

٥-ذكر متى أن بيلاطس أعلن براءته من دم المسيح، بطريقة قاطعة عندما أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار[4]، أما الأناجيل الأخرى فإنها لم تذكر شيئاً من ذلك[5]، ومع ذلك فإن العلماء يشكون في حادثة غسل يد بيلاطس باعتبار أن عملية غسل اليد لا تكون دليلاً على البراءة إنما هي عادة يهودية أكثر منها رومانية، إذ يقول سفر التثنية: يغسل جميع شيوخ تلك المدنية القريبين من المدينة أيديهم... ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم[6].

ومن المستبعد أن يكون بيلاطس قد عمل شيئاً كهذا[7].

٦-ذكر لوقا أن بيلاطس حاكم القدس بعث المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل

---

(١) مصادر المسيح في العقائد المسيحية، ص١٥٨، انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، ص٢٧٩.

(٢) متى ٢٧/ ١٩.

(٣) انظر: موثوقية الأناجيل، ص٧٨.

(٤) متى ٢٧/ ٢٤.

(٥) انظر: موثوقية الأناجيل، ص٧٨-٧٩، بتصرف.

(٦) سفر التثنية ٢١/ ٦-٧.

(٧) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص١٦١.

ليحاكمه[١]، وغفل عنها بقية الأناجيل، ولا يعلم ما الذي حدا بلوقا إلى جعل بيلاطس يرسل المسيح إلى "هيرودس" ثم هل الوقت يسمح لكل هذه المحاكمات والذهاب والإياب مع العلم أن القبض على المسيح كان في منتصف الليل والصلب كان في الساعة التاسعة صباحاً فهل تكفي هذه المدة القصيرة لعقد مثل هذه المحاكمات مع شهودها، يتخللها الذهاب والإياب بين هذه المحاكم؟[٢].

وهذا ما أثار استغراب "متى هنري" حيث قال: "إنه لأمر غريب أن تجري محاكمته على هذا النحو من السرعة البالغة لقد أخذ ليمثل أمام رئيس الكهنة لما كان النهار، وبعد ذلك إلى بيلاطس ثم إلى هيرودس، وبعد ذلك إلى بيلاطس مرة ثانية"[٣].

٧-هناك خلاف جوهري بين مرقس ومتى وكذلك يوحنا من جانب آخر، فقد ذكر يوحنا أن الذي سخر من المقبوض عليه هو هيرودس وجنوده وليس جنود بيلاطس[٤].

إذن هناك محاكمة وقعت، وسؤالات طرحت على المقبوض عليه، واستنتج الحاكم منها براءة المقبوض عليه من كل التهم والجرائم التي نسبت إليه ظلماً وزوراً، لكن هذه المحاكمة بكل تفاصيلها لم تكن على المسيح بل على المشبه به بين ذلك ما جاء في الإنجيل المنسوب إلى متى أنه أثناء محاكمة المسيح استحلف رئيس الكهنة المسيح بالله أن يقر ويعترف إذا كان هو المسيح بالفعل، فلم يزد المتهم على قوله (أنت تقول)[٥] ولو كان هو المسيح حقاً لاعترف سيما وأنه حلَّفه بالله.

---

(١) لوقا ٢٣/ ٧-١١.

(٢) انظر: اللاهوت المسيحي، ص٤٨.

(٣) انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس ١/ ٥٤٥.

(٤) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص١٦٥.

(٥) متى ٢٦/ ٦٣.

ب – صلب المسيح عليه السلام كما يزعمون.

ادعت النصارى أن عيسى عليه السلام قد قتل مصلوباً، ونقلت الأناجيل الأربعة تلك الحادثة والواقعة التي تصور المعاناة والاضطهاد الذي لحق المسيح بحسب ما نقلوه من أحداث مع وجود تعارضات وتناقضات في تلك الروايات، وقد رد الله تعالى هذا الادعاء الكاذب والافتراء الظالم من اليهود، والتحريف المتعمد الضال من النصارى بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء:١٥٧].

وتروي الأناجيل أنّ المسيح عليه السلام عندما أرادوا صلبه أخذه جند الوالي الروماني وعروه وألبسوه رداءً قرمزياً ووضعوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وأخذوا يهينونه باللكم والبصق والضرب، وقد جرت العادة أن يحمل من أرادوا صلبه صليبه بنفسه، وعندما عجز عن حمله سخّروا رجلاً قيروانياً ليحمله عنه، ثم صلبوه بين لصين، واقتسموا ثيابه مقترعين عليها[1].

وفحوى روايات الأناجيل المعتمدة عند النصارى تثبت وقوع الصلب على عيسى عليه السلام، وأنه قتل مصلوباً وأجمع تلك الرويات ما أورده متى وفيما يلي نص الإنجيل: "وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب،فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة، فعروه وألبسوه رداء قرمزياً. وضفروا له إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام عليك يا ملك اليهود، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب. وفيما هم خارجون وجودا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان[2] فسخروه ليحمل صليبه ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمي موضع الجمجمة. أعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرب. ولما ذاق

(١) انظر: إنجيل متى ٢٧/ ٢٦-٣٨، مرقس ١٤/ ٦٥، لوقا ٢٢/ ٦٣- ٦٥، يوحنا ١٩/ ١-٥.

(٢) سمعان القيرواني: أصله من بلدة قريني في ليبيا ولذا فيجب أن يكون لقبه القريني. وهو أبو الكستدر وروفس المعروفين في الدوائر الكنيسة في رومية.(انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٤٨٤).

لم يرد أن يشرب. ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها"[(١)].

وتعتبر عقيدة الصلب عند النصارى من أهم العقائد وهي عصب كل العقيدة النصرانية، وأن كل النظريات النصرانية عن الله وعن الخليقة وعن الخطيئة، وعن الموت تستمد محورها من المسيح المصلوب[(٢)].

لقد اضطربت روايات الأناجيل الأربعة فيما يتعلق بحادثة الصلب المزعومة اضطراباً عجيباً، ولا تكاد رواياتها تتفق فيما بينها مما يجعل القارئ يقطع بأن الصلب وما حصل فيه من أحداث لم يكن صحيحاً ألبته. وبيان ذلك وإيضاحه فيما يلي:

أولاً: من ناحية روايات الحادثة، ففيها كثير من الغموض، فالذين نقلوا الواقعة وهم كتاب الأناجيل (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، أو أحد الحواريين، أو أحد أتباع المسيح لم يكن قد رأى شئياً من عملية الصلب المزعوم[(٣)]. فالجميع كما يحكي متى ومرقس قد هربوا وتركوه حين قبض عليه، يقول مرقس: "تركوه كلهم وهربوا"[(٤)].

فلذا صار خبرهم ظنًا وليس يقينًا قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء:١٥٧]. فكيف تثبت فيه مسألة يعتبرها النصارى أساس إيمانهم وسبب نجاتهم؟.

يقول أبو الفضل السعودي[(٥)]: "يقال للنصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواتراً أو آحاداً؟ فإن زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ولم يثبت به

(١) إنجيل متى، ٢٧/ ٢٦-٣٨.

(٢) انظر: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ص١٠.

(٣) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية، د. عبدالراضي عبدالمحسن، ص٢٣١، المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى عرض ونقد، علي المقوشي، ص٧٠٦.

(٤) مرقس: ١٤/ ٥٠، متى ٢٦/ ٥٦.

(٥) أبو الفضل المالكي السعودي (كان حياً سنة ٩٤٢هـ -١٥٥٣هـ)، فقيه مشارك في بعض العلوم، من آثاره: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل. (انظر: معجم المؤلفين، باب الفاء، ٨/ ٦٨).

العلم الضروري، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك فلا يحتج به في القطعيات[1]"[2].

وإن ادعوا التواتر في خبر الصلب قلنا شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة، بمعنى أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير عن الذين شاهدوا المشهود وهو المصلوب وعلموا به ضرورة، فإن اختل شيء من ذلك فلا تواتر حينها، وكيف لهم أن يدعوا ذلك والأناجيل تكذبه[3]، يقول محمد رشيد رضا[4] في تفسيره: "دعوى التواتر ممنوعة... وأنى للنصارى بمثل هذا التواتر، والذين كتبوا الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر، ولم يخبر أحدٌ منهم عن مشاهدة، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم، بل قال يوحنا في إنجيله: (إن مريم المجدلية وهي من أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه البستاني)...

---

(١) رد حديث الآحاد يعتبر مسلك خاطيء من مسالك المتكلمين، فهو عندهم أن خبر الواحد لايفيد العلم مطلقاً وهو خلاف مذهب أهل السنة الذين يرون في خبر الواحد إفادة العلم وهم يقصدون بذلك خبر الواحد العدل الذي قامت القرائن على صدقه ولا يقول عاقل بتصديق خبر كل أحد وإفادته العلم دون النظر إلى حاله ووجود قرائن تدل على صدقه وتفيد العلم بقوله، يقول ابن القيم رحمه الله :"خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه، فتارة يجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يظن كذبه إذا كان دليل كذبه ظنياً، وتارة يتوقف فيه فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به، وتارة يجزم بصدقه جزماً لا يبقى معه شك،فليس خبر كلّ واحد يفيد العلم ولا الظن، ولا يجوز أن ينفى عن خبر الواحد مطلقاً أنه يحصل العلم فلا وجه لإقامة الدليل على أن خبر الواحد لا يفيد العلم وإلاّ اجتمع النقيضان". (انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي، ص١٠١.

(٣) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد عجيبة، ص٥٥٥ بتصرف.

(٤) محمد رشيد رضا: هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني - نسبة إلى قلمون من أعمال الشام - البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الدعوة والإصلاح، له عناية بالحديث والتفسير والأدب والتاريخ، لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه، له مؤلفات منها: تفسير المنار، الوحي المحمدي، توفي سنة ١٣٥٤هـ. (انظر: الأعلام ٦/ ١٢٦، معجم المؤلفين ٣/ ٢٩٣)

والحاصل أن قصة الصلب ليس لها سندٌ متصل إلى الأفراد الذين رويت عنهم، وأولئك الأفراد الذين رووها غير معروفين معرفةً يقينية"(١).

وهذه الأناجيل قد نقلت لنا شيئاً من أقوال وأخبار المسيح عليه السلام إلا أن كثيراً من تلك الأحداث حرفت وزيدت وأصبحت تناقض بعضها البعض وفيها غلط كثير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عنها: "وفيها ما هو غلط عليه بلا شك، والذي كتبها في الأول إذا لم يكن ممن يتهم بتعمد الكذب فإن الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم لاسيما ما سمعه الإنسان ورآه ثم حدث به بعد سنين كثيرة، فإن الغلط في مثل هذا كثير ولم يكن هناك أمة معصومة يكون تلقيها لها بالقبول والتصديق موجبا للعلم بها لئلا تجتمع الأمة المعصومة على الخطأ، والحواريون كلهم اثنا عشر رجلا. وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه وقد قام الدليل على أن المصلوب لم يكن هو المسيح عليه السلام، بل شبهه وهم ظنوا أنه المسيح والحواريون لم ير أحد منهم المسيح مصلوباً"(٢).

ثانياً: وردت نبوءات في العهد القديم تنفي حدوث الصلب وتبين نجاة المسيح عليه السلام من أعدائه المتربصين به، جاء في المزمور: "ليستجيب لك الرّبّ في يوم الضيق ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه... الآن عرفت أن الرّبّ مخلص مسيحه"(٣).

وجاء في المزمور كذلك: ""في يوم الشّرّ ينجيه الرّبّ، الرّبّ يحفظه ويحييه ويغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه..."(٤).

ثالثاً: الاختلاف والتناقض في متن الرواية الإنجيلية لحادثة صلب المسيح، فقد

---

(١) تفسير المنار ٦/ ٣٤- ٥٤.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٢٧.

(٣) المزمور ٢٠/ ١-٦.

(٤) المزمور ١/ ٤

وقع فيها الغلط الكثير، ومن أجل بيان هذه الاختلافات بشكل دقيق نضعها في جدول كالتالي[1]:

م	الصفة	مرقس	لوقا	متى	يوحنا
١	حامل الصليب	حامل الصليب سمعان القيرواني	سمعان القيرواني	سمعان القيرواني	عيسى عليه السلام نفسه .
٢	شراب المصلوب	خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل	لم يعطوه ليشرب قبل الصلب	أعطوه خلاً ممزوجاً	لم يعطوه ليشرب قبل الصلب
٣	علة المصلوب	ملك اليهود	هذا هو ملك اليهود	هذا يسوع ملك اليهود	ملك اليهود
٤	وقت الصلب	كانت الساعة الثالثة فصلبوه	لم يحدد الوقت	لم يحدد الوقت	وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة مساءً
٥	شرابه على الصليب	فركض واحد وملأ اسنفجة خلاً وجعلها على قصبه	لم يقل أنا عطشان والجند استهزأوا وهم يأتون ويقدمون له خلاً	وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه	أنا عطشان فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه
٦	صرخة المصلوب	صرخ المسيح مرتين	صرخ مرة واحدة	صرخ مرتين	لم يصرخ
٧	موت المصلوب	فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح	يا أبتاه في يديك أستودع روحي	فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح	فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أكمل، ونكس رأسه وأسلم الروح .
٨	شهود الصلب	نساءكن يتبعنه بينهن مريم المجدلانية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومي أم ابني زبدي	نساءٌ كن تبعنه من الجليل ينظرن من بعيد	نساءكن يتبعنه بينهن مريم المجدلانية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومي أم ابني زبدي	أمه وأخت أمه زوجة اكلاويا ومريم المجدلانية
٩	طعنة المسيح	لم يطعن	لم يطعن	لم يطعن	طُعن بحربة في جنبه فخرج دم وماء
١٠	عقب الصلب	انشق حجاب الهيكل	انشق الهيكل وكسفت الشمس	انشق حجاب الهيكل وتزلزت الأرض وتفطرت الصخور وتفتحت القبور وقام الأموات من القبور ودخلوا المدينة	لاشيء من ذلك يحدث

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية، د. عبدالراضي عبدالمحسن، ص٢٣٢- ٢٣٣،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح بين الالتزام والتحريف ودعوة الإسلام، علاء أبو بكر، ص٢٩٢- ٣٠٥، موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام ، ص٤٣٤- ٤٤٣، الفارق بين المخلوق والخالق نقد الأناجيل ، عبدالرحمن الباجة، ص٣٠٧-٣٢١.

وبالنظر إلى تلك الاختلافات وعمقها في الأناجيل الأربعة يتبن أنه من الصعب أن تصلح تلك الشهادات مستنداً لإثبات عقيدة صلب المسيح التي تعتبر من أهم عقائد النصارى.

رابعاً: هناك نصوص كثيرة من الأناجيل تؤكد عدم صلب المسيح عليه السلام، وتتنبأ بنجاته من القتل وتبين أن المصلوب غير المسيح عليه السلام ومن تلك النصوص، ما جاء في إنجيل يوحنا: "أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه. فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي للذي أرسلني. ستطلبونني ولا تجدونني، حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا"[(١)].

ودلالة هذا النص واضحة في أن اليهود يطلبون المسيح لقتله، لكنهم لن يجدوه؛ لأن الله سبحانه وتعالى سيرفعه إليه.

وكذلك ما جاء في نفس الإنجيل من قوله: "هو ذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي.. لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم"[(٢)].

ومن المؤكد أن الذي تدعي اليهود صلبه لابد أن إلهه قد تركه كما يقول بلسانه في صرخته البائسة، ومن المؤكد كذلك أن ذلك المصلوب قد غلبه أعداؤه وقهره الموت وأخضعه لسلطانه[(٣)].

وفي إنجيل متى سأل رئيس الكهنة المصلوب قبل تنفيذ الحكم وقال له: "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع: أنت قلت"[(٤)].

---

(١) إنجيل يوحنا ٧/ ٣٢- ٣٤.

(٢) المصدر السابق، ١٦/ ٣٢-٣٣.

(٣) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص١١٤.

(٤) إنجيل متى ٢٦/ ٦٣-٦٤.

ومما يؤكد أن المصلوب غير المسيح عليه السلام عدم إجابة المصلوب بجواب صريح وإنما قال: أنت قلت، خاصة وأن رئيس الكهنة استحلفه بالله[1].

وقد اكتشفت ضمن المخطوطات المكتشفة بنجع حمادي بمصر عام ١٩٤٥م رسالة ورد فيها على لسان المسيح: "لقد كان شخصاً آخر الذي شرب المر والخل، لم يكن أنا، كان شخصاً آخر، شمعون الذي حمل الصليب على كتفه، كان شخصاً آخر، الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه، بينما كنت مبتهجاً في الأعالي من فوق، كان خطؤهم، وكنت أضحك من جهلهم"[2].

خامساً: التشكيك في أصل عقيدة الصلب فهناك جمع من علماء النصارى والطوائف[3] التي أنكرت عقيدة الصلب لمنافاتها العقل، إذ تحمل البشر وزر خطيئة لم يرتكبوها، ولا يد لهم فيها، كما تتنافى والعدل الإلهي، هذا إضافة إلى كونها عقيدة باطلة، لا علاقة لها بالمسيح ولا بما جاء به، ومن الباحثين الذين يشككون في هذه العقيدة الباحث "ويلسون" حيث يقول: "ليس هناك من براهين حقيقية وصادقة على قصة اعتقال عيسى وإعدامه"[4] وكتب أيضاً: "تذكر الأسفار الثلاثة الأولى أن عيسى أسس شعيرة القربان المقدس خلال الوجبة التقليدية لعيد الفصح اليهودي أو بعدها، فلو صح ذلك لكانت كل تفاصيل القصة: الاعتقال والمحاكمة والصلب من نسج الخيال، إذ لا يعقل أن يقوم اليهود بخرق أكثر أعيادهم قداسة لأجل محاكمة شخص"[5].

---

(١) انظر: المسيح بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي ص١٧٦، الفارق بين المخلوق والخالق، ص٣٣٥.

(٢) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلام، ص٢٨٥.

(٣) من هذا الطوائف: الساطرينوسيون والكاربوكراتيون والمركيرنيون والبارديسانيون والتاتبانيسيون والمايتسيون واليولبيسيون المرسيونية (انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٢٧٣-٢٧٦)

(٤) Wilson,JAL.p227، عن تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٢٨٤

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

وكذلك الباحث "فينك" شكك في إمكان حدوث رواية الصلب حيث قال: "إن قصة الصلب ليست من الأمور المقطوع بها"[(١)] وكتب أيضاً: "إن قصة إلقاء القبض على المسيح ومحاكمته وإعدامه هي من نسج الخيال"[(٢)].

۞ المسألة الثانية: اضطهاد اليهود لأتباع المسيح عليه السلام:

أتباع المسيح هي الطائفة التي آمنت بعيسى عليه السلام وصدقت دعوته سواء كانوا من الحواريين الإثني عشر، أو من تبعهم من التلاميذ والأتباع وكان عصرهم امتداداً لعصر عيسى عليه السلام، في التزامهم بالتوحيد والدعوة إليه.

كانت هذه الجماعة ملتزمة بالشريعة اليهودية، معظمة للناموس الذي جاء به موسى عليه السلام ولا تعزل نفسها عن أداء العبادات والصلوات في الهيكل كسائر بني إسرائيل، لكنها تؤمن بالمسيح عليه السلام وتدعوا إلى دينه في أوساط اليهود خاصة دون سائر الأمم[(٣)].

يقول "جان كمبي": "أعضاء الكنيسة الأولى هؤلاء كانوا يهوداً مثل يسوع وهم يتكلمون الآرامية اللغة السامية الأكثر استعمالاً في الشرق الأوسط، فظلوا يعيشون عيشة اليهود الأتقياء، يصلون في الهيكل، ويخضعون لشريعة المآكل المحرمة ويمارسون الختان"[(٤)].

وقد سجل سفر أعمال الرسل تلك الانطلاقة الدعوية من أتباع المسيح، حيث جاء فيه: "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل، والمشاركة، وكسْر الخبز، والصلوات...

---

(١) funk.Robertw.Honesttojesus p219، عن تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٢٨٤

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي، ص٨٧.

(٤) دليل إلى قراءة تاريخ الكنسية، جان كمبي، ص٢٤.

وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم، يبيعون أملاكهم وأموالهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم. يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد... وكان الرب كل يوم يضم إلى الجماعة أولئك الذين ينالون الخلاص"[1].

والذي يفهم من سفر أعمال الرسل أن هؤلاء الأتباع قد نشطوا نشاطاً محموداً في سبيل دعوتهم ورسالتهم، وأن كثيراً من اليهود قد استجاب لهم، ووفق سفر أعمال الرسل أن هؤلاء الرسل قد حصل لهم حكايات وكرامات تشابه ما حصل لعيسى عليه السلام من المعجزات مثل إحياء الموتى وشفاء المرضى، وهذه الأمور كان من الطبيعي أن تزعج رؤساء الكهنة والكتبة، وهم الذين كانت لهم اليد الطولى في إنهاء دعوة المسيح عليه السلام.

وقد جاء في سفر أعمال الرسل عن بطرس ويوحنا وما حصل لهما: "بينما كانا يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهم الشعب فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد لأنه كان قد صار المساء... وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم، لينظروا ماذا يفعلون مع هذين الرجلين... وتآمروا فيما بينهم قائلين ماذا نفعل بهذين الرجلين لأنه ظاهر لجميع سكان أورشليم أن آية معلومة قد جرى بأيديهما ولا نقدر أن ننكر، ولكن لئلا تشيع أكثر في الشعب لنهددهما تهديداً أن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد بهذا الاسم فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم المسيح"[2].

وقام اليهود كذلك بملاحقة بقية التلاميذ وتعريضهم للاضطهاد، فجاء في سفر أعمال الرسل" جرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب. فقام رئيس

(١) سفر أعمال الرسل ٢/ ٤٢-٤٧.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٦-٢١.

الكهنة وجميع الذين معه الذين هم سبعة الصدوقيون وامتلأوا غيرة. فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم... ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم"[١].

إن ممثلي اليهود الجالسين في المحفل أثارهم صنيع تلاميذ المسيح من متابعتهم ودعوتهم وعدم استجابتهم تعليمات الزمرة المتنفذة في الهيكل بالسكوت فأثاروا اضطهاداً عنيفاً ليس على الرسل فحسب بل على جميع المؤمنين، لقد بدأوا يفهمون بأن أتباع المسيح يشكلون جمعية دينية مستقلة تماماً يمكنها أن تزعزع أركان اليهودية كلها والمهم أن تخفض من سلطتهم.

وكان السبب في اضطهاد "استفانوس"[٢] أن معلمي الناموس اليهود أرادوا أن يطيعوا حكمتهم ضد قوة وعظ الرسل فدخل بعضهم في حوار مع، أحد الشمامسة[٣] السبعة بشأن تعليم المسيحية وناموس موسى " لكنهم ما استطاعوا أن يقاوموا الحكمة والروح اللذين تكلم بهما، ونتيجة لذلك حنقوا شديداً على استنفانوس وقبضوا عليه وقادوه إلى المحفل. وهنا تقدم شهود كذبة لقنوهم أن يقولوا بأنه لَفَظَ كلامَ تجديفٍ على هذا المكان المقدس وعلى موسى لأنه قال بأن يسوع الناصري يهدم هذا المكان المقدس ويبدل العوائد التي سلمها موسى. فلفظ استيفان في دفاعه أمام المحفل خطاباً وبخ في ختامه اليهود أنفسهم لعدم حفظهم ناموس موسى ولقتل مسيا الذي تنبأ عنه موسى، فلما سمعه أعضاء المحفل تمزقوا وصروا بأسنانهم... فانقضوا عليه بهياج وقادوه إلى خارج المدينة وقتلوه رجماً بالحجارة... وباستشهاد استيفان بدأ اضطهاد

---

(١) سفر أعمال الرسل ٥/ ١٢-٤٠.

(٢) استفانوس: اسم يوناني معناه (تاج)، ويشتهر بأنه أول شهيد في المسيحية، يدل اسمه على أنه كان هيلينياً أي: يهودياً ذا ثقافة يونانية. (انظر: دائرة المعارف الكتابية، ١/ ٢٠٧، قاموس الكتاب المقدس ص٨٢)

(٣) الشّماس: كلمة يونانية معناها خادم، ووظيفته الخدمة الروحية والوعظ في الكنائس. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥١٩).

المؤمنين العلني في أورشليم. فكانوا يبحثون عنهم في البيوت ويجبرونهم أن يجدفوا على اسم يسوع ويزجونهم في السجن وبعد المحاكمة سلموا كثيرين منهم إلى الموت"[١].

استمر الاضطهاد والتعذيب لتلاميذ المسيح - وحلَّ بكنسية القدس اضطهاد شديد كان من جرائه أن تشتت المؤمنون في أنحاء اليهودية والسامرة[٢]، وقد كانت أورشليم هي مركز الإشعاع في بشارة السيد المسيح وكان أول من أقيم أسقفاً لأورشليم هو يعقوب البار[٣] تلميذ السيد المسيح، وقد نال الشهادة على جناح الهيكل حين طرحه اليهود من على جناح الهيكل ورجموه بالحجارة[٤].

وعلى حسب ما ورد في كتب التاريخ الكنسي فإن النصرانية لم تنتشر خارج القدس انتشاراً واسعاً منظماً إلا بعد الاضطهاد الذي حل باستفانوس فتشتت المؤمنون آنذاك - ما عدا الرسل - وأخذوا يعيشون بالإنجيل في مختلف الأرجاء[٥].

يقول سفر أعمال الرسل: "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل"[٦].

وإن المتأمل فيما سطره سفر أعمال الرسل من واقع التلاميذ ومعايشتهم لليهود والنجاحات التي حققوها من زيادة الأتباع في أول الأمر مدعاة للتوقف عندها إذ أنه من غير الممكن أن تكون الأمور بهذه السهولة؛ فإن اليهود كانوا السبب الأول فيما

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية، افغراف سمير نوف، ص٢٣-٢٤.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، المطران ميشيل يستيم، الأرشنمديت اغناطيوس ديك، ص١٧.

(٣) يعقوب، كان رأس الكنيسة في اورشليم في العصر الرسولي، وكان يلقب بالبار بسبب غيرته في الشريعة، قتل سنة ٦٢م. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٧٦).

(٤) انظر: تعالوا إلى كلمة سواء، ص١١١.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، ص١٧، مختصر تاريخ الكنيسة، ص٣٥،

(٦) سفر أعمال الرسل،٨/ ١.

لاقاه عيسى عليه السلام من الإعراض والمحاربة والمطاردة والتي صورت الأناجيل حياته، فإنه كان يتنقل من مكان إلى مكان، ويواجه تحديات اليهود ورؤساء الكهنة الذين كانوا يتربصون به ويحاولون الإيقاع به في كل فرصة سانحة إلى أن تمكنوا أخيراً - بحسب الأناجيل - من صلبه وقتله وذلك يعني أن حياة أتباعه كان يتهددها المخاطر.

يقول "جينبير": "إننا نعلم تماماً أن الحواريين الإثنا عشر والأتباع المباشرين لعيسى لم يكونوا ليستطيعوا القيام بنشاط يذكر في القدس، بل كان موقفهم هو موقف أستاذهم فيما مضى، وكانت تتهددهم الأخطار التي هددته"[1].

ويقول كذلك: "الحق يقال إن الإثنى عشر لم يلاقوا في القدس من النجاح سوى القدر اليسير الذي كان يمكن لأي رجل منصف أن يتوقعه لقد كسبوا تأييد بضع عشرات من الناس مثلما هو الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة، وحافظوا على صلات طيبة من الشعب بفضل شدة تمسكهم بالتقاليد اليهودية ومواطنيهم على زيارة المعبد... ولكنهم أثاروا عداوة الكتبة والكهنة واحتقارهم، ولاقوا منهم ألواناً من الاضطهاد"[2].

۞ المسألة الثالثة: اضطهاد بولس لأتباع المسيح عليه السلام:

لقد انضم بولس إلى قادة الاضطهاد اليهودي فأصبح فرداً منهم في تلك المنظومة الباغية على أتباع المسيح عليه السلام، فأعلن عليهم البغي والعدوان والتنكيل وقد قال عن نفسه "واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة"[3].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٦٨.

(٣) أعمال الرسل ٢٢/ ٤-٥، فيلبي ٣/ ٦.

يقول "ماكين جرشام" في كتابه " أصل ديانة بولس": "كان بولس يهودياً من طائفة الفريسيين. وقد قيل أنه ولد بطرطوس وتربى في أورشليم، واسمه الأصلي شاول. وقال بعض العلماء أنه روماني الأصل. وكان يهودي العقيدة قبل اعتناقه المسيحية، وقيل أنه أعدم عام ٦٢م بعد أن وشى به اليهود للرومان. ولقد ثبت لدى المنقبين عن أصل الديانة المسيحية أن بولس لم ير المسيح في حياته. ومن المعروف أن بولس كان في بداية حياته من أكبر أعداء النصارى وكان لا يتورع عن إيذائهم والكيد لهم. بل صرح هو نفسه بذلك في إحدى رسائله لأهل غلاطية حيث قال "إنكم سمعتم بسيرتي فإني كنت يهودياً أضطهد النصارى وكل من ينتمي للمسيحية"[(١)][(٢)]..

وقد لخص "متى هنري" دور بولس حين كان مضطِهداً لأتباع المسيح بعدة نقاط هي:

١-كان يبغض المسيحية ويكن لها عداوة مميتة (واضطهدت هذا الطريق حتى الموت)[(٣)] وكان (ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب)،[(٤)](ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك)[(٥)]، كان يضطهد المسيحية (حتى الموت) أي أنه كان مستعداً أن يموت هو نفسه في سبيل مقاومته المسيحية، وهذا بحسب تفسير بعضهم لهذه العبارة كان مستعداً أن يقدم حياته عن طيب خاطر في دفاعه عن الناموس وتقاليد الآباء.

٢-فعل كل ما في وسعه كي يخيف الناس ويبعدهم عن هذا الطريق، ولذلك كان يضطهد المسيحيين (مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساءً) وهو لم يقد

---

(١) رسائل بولس الثانية لأهل غلاطية، ١/ ٣-٤.

(٢) The Origin of Paul,s Religion, Machen 3p.71-113. نقلاً عن: منهجية جمع السنة والأناجيل، د. عزية علي طه، ص١٧٧.

(٣) أعمال الرسل ٩/ ١.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق، ٢٦/ ١٠.

إلى السجون الرجال قط بل والنساء أيضاً.

٣-لقد استخدمه المجمع ورئيس الكهنة وجميع المشيخة في قمع هذه الطائفة الجديدة، وحين سمعوا أن كثيراً من اليهود في دمشق قد اعتنقوا الديانة المسيحية صمموا على مواصلة اضطهادهم، ولم يجدوا شخصاً أصلح من بولس للقيام بهذه المهمة، لذلك أرسلوه وبعثوا معه برسائل إلى اليهود في دمشق يأمرونهم فيها بتقديم العون لبولس في القبض على الذين اعتنقوا المسيحية ممن هم منهم، والقبض عليهم واقتيادهم إلى أورشليم لكي يعاقبوا، فإما أن يضطروا إلى الرجوع أو يلقوا الموت حتى يكونوا عبرة للآخرين[1].

وتزعَّم بولس شرذمة من حماة الهيكل المتعصبين وغدا يجوب الطرقات والمخابئ وينتهك حرمات الدور والمنازل وينتزع النساء من الخدور والأطفال من أحضان الأمهات ويسطو على الكنيسة يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن.

وقد امتدح رؤساء الكهنة وأعضاء المجلس اليهودي غَيرة شاؤل في حملته العنيفة فخلعوا عليه وظيفة في مجلسهم الأعلى وصار له صوت مسموع في مداولاتهم عند محاكمة الحواريين من رسل المسيح، وقد ذهب إلى رئيس الكهنة يطلب منه أن يزوده بالرسائل كي يسوق إليه كل من تقع عليه يده من المسيحيين، فهو لم يكتف بالفصل الأول من الاضطهاد بل جند نفسه خادماً مخلصاً لدينه حانقاً على الآخرين، فهو لا يزال يحمل قلبه حقداً، واضطهاداً، بل إن الاضطهاد قد أخذ شكلاً جماعياً في نفسه فهو لا يكتفي بقتل المسيحيين الذين تصل إليهم يده، بل استعان بسلطان رئيس الكهنة ليمد حقده إلى خارج حدود أورشليم[2].

---

(١) التفسير الكامل للكتاب المقدس ٢/ ١٧٥.

(٢) انظر: الاختلاف والاتفاق بين أنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، محمد عبدالرحمن عوض، ص١٦-١٧، بتصرف.

ليزوده رسائل إلى زعماء يهود دمشق ليتعقب هناك الرجال والنساء ويسوقهم إلى القدس[1].

وقد استمر اضطهاد اليهود لأتباع المسيح حتى في دمشق ولذلك كلف المجمع اليهودي شاؤل بملاحقتهم واضطهادهم مع أنهم كانوا قليلي العدد وسبب ذلك يرجع إلى عدة احتمالات وهي كالآتي:

١- لعلهم أرادوا القبض على المسيحيين الذين هربوا من الاضطهاد في أورشليم.

٢- أو لعلهم أرادوا احتواء الكرازة ومنع انتشار المسيحية إلى المناطق أو المدن الكبرى الأخرى.

٣- وربما أرادوا منع المسيحيين من إثارة أية مشاكل مع روما.

٤- أو لعل بولس (شاؤل) أراد أن يتقدم في عمله، ويحافظ على سمعته كفريسي حقيقي غيور على الشريعة.[2].

وقد فصل سفر أعمال الرسل في إفراط اضطهاد بولس للنصارى فقال: "وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن"[3].

وكلمة السطو في اللغة الأصلية لها دلالة فهي تعد عملاً وحشياً كما ينقض وحش على فريسته[4].

---

(١) انظر: العقيدة النصرانية من القرآن والإنجيل، حسن الباش، ص١٩١-١٩٢.

(٢) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٢٢٩٥.

(٣) أعمال الرسل،٨/ ٣.

(٤) انظر: تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل)، باركلي، ص١٠٦.

كان بولس يحمل حقداً كبيراً على أتباع المسيح ﷺ، فكان يظهر الفرح والسرور عندما يشاهد التعذيب الشديد الذي نزل بأستفانوس، وكان راضياً وسعيداً لقتله[1].

وخلاصة المقال في اضطهاد بولس وفق سفر أعمال الرسل أنه لم يترك باباً فيه إيذاء للنصارى إلا وطرقه واستخدمه فيقول: "وأما شاول فكان لم يزل ينفث الثعبان سمه القتال"[2].

- **ملابسات هذا الاضطهاد ودوافعه:**

كانت إذاً حياة بولس بعد انتقاله من طرطوس إلى أورشليم مليئة باضطهاد النصارى بشتى الوسائل سواء بالقول أو بالفعل، لكن يهمنا أن نعرف ملابسات هذا الاضطهاد ودوافعه الخفية.

يقول القس د. "فهيم عزيز" في سبب هذا الاضطهاد:"فلما رأى بولس أن الطريق المسيحي وتعاليم المسيحيين لا تتفق مع الناموس بل تناقضه، فقد بدأ يضطهد الكنيسة اضطهاداً مراً ".[3]

وكلام القس "فهيم عزيز" السابق إذا قصد ما يدعيه اليهود عموماً من أن المسيح خالف دينهم فله وجه، أما كون المسيح قد خالف موسى ﷺ في دعوته فكلامه غير صحيح ولا يمكن قبوله[4]، فإن عيسى ﷺ أكد على التمسك بشريعة موسى، فهو مجرد حلقة في سلسلة الأنبياء السابقين في إسرائيل، وينسب متى إليه قوله: "لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء؛ ما جئت لأبطل بل لأكمل"[5].

---

(١) أعمال الرسل ٨/ ١، ٢٢/ ٢٠.

(٢) المصدر السابق، ٩/ ١.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد، ص٣٤٥.

(٤) انظر: مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د. عبدالرزاق الأروا، ٢/ ٦٣٥.

(٥) متى ٥/ ١٧، لوقا ١٦/ ١٧.

إن الكلمة اليونانية (يُكمل) هي Plerosia، وتعني: أنجز، حقق، أطاع، أظهر المعنى الكامل)، وذلك كما ورد في تفسير متى[1]، ومعنى ذلك أن عيسى عليه السلام جاء تابعاً للناموس، عاملاً به، منفذاً لأحكامه، مظهراً معناه الحقيقي بعد أن تطرف اليهود في تفسير أحكامه.

هذه العداوة نشأت بسبب فكرة المسيح المنتظر وليس من أجل أنهم كانوا يتبنون ديانة جديدة فكان يعلم أن يسوع نفسه لم يؤسس ديانة جديدة، بل كان سبب ذلك إيمان المسيحيين بأن عيسى هو المسيح المنتظر،[2] وهو قريب مما جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس أن بولس كان "يكره الفكرة أن ذلك المصلوب هو المسيا (المسيح)، ويعتقد أن تابعيه كانوا خطراً دينياً وسياسياً"[3].

وتزيد دائرة المعارف الكتابية هذا الأمر إيضاحاً عندما قال أصحابها: "ولعل الأساس المنطقي لهذا التصرف العنيف جاء نتيجة للفكر السائد، من أنه بينما لا يوجد شيء يمكن أن يعجل بمجيء عصر المسيا أو بعودته فإن شيوع الإثم والارتداد في الأمة يمكن أن يعطله. وهكذا وجه بولس جهوده ضد اليهود المؤمنين بيسوع الناصري، لأن زعيمهم – من وجهة نظر بولس – قد برهن الصلب بطل دعواه وأن كرازتهم التي تسبب الانقسام، ستعمل على تأخير مجيء عصر المسيح المسيا الموعود به لإسرائيل"[4].

إن المتأمل في حقيقة اضطهاد بولس لأتباع المسيح عليه السلام يرى فيه شيئاً من المبالغة والمغالاة حيث إن مصدره سفر أعمال الرسل ورسائل بولس التي يكتنفها الغموض والتناقضات.

---

(١) انظر: التفسير الحديث للكتاب المقدس، ص١١٧.

(٢) Adolf Deisman: paul-Aseudy in Social عن المسيحية، ساجد مير ص٤١.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٧.

(٤) دائرة المعارف الكتابية ٢/ ٢٣٨.

يقول جنيبر: "وإن تفاصيل ما ترويه لنا أعمال الرسل عن عنفه في الشر لتبعث على الشك، ويبدو لنا من المرجح أن الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجئ عن هذه العداوة الشديدة في صورة براقة"[(١)].

وسفر أعمال الرسل الذي نقل مثل هذه الاضطهادات من بولس لا يسلم من النقد حتى من نقاد النصارى فهذا المؤرخ "ويل ديورانت" يرى أن هناك شك في نسبة هذا السفر إلى لوقا كاتب الإنجيل الثالث، كما أن نسخته الأصلية ألفت حوالي سنة ٦٣م، والسبب في كتابة السفر كما يرى "ديورانت" هو تسكين عداء الرومان للنصرانية[(٢)].

وقد انتهى "فرديناند باور"[(٣)] إلى أن سفر أعمال الرسل لا يمكن الاعتماد عليه كشاهد عيان تاريخي لتفاعلات المسيحية بسبب تحيزه وانحيازه لرؤية بولس[(٤)].

ويقول الدكتور "كمال الصليبي"[(٥)] في نقد حديث سفر أعمال الرسل عن بولس: "المعلومات المتوفرة بشأن بولس تأتي من مصدرين الأول ما يذكره بولس عن نفسه في الرسائل التي خلّفها والثاني ما يقوله سفر أعمال الرسل بشأنه وحيث يوجد تناقض من المصدرين فإن الأول يجب اعتباره الأوثق لكونه من قلم بولس نفسه، وقد

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص١١١.

(٢) قصة الحضارة، ١١/ ٢٤١ بتصرف.

(٣) فردينانْدباور: ولد عام ١٧٩٢م وتوفي عام ١٨٦٠م، ثيولوجي ألماني وقائد مدرسة بونغن الثيولوجية التي سميت نسبة لجامعة توبنغن. (انظر: الموسوعة الحرة)

(٤) المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص٢٧٦.

(٥) كمال الصليبي: (١٩٢٩م-٢٠١١م)، أستاذ جامعي ومؤرخ لبناني، قام بأبحاث تاريخية عن لبنان والوطن العربي وتاريخ التوراة والإنجيل، وكان رئيس دائرة التاريخ وعلم الآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت، وهو من مؤسسي المعهد الملكي للدراسات الدينية، من أشهر مؤلفاته: نظريات جديدة حول جغرافيات وشخصيات التوراة وحول الأناجيل والسيد المسيح. (انظر: الموسوعة الحرة)

سبق أن الذي وضع إنجيل لوقا هو الشخص ذاته الذي وضع سفر أعمال الرسل ملحقاً لهذا الإنجيل، كما هو واضح من المقدمة لهذا السفر غير أن مادة سفر "أعمال الرسل" تتألف من نوعين، نوع منهما هو محض رواية لأحداث بما فيها تلك التي تحدث عن بولس بضمير الغائب، ونوع آخر من الواضح أنه مذكرات لأحد الذين رافقوا بولس في أسفاره في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، لكون الحديث فيه هو بضمير جمع المتكلم أي "نحن" المرجح أن صاحب هذه المذكرات هو لوقا الذي يصفه بولس بالطبيب الحبيب، مما يعني أنه كان طبيبه الخاص الذي رافقه في جميع أسفاره ولعل الأصل في سفر أعمال الرسل هو حديث لوقا بصيغة جمع المتكلم عن النشاط التبشيري الذي قام به بولس ورفاقه من "الرُّسل" التابعين له في العالم الروماني ثم جاء من أضاف إلى هذا الأصل متحدثاً بضمير الغائب عن أعمال كل من بولس وغيره من الرسل. هذا إذا كان لوقا هو الذي وضع الإنجيل الذي يحمل اسمه. ولعل الأصل في سفر أعمال الرسل هو الرؤية التي يعتمد ضمير الغائب، ثم جاء من أضاف إليها المقاطع من مذكرات لوقا التي تحدث عن أسفار بولس بصيغة جمع المتكلم، وهو ما أرجحه وفي مثل هذا الحال لا يكون لوقا صاحب الإنجيل الذي يحمله اسمه"[(١)].

ويؤكد هذا التناقض والخلل في مثل هذه الأحداث أن هناك إشارات تدل على أن بولس لم يكن له شهرة أو مكانة اجتماعية تؤهله لما وصف به، ومن ذلك أن مجمع اليهود في أورشليم ورؤساء الكهنة منها لم يكونوا يعرفون أن بولس من اليهود الفريسيين[(٢)]. وكذلك كان الوالي أو الحاكم الروماني يجهل جنسيته الرومانية[(٣)]، وفي حادثة قتل أطفيانيوس كان بولس مجرد حافظ لثياب الذين باشروا القتل![(٤)].

---

(١) البحث عن يسوع قراءة جديدة في الأناجيل، وكمال الصليبي، ٩٧-٩٨.

(٢) انظر: أعمال الرسل ٢٣/ ٦-٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٢٢/ ٢٥-٢٩.

(٤) انظر: المصدر السابق، ٧/ ٥٨/ ٢٢/ ٢٠.

كذلك سفر أعمال الرسل لم يذكر طبيعة السلطة السياسية الكهنوتية التي يتمتع بها. والتي خولته بوضع الناس في السجون، ولا السلطة الكهنوتية التي تميز بها التي تجعله راضياً عن ملك استفانوس بعد اتهامه بالتحريف[(١)].

هذا وفق رواية سفر أعمال الرسل، التي تضمنته تلك الحادثة والذي جاء فيه: "أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهديداً، وفعلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة..."[(٢)].

وكذلك جاءت هذه الواقعة بروايتين مختلفتين[(٣)] عن سابقتها مع أنها في سفر واحد، لكن هذه الروايات يكتنفها شيء من الغموض.

ولذلك قد أثيرت أسئلة كثيرة حول ذهاب بولس إلى دمشق من أجل اضطهاد أتباع المسيح، هل وقعت فعلاً أم أنها مجرد اختلاق من مؤلف سفر أعمال الرسل، فترد تساؤلات مثيرة منها:

١- التناقض الحاصل في الروايات فمثلاً في سماع الصوت، فالمسافرين مع بولس في الرواية الأولى قد سمعوا الصوت ولم ينظروا نوراً، ووقعوا صامتين، أما في الرواية الثانية فلم يسمع المسافرون صوتاً، ولكنهم نظروا النور، ولا يوجد ما يبين كيفية وقوفهم، وفي الرواية الثالثة لم يذكر شيئاً عن الصوت، والمسافرون معه رأوا النور ولم تبين أنهم قد سمعوا صوتاً أولاً، إلا أن هذه الرواية ذكرت أنهم قد سقطوا جميعاً مع بولس على الأرض[(٤)].

---

(١) انظر: اللاهوت المسيحي نشأته وطبيعته، ص١٣٨، بتصرف.

(٢) سفر أعمال الرسل ٩/ ١-٩.

(٣) المرجع السابق ٢٢/ ٤-١١، ٢٦/ ١٢-١٨.

(٤) انظر: الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي، د. محمد علي آل عمر، ص٣٢، بولس يقول دمروا المسيح وأبيدوا أهله، علاء أبو بكر، ص١٥.

يقول شيرد: "ففي عام ٣٥ لما وقعت الواقعة كانت الحال بالنسبة للمسافرين مع بولس أنهم: (وقفوا صافين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً) وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاماً أي في عام ٦٠م يروي بولس القصة فيقول: "والذي كان معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني"،[(١)] ثم بعد هذا بسنتين أي في عام ٦٢م يروي بولس القصة نفسها مع عناصر تفخيم جديدة منها أن المسيح عليه السلام تكلم باللسان العبراني كلاماً أطول جداً مما ذكر في الوصفين السابقين، وأن جميع الذين كانوا معه في ذلك السفر العجيب قد سقطوا معه على الأرض وليس إياه فحسب كما في الروايتين السابقتين"[(٢)].

يقول "ماكبي"[(٣)]: "وفي هذه الرواية مشكلات عدة، أولها أن سلطة رئيس الكهنة في أورشليم لا تشمل مثل هذه المجامع [التي أراد بولس أن يذهب إليها] وكانت سلطاته الرسمية لا تتجاوز حدود معبد القدس... وإذاً فلم يكن الكاهن الأكبر يستطيع أن يتسلط على الذين خارج حدود يهوذا. ولهذا فإن من المستحيل على مؤرخ الأديان أن يفهم كيف يمكن لهذا الكاهن الأكبر أن يزود شاوول برسائل تسمح له بمطاردة أتباع المسيح وتوقيفهم [خارج حدود سلطته] ويصعب على المؤرخ أن يفهم مهمة شاوول حين يعلم أن دمشق في تلك الفترة لم تكن تحت سلطة الرومان، وأن الإمبراطور الروماني كاليغولا[(٤)] تخلى عنها في عام ٣٧م ومن المعروف أن دمشق تاريخياً كانت في تلك الفترة جزءاً من مملكة الأنباط العربية التي كانت للملك

---

(١) سفر أعمال الرسل ٢٢/ ٩.

(٢) sheard, who founded Christianily؟، ص٦ نقلاً عن مصادر النصرانية، ٢/ ٦٣٨.

(٣) هيم ماكبي: أستاذ تاريخ الأديان في معهد " ليوبايك " بلندن. (انظر: مقدمة مترجم كتاب بولس وتحريف المسيحية، ص٩)

(٤) كاليغولا: إمبراطور روماني (٣٧-٤١)، ابن أغريبينا وحفيد تيباريوس بالتبني. اشتهر بجنونه واستبداده، مات اغتيالاً. (انظر: المنجد، ص٤٩٥)

الحارث. ولم يكن هذا الملك يساوم على سلطته أبداً ولم يكن ليسمح لموفد مثل شاوول أن يدخل أراضيه بسهولة، ويطارد رعاياه، أو يطارد جاليات تعيش في كل حمايته، لاسيما أن هذا الموفد قادم من يهوذا التي يحتلها أعداؤه الرومان"(١).

٢- من نقاط التناقض والاختلاف أن في الرواية الأولى والثانية أن المسيح أمر بولس بالذهاب إلى دمشق لتلقي الرسالة، بينما الرواية الثالثة توضح أن المسيح أعطى بولس الرسالة فوراً - وقت ظهوره له - مع وعد بإنقاذه من اليهود والأمم الأخرى(٢).

٣- كذلك من نقاط الاختلاف ما ذكر في سفر أعمال الرسل(٣)، عن تقاتل بولس مع الحواريين الآخرين بعد قليل من دخول النصرانية أثناء رحلته إلى دمشق، وكان ذلك في أورشليم، بينما لم يسافر إلى أورشليم تبعاً لسفر غلاطية إلا بعد ثلاث سنوات" ثم بعد ثلاث سنين صَعْدتُ إلى أورشليم لأتعرف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوماً". (٤)(٥)

٤- هذه الروايات الثلاث تنقل لنا بعض تفاصيل الحادثة، من موقف المسافرين مع بولس، وموقف بولس نفسه وما حصل له من السقوط والعمى، ولكن تغفل نقطة في غاية الأهمية وهم الشهود في هذه الحادثة: ما أسماؤهم، وما هي صفاتهم، وما هو عددهم، وما هو حالهم، وكل هذه الأمور لم ينقل منها شيء وهي أحداث مهمة في سلامة هذه الروايات من الطعن، خاصة وأنها واقعة حصلت لمن هو

---

(١) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة سميرة عربي الزين، ص٣٦-٣٧.

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد عجيبة، ص١٦٤، بولس يقول دمروا المسيح وأبيدوا أهله، علاء أبو بكر، ص١٥.

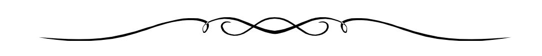
(٣) سفر أعمال الرسل، ص٩

(٤) سفر غلاطية ١/١٨.

(٥) بولس يقول دمروا المسيح أبيدوا أهله، ص١٦.

مكرس نفسه في اضطهاد النصارى فهو صاحب شهرة واسعة، بالإضافة إلى حصول أمر غير معتاد وخارج عن المألوف وهو تجلي المسيح عليه السلام وظهوره على هيئة نور ومعاينة بولس بعبارة واضحة لماذا تضطهدني إلى الاستشهاد.

٥- أن رؤيا طريق دمشق التي هي نهاية اضطهاد بولس للنصارى لا يقين بصحتها، بقدر ما هي واقعة اعتبرت أساساً في تحول بولس إلى النصرانية، وهي إلى كونها قصة مختلقة أقرب من واقعيتها، وقد اتخذها بولس وسيلة وذريعة إلى تقويض شأن ديانة المسيح عليه السلام بالوسائل الخفية بالدس والتدمير الداخلي بعد أن عجز في مواجهتها بالعنف والاضطهاد.



المطلب الثالث
الاضطهاد الفكري للمسيح عيسى عليه السلام وأتباعه

قد يكون الاضطهاد الفكري داخلاً في بعض الاضطهادات السابقة من حيث اقتران أكثر من وسيلة في مرحلة معينة فهناك المكر والخديعة بالإضافة إلى المخاصمات والمجادلات والتشكيك ثم يتعدى ذلك إلى الإيذاء البدني والفعلي كما مر معنا، لكن الاضطهاد الفكري قد يكون أكثر وضوحاً عندما استنفدت الوسائل الأخرى وجربت ثم ثبت فشلها لديهم عندما جاءت مرحلة حرب الأفكار والمعتقدات والدس والتخريب الداخلي، وهذا اللون استخدم مع المسيح عليه السلام وأتباعه بشكل أوضح وأظهر كما سنبين في المسائل التالية:

۞ المسألة الأولى: التشكيك في صحة رسالة عيسى عليه السلام:

لما جاء عيسى عليه السلام برسالته السماوية بمبادئها السامية التي تتنافى مع المطامع اليهودية من رغبتهم فيما كانوا ينتظرونه مسيحاً سياسياً، يبسط بني إسرائيل على العالم أجمع، أخذوا في التشكيك في رسالة عيسى عليه السلام فقد جاء في الأناجيل: "وجاء عيد التجديد في أورشليم في الشتاء، وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان، فتجمع اليهود حوله، وقالوا له: إلى متى تبقينا حائرين؟ قل لنا بصراحة، هل أنت المسيح؟"[(١)].

وقد جاء في الأناجيل ما يوضح أتباع اليهود لهذا المسلك، حيث قال لوقا "وخرج بعد ذلك فرأى عشاراً اسمه لاوى جالساً عند المائدة الجباية، فقال: اتبعني فترك كل شيء وقام وتبعه"[(٢)].

---

(١) إنجيل يوحنا ١٠/ ٢٢-٢٥.

(٢) إنجيل لوقا ٥/ ٢٧-٣٢.

وقد اشتد نكير الفريسيين والكتبة على المسيح عليه السلام حتى في أسلوبه شكلاً ومضموناً وأخذوا يشككون في ما يدعوا إليه، ومن فوضه في هذه المهمة، فجاء في إنجيل مرقس "وبينما كان يتجول في الهيكل، تقدم إليه رؤساء الكهنة، والكتبة، والشيوخ وسألوه: "بأية سلطة تفعل ما فعلته؟ ومن منحك هذه السلطة لتفعل ذلك"[1].

وقد قصدوا بسؤالهم هذا أن يربكوه ويحرجوه، فإذا ما استطاعوا أن يبينوا للشعب أنه ليست له خدمة قانونية، وأنه لم يعين كما تقتضي الأمور بالتالي يمكنهم مطالبة الشعب بألا يستمعوا إليه، كان ذلك آخر ما في جعبة عدم إيمانهم العنيد، إذ أصروا على إيجاد خطأ في مهمته.[2]

۞ المسألة الثانية: التشكيك في قيمة ما جاء به عيسى عليه السلام:

مما جاء به عيسى عليه السلام أنه أحل لهم بعض الذي حرم عليهم كما قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران:٥٠].

وقد اجترأ اليهود على المسيح عليه السلام في هذا الأمر وفي قيمته وجعلوا يشككون في تلك الأحكام، ولذلك حصل جدل بين اليهود والنصارى في مسألة أن شرائع التوراة نسخت بمجيء المسيح أم لا؟[3].

يقول "موسى بن ميمون" عن المسيح عليه السلام: إن يسوع الناصري أوهم أنه مبعوث من الله ليبين مشكلات التوراة، وأنه المسيح الموعود به على يدي كل نبي.

---

(١) إنجيل مرقس ١١/ ٢٧-٢٩.

(٢) انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري ١/ ٣٥٢-٣٥٣.

(٣) انظر: الأمانات والاعتقادات، للفيومي، ص٤٥.

فتأوّل التوراة تأويلاً يؤدي لإبطال جملة الشريعة وتعطيل جميع أوامرها وارتكاب جميع مناهيها على ما قصد وأغرض. فشعر الحاخاميم لغرضه قبل أن تتمكن شهرته في الملة، ففعلوا به ما كان أهلاً له. وقد كان تقدم لنا الإنذار بذلك على يد دانيال وقال أنه سيروم رجل من وقحاء إسرائيل وخوارجهم إفساد الدين بادعائه النبوة وتعاطيه الأمور العظيمة يعني أنه المسيح، وأن الله يعثره كما عثر، وهو قوله: (وبنوا العتاة من شعبك يقومون لإثبات الرؤيا ويعثرون)[1]"[2]

وأكبر مثال على شدة استنكار اليهود مما جاء به المسيح من رفع الحرج والإصر في يوم السبت من العمل الضروري، فجاء في أنجيل متى: في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع، فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون، فالفريسيون لما نظروا قالوا هو ذا تلاميذك يفعلون مالا يحل فعله في السبت، فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له وللذين معه بل للكهنة فقط، أو ما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم إبرياء... فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً، ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم وإذا إنسان يده يابسة، فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء في السبوت، لكي يشتكوا عليه، فقال لهم: أي إنسان منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه، فالإنسان كما هو أفضل من الخروف، إذا يحل فعل الخير في السبوت[3].

(١) دانيال ١١/ ١٤.

(٢) الجدل اليهودي ضد المسيحية، ص١٣.

(٣) إنجيل متى ١٢/ ٣/ ١٣، مرقس ٢/ ٢٥-٢٨، ٣/ ١-٥، لوقا ٦/ ٣-٣.

۞ المسألة الثالثة: اضطهاد بولس الفكري لأتباع المسيح:

عندما رفع الله عيسى عليه السلام إلى السماء اجتهد اليهود في ضياع دعوته ما وسعتهم قوتهم، إما بالسلاح وإما بالفكر، ولما كانوا عاجزين عن ضياع الدعوة بالسلاح ضياعاً كلياً لوقوعه تحت سيطرة الرومان، لجأوا إلى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل، ويحرِّفون به الكلم عن مواضعه، ورأوا أن التظاهر بالدخول في النصرانية وتحريفها من الداخل أنجح الطرق ومن هنا كان تنصر بولس ظاهراً من أجل أن يفسدها[1].

وقد كان تأثير بولس الفكري أخطر بكثير من مساعيه في اجتثاث النصرانية إذ أدخل في ديانة عيسى عليه السلام ما ليس منها وبالتالي تحولت الديانة التي كان منشؤها على التوحيد إلى عقيدة نصرانية منحرفة ولذلك أطلق عليها المسيحية البولسية.

تعرض بولس لمعارضة شديدة من تلاميذ المسيح عليه السلام وأتباعه، ورسائله حافلة بذكر تلك المعارضات والتي يصر فيها على براءته من الكذب والغش في الدعوة، ومن تلك المواضع ما يقوله في رسالته الثانية إلى أهل كورنيش: "فإننا لا نتاجر بكلمة الله كما يفعل الكثيرون، وإنما بإخلاص ومن قبل الله، وأمام الله، نتكلم في المسيح"[2].

وكان المعارضون لبولس يطالبونه بالتمسك بإنجيل المسيح الصحيح وهو مخالف في أصله وتعاليمه لرسائل بولس لذلك ركز بولس على ذم التعاليم المعارضة لتعاليمه، فهو يقول: "عجباً! كيف تتحولون بمثل هذه السرعة عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، وتنصرفون إلى إنجيل غريب؟ لا أعني أن هناك إنجيلاً آخر، بل إنما هناك بعض المعلمين الذين يثيرون البلبلة بينكم، راغبين في تحوير إنجيل المسيح. ولكن حتى لو بشرناكم نحن، أو بشركم ملاك السماء، بغير الإنجيل الذي بشرناكم به، فليكن ملعوناً! وكما سبق أن قلنا أكرر القول الآن أيضاً: إن كان أحد يبشركم

---

(١) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، ص١٤٩، بتصرف.

(٢) ٢/ ١٧.

بإنجيل غير الذي قبلتموه، فليكن ملعوناً! فهل أسعى الآن إلى كسب تأييد الناس أو الله؟ أم تراني أطلب أن أرضي الناس؟ لو كنت حتى الآن أُرضي الناس، لما كنت عبداً للمسيح!"[(١)].

لقد كان أتباع عيسى عليه السلام الأوائل متمسكين بناموس موسى ولكن بولس كان يسلك بحرية مع الأخوة فلم يستطع القادمون من أورشليم احتمال ذلك الجمهور الجديد من دون شرط الطاعة للشرائع الناموسية - ولم يكن فاعل أصليّ في ذلك التغيير إلا شاول الطرسوسي الفريسي، الذي قاومهم بكل جهده، رغم أن كثيراً منهم من الفريسيين ومن مدرسة غمالائيل[(٢)] أيضاً ممن آمنوا بالمسيح وظلوا محامين عن الناموس - فقاوموا بولس ونسبوا إليه غايات نفسانية، وأنه متقلب في تعاليمه وأعماله، ونجحوا في مقاومته في بعض المدن، ففي كورنثوس وغلاطيه تركه بعض أتباعه وقالوا عنه: إنه ليس رسولاً لأنه لم يتبع المسيح وهو على الأرض، وأن تعليمه لا يقبل ما لم يطابق تعليم الحواريين ورجعوا إلى حفظ الناموس[(٣)].

لكن في نهاية الأمر استطاع شاول أن يتغلب على أتباع المسيح، وأن ينشر تعاليمه المحرفة في كثير من أرجاء البلاد وقد سلك في ذلك خطة ومنهجاً جعلته يكتسب هذه الشهرة وتطبق الكنائس على تسميته بولس الرسول.

ومن أهم الأمور التي ساعدت على انتشار أفكاره وتأثيرها القوي أنه وجد سنداً قوياً من حكام روما[(٤)] وولاتها وسادتها. وبذلك تركته السلطات الرومانية يبشر

---

(١) رسالة إلى أهل غلاطية ١/ ٦-١٠.

(٢) غمالائيل: اسم عبري معناه " مكافأة الله " وهو حاخام يهودي، عضو في السهندريم، فريسي، واحد اللاهوتيين المعروفين في القرن الميلادي الأول وهو أحد معلمي بولس في الشريعة، مات في منتصف ذلك القرن. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٦٢).

(٣) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول، اليزا أفرت، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) روما: عاصمة الإمبراطورية الرومانية في العالم الغربي القديم، أسست في عام ٧٥٣ق.م على يد روميولس ⇐ =

بدعوته ما دامت تقضي بمضاعفة العبيد لجهودهم في خدمة أسيادهم؛ لقد كان خليقاً بروما أن تبقي على فيلسوف طبع إلى هذا الحد[1].

يقول بولس في رسائله مكرساً هذه الفكرة - البقاء في قيد العبودية والخضوع للسلاطين -: "أيها العبيد أطيعوا سادتكم البشريِّين بخوف وارتعاد، من قلب صادق، كمن يطيع المسيح"[2].

نجد كذلك أن بولس استخدم شتى الوسائل مثل الكذب والنفاق والاحتيال من أجل زيادة الأتباع، وهو يعترف بأنه كان يتلوَّن طمعاً في كسب الأتباع فهو يقول في رسالة له: "فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجْده فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ"[3].

ويقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "فمع أني حر من الجميع، جعلت نفسي عبداً للجميع، لأكسب أكبر عدد مكن منهم. فصرت لليهود كأني يهودي، حتى أكسب اليهود، وللخاضعين للشريعة كأني خاضع لها مع أني لست خاضعاً لها حتى أكسب الخاضعين لها، وللذين بلا شريعة كأني بلا شريعة مع أني لست بلا ناموس عند الله بل أنا خاضع لناموس من نحو المسيح حتى أكسب الذين هم بلا شريعة. وصرت للضعفاء ضعيفاً، حتى أكسب الضعفاء. صرت للجميع كل شيء؛ لأنقذ بعضاً منهم

= الذي صار أول ملك لها.وظلت لمئات السنين مركز القوة في أوروبا وشمال إفريقيا وغربي آسيا. وتقع روما على ضفتي نهر التبير في وسط إيطاليا ١٦كم شرقي البحر التيراني ويقطن البابا في مدينة الفاتيكان التي تقع في روما؛ لذلك تعتبر روما مركز الكنيسة الكاثوليكية.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٨٩٨، الموسوعة العربية العالمية مادة «روما» المكتبة الشاملة).

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص١١٨.

(٢) رسالة بولس إلى أفسس ٦/ ٥، وانظر كذلك: الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٦/ ١.

(٣) رسالة إلى أهل روما ٣/ ٧.

مهما كلف الأمر. وإني أفعل الأمور كلها من أجل الإنجيل؛ لأكون شريكاً مع الآخرين"[1].

بالإضافة إلى ما تمتع به بولس من ملكات خاصة إذ هو عاش في بيئة تسيطر فيها الروح الفلسفية اليونانية، كما أن تمتعه بالجنسية الرومانية ساهم في حمايته من التعصب، ودعوته إلى عالمية الديانة وبداية التبشير بها من بني إسرائيل إلى مناطق العالم الأخرى. فنقل دعوته من الأرض التي كان يعيش بها اليهود إلى الشعوب الوثنية الأخرى كالرومان واليونان. وبذلك سعى بولس إلى تطعيم النصرانية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التي وجدها في تلك الشعوب[2].

وبذلك يعتبر بولس هو المسؤول الأول عن تبديل ديانة المسيح عليه السلام وتحريفها وتغيير مسارها، فقد ادعى أن المسيح ابن الله، ودعواه أن الغاية من مجيء المسيح هو الصلب وتكفير الخطايا، ودعوته إلى إلغاء العمل بشريعة موسى، وزعمه أن رسالة المسيح عامة لجميع بنى البشر، وإلغاؤه كذلك للختان، وكان مع ذلك في العديد من رسائله يصرح بأن الإنجيل الجديد الذي يبشر به ليس هو إنجيل عيسى، بل هو إنجيل تلقاه بإلهام عن المسيح أي أنه لا يبشر بما ترك المسيح، يقول ما نصه: "أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُه بل بإعلان يسوع المسيح[3].

---

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس ٩/ ١٩-٢٣، وهذه الفكرة نفسها هي التي جعلت بعض وضاعي الحديث يكذبون على النبي ﷺ ويقولون: نحن نكذب له لا عليه!.

(٢) انظر: الدين والسياسة، د. سالمة عبد الجبار، ص٢٣.

(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، ص٣٥٤-٣٥٩، الدين والسياسة، ص٢٤.

كما أنه جلب الاضطهاد اليهودي والوثني على أولئك الموحدين، فضعف جانبهم وقويت شوكة أتباعه الذين لم يكتفوا بالقضاء على الموحدين بأعيانهم، بل قضوا على كتاباتهم أيضاً، وحرموا قراءتها، وسيطرت على الساحة الفكرية والعقائدية كتابات بولس وأتباعه، أو ما استطاعوا تحريفه من الكتابات الأخرى عند الترجمة إلى لغات الأمم الوثنية[1].

---

(١) انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، د. محمد أحمد ملكاوي، ص٢٤٦.

المبحث الثاني

اضطهاد الرومان للنصارى

وفيه تمهيـد وثلاثـة مطالـب:

- المطلب الأول: أسباب اضطهاد الرومان للنصارى.
- المطلب الثاني: وقائع الاضطهاد الروماني.
- المطلب الثالث: حقيقة الاضطهاد الروماني للنصارى.

* * * ** * * *

تمهيـــــد

عند ولادة المسيح عليه السلام كانت فلسطين تحت سيطرة الدولة الرومانية وهي الفترة التي كانت رومانيا في أزهى عصورها وأقواها، بل في وقتها كانت أعظم وحدة حضارية وسياسية عرفها التاريخ، ومع ذلك تغلغلت الديانة النصرانية إلى مقاطعات هذه الإمبراطورية بل إلى عاصمتها وهي روما فقد كانت هناك جالية نصرانية مع بداية القرن الأول الميلادي.(١)

ولا شك أن مثل هذا الانتشار من الصعوبة بمكان لولا أن هناك ملابسات سهلت من هذا الأمر، وأولها: أن الظروف التي كانت عليها الإمبراطورية الرومانية والأوضاع التي أحاطت بها كانت أكبر مساعد على سرعة انتشار النصرانية في ربوعها، فقد امتازت بشبكة من الطرق الضخمة التي ربطت مدنها ببعضها البعض، وكذلك الأمن والسلام الذي ساد برها وبحرها فهذا كله مما جعل من اليسر انتقال الآراء والأفكار والمعتقدات في سهولة بين مختلف أنحاء الإمبراطورية.(٢)

من ناحية أخرى كانت الإمبراطورية الرومانية تتجه نحو التسامح وبصورة واسعة إزاء الديانات الأخرى، فكانت الدولة تسمح للشعوب المغلوبة بالتعبد وفق ديانتها الخاصة، طالما لا تتدخل في مصالح الدولة ولا تتعارض معها، إلا أنها كانت تضع لهذا التسامح حدوداً تراها ضرورية من أجل المحافظة على مقومات الحكم.(٣)

إذاً لم تجد النصرانية نفسها في تضاد مع الديانات والآلهة الرومانية فحسب، بل كانت الديانات والآلهة اليونانية والمصرية والفارسية معترفاً بها في إيطاليا. ولذلك أصبح العديد من المثقفين(٤) الرومان ينظرون إلى عبادة الدولة الرسمية وتقديس

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص٨.

(٢) انظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الأنبا يؤانس، ص٥٥.

(٣) انظر: الاستشهاد في المسيحية، لنيافة الأنبا يوأنس، ص٦٢، المسيحية نشأتها وتطورها، جنيبير، ص٢١١.

(٤) ولم يكن هذا رأي عامة المثقفين، فهذا سيشرون خطيب الرومان الأشهر ومشرعهم وضع مبدأ في = ⇦

الأباطرة على أنها أمور شكلية، وبدأ المجتمع يتوق إلى ديانة موحدة فاعلة وإلى وحدانية الله بعيداً عن ديانات الكهنة والشعوذة وتقديم القرابين، فأوجدت مثل هذه الأرضية انتشاراً للنصرانية حتى داخل روما(١).

لكن مع ذلك اختلفت نظرة المجتمع الروماني إلى النصرانية باختلاف الطبقات التي ينتمي إليها المجتمع، بالإضافة إلى موقف السلطات ذاتها، فالطبقة المترفة كانت تعتقد أن النصرانية تهدد كيانها بما تحمله من تعاليم تدعو إلى المساواة والأخذ بيد الفقراء، وهي مظاهر لم يألفها الرومان في تلك الأعصر، أما الطبقة العليا خاصة الذين وضعوا في مناصب تتطلب منهم الحفاظ على أمن الدولة وسلامتها، والذين يرتبطون بالأسلاف، والذين كانوا يرون أن ديانتهم الأثنية جزء من كيان الحكومة ونظامها، واعتادوا أن يربطوا بين أربابهم وبين مجد الدولة وعظمتها، فقد كان من الصعب عليهم هجران ديانتهم وعقائدهم، وخاصة عندما رأوا أن النصراني ينظر إلى دينه على أنه شيء منفصل عن المجتمع السياسي، وأنه لا تربطه أي صلة بالمجتمع الروماني ولا يدين بولاء للقيصر(٢).

وقد أظهرت الإمبراطورية الرومانية تسامحاً واضحاً مع النصارى في بداية الأمر، ولم تهتم بها ولا بدعوتها، لكن ما لبثت أن تغيرت سياستها في إطلاق الحرية الدينية لرعاياها، ونهضت لمقاومة واضطهاد النصرانية وأتباعها، فكان هذا بدء الاضطهاد الديني في أوروبا(٣)، وسأتحدث عن هذا الاضطهاد في المطالب التالية:



= التشريع الروماني بأن لا يسمح لأحد أن يعبد آلهة غربية، مالم يعزف بها بقانون عام. (انظر: الاستشهاد في المسيحية، ص٦٣).

(١) انظر: صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، نجيب اسطيفان، ص١٢، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٣٠، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٥٨.

(٢) انظر: الدولة والكنسية، رأفت عبدالحميد، ص٣٠، بتصرف.

(٣) انظر: قصة الاضطهاد الديني، د. توفيق الطويل، ص٤٧.

المطلب الأول
أسباب اضطهاد الرومان للنصارى

١ - اكتشاف الرومان انفصال النصارى عن اليهود، وأنها ليست فرقة من فرق اليهود المتقوقعة على ذاتها، إنما هم أمام جمعية دينية مستقلة لها طموح التوسع والانتشار[١].

يقول توفيق الطويل: "إن المسيحية قد لقيت في عصرها الأول عنتاً شديداً، فنكل بأتباعها بعض الأباطرة وغيرهم من سواد الناس، على غير ما جرى العرف في هذه الآونة، وكان هذا الاضطهاد يهدف إلى الحيلولة دون انتشار هذا الدين الجديد، الذين ظنوه امتداداً لليهودية الحقود البغيضة إلى نفوسهم! والتي لاحظوا عند أتباعها تعصباً لمبادئها، وتعصباً للحضارة الرومانية، وسخطاً على معتقداتها، واحتقاراً لشعائر أهلها"[٢].

وبهذا السلوك أدرك جماعة الرومان أنهم إزاء جماعة منعزلة تأبى الاشتراك في الحياة العامة بل وتزدريها وترفض الانخراط فيها، ولا تؤدي أي خدمة للمجتمع الذي تعيش فيه، ومن ثم كان سخط الجموع الوثنية وعارضتها للدين الجديد أشد من سخط الأباطرة أنفسهم في بادئ الأمر.[٣]

فالرومان نظروا إلى النصرانية على أنه جسم غريب ينخر في كيانها بسرعة انتشارها وكثرة أتباعها وتعدد أطيافهم، مما يعني أنها أصبحت تشكل تهديداً على وحدة الإمبراطورية ونفوذها، إلا أن هذا التحول كان متأخراً ولم يستطع بالتالي

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف، ص٤٤.

(٢) قصة الاضطهاد الديني ص٥٦-٥٧.

(٣) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبدالحميد ٢/ ٣٢.

أن يوقف عملية انتشار النصرانية، بل أن هجرة النصارى من بطش السلطات الرومانية وقوانينها أعطى للنصرانية فرصة في اتساعها خارج تخوم الإمبراطورية.

٢- امتناع النصارى الأوائل عن أداء بعض الطقوس والشعائر الوثنية الرومانية كعبادة الإمبراطور وتأليهه، وتقديم القرابين لتمثاله وحرق البخور أمامه في المناسبات العامة التي هي عندهم علامة على الولاء والمواطنة الصادقة[(١)].

يقول سمير نوف: "إن المسيحيين لم يعترفوا بالإمبراطور إلهاً ولم يسجدوا لصورته ولم يقدموا ضحايا لتكريمه، رأت الحكومة فيهم خصوماً للسلطة القائمة حتى ظنت أنهم يؤلفون جمعية سرية وتحت ستار المساعي الدينية يقصدون دك النظام الموجود. أمثال هذه الظنون أضرمت نار الغضب والحقد في السلطة ضد المسيحيين وكانت سبباً جديداً لاضطهادهم"[(٢)].

لقد كانت هذه المبادئ الوثنية سبباً قوياً في الاضطهاد خلال قوات الإمبراطورية الرومانية فهناك شهادة من بلينوس الصغير[(٣)] الحاكم الروماني لبيثينة[(٤)]، عندما كتب

(١) انظر: الدولة والكنيسة ٢/ ٣٢، اليهودية والمسيحية للأعظمي، المسيحية والحضارة العربية، الأب جورج قنواتي ص١٥، قصة الحضارة ١١/ ٣٧٠، المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، الأب انطوان الفرغاني، ص١٧، المسيحية الرابعة، رؤوف متولي ص١٠٣.

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص٤٤-٤٥.

(٣) بليونس الصغير: (٦٢-١١٣م): قنصل ومؤلف روماني، حاكم ولاية بثينية. تقوم شهرته على " رسائله " التي تقع في عشرة مجلدات، والتي تصور الحياة العامة والخاصة في الإمبراطورية الرومانية في عهده، وهو عهد بلغت فيه تلك الإمبراطورية أوج ازدهارها. وتتميز هذه الرسائل إلى جانب ذلك بقيمة أدبية كبرى. (انظر: موسوعة المورد العربية ١/ ٢٤٤، قاموس الكتاب المقدس ص١٦٢).

(٤) بثينية: مقاطعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، وهي من المقاطعات التي بعث كاتب رسالة بطرس الأولى بالرسالة إليها.(انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٦٢).

خطاباً للإمبراطور تراجان موس[1] في سنة ١١١م، ويقول في هذا التقرير: "إن هذا المذهب انتشر في كل مدينة وفي كل قرية، فقد هجرت هياكل آلهتنا مع مذابحها، ولهذا فقد ألقيت الشماسات في السجون لتعذيبهن"[2].

لقد آلم الأباطرة كثيراً أن يجدوا النصارى لا يشتركون في تقديس ذواتهم، وكانت المسألة بالنسبة للمسيحيين غاية في الأهمية؛ لأنها تتصل بجوهر العقيدة المسيحية ذاتها، وكانوا يشعرون أنهم بعبادتهم آلهة الدولة واعترافهم بألوهية الحاكم سوف يخرجون عن هذه العقيدة التوحيدية إلى صفوف الوثنيين، وكانت الكنيسة ترى في عبادة الإمبراطور ضرباً من الشرك وعبادة الأصنام، وبذلك أمرت أتباعها أن يرفضوا هذه الشعائر مهما تعرضوا له من الأذى بسبب هذا الرفض[3].

وهنا يمكن القول إنم١٣٣ كان الاضطهاد لشعور الحكومة بأن الدين الجديد أصبح يشكل خطراً كبيراً برفضه للخضوع للأسس التي قام عليها المجتمع الروماني، وهذا سيفضي في نهاية الأمر إلى تقويض وتفكيك الوحدة الإمبراطورية.

٣- رفض النصارى الأوائل مشاركة الحكومة الرومانية في أي مظهر من مظاهر التأييد كتولي المناصب العامة أو تأدية الخدمة العسكرية الإلزامية أو حتى مشاركتهم العامة مثل الأعياد والمناسبات الوطنية[4].

يقول جنيبير: "مسيحيو العهد الأول آمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة، فقل بطبيعة الحال اهتمامهم بواجبات وهموم الحياة

(١) تراجان موس (٥٣م - ١١٧م): وهو ماركوس أليبيوس نيرفاترانيوس أغسطس ثاني الأباطرة الأنطونيين الرومان، والإمبراطور الثالث عشر، بلغ بالإمبراطورية الرومانية أوج اتساعها. (انظر: الموسوعة الحرة)

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، د. القس حنا الخضري ٢/ ١٥٤.

(٣) انظر: الدولة والكنيسة ٢/ ٣٥.

(٤) انظر: قصة الحضارة، ١١/ ٣٧٢،

الدنيوية، وأصبح حب مملكة القدس السماوية في قلوبهم يضر بمصالح الوطن الروماني بصورة واضحة، كانت الخدمة العسكرية مثلاً بغيضة إليهم لأنها تنطوي على فروض وثنية، ثم لأنهم كرهوا الحرب وما يعاني الناس منها، وبدت لهم مشاركتهم في الخدمة المدنية وكأنها شيء لا جدوى فيه، ثم أصبحوا يرفضون في عناد - على الأخص- الإسهام في كل مظاهر التأييد التي كانت تطلبها حكومة الإمبراطورية احتجاجاً على طابعها الديني الوثني العام... ولم تكن الدولة الوثنية لتستطيع التسامح إزاء موقف هؤلاء القوم الذين أزداد عددهم يوماً بعد يوم"[١].

ونستشف من كلام "جينيير" أن "لكل من الطرفين في النزاع بين الكنيسة والدولة قسطه من المسئولية"[٢] فتحمل النصارى شيئاً من المسئولية في بعض فترات الاضطهاد، فعندما امتنع النصارى من أداء الخدمة العسكرية وضعهم ذلك في شك دائم في ولائهم للإمبراطور وبخاصة في ظل حركات الانقلاب المستمر وكذلك الغزو الجرماني للولايات الغربية وقد دفع هذا التصرف الفيلسوف اليوناني "كيلسوس" إلى أن يقول في وصفه لعدم مشاركة النصارى في الخدمة الوطنية: "بأنهم طفيليون؛ لأنهم يرفضون أن يقدموا الحكام الذين يقومون بشئون الإمبراطورية ويدافعون عن سلامتها، ليس فقط التكريم الذي يستحقونه بل الخدمة الواجبة أيضاً، ولو كان الناس سلكوا سلوك المسيحيين لانهارت الإمبراطورية أمام الذين لا يحكمهم القانون[٣].

إذاً ابتعاد النصارى عن جميع المسرَّات الوثنية والمشاهد، وحصر الحياة في محيطهم الخاص كان كفيلاً بإطلاق اتهام إساءة الظن بهم.

٤- اجتماعات النصارى السرية التي يمارسون فيها عبادتهم، حيث توجست

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢١٠.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: المصريون والمسيحية، التاريخ وثقافة الصراع. أ.د. محمد عبدالفتاح سليمان، ص١٨٧/ ١٨٨.

السلطات الرومانية وخشيت أن تتحول حركتهم الدينية إلى حركة ثورية تقوض النظام القائم في الإمبراطورية[1].

يقول إدوارد جيبون[2]: "إن السياسة الرومانية كانت تنظر بأشد القلق والريبة إلى أية رابطة تقوى وسط رعاياها، وكانت الامتيازات تمنح للهيئات الخاصة في أضيق الحدود، وفي تقتير شديد رغم أن الهيئات كانت ذات أهداف خيِّرة بعيدة عن الأذى والضرر، ولكن الجمعيات المسيحية التي انفصلت عن العبادة العامة الشائعة بدت ذات طبيعة أقل براءة. فقد كانت غير مشروعة من حيث المبدأ، وربما باتت خطيرة من حيث العواقب، ولم ير الأباطرة أنهم انتهكوا حرمة قوانين العدالة حين حرّموا - حرصاً على سلامة المجتمع - هذه الاجتماعات السرية والليلية"[3].

وقد زاد مخاوف الرومان ما كانت تشيعه اليهود من تهم جاهزة ضد النصارى فكانوا يقولون بشأنهم: إنهم في اجتماعاتهم السرية يستسلمون للفجور ويقتلون الأطفال ويتغذون بلحمهم ودمهم. ومثل هذه التفاسير كانت سبباً لتكوين آراء عن النصارى لدى الجماعة الوثنية تجعلهم في أوطئ درجات الحياة الفاجرة وأعداء البشرية، وجماعة كهؤلاء كانوا في نظر الوثنيين خطرين جداً على الحياة العامة[4].

٥- بدت التعاليم النصرانية كأنها ثورة اجتماعية واقتصادية ضد الاستغلال والتفاوت الطبقي السائد في الإمبراطورية الرومانية آنذاك، وقد لحق كهنة الأوثان والأغنياء وباعة لوازم الوثنية، ضرر جسيم من انتشار النصرانية وتعاليمها إذ حرموا

(١) انظر: الدولة والكنيسة، ٢/ ٣٦، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د مفيد الزيدي ١/ ٣٧.

(٢) إدوارد جيبون (١٧٣٧م - ١٧٩٤م) مؤرخ وأديب انجليزي بروتستانتي من كتبه: بحث في دارسة الأدب، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها. (انظر: مقدمة كتابه: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، أحمد نجيب هاشم، ص١١ وما بعدها).

(٣) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جيبون، ترجمة: محمد علي أبو درة ١/ ٤١٥.

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف، ص٤٣ بتصرف.

أسباب المعيشة فكانوا يهيجون الشعب على النصارى ويثيرون الرأي العام عليهم[1].

إن بقاء بعض ما جاء به عيسى عليه السلام من قيم أخلاقية تسمو بروح الشخص عن الحياة المادية مثل ما تنادي به من الزهد والتقلل من الدنيا، والعدل والحلم والتواضع والطهارة، وتحرر العبيد وحب القريب والصفح، كل هذا بالإضافة إلى ما لحق النفعيين من أضرار مادية جعلتهم يصطفون في خندق واحد لمحاربة هذا الدين الجديد الذي سيحطم كل مصالحهم ومكاسبهم.

إذاً بالفعل كان إنكار النصرانية الرق والقسوة في معاملة الأرقاء على حين أن الوثنية تعدهما أمراً طبيعياً، وأيضاً حثت النصرانية على التواضع وإنكار الذات والأخوة أما الطبقات الرومانية الحاكمة فكانت قائمة على تمييز الناس بعضهم من بعض وتعد السعي إلى القوة والجاه والثروة أمراً مشروعاً، فلا عجب أن أوجست خيفة من انتشار هذا الدين الجديد بين الفقراء والأرقاء[2].

(١) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، ص١٧، مختصر تاريخ الكنيسة أندرو ميلر، ص١٠٥، المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع، الأرشمندريت أغناطيوس ديك ١/ ٢٣٢، تاريخ انتشار الديانة المسيحية، المتنيّح القس منسي يوحنا، ص٢١، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، فان موسهيم، ص٢٢).

(٢) انظر: تاريخ أوروبا في العصور القديمة والوسطى والحديثة، عصام يوسف، ص٧٢.

المطلب الثاني
وقائع الاضطهاد الروماني

نجد أن النصارى في هذا العصر منئوا بنوعين من الاضطهاد فكان الأول: مصدره الدولة الحاكمة في تلك الفترة، والآخر من الشعب الروماني والذي يتمثل في الفلاسفة والمفكرين الوثنيين الذين هاجموا الديانة النصرانية وتعاليمها المبتدعة. وسوف نبين هذين الجانبين فيما يلي:

أولاً : اضطهاد السلطات الرومانية :

اعتاد مؤرخو التاريخ الكنسي النصراني ذكر عشرة اضطهادات حلت بالنصرانية[١]، بل منهم من أفرد هذه الاضطهادات برسائل خاصة[٢]، والذي دفعهم إلى هذا الاتفاق الموافقة لما ورد في رؤيا يوحنا من قوله: "وأما القرون العشرة التي رأيت هي عشرة ملوك لم يتولوا الملك بعد سيتولون سلطة الملك مع الوحش لمدة ساعة واحدة ثم يحاربون الحمل ولكن الحمل يهزمهم"[٣].

---

(١) قد ذكر ذلك جون لويمير في كتابه تاريخ الكنيسة ٢/ ١١٧، وأندروملر،في مختصر تاريخ الكنيسة، ص١٣٣، والأنبا ديوسقورس صاحب كتاب موجز تاريخ المسيحية، ص١٤١، والأب أنطون الفرغاني في المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، ص١٧-٢٠، وأسد رستم في كتاب الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ص٣٣، ومؤلف كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، ص١/ ٤١٩، وموسوعة تاريخ الأقباط لزكي شنودة١/ ١٠١- ١١٠، وكذلك الأنبا يؤانس في كتابه الاستشهاد في المسيحية، ص٧٦.

(٢) مثل البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم الذي ألف رسالة تشتمل على تاريخ العشرة الاضطهادات الأولى، واضطهاد يوليانوس واضطهاد المسيحية في بلاد الفرس.

(٣) رؤيا يوحنا ١٧/ ١٢-١٤.

وقد سلم بعض الباحثين بهذا التقسيم[1] وجعل الاضطهادات تمتد إلى عشر فترات، لكن الأمر لا يصل إلى هذه الدرجة من الدقة فقد جاءت فترات كانت الأمور فيها هادئة ولم يصب النصارى شيء من الاضطهاد، ومن أبرز الفترات التي حصل فيها اضطهاد على النصارى من قبل الرومان ما يلي:

- **الاضطهاد في القرن الأول:**

أول هذه الاضطهادات كان في عهد نيرون[2]، في القرن الأول للميلاد(٥٤-٦٨م) عندما شب حريق هائل في روما عام ٦٤م استمر سبعة أيام وسبع ليال، قضى على معظم الأحياء الفقيرة، ونسب الشعب الروماني هذا الحريق إلى نيرون نفسه، فارتاع نيرون من ذلك وخاف على نفسه من ثورة الشعب، فما كان منه إلا أن ألقى المسؤولية على النصارى[3].

عندها أمر "نيرون" بإنزال العقوبات التي يستوجبها حارقوا المدن[4]، وقد اقتصر هذا الاضطهاد على روما فقد كان محلياً ولم يكن تشريعاً عاماً لكل من ينتسب

---

(١) مثل الدكتور أحمد عجيبة في كتابه تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٦٤، والدكتور داوود الفاضلي في كتابه أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص١٢٤.

(٢) هو نيرون ابن كلاديوس الأول بالتبني، ولد عام ٢٩م، تولي حكم الإمبراطورية وهو في السابعة عشرة من عمره وكان يوصف بالعنف حتى يقال إنه أمر بقتل أمه وزوجته يقول عنه ديوارنت: وكان يزدري جميع أنواع العبادات، هلك عام ٦٨م. (انظر: الدائرة البريطانية ١٢/ ٩٦٥-٩٦٦)، الموسوعة الميسرة، ص١٨٦٦، قصة الحضارة٢/ ١٢٨.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، موسهيم، ص٢٣، تاريخ الكنيسة المسيحية،سيمر نوف، ص٤٤، المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع، ص١/ ٣٢، مختصر تاريخ الكنيسة أندرو ملر، ص٩٨، المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعية، ص١٨، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فيليب حتى ١/ ٣٦٦-٣٦٧، الكنيسة في التاريخ١/ ١٥٨-١٥٩، الدولة والكنيسة ٢/ ٣٨، موسوعة تاريخ الأقباط زكي شنودة ١/ ١٠٠.

(٤) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنسية، ص٥٨، الكنيسة في التاريخ ١/ ١٦٠.

إلى النصرانية[1] حيث قال جيبون: "أثر اضطهاد نيرون- مثله في ذلك مثل سببه – لم يتعد جدران رومة"[2].

ويقول الأب جان كمبي: "لم يشهد القرنان الأولان اضطهاداً شاملاً ولم يعرف تشريعاً دقيقاً خاصاً بالمسيحيين، فبقيت الاضطهادات محصورة في الزمان والمكان... ويظهر أن هذا الاضطهاد لم يتعدَّ مدينة رومة"[3][4].

يقول تاسيتوس[5] "ولم يصدر الحكم عليهم بناء على أدلة واضحة تثبت أنهم هم الذين أشعلوا النار في المدينة، بل أدينوا لأنهم يكرهون الجنس البشري كله"[6].

ووفق ما تناقله كتاب النصارى عن وثيقة تاسيتوس في تصوير الاضطهاد الذي ألحقه نيرون بهم من وضعهم وهم أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تهشمهم، ويطلى بعضهم الآخر بالقار، ويعلقهم على مشانق ثم يضرم فيهم النار ليجعل منهم مشاعل يستضيء بها وهو يمر بالليل، وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم"[7].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص٤٥، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،١/ ٣٦٦، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها،١/ ٤٢٩.

(٢) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ١/ ٤٢٦.

(٣) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٥٨.

(٤) وقد خالف بعض مؤرخي التاريخ في النصرانية ذلك ورأوا أن اضطهاد نيرون كان بتشريع رسمي وكان عاماً لكل أرجاء الإمبراطورية. (انظر: الروم،د.أسد رستم ١،/ ٣٣، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، موسهيم، ص٢٦، مختصر تاريخ الكنيسة،ميلر، ص٩٨).

(٥) تاسيتُس أوتاسيتوس: مؤرخ روماني مشهور عاش ما بين عامي (٥٥/ ١٢٠)قبل الميلاد (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا).

(٦) قصة الحضارة ١٠/ ١٣٧.

(٧) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٠١/ ١٠٢، تاريخ الكنيسة المسيحية، ص٤٥، موجز تاريخ المسيحية الأنبا ديوستورس، ص١٤٢، قصة الحضارة ٢/ ١٣٧، الاستشهاد في المسيحية، ص٨١.

وقد عرف هذا الاضطهاد في تاريخ النصرانية بالاضطهاد الأول، وقيل أنه مات فيه بطرس وبولس[١]، ثم جاء عصر الإمبراطور "دوميتيان"[٢](٨١-٩٦م) والذي أشيع في عصره أن المسيح مزمع أن يملك على كل العالم، فخاف أن يتم ذلك في عهده، فأمعن في اضطهاد النصارى وقتل الكثير منهم، وكان ممن نكل به - كما يقول النصارى - يوحنا الإنجيلي إذ عذبه عذاباً أليماً، فقد ألقاه في إناء من الزيت المغلي عدة ساعات. ولما لم يصبه أذى نفاه إلى جزيرة بطمس[٣]، وقد قال موسهيم- عن هذا الحد - " يلوح لكثيرين بأنه غير صحيح"[٤].

وقد وصفه يوسابيوس القيصري[٥] أنه خليفة لنيرون في بغضه وعداوته، وكان ثاني من حرك الاضطهاد ضد النصارى[٦]، لكن هناك من يشكك في وقوع هذا الاضطهاد بتلك الصورة التي يرويها المؤرخون الكنسيون لعدم توافر الأدلة على ذلك[٧].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص٤٥، الكنيسة في التاريخ ١/ ١٦٠، مختصر تاريخ الكنيسة، ص٩٧، الروم ١/ ٣٣-٣٤.

(٢) دوميتيان (٥١-٩٦ م): إمبراطور روماني رقى العرش خلفاً لأخيه الإمبراطور تِيطَس. أحرز بعض الانتصارات العسكرية في بريطانيا وألمانيا. حكم الإمبراطورية ابتداء من عام ٩٨ حكماً استبدادياً اتّسم بالقسوة. (انظر: موسوعة المورد العربية، ٢/ ٥٠٨)

(٣) انظر: موجز تاريخ المسيحية، ص١٤٢، تاريخ الأقباط ١/ ١٠٢، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/ ٣٦٧، الروم، ص٣٤، تاريخ الكنيسة المسيحية، ص٤٦، مختصر تاريخ الكنيسة، ص١٠٠.

(٤) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، ص٢٤.

(٥) يوسابيوس القيصري، أسقف قيصرية، أبو التاريخ الكنسي فهو أول من كتب عنها، يعتبر أعلم جميع الآباء الكنسي باستثناء كل من أوريجانوس وجيروم. ولد حوالي سنة ٢٦٥م في فلسطين وتوفي سنة ٣٤٠م، وله من الكتب، تاريخ الكنيسة، حياة قسطنطين، التهيئة الإنجيلية، والبرهان الأنجيلي.(انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، وصفة الأب جوزيف جبارة، ص١٢٢-١٢٤).

(٦) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص١١٧.

(٧) انظر: الدولة والكنسية، ص٣٩.

- الاضطهاد في القرن الثاني الميلادي

بعد هدوء استمر عشر سنوات جاء الإمبراطور تراجان[1] (٩٨-١١٧م) ومع بداية القرن الثاني الميلادي عام ١٠٦م أصدر تراجان مرسوماً ينص على متابعة النصارى ومنع جميع الاجتماعات التي كانوا يعقدونها في الخفاء ليقيموا صلواتهم، واعتبر اعتناق النصرانية جريمة عقابها الإعدام، فأخذ ولاة الأقاليم في قمع النصارى وإنزال شتى أنواع العذاب بهم.[2]

وما لبث أن خف هذا الاضطهاد من وطأته عندما أصدر "تارجان" قانوناً إيجابياً بشأنهم عندما أرسل له "بليني الأصغر" حاكم "بيثينية" يستشيره عن الطريقة الواجب اتباعها تجاه النصارى الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم، ولا ذنب عليهم سوى أنهم مسيحيون فأجاب الإمبراطور" يجب ألا تجد في البحث عن هؤلاء الناس ولكن إذا ما بلغت أمرهم وتثبت من جرمهم فعاقبهم، فإذا أنكر الواحد منهم أنه مسيحي وأيد ذلك... بالابتهال إلى آلهتنا فاعف عنه... فإذا بلغت عن أحدهم ولم يذكر في البلاغ اسم المتهِم فلا تتخذه بينة على أحد"[3].

وعبارة تراجان "يجب أن لا تجد في البحث عن هؤلاء الناس" توحي بأن تراجان لم ينفذ القانون القائم من قبل أيامه إلا مكرهاً حسب ما قاله

---

(١) تراجان: ولد في سنة ٥٢م، واختير قنصلاً عام٩١م، وقد تبناه الإمبراطور نيرفا في أواخر عام ٩٧م، وقد استلم الحكم عام ٩٨م، وتوفي سنة ١١٧ في الرابعة والستين من عمره، انظر: تاريخ أوروبا العصور القديمة شر، ص١٧٥، قصة الحضارة، ٢/ ٤٠٢.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص١٣٧، تاريخ الكنيسة المسيحية، ص٤٧، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص٤٩، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص١٦٦، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، موسهيم، ص٥٤، تاريخ انتشار الديانة المسيحية، ص١٢٢، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٥٩.

(٣) قصة الحضارة ١١/ ٣٧٣-٣٧٤.

"ول ديورانت"[1][2].

يقول يوسابيوس "ونتيجة لهذا خف إلى حد ما ذلك الاضطهاد الذي كان ينتظر أن يصبح أعنف اضطهاد"[3].

وفي منتصف القرن الثاني الميلادي تولى السلطة الإمبراطور ماركوس أوريليوس[4](١٦١-١٨٠م) وفي عهده تجدد الاضطهاد، وذلك أنه لما حلت بالبلاد الكوارث من فيضان، ووباء، وحرب شيع أن سبب هذه الكوارث هو إهمال آلهة الرومان أو إنكارها، فأصدر الإمبراطور عام ١٧٧م مرسوماً يقضي بعقاب الشيع الدينية التي تنشر الاضطراب بتلقينها عقائد جديدة، فثارت الجماهير الوثنية في تلك السنة نفسها ثورة عنيفة على النصارى في فيينا وليون[5] ورجموهم بالحجارة كلما تجرءوا على الخروج من بيوتهم[6].

---

(١) وليم جيمس ديورانت (١٨٨٥- ١٩٨١م)، أمريكي، أتم تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة الأبرشية، وهي مدرسة تديرها وتمولها منظمة إكيليريكية، نال البكالوريس في الآداب عام ١٩٠٧م، ثم الماجستير في العام التالي، وفي عام ١٩١٧م نال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا، ويعد كتابه "قصة الحضارة" ذو ثلاثين مجلدا، واحد من أشهر الكتب النى تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥ ومن كتبه كذلك قصة الفلسفة. (انظر: قضايا المسيحية في قصة الحضارة لـ "ول ديورانت" دراسة تقويمية، د. أسامة بهلول، ص٢٥وما بعدها).

(٢) قصة الحضارة، ١١/ ٣٧٤.

(٣) تاريخ الكنسية، ص١٣٧.

(٤) عاش أوريليوس ما بين عامي ١٢١ و١٨٠م تبناه عمه أنطونينوس بيوس، وتوج إمبراطورا في عام ١٦١م وبعد أوريلبوس من الأباطرة الذين تأثروا بالفلسفة الرواقية (انظر: حكمة الغرب برتراندرس ١/ ٢١٦، الكنيسة في التاريخ١/ ١٦٤).

(٥) ليون: مدينة في جنوب شرق فرنسا على ملتقى الرون والسون.(انظر: المنجد في الأعلام، ص٥١٣).

(٦) انظر: قصة الحضارة ١١/ ٣٧٥، موجز تاريخ الكنسية، ص١٤٦، الدولة والكنيسة ٢/ ٤٠.

وقد حصل لأهل سميرنا[1] في آسيا الصغرى اضطهاد كبير في عهد هذا الإمبراطور، فقد جلدوا بسياط في أطرافها قطع من الرصاص المدبب لكي يمزق جلودهم، وقطع لحمهم بآلات حديدية حادة حتى ظهرت العظام وألقي ببعضهم إلى الوحوش الكاسرة، وربطوا في أعمدة وأحرقوا[2]، وحدث للنصارى في ليون قريب من ذلك فقد جيء بهم في موسم أحد الأعياد الوثنية ووجهت إليهم الأسئلة فأما من أنكروا فقد أخرجوا من المدرج، وأصر سبعة وأربعون على الاستمساك بدينهم فقتلوا بعد أن ذاقوا ألواناً من العذاب والتنكيل[3].

- **الاضطهاد في القرن الثالث الميلادي:**

في بداية هذا القرن أصدر الإمبراطور (سيبتيموس سيفيروس)[4] عام٢٠٣م أمراً يقضي بمنع الرعية من الدخول في اليهودية والنصرانية، مبرراً ذلك بأنهم قوم مثيرون للشغب والمتاعب والتمرد، وأنهم غير آهلين للثقة[5]، وقد أصاب هذا القرار نقطة حساسة عند الكنيسة إذ أنها تستمد قوتها من الأعداد المتزايدة من الداخلين فيها[6].

---

(١) مدينة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وهي أزمير حالياً وهي تقع على بعد خمسين ميلاً شمال أفسس.(انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٤٨٦).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ١/ ١٢٩.

(٣) انظر: قصة الحضارة ١١/ ٣٧٥.

(٤) ولد الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس عام ١٤٦م وتولى رئاسة الإمبراطورية عام ١٩٣م وتوفي عام ٢١١م وكان جنرالاً في جيش روما ولكن الجنود الذين كانوا تحت إمرته انتخبوه حاكماً للبلاد، فهزم كل من وقف في وجهه(انظر: تاريخ الإمبراطورية الرومانية، د. سمير أحمد الناصري، ص٢٤٩، تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٢/ ٢٩)

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة لويمر ٢/ ٢٩، تاريخ الكنيسة الشرقية، المطران ميشيل يتيم، الاسر سمنديث اغناطيوس ديك، ص٢٨، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٦٢.

(٦) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٠٣.

بـل إن الأمـر تجـاوز منـع الـدعوة إلى أن عـد التعميـد[1] نفـسه جريمـة تـستحق العقاب[2]، ولكن هذا الأمر مثل المراسيم التي عقبته كـان في الواقـع عـديم الجـدوى، حيث لم يستمر الاضطهاد إلا سنة واحدة[3] وبعدها نعمت النـصرانية في سـلام نـسبي طوال النصف الأول من القـرن الثالـث إلا أن اضـطهاداً أصـاب فئـات مـن النـصارى منهم "اكليمندس"[4] فقد توقف عن التعليم، وغادر مـصر إلى آسـيا الـصغرى، وكـان من تلامذته "أوريجانوس"[5]، وقد اعتقل أبوه فيمن اعتقـل في غمـرة هـذا الاضـطهاد وكـان "أوريجـانوس" خـارج البيـت، وعنـدما علـم بـذلك أراد أن يلحـق بأبيـه ولكـن أمه حالت دون ذلك، فأرسل إلى أبيه رسالة يشجعه فيها على احتمال الخطوب ويطلب منـه أن لا يـشتغل بهـم، ويحـذره مـن العـدول عـن رأيـه مـن أجـل أسرتـه فأعـدم أبـوه

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ١١/ ٣٧٦.

(٢) المعمودية: طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة مـا. قـاموس الكتـاب المقـدس ٦٣٧، أما عند النصارى فهو: فريضة يـشار فيهـا بالغـسل بالمـاء باسـم الآب، والابـن، وروح القـدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح، بعد اعترافهم جهاراً أمـام الكنيـسة بإيمانهم وطـاعتهم للآب، والابن، والروح القدس، كإلههم ومعبودهم الوحيد، وهي خـتم عهـد النعمـة كـما كـان الختـان في الشريعة الموسوية. (انظر: التعميد عند النصارى، عرض ونقد، د سليمان السحيمي ص٩-١٠).

(٣) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٠٣، تاريخ الكنيسة، جون لويمر ٢/ ٣٠.

(٤) اكلمينـدس: هـو تيتـوس فلافيـوس كليمـنس، ولـد في أثينـا، مـن أبـوين وثنيـين عـام ١٥٠م، التحـق في الإسكندرية بالمدرسة اللاهوتية التي كانت تدعى مدرسة التعليم المسيحي، وآلت إليه رئاسة المدرسة بعد بـانتيوس، حتـى ارتحـل عنهـا إلى فلـسطين مـع بدايـة الاضـطهاد القـوي الـذي كـان في عهـد الإمبراطـور سيفيروس عـام ٢٠٢م، مـات عـام ٢١٧م.(انظر: تـاريخ الفكـر المسيحي، د. حنـا الخـضري ١/ ٥٠٠-٥٠١، الفكر الديني في مواجهة الاضطهاد عند كلمنت السكندري، ص٥٨).

(٥) أوريجانوس(١٨٥-٢٥٤م): فيلسوف مسيحي ولد بمصر وعلم بالإسكندرية، نشر الإنجيل بست صور مختلفـة، عبريـة ويونانيـة لمقابلـة بعضها ببعض، مـن أشـهر كتبـه المبـادئ الأولى "باللاتينيـة "، ومعارضـة سلسوس، حـاول أن يؤيـد العقيـدة المسيحية ببيـان اتفاقهـا مـع الفلـسفة اليونانيـة، فكـان بـذلك واضـع الأساس لفلسفة العصور الوسطى.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ١/ ٢٦١).

وصودرت أملاكه[1].

وقد امتاز عصر الإمبراطور سيفيروس بأن طال الاضطهاد الجنس النسائي[2] ثم نعمت النصرانية بسلام نسبي طوال النصف الأول من القرن الميلادي الثالث وذلك في عهد كراكلا(٢١١-٢١٧م)[3] الذي كانت مربيته نصرانية وكذلك في عهد الإسكندر سفيرس (٢٢٢-٢٣٥)م والذي أحسن إلى النصارى بل وأحب ديانتهم؛ لأن أمه كانت تستحسن كثيراً ديانة النصارى[4].

في النصف الثاني من القرن الثالث طرأ تغير على موقف الإمبراطورية؛ إذ أن تدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية في العالم الروماني سبب موجات من أعمال العنف ضد النصارى، وأصبحت الكنيسة بمثابة كبش الفداء في الإمبراطورية المثقلة بالمشكلات[5].

بدأ الإمبراطور "ديسيوس"[6] (٢٤٩-٢٥١) حكمه باضطهاد عام شن على النصارى، وذلك ضمن محاولة تدارك الأخطار المهددة للإمبراطورية ظناً من الحكام

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية، القس ميسي يوحنا، ص٣٠، قصة الاضطهاد الديني، ص٥٢.

(٢) انظر: موجز تاريخ المسيحية، ص١٥٠، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٥١، قصة الحضارة ١١/ ٣٧٦.

(٣) كراكلا (١٨٨- ٢١٧م) حكم من (٢١١-٢١٧م): إمبراطور روماني، حكم بادئ الأمر بالاشتراك مع أخيه جيتا ثم تآمر على أخيه فاغتيل واستبد هو بالأمر كله، قاد حملات عسكرية ضد القبائل الجرمانية والبارثيين. (انظر: موسوعة المورد العربية، ٣/ ٩٦٠)

(٤) موجز تاريخ المسيحية، ص١٥٠، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، موسهيم، ص٨٦.

(٥) انظر: التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية نورمان كانتور ترجمة دسفلين د. قاسم عبده قاسم، ص٦١.

(٦) هو ديسيوس أو أورليوس، عين إمبراطوراً عام ٢٤٩م، وكان خلفاً للإمبراطور فيلبس، وعصره يتميز بعدم الاستقرار في الإمبراطورية. توفي سنة ٢٥١م.(انظر: تاريخ الكنيسة ٢/ ٣٧٧، قصة الحضارة ١١/ ٣٧٧).

الرومان بأن العودة إلى التقاليد الدينية القديمة هي الكفيلة بإحياء مجد روما ومناعتها، فأصدر الأوامر لجميع المواطنين بتقديم القرابين إلى آلهة الإمبراطورية وذلك أمام قضاة تعينهم الإمبراطورية، وخلال فترة زمنية محددة، وكان يعطي إفادة لمن يقوم بذلك[1].

وفي سبيل تنفيذ هذا الأمر، استخدم حكام الأقاليم كل ألوان العسف والاضطهاد والقسوة لحمل النصارى على الارتداد عن دينهم، وكان نتيجة ذلك أن ضعف كثير من النصارى، فالبعض لاذ بالفرار، والبعض أنكر معتقده النصراني وقدَّم الذبائح ونال الإفادة بذلك، والبعض حصل على الإفادة بالحيلة أو بالواسطة لكي يتحاشى العذاب والملاحقة، والبعض استعفى من النصرانية بعدما مورست عليه ألوان التعذيب والاضطهاد، وهناك من قتل ولم يعط الرومان ما يطلبون، منهم أسقفا أورشليم وأنطاكية إذ ماتا في السجن، وأعدم أسقفا رومه وطولوز، وألقي مئات من النصارى الرومان في غيابة الجب، وقطعت رؤوس بعضهم، وألقي عدد قليل منهم إلى الوحوش في حفلات الأعياد[2].

يقول أحد الباحثين: "وجدير بالذكر أنه يوجد لدينا عدد من الشهادات التي كانت تمنح للأفراد بعد تقديم الصلوات والأضاحي للإمبراطور المقدس وعرف باسم الشهادات، وقد عثرت جامعة ميتشيجان الأمريكية على العديد منها في مدينة الفيوم القديمة، ونفهم من نصوصها أن الإمبراطور عين في كل مدينة شخصاً مختصاً لاستقبال هذه الأضاحي والصلوات، ثم يوقع بالتصديق على أن الشخص المذكور

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٠٣-١٠٤، الكنيسة في التاريخ ١/ ١٦٧، تاريخ الفكر المسيحي، يوحنا الحضري ١/ ٥٣٧، المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، ص١٩، مختصر تاريخ الكنيسة،ميلر، ص١٣٢.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٣٨٧، الكنيسة والتاريخ ١/ ١٦٧، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٦٣، الاستشهاد في المسيحية، ص٩٠.

أدى في حضرته هذه الشعائر الوثنية"[١][٢].

ومع هذا فما أن وقع الإمبراطور "فاليريانس"[٣] أسيراً عند الفرس سنة ٢٥٩م حتى نعمت النصرانية لمدة أربعين سنة تقريباً بما اصطلح على تسميته بسلم الكنيسة القصير، فدخل الناس في النصرانية أفواجاً، واستطاعت أن تنظم صفوفها في جو هادئ آمن، دون أن تلجأ إلى التستر والتخفي، فتمكنت المجامع الإكليريكية من أن تعقد اجتماعاتها دون أن تخشى تدخلاً من السلطات، ومع هذا يستند النصارى إلى وقوع بعض الاضطهادات العنيفة ويخترعون أقاصيص يصورون فيها الاستشهاد الرائع في سبيل الله[٤].

- **الاضطهاد في القرن الرابع الميلادي:**

استمر الوضع الآمن للنصارى من نهاية عهد الإمبراطور فاليرويانوس إلى ما يقارب عشرين عاماً من حكم دقلديانوس[5] (٢٨٤-٣٠٥م) حتى شعر النصارى أنفسهم بأن عهد الاضطهاد قد ولى، لكنه السكون الذي كان يسبق العاصفة فكان اضطهاد دقلديانوس أشد ما قاسته الكنيسة النصرانية، ولذا أطلق عليه الاضطهاد

---

(١) تاريخ الإمبراطورية الرومانية، د. سيد أحمد الناصري، ص٢٤٩.

(٢) وللوقوف على نموذج لتلك الشهادات، ينظر: مواقف من تاريخ الكنيسة، رولاند بينتون، ص٢٨، الاستشهاد في المسيحية، لنيافة الأنبا يوأنس، ص٩٠.

(٣) فاليريانس (١٩٠-٢٦٠م) حكم من (٢٥٣-٢٦٠م): إمبراطور روماني، اضطهد النصارى وأعدم بعض الأساقفة. انصرف لمقاتلة الفرس فأُسر ومات في الأسر عام ٢٦٠م. (انظر: موسوعة المورد العربية، ٣/ ٨٣٠).

(٤) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٠٤، قصة الاضطهاد الديني، ص٥٣.

(٥) ولد في عام ٢٤٥م وهو جندي فلاح الأصل من إقليم إياليريا المطل على البحر الأدرياتي وكان قائداً في الجيش الروماني، واعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م، وفي عام ٣٠٥م اعتزل الحكم ومات عام٣١٦م. (انظر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، فشر، ص٢).

الكبير أو العظيم[1].

بدأ دقلديانوس حكمه بإصلاحات كبيرة، وكان من أول مميزاته إدخال نظام جديد في الإمبراطورية الرومانية فقسم مملكته إلى أربعة أقسام: إمبراطوران في الشرق وهما دقلديانوس وجيلروس[2]، وأمبراطوران في الغرب وهما ماكسيميانوس[3] وقسطنطيوس، فدعى هذا النظام بما يسمى (السلطة الرباعية)، وتم جمع الست والتسعين ولاية إلى اثنتي عشرة إبرشية[4]، وفرضت على المواطنين ضرائب باهضة، أذ أصبح من الضروري تمويل جيش كبير وإقامة أبنية فخمة، وبلغت عبادة الإمبراطور ذروتها، وأصبح الإمبراطور يستعمل الصولجان والتاج، كما أصبحت عبادته ملازمة لاحتفالات البلاط، وهكذا أخذ الإصلاح شكلاً مزدوجاً سياسياً ودينياً[5].

إن اضطهاد دقلديانوس للنصارى لم يكن مبتدئاً مع أول فترات حكمه، بل كان

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص١٠٤، موجز تاريخ المسيحية، ص١٥٤، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، ص١٢٣، تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف، ص٥٧، الكنيسة في التاريخ، ص١٧٠.

(٢) غاليريوس (٢٩٣-٣١١م): إمبراطور روماني، صهر ديوقليتيانس ومعاونه، تابع اضطهاد المسيحيين وفاقه فتكاً وشراسة. (انظر: المنجد، ص٣٩٠)

(٣) مكسيمينوس (١٧٣-٢٨٣م): إمبراطور روماني (٢٣٥-٢٣٨م)، كان بالغ القوة فارع الطول، قضى معظم عمره في قتال الغزاة وإخماد الثورات، وأخيراً قتله جنده. (انظر: موسوعة المورد العربية، ٤/ ١٤٤).

(٤) إبرشية أو إيبارشية وتعني: حكومة مقاطعة أو إقليم أو مدينة عدا العاصمة، وهي مقر الأسقف، الرئيس الديني لتلك المقاطعة أو الإقليم أو المدينة ولكنه ليس أسقف المدينة العاصمة. انظر: معجم المصطلحات الكنسية، ص١٤٠.

(٥) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص٦٢-٦٥ بتصرف، الكينسة قبل الإسلام،سيلفستر شولر، ترجمة فؤاد أبو ريحان، ص١١-١٢.

التسامح هي السمة البارزة، فأدى هذا إلى انتشار النصرانية، وزيادة اتباعها واهتمامهم بتشييد الكنائس الضخمة، فأصبح لها كيان مستقل من خلاله تدار هذه الكنائس، أي أن الكنيسة النصرانية دولة داخل الدولة الرومانية، ومثل هذه الاستقلالية تصطدم مع رغبة دقلديانوس في إقامة نظام شامل لدولته بل اعتقد أن المؤسسات النصرانية القوية التي تفوق الحصر سوف تقلل من فعالية جهوده لتوحيد الإمبراطورية وتقويتها[(١)].

وقد اختلف الباحثون كثيراً في منشأ هذا الاضطهاد فبعضهم يرده إلى غضب الآلهة من كفر النصارى، مما جعلها تتأبى من الكشف عن أنباء الغيب المحجب![(٢)].

وبعضهم يرى أن دقلديانوس لم يكن هو صاحب فكرة اضطهاد النصارى، ولم تكن عنده رغبة حقيقة في إشعال نيران مثل هذا الاضطهاد، ويعزون ذلك إلى قيصره "جاليريوس" الذي كان يغلي غيضاً وحقداً على النصارى[(٣)].

يقول ول ديوارنت: "إن جليريوس كان يرى أن المسيحية هي آخر العقبات القائمة في سبيل السلطة المطلقة، فأخذ يحرض رئيسه على أن يجعل العودة إلى العهود الرومانية السابقة عودة كاملة، وذلك بإرجاع الآلهة الرومانية إلى منزلتها القديمة، وتردد دقلديانوس في الأخذ بهذه المشورة، لأنه كان عازفاً عن ركوب أخطار لا موجب لها، ولأنه كان أكثر من جليريوس تقديراً لثقل هذا العبء"[(٤)].

بينما يرى "بوركهات" أن دقلديانوس اكتشف مؤامرة بين النصارى ترمي إلى قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة، ولكن بوركهات لا يعطينا في نفس الوقت

---

(١) انظر: كنسية مدينة الله أنطاكية العظمى، د. أسدرستم ١/ ٩٩، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ص٦١.

(٢) قصة الاضطهاد الديني، ص٥٧.

(٣) انظر: الدولة والكنيسة ٢/ ٥١، تاريخ الكنيسة، جون لويمر ٢/ ١١٠-١١١.

(٤) قصة الحضارة، ١١/ ٣٧٨.

مبرراً معقولاً قاد النصارى إلى الثورة أو الإقدام على خيانة الإمبراطور، فليس من المعقول أن يقدم النصارى على مثل هذه المؤامرة فكل المعطيات ليست في صالحهم، فعددهم لم يكن قد وصل حتى إلى عُشْر سكان الإمبراطورية، بالإضافة إلى ضعفهم أمام إمبراطورية تمتلك جيشاً قوياً ديانته الوثنية ويدين بالطاعة لحاكمه، فمن الصعب أن يدور بخلد النصارى مثل هذه المؤامرة الانقلابية[1].

فيما يرى بعضهم أن المكاسب التي حققها دقلديانوس في فترة حكمه عظيمة، وقد أدرك قوة الوحدة الوطنية في القضاء على كل الأزمات، فكان حريصاً على المحافظة على هذه الوحدة بأي شكل من الأشكال، ومن ثم لم يكن ليقبل مطلقاً انتقاص سلطانه بأي صورة من الصور، فلما حس بقوة الكنيسة ونفوذها وأن باستطاعتها أن تكون دولة داخل الدولة، وبالتالي تهدد كل الجهود التي بذلها خلال السنوات الماضية من أجل المحافظة على قوة الإمبراطورية وتماسكها وقد تزامن هذا الهاجس عند دقلديانوس مع وجود أفراد من الجيش كان قد اعتنق النصرانية فامتنعوا عن ممارسة الطقوس الوثنية كتقريب الذبائح وإحراق البخور أمام تمثال الإمبراطور وأدرك دقلديانوس أن هذه العقيدة لو قدر لها أن تنشر بين أفراد الجيش فسوف تقوض كل الإصلاحات التي بذلها وقضى سنوات عديدة من أجل تثبيتها[2].

ولعل مما يقوي هذا الرأي ما يذكره المؤرخ الكنسي يوسابيوس من أن الاضطهاد "بدأ بالأخوة الذين في الجيش"[3].

إن دقلديانوس لم يكن يحب اتخاذ العنف وسفك الدماء حتى بعد موافقته على استبعاد النصارى من وظائف القصر أو الجيش، لكن ما زال به جالريوس حتى دفعه

---

(١) انظر: الدولة والكنيسة، ٢/ ٥٤، بتصرف.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٦-٥٧ بتصرف.

(٣) تاريخ الكنسية، ص٣٥٢.

في فبراير سنة ٣٠٣م إلى إصدار قرارات ومراسم ضد النصارى وهي:

الأول: يقضي بهدم دور الكنائس وتسويتها بالأرض، وحرق الكتب المقدسة أو جمعها من الناس وتجريد النصارى من حقوقهم المدنية[١].

وبدأت كتيبة من الجند هذا الاضطهاد بإحراق كنيسة نيقوميديا[٢] وتدميرها عن آخرها، وقاموا كذلك بإحراق مجلدات الكتاب المقدس[٣].

وعندما نشر هذا القانون أقدم على تمزيقه أحد النصارى، فقام الحرس بالقبض عليه، ومن ثم أحرق أو على الأصح شوي في نار هادئة[٤].

وفي هذه الفترة شب حريقان على التوالي في قصر دقلديانس نيقوميديا، واتهم جليريوس النصارى بجريمة الحرق عمداً، واتهموه بنفس التهمة، وقبض على مئات من النصارى، ولكن الجريمة لم تثبت على أحد، ومع ذلك سجنوا وعذبوا ومات بعضهم[٥].

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنسية، أندروملر، ص١٣٧، المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع ١/ ٣٧، دليل إلى قراءة تاريخ الكنسية، ص٦٥، قصة الحضارة ١١/ ٣٧٩، الكنيسة قبل الإسلام، ص١٦، قصة الاضطهاد الديني، ص٥٣، تاريخ الكنيسة المفصل ترجمة الآب أنطوان الغزال، ما الآب صبحي اليسوعي ١/ ٩٦، الفكر الإسلامي، ص١٠٤.

(٢) نيقوميديا: مدينة في مقاطعة كوكايلي التركية وهي عاصمتها، بالقرب من رأس خليج أزميت في بحر مارمارا، حوالي أربعة وخمسين ميلاً شرق جنوب شرقي اسطنبول (الدائرة البريطانية ١٢/ ٨٢٢)، أو أسسها نيقوميدوس الأول ملك بيتينا ٢٧٨م وهي منطقة جبلية شمال غرب آسيا الصغرى (تركيا) تدعى الآن مدينة آزميت التركية (الكنيسة الكاثوليكية والبدع ٢/ ١٢١).

(٣) انظر: قصة الحضارة ١١/ ٣٧٩، الكنيسة قبل الإسلام، ص١٦.

(٤) انظر: الكنيسة قبل الإسلام، ص١٦، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ١/ ٤٦٩.

(٥) انظر: الكنيسة قبل الإسلام، ص١٦، قصة الحضارة ١١/ ٣٧٩، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٨٣.

الثاني: يقضي بالقبض على [الكهان وسائر رجال الدين وسجنهم][1].

الثالث: القبض على كافة رجال الأكليروس بمختلف طبقاتهم وعدم الإفراج عنهم إلا بعد أن يقدموا القرابين لآلهة الدولة[2].

الرابع: ويعد أقسى هذه القرارات حيث توّج هذه التدابير بالحكم بالموت أو التعذيب أو النفي إلى المناجم على الذين يمتنعون عن تقديم القرابين للآلهة، فأصبح الاضطهاد عاماً على الجميع ولم يستثن أحداً من الرجال أو النساء أو الأطفال[3].

لقد كان تطبيق هذه الأوامر يختلف من منطقة إلى منطقة، فتنفيذها لم يكن بنفس الدرجة في الشرق والغرب، ففي بلاد الغال (فرنسا) وبريطانيا، اكتفى الإمبراطور قسطنطيوس كلور بهدم بعض الكنائس وبصورة تمكن من سهولة إعادة بنائها ثانية، وفي إيطاليا وأسبانيا وأفريقيا جاءت الاضطهادات أعنف، ولكن لمدة قصيرة (٣٠٣-٣٠٥م) أما في الشرق في مقاطعة جاليرويس فبلغت الحال فيها حداً كبيراً من العنف حيث كانت أطول مدة وشبه مستمرة[4].

وقد أصاب أهل مصر جزءاً كبيراً من تلك الاضطهادات في عهد دقلديانوس ومن هول ما أصابهم جعلوا مبدأ تقويمهم القبطي من سنة ٢٨٤م وهو التاريخ الذي تولى فيه الإمبراطور السلطة وقد سموا عصره بعصر الشهداء[5].

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٥٧، الفكر الإسلامي، ص١٠٥، الروم، د. أسد رستم، ص٣٦، مختصر تاريخ الكنيسة، ١٣٩.

(٢) انظر: الدولة والكنيسة، ٢/ ٥٨، الفكر الإسلامي، ص١٠٥، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٨٧.

(٣) انظر: الفكر الإسلامي، ص١٠٥، تاريخ الكنيسة جون لوريمر ٢/ ١١٢، الدولة والكنيسة ٢/ ٥٨، الكنيسة قبل الإسلام، ص١٧، مختصر تاريخ الكنيسة، ص١٧٩.

(٤) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنسية، ٦٥، الدولة والكنيسة ٢/ ٥٨، الكنيسة في التاريخ ١/ ١٧١، تاريخ الكنيسة المفصل ١/ ٩٦، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ١/ ٤٧٤.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ٢/ ١١٤، تاريخ الأمة القبطية، ص٢٥، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث المعاصر ١/ ١٧.

يقول الشيخ "محمد أبو زهرة" مبيناً أسباب هذا الاضطهاد: "أن المصريين رأوا أمماً تحللت من حكم الرومان وفكوا أغلاله، فاقتدوا بهم، ونزعوا إلى السير في طريق الحرية والاستقلال وساروا فيه، وعقدوا الإمرة لواحد منهم، فجاء دقلديانوس إلى مصر، وأنزل بها البلاء، وأزال استقلالها، وأعاد فتحها، وكانت كثرتها في ذلك الإبان مسيحية"[1].

وفي نهاية الأمر اعتزل "دقلديانوس" عام ٣٠٥م حكم الإمبراطورية وترك سياسة الدولة لوزيره جليريوس، وقد قام باضطهاد النصارى خاصة في الولايات الشرقية، [لكن ما لبث الاضطهاد أن هدأ تدريجياً إلى أن أصدر جاليريوس سنة ٣١١م ما يسمى بمرسوم البراءة] ولعل ذلك بسبب ما اعتلاه من ألم بصحته، وكذلك شعوره بأن من المستحيل اقتلاع المؤسسات النصرانية من جذورها خاصة عندما استطاعت أن تستحوذ على ولاء ما يقرب من خمس سكان العالم الروماني مع ما جوبهت به من اضطهاد وتنكيل وتضييق، فرأى أن يتجه إلى التعايش مع هذه الديانة الجديدة[2]، ونص المرسوم: "لقد اتجهت إرادتنا إلى بسط مزايا رأفتنا المألوفة على هؤلاء الأفراد المسيحيين التعساء، ولذلك نرخص لهم بإعلان آرائهم الخاصة في حرية تامة، وفي عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف أو إزعاج، شريطة أن يظهروا دوماً الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة، وإنا لنأمل أن يكون تسامحنا دافعاً إلى الصلاة والتضرع إلى الإله الذي يعبدونه من أجل سلامتنا ورخائنا وسلامتهم ورخائهم وسلامة الجمهورية ورخائها"[3].

وإذا كان هذا المرسوم يعد تكريساً للواقع في الغرب النصراني فإنه يمثل أمراً جديداً غير مألوف في تعامل الإمبراطورية الرومانية في المشرق، وقد تلكأ

---

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص٣٣-٣٤.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي، ص١٠٥، التاريخ الوسيط،نورمان، ص٦١.

(٣) تاريخ الكنيسة يوسابيوس، ص٣٧٤-٣٧٥، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ١/ ٢١.

"مكسيمنس" في تنفيذ هذا المرسوم بعد موت "جاليريوس"، لكن ما حصل من أحداث واضطرابات سياسية كان مدعاة إلى إصدار لوقيانيوس[1] وقسطنطين[2] مرسوماً جديداً عرف بمرسوم ميلان سنة ٣١٣م أعلن فيه حرية المعتقد في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية"[3].

وجاء في هذا المرسوم ما خلاصته: نحن قسطنطين أوغسطس وليكينيوس أوغسطس، بعد تداول الرأي في ميلانو تبين لنا أن مصلحة الدولة تقضي بمنح المسيحيين وجميع الرومانيين حق إتباع الدين الذي يختارونه[4].

وبهذا التشريع الجديد انتهى عصر الاضطهاد، واعترفت السلطات الرومانية بشرعية وجود الديانة النصرانية، كما أصبحت الكنائس النصرانية تتمتع بحق التملك، لكن النصرانية لم تصبح في ذلك الحين ديانة رسمية للدولة الرومانية بل صارت متساوية مع الأديان الوثنية الرومانية[5].

---

(١) لوقيانيوس: إمبراطور روماني (٢٧٠-٣٢٥م). أصدر عام ٣١٣ أمراً أجاز للنصارى ممارسة طقوسهم الدينية ولكنه عاد حوالي عام ٣٢٠ فأمر باضطهادهم. اضطر إلى التخلي عن العرش عام ٣٢٤، ثم أعدم في السنة التالية. (انظر: موسوعة المورد العربية، ٤/ ١٠٥٤)

(٢) قسطنطين الأول (قسطنطين الكبير) (٢٨٠-٣٣٧م): إمبراطور روماني (٣١٢-٣٣٧م)، يعتبر أعظم الأباطرة الرومان المتأخرين، تنصر عام ٣١٣، فكان أول إمبراطور روماني مسيحي، أعاد بناء مدينة بيزنطة عام ٣٣٠ ودعاها على اسمه القسطنطينية، ومن ثم نقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية من رومه إليها. (انظر: موسوعة المورد العربية ٣/ ٩١٨).

(٣) انظر: الفكر الإسلامي، ص١٠٥.

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٤٤٤، الدولة والكنيسة ٢/ ١١١، أوروبا العصور الوسطى ١/ ٥٥، قصة الحضارة ١١/ ٣٨٥.

(٥) انظر: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ١/ ٣٦.

ثانياً: اضطهاد الفلاسفة والمفكرين الوثنيين.

لقد كان هناك اضطهاد روماني من نوع آخر للنصارى وهو الاضطهاد الفكري الذي دام لفترة طويلة حتى بعد اعتراف الدولة الرومانية بالنصرانية وقد استمر هذا السجال بين المفكرين الوثنيين والنصارى حتى نهاية القرن السادس.

وقد كرس الكتاب والفلاسفة الرومان هجوماً على النصارى وعقائدهم ووصفوهم بصفات عديدة واتهموهم باتهامات خطيرة يمكن أن نصنفها إلى ثلاث اتهامات رئيسة:

الاتهام الأول: الجرائم السرية: والتي تنطوي تحتها الممارسات اللاأخلاقية كممارسة المجون وإلى أقبح أنواع الفجور بين الأخوة والأخوات(١).

يقول أقاطفيوس " يتعارف المسيحيون بعلامات وإشارات سرية ويتحابون، إن صح التعبير قبل أن يتعارفوا وعلاوة على ذلك فإنهم يمارسون هنا وهناك وهم مختلطون بعضهم ببعض، عبادة فجور حقيقية، حتى إنهم يدعون بعضهم بعضاً أخوة وأخوات من دون تمييز"(٢).

والمدافعون النصارى يجيبون على هذا الاتهام بأنه محض افتراء " أما الولائم الفاحشة فهي أسطورة ضخمة حاكتها ضدنا الشياطين المتحالفة لتلوث مجد عفتنا بإلباسنا عاراً فظيعاً... في الواقع أن هذه الممارسات تصدر بالأحرى عن شعوب من نوعكم فعند الفرس يجوز للرجل أن يقترن بأمه وعند المصريين وفي آثينة الزواج بأخت شرعي، والفواحش مفخرة في حوليّاتكم ومآسيكم التمثيلية، وأنتم تحبون أن تقرأها أو تسمعوها وكذلك تكرمون أيضاً آلهة فاحشين، افتروا بأمهم أو بابنتهم أو بأختهم، فمن الطبيعي إذاً أن تلاحظ الفاحشة غالباً في وسطكم وأن ترتكب باستمرار

---

(١) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ص٤٨، تاريخ الكنيسة المفصل ١/ ٨٤.

(٢) تاريخ الكنيسة المفصل ١/ ٨٦.

فيما بينكم"[1].

وكان من الاتهامات اللاأخلاقية التي وجهها الوثنيون للنصارى، ما وجهه ماركوس فرنتو واصفاً الولائم التي يقيمها النصارى قائلاً: إنهم يغطون طفلاً صغيراً بالدقيق ويقدم في طقوسهم...ثم يلاحقونه بالطعنات القاتلة، وعندما تسيل دماؤه يلعقونها، ويوزعون أعضاءه بينهم بشغف بالغ، وبذلك القربان "الطقس يختمون احتفالهم"[2].

وقد جوبه هذا الاتهام باعتراض من كتاب النصارى فهذا جستين يقول: "إن الأشياء التي تفعلونها وتصفقون لها، ثم تتهموننا بها لن تضرنا في الواقع لأننا نشمئز من أن نفعل تلك الأشياء، ولكن من يفعلها حقيقة هم من يشهدون زوراً ضدنا"[3].

ويقول آخر: "لا يصدق أمراً كهذا إلا من بإمكانه أن يجرؤ على القيام به، في الواقع أنتم من أراهم ينجبون الأولاد ثم يعرضونهم للحيوانات المفترسة والعصافير، أو يقضون عليهم شر قضاء عن طريق خنقهم. وهناك نساء يجرؤن على الحيلولة دون ولادة الكائن الآتي في أحشائهم بتناولهن العقاقير، ويرتكبن بذلك جريمة قتل طفل قبل الولادة"[4].

ومن التهم التي وجهت للنصارى أنهم عبدوا رأس حمار ومصدر هذه التهمة المؤرخ الوثني تاستيوس، فقد قال إن اليهود في خروجهم من مصر، أنقذوا من الهلاك عطشاً بواسطة حمير وحشية وأنهم تعبيراً عن شكرهم قدسوا رأس ذلك الحيوان

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٨٦.

(٢) الفكر الديني في مواجهة الاضطهاد ص٥٢-٥٣/ ، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ص٤٨، تاريخ الكنيسة المفصل١/ ٨٤.

(٣) الفكر الديني في مواجهه الاضطهاد،ص٥٣.

(٤) تاريخ الكنيسة ١/ ٨٦

ليكون إلههم كنتيجة للصلة التي بين اليهود والنصرانية فقد افترض الوثنيون أن النصارى عبدوا رأس حمار أيضاً"[1].

وقد رد على هذه التهمة ميتوفيوس فليكس فقال: "صدرت شائعة ترددها وتقول بموجبها إن رأس حمار هو شيء إلهي عندنا من تراه يكون غبياً إلى هذا الحد حتى يؤدي العبادة لمثل هذا الشيء؟ ومن تراه يكون أكثر عبادة حتى يصدق أن مثل هذا الشيء يعبد"[2].

الاتهام الثاني: الأعمال العلنية بمعنى أن الإمبراطورية الرومانية اعتبرت النصارى مواطنين سيئين لعدم اشتراكهم في التجمعات ووسائل الترفيه التي تقيمها الإمبراطورية لمواطنها ومثل هذا التصرف يوحي عند الرومان بأن النصارى يؤلفون نوعاً من الدولة في داخل الدولة." إن نفوسكم حائرة ومغمورة بالقلق، ولذا تمتنعون عن الملذات الشريفة: إنكم لا تحضرون العرض المسرحي ولا تشاركون في التطوافات، وتغيبون عن الولائم العامة"[3].

وقد أجاب على هذه التهم ترتيليان[4] واصفاً مجتمعهم بأنه "مجموعة تربط بينها ممارسة دينية واحدة ونظام واحد، وأمل واحد، يصلون ويتطوعون إلى الله في صعيد واحد والله يبتهج لصلاتهم، كما يصلون أيضاً من أجل الأباطرة، ووزرائهم وكل من في السلطة ومن أجل رخاء العالم، ولإحلال السلام وفي هذه الاجتماعات يقدمون النصائح"[5].

---

(١) الاستشهاد في المسيحية ص٣٠٦

(٢) المفصل في تاريخ الكنيسة،١/ ٨٥.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة ١/ ٦٨، الفكر الديني،ص٥٤.

(٤) ترتوليانس (١٥٥-٢٢٢): من كبار المحامين عن المسيحية ضد الوثنية. تبع مذهب مونتانس. حارب بدعة مَرقيون. (انظر: المنجد، ص١٦٧).

(٥) الفكر الديني، ص٥٥.

كما ينكر ترتليان هذا الاتهام، فهم لا يرفضون الحياة، بل التسليات المذلة، فيقول: "إننا نعيش معكم، ونأكل مثلكم، ونلبس مثلكم، ونعيش حسب النمط الذي تعيشون به، ونخضع لضروريات الوجود الذي تخضعون لها...دون أن نتوقف عن التردد إلى ساحاتكم العامة، وسوقكم، وحماماتكم، ومحلاتكم، ومخازنكم، وفنادقكم، ومعارضكم، وسائر الأماكن التجارية، نحن نقيم في هذا العالم معكم، ومعكم أيضاً نسافر بحراً، ومعكم نخدم خدمة الجنود، ونعمل في الأرض، ونمارس التجارة، وكذلك نبادلكم منتجات فنوننا وعملنا. فكيف يمكن أن نبدو غير نافعين لأعمالكم ما دمنا نعيش معكم ومنكم؟ في الحقيقة إني لا أفهم ذلك الدفاع عن الدين"[(1)].

وكذلك من النقائض التي لازمت النصارى من الوثنيين أنه ما يحصل في الكون من مصائب وكوارث وفيضانات أو انتشار مجاعة أو الطاعون تتوجه التهمة إلى النصارى وأنهم سبب تلك المصائب لقد كان هذا الاعتقاد مسيطراً على العقلية الرومانية، فأخذ المدافعون النصارى في إبعاد مثل هذه التهمة عنهم وأشاروا إلى أن هذه الكوارث العامة كانت تحدث قبل ظهور المسيحية بزمن طويل، فهذا ترتليان يقول: "إني أسألكم: ما أكثر الكوارث التي نكبت الأرض والمدن قبل طيباريوس[(2)]: أي قبل مجي المسيح!...ولكن أين كانت آلهتكم نفسها، ولن أقول أين كان المسيحيون، أولئك الهازئون بآلهتهم، حيث أهلك الطوفان الأرض بأسرها"[(3)].

الاتهام الثالث: اتهم الوثنيون النصارى بالإلحاد وعبادة الأصنام، والدليل على إلحادهم عدم مشاركتهم في العبادات التقليدية، وعبادة الإمبراطور، والعبادات

---

(١) ترليان ١-٣، نقلاً عن تاريخ الكنيسة المفصل ص٨٧.

(٢) طيباريوس (٤٢ ق م – ٣٧م): الإمبراطور الروماني الثاني، ولد سنة ٤٢ ق م، وفي ملكه حكم اليهودية. (انظر: الموسوعة الحرة).

(٣) الدفاع عن الدينى٣/ ٥، تاريخ الكنيسة، ص٨٧.

الخاصة بالديانات الشرقية[١].

وقد أجاب يوستينوس[٢] عن هذا الاتهام قائلاً: "إنهم يدعوننا ملحدين. أجل. إننا نقر بذلك إننا ملحدون بهؤلاء الآلهة المزعومين، ولكننا نؤمن بالإله الحقيقي، أبِ العدالة والحكمة والفضائل الأخرى، الذي لا يخالطه شر"[٣].

أما بطلان عبادة الأصنام عند النصارى فقد قال يوستينوس: "إذا كنا لا نقدم ذبائح كثيرة ولا أكاليل الزهر للأصنام التي صنعها الناس ونصبوها في الهياكل بأسماء الآلهة، ذلك أننا لا نرى في هذه المادة الصماء العديمة الحياة وجه الألوهية، وإننا في الواقع لا نصدق أن الله يشبه هذه الصور التي يقال إنها صنعت تكريماً له، إنها تحمل أسماء الآلهة، ولكنها صنعت على شبه الجن الأشرار الذين ظهروا قديماً"[٤].

كان المدافعون جداً حريصين على تبرئة النصارى من تهمة الإلحاد والكفر، وإظهار أنهم وإن كانوا لا يعبدون آلهة الوثنيين، ولكنهم يخدمون الله الحي ويعبدونه.

فيتسآل أرنوبيوس: "هل في عبادة الله كالكائن الأعلى رب كل الموجودات، والممجد فوق الجميع، والالتجاء إليه بخضوع في الصلاة أثناء ضيقاتنا، والتمسك به بكل مشاعرنا، ومحبته، والتطلع إليه بأيمان، هل في هذا خطأ؟هل مثل هذه الديانة لعينة وغير مقدسة، مملؤة إلحاداً ودنساً وتدنس بخرافاتها الجديدة الشعائر القديمة؟!"[٥].

لقد كانت رؤية النصارى واضحة في عدم مشاركة الوثنيين عبادتهم التقليدية

---

(١) انظر: الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة،ص٤٧-٤٨.

(٢) يوسينيوس: فيلسوف من كبار المدافعين عن الدين، كان فيلسوفاً وثنياً واهتدى إلى المسيحية، وأسس مدرسة لاهوتية فلسفية في روما، توفي عام ١٦٥م. (انظر: المنجد، ص٦٣١).

(٣) انظر: الدفاع عن المسيحية ص١٤.

(٤) المصدر السابق ص١٧.

(٥) الاستشهاد في المسيحية ص٣٠٨.

وكذلك عبادة الإمبراطور، فاورجنيس يبين وجهة نظرهم قائلاً: "بينما يذهب الناس الآخرون إلى الحرب فإننا نحن النادرون فيها، لأننا ككهنة وكعبيد الله نحفظ أيدينا نظيفة، ونصلي لله من أجل الهدف النبيل والملك الشرعي، وأننا بصلاتنا نكون جيش التقوى الذي يقدم خدمة للإمبراطور، أشرف من كل ما يقدمه له جنوده الآخرون"[1].

وقد صورت كتب التاريخ الكنسي أن ما كتبة الكُتاب الوثنيون عن النصارى محض افتراء وتجني عليهم وأن هذا كان من تأثير السلطة الحاكمة لهم فهو غير واقعي وبعيد عن الصحة فنجد أن الصراع الفكري بين الفريقين استمر طويلاً حتى بعد أن تبنت الدولة الرومانية النصرانية المحرفة، فتحولت الدولة الرومانية راعية للأفكار النصرانية وشجعت التسلط على كل ما له صله بالفكر الروماني، ولذلك نجد أن الكنيسة تعاملت مع النقد الوثني بكل شراسة وقوة فتسلطت على كتبهم فأضاعتها وعمدت إلى معابدهم فهدمتها.

ويعد كتاب سليس[2] " الخطاب الحق " من تلك المؤلفات التي نقدت النصرانية مما جعل الكنيسة تعمد إلى إضاعته وإتلافه"[3].

وتقول عنه موسوعة: "أونيفر ساليس الفرنسية ": إن نقد سيلس شديد القوة عميق الفهم، وإن كان أسلوبه يصل أحياناً إلى درجة من الحدة"[4].

والذي يتأمل في الهجوم الوثني على النصرانية يجد أن كثيراً من تلك الآراء كانت

---

(١) المصريون والمسيحية ص١٨٨.

(٢) سلس: أفلاطوني، صاحب كتاب " الدين الحقيقي " الذي يهاجم المسيحية ويسفه الحلول والتثليث، ويصف المسيحيين بأنهم لا أخلاقيون. (انظر: موسوعة الفلسفة، ١/ ٧٤٤)

(٣) المساومة الكبرى ص٢٧.

(٤) المصدر السابق ص٢٢.

في مكانها وموضعها الصحيح، فقد ذكر هؤلاء الوثنيون أفكاراً استغلها النقاد -فيما بعد- في نقد الكنيسة، ومن أهم تلك الآراء التي لم يستطع النصارى أن يجيبوا عليها بجواب مقنع:

١-مسألة التجسيد وقد قال عنها سيلس: "تجسد الله في شكل إنسان هي خرافة بحتة لا يقبلها عاقل، إذ إن عملية التجسد هذه تقتضي تغييراً في الله الذي ليس كمثله شيء"(١).

وزاد من انتقاده لهذه المسألة فقال: "ما هو الغرض من تجسد الله ونزوله على الأرض كما تزعمون؟ أهو بهدف أن يعرف ما يدور بين الناس؟ لكن أليس الله عليماً بكل شيء؟ أم أنه بعلمه كل شيء فإن قدرته الإلهية محدودة ولا يمكنه إصلاح أي شيء إن لم ينزل بنفسه أو أن يرسل مندوباً عنه؟! هل يمكن لأي جسد بعد أن يتحلل أن يعود إلى حالته؟ وإذ تحرسهم الإجابة لا يجد المسيحيون ما يقولونه سوى أن كل شيء ممكن بالنسبة لله. لكن الله الحق لا يمكنه أن يفعل شيئاً مخزياً ولا أن يطلب شيئاً منافياً للطبيعة(٢).

يقول جوليان(٣): "لا يمكن القول بوضوح أكثر أن يسوع مجرد إنسان... وقد تجرأتم عليه بالتدريج: فجعلتموه ممسوحاً، ثم مسيحاً، ثم ابن الله، ثم الله وهكذا استتب لكم كل شيء... إن الخطوة الأولى عادة ما تكون مفزعة، أما الخطوة الأخيرة فلا تكلف شيئاً"(٤).

---

(١) المصدر السابق ص٢٢-٢٣.

(٢) المصدر السابق ص٢٤.

(٣) جوليان (٣٣١-٣٦٣): إمبراطور روماني، أعلن أنه يدين بالوثنية عام ٣٦١م، واضطهد النصارى ومنعهم من التعليم في المدارس، صرع وهو يقاتل الفرس عند نهر دجلة. (انظر: موسوعة المورد العربية، ٢/ ٤٠٧)

(٤) المساومة الكبرى، ص٢٩.

٢-الاختلاف والتناقض في الأناجيل وبالتالي التشكيك في صحتها يقول أصحاب الموسوعة الفرنسية: "إن سيلس يرى أن نصوص الأناجيل عبارة عن أساطير فظة ولا أساس لها من الصحة مثال الحمل العذري، والمعجزات التي ليست سوى ألاعيب من السحر، وقصة البعث التي لم تشهدها سوى امرأة مشكوك في ذمتها"[(١)].

وقد نقل أكهارن عن سيلس قوله: "بدّل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلاً كأن مضامينها تبدلت"[(٢)].

وقد انتقد "بورفير" هذا الأمر وقال: "إن الأصول التراثية المسيحية لا قيمة تاريخية لها؛ لأن القصص الإنجيلية مليئة بالمتناقضات، وبعدم التوافق"[(٣)].

ولذلك يتحفظ بورفير على ما طالعه في الأناجيل وينتقدها إجمالاً قائلاً: "إن كتبة الأناجيل هم مؤلفوا الأشياء التي يحكونها عن يسوع وليسوا مؤرخيها"[(٤)].

ويرى أن أخبار آلام المسيح في الأناجيل الأربعة تناقض بعضها بعضاً[(٥)].

٣-صلب المسيح: يقول بورفير: "من الواضح أن هذه القصة الملفقة إما أنها خاصة بأكثر من مصلوب، أو أنها تتعلق بشخص لا يعرف ولا يفهم من حوله أي شيء عنه. وبما أن هؤلاء القوم كتبة الأناجيل قد عجزوا عن قول حقيقة كيف مات ولم يكتبوا سوى اختلافات، فذلك يعني أن كل ما كتبوه لا يوجد فيه أي شيء يستحق ثقتنا"[(٦)].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢

(٢) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ١/ ٥٤٣.

(٣) موسوعة أونيفر ساليس الفرنسية،عن كتاب المساومة الكبرى ص٥٠.

(٤) المصدر السابق ص٢٧.

(٥) انظر: دليل إلى تاريخ قراءة الكنيسة ص٥٠ بتصرف.

(٦) يسوع ضد يسوع ص٩٢ نقلاً عن المساومة الكبرى ص٢٧.

٤-الطقوس النصرانية: نجد أن سيلس يصف النصارى بأنهم شرذمة من الثوريين المتعصبين الذين يحكون أساطير عقيدتهم في الخفاء[١].

ويرى بورفير أن الطقوس النصرانية غير أخلاقية، فالعماد يشجع على الرذيلة، إذ كيف يغفر قليل من الماء كل الخطايا بلحظة؟[٢].

٥-تأثر النصرانية بالعقائد الأخرى: يقول جوليان: "إنكم تهدمون ديانات كل الأمم الأخرى خاصة الذين يتمسكون بعبادة إله واحد. وقد تخليتم عن عقائدكم القديمة لتختاروا بين كل العقائد ما يناسب كل الحقراء من كافة الشعوب أمثالكم وأمثال أصحاب الحانات وجامعوا الضرائب والمهرجون وأشباههم"[٣].

وعليه فإن تلك المثالب التي ذكرها الفلاسفة والمفكرون الوثنيون ضد النصرانية لم تكن ذات أثر لو بقيت النصرانية على ما جاء به عيسى عليه السلام، لكن عندما أصابها الانحراف وتغيرت وأخذت من الوثنيات والديانات القديمة، وأعرضت عن الدين الصحيح تسلط عليها هؤلاء القوم، وكان نقدهم انطلاقة لكل الحركات الاحتجاجية التي جاءت فيما بعد.

(١) المساومة الكبرى ص٢٣.

(٢) دليل إلى تاريخ قراءة الكنيسة ص٥٠

(٣) المساومة الكبرى،ص٣٠.

المطلب الثالث
حقيقة الاضطهاد الروماني للنصارى

وصفت كتب التاريخ الكنسي الاضطهاد الروماني للنصرانية، بصورة مرعبة وسوداوية، وتصوره على أنه كان مستمراً ومتواصلاً لجميع النصارى وفي كل العصور، ويذكر مؤرخوها أرقاماً ووقائع وأحداثاً تجعل الباحث يتردد في قبولها فقد جاء في بعض التواريخ أنه قتل في يوم واحد من الأقباط بمدينة الإسكندرية مائتا ألف نفس[(١)].

وفي سبيل تأكيد هذه النظرة يقول الأب رفائيل نخلة[(٢)]: "ظل النصارى مضطهدين طول القرون الثلاثة الأولى على عهد القياصرة الصالحين والطالحين، وكانت تلك الاضطهادات تباشر فوراً بأمر القياصرة وتارة عن بعض الحكام، أحياناً بثورات الشعوب وأحياناً بقرارات صادرة عن مجلس الشيوخ، بلغ عدد الشهداء في تلك القرون الثلاثة اثني عشر مليوناً"[(٣)].

ولاستجلاء حقيقة هذا الاضطهاد ومدى صحة هذا الواقع يتبين أن هناك حقائق ينبغي علينا أن نضعها في بداية هذا الأمر، فمن جهة نجد أن الإمبراطورية الرومانية كانت متسامحة مع جميع الأقليات والديانات، فهي في بداية الأمر لم تكن تميز بين اليهود والنصارى، وتعتبر هؤلاء فرقة يهودية لا غير، ولذلك نجد أنه خلال القرنين الأولين للميلاد لم يكن هناك اضطهادٌ رومانيٌ للنصارى بالمعنى الشائع، فكل

---

(١) تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة روفليه ص٢٨.

(٢) هو الأب رفائيل بن يوسف نخلة اليسوعي، ولد في القاهرة سنة ١٨٩٠م، وتوفي سنة ١٩٧٣م، وهو كاتب وشاعر يسوعي، من آثاره: مقالات نقدية على أدبنا المعاصر، أربعة آلاف مثل للوعاظ وأساتذة التعليم المسيحي. (انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

(٣) أربعة آلاف مثل للوعاظ وأساتذة التعليم المسيحي ١/ ٨٨.

ما في الأمر مواقف وأحداث معينة تنتهي بانتهاء الحاكم أو ذلك الحدث.

ومن جهة ثانية لم يكن عدد النصارى في الإمبراطورية الرومانية - خاصة في القرون الثلاثة الأولى - بتلك الأعداد التي ذكرها المؤرخون، فإن الديانة النصرانية وإن انتشرت في الشرق والغرب لكنها لم تتجاوز عشر سكان الدولة الرومانية.

بالإضافة إلى أن هناك كتّاباً ومؤرخين نصارى رفضوا مثل هذه الأرقام والتي اتسمت بالمبالغات يقول ستيفن نيل: "يجب ألا ننساق مرة أخرى إلى المبالغات الخرافية. فمما لا شك فيه أن المسيحيين في ظل الإمبراطورية الرومانية قد حرموا حق الحياة، وكانوا معرضين لأقصى ضغط يسمح به القانون. ولكن من الواضح أنه في مقابل ذلك بوجه عام، فإن المأمورين القضائيين لم يكونوا مولعين بالانتقال فوراً إلى الإجراءات القاسية، فهم غالباً ما فعلوا أقصى ما يمكنهم لتحريض المسيحيين على إنقاذ أنفسهم بالاستجابة للمطالب البسيطة للقانون... ولكن لم يحدث أن تعرضت أية كنيسة لاضطهاد مستمر وقاس مدة طويلة من الزمان وإن عدد الشهداء كان أقل بكثير مما تخيلته العصور الأخيرة"[(١)].

كما نجد "جيبون" بيّن أن ما وصلنا من معلومات عن مدى غلظة الاضطهاد وشدته إنما هو موضع الشك الكثير. وهو يقدر مجموع الضحايا الكلي بما يقارب الألفين، ويقارن هذا بالثابت المؤكد من عدد جماهير النصارى الحاشدة الذين استشهدوا على أيدي زملائهم في الدين أثناء فترة الإصلاح الديني[(٢)].

ويصرح "جيبون" بكل وضوح رأيه في الاضطهاد الروماني قائلاً: "ولقد

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبدالوهاب، ص٨٨-٨٩.

(٢) انظر: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ١/ ٤٨٧-٤٨٨، وقد انتقد ولز هذا الرأي وقال عنه: "من المعلوم أن جيبون شديد التحامل على المسيحية وهو هاهنا يبدو كأنما ينزع إلى التهوين من شأن تجلد المسيحيين وما عانوه من الآلام " (انظر: معالم تاريخ الإنسانية، ولز ٣/ ٧١٥).

تعمدت في هذه النظرة العامة للاضطهاد الذي رخصت فيه لأول مرة مراسيم دقلديانوس أن أمسك عن وصف المعاناة التي كابدها كل من الشهداء المسيحيين وميتة كل منهم، وكان من الميسور أن نجمع من الصور المرعبة الكريهة من تاريخ يوسوبوس ومن خطابات لكناتيوس المؤثرة ومن أقدم المؤلفات، وأن نملأ منها صفحات كثيرة بذكر الخوازيق والسياط والأصفاد والحديد المحمى وغير ذلك من مختلف ألوان العذاب... ولكني لا أستطيع أن أحدد ماذا ينبغي أن أنقل إلا إذا اقتنعت بما يجد ربي أن أصدق. إن يوسبيوس نفسه وهو أكثر مؤرخي الكنيسة وقاراً وجدية، ليعترف بأنه روى كل ما قد يؤدي إلى مجد الديانة المسيحية، وأغفل كل ما يمكن أن يشينها"[1].

ويقول كرين برنتن: "من المؤكد أن التقاليد المسيحية بالغت في أهوال الاضطهاد -الرسمي وغير الرسمي- التي كان يتعرض لها المؤمنون، كما أنها بالغت في مدى إيثار المسيحيين المضطهدين القسوة الشديدة على الارتداد عن الدين"[2].

مما سبق يتضح أن الاضطهاد الروماني كان محدداً وفي فترات زمنية متقطعة، فهو لم يصل إلى أن يكون إبادة جماعية كما يصوره النصارى، فما ذكروه من أرقام وأسماء وآلام فيه مبالغات واضحة، بل الأمر بعكس هذه الصورة ولذلك استطاعت النصرانية أن تكسب أتباعاً جداً.

---

(١) اضمحلال الإمبراطورية ٢/ ٤٨٢-٤٨٣.

(٢) أفكار ورجال قصة الفكر الغربي ص٢٠٥.



الفصل الثاني

الفصل الثاني

اضطهاد النصارى لبعضهم البعض

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: اضطهاد النصارى بعد قسطنطين.
- المبحث الثاني: الاضطهاد بين الطوائف النصرانية القديمة.
- المبحث الثالث: الاضطهاد بين الطوائف النصرانية الحديثة.

المبحث الأول

اضطهاد النصارى بعد قسطنطين

وفيه توطئة وثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: علاقة الإمبراطور قسطنطين بالنصرانية.
- المطلب الثاني: تأثير قسطنطين على النصرانية:
- المطلب الثالث: نشأة الاضطهاد عند النصارى.

* * * ** * * *

توطئـــــة

بعد أن حصل وفاق بين النصارى والدولة الرومانية، وبدأت الإمبراطورية الرومانية تنظر إلى النصارى على أنهم جماعة معترف بها داخل الإمبراطورية لها من الحقوق ما لبقية الطوائف الأخرى، وعندما دان الرومان بالنصرانية تحولت من ديانة مضطَهَدة مرت عليها فترات عصيبة من الذل والقهر، إلى ديانة مضطهِدة تمارس كل وسائل الاضطهاد حتى مع بعضها البعض وهذا ما سنبينه في هذا الفصل.



المطلب الأول
علاقة الإمبراطور قسطنطين بالنصرانية

لم يكن قسطنطين بالنسبة للنصارى مجرد إمبراطورٍ أوقف عنهم معاناة الاضطهاد، بل كان يمثل حكمه البداية الحقيقية للإمبراطورية المسيحية، خاصة عندما توحد له القسم الغربي والشرقي، وقضى على جميع خصومه، وكان آخرهم ليكينيونس[(١)] سنة ٣٢٤م.[(٢)]

وقد أضفت عليه الكنيسة ومؤرخوها هالة كبيرة من التمجيد والتعظيم، فقد غدا قسطنطين في نظرهم رسولاً، تخيرته السماء ليمجد الرب في الأعالي، وليحل على الأرض السلام، وليعيد للكنيسة عهداً من الأمان حرمت منه منذ ولدت[(٣)].

وقد كان " يوسابيوس " المؤرخ الكنسي المعاصر لقسطنطين يصوره برؤية تقربه أن يكون شبيه المسيح الجديد[(٤)].

ومن هنا تكونت علاقة حميمية بين قسطنطين والنصارى؛ إذ رأت فيه الكنيسة أنه المنقذ المخلص، وهو رأى فيها البيئة المناسبة من أجل تحقيق مصالحه الذاتية من السلطة والزعامة، وهذه العلاقة تكونت عندما أعطى قسطنطين النصارى اعترافاً علنياً بإظهار دينهم وعبادتهم، ولاشك أنه يعد من أهم المكاسب للنصرانية.

---

(١) ليكينيوس: إمبراطور روماني، حكم أولاً بالاشتراك مع جالريوس، وتحالف مع قسطنطين وانتصر على ماكسمينيوس ٣١٣م، آل إليه حكم الشرق، ثم اختلف مع قسطنطين فهزمه مرتين سنة ٣١٤و٣٢٤م، ثم أُعدم سنة ٣٢٥م.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٢/ ١٥٩٨)

(٢) انظر: أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور ١/ ٥٨.

(٣) انظر: الدولة والكنيسة، د. رأفت عبدالحميد، ٢/ ١٢٥.

(٤) المصريون والمسيحية، التاريخ وثقافة الصراع، أ. د. محمد عبدالفتاح سليمان، ص٢٣٣-٢٣٤.

وهذا الاعتراف من قسطنطين بالنصرانية ليس معناه أنها الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، بل ديناً داخل الإمبراطورية وفي نهاية القرن الرابع الميلادي في عصر "ثيودوسيوس"[(١)] أصبحت النصرانية في عهده ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية كلها[(٢)].

إن اعتراف قسطنطين بالنصرانية لم يكن مجرد مراسيم وقرارات بل تخطاه إلى رد الحقوق للنصارى وتعاطف مع الكنيسة وأغدق عليها عطاياه وهباته، ووضع سلسة من الإجراءات التي من شأنها تقوية النصرانية وتثبت دعائمها ومن هذه الإجراءات:

١- منح تعويضات للنصارى الذين أوذوا في فترة الاضطهادات السابقة، خاصة في وقت خصمه مكسنتيوس[(٣)(٤)].

٢- مد أسقف قرطاج بمبالغ مالية هامة، وأعان كنيسة روما على بناء العديد من المعابد ووهب الكنيسة أبنية كبيرة مثل اللاتران والقبر المقدس، كما شجع على ترميم عدد كبير من الكنائس أو بنائها في مختلف الأماكن[(٥)].

٣- انتدب النصارى لشغل مناصب هامة في الدولة فاتخذ أوسيوس القرطبي

---

(١) ثيودوسيوس (٣٤٥-٣٩٥م): ولد في أسبانيا، وقد نادى به غراتيانوس إمبراطوراً على الشرق سنة ٣٧٩م، أعلن منشور تسالونيكي الذي جعل المسيحية دين الدولة سنة ٣٨٠م. بعد موته اقتسم ولداه الإمبراطورية: هونوريوس في الغرب عاصمته روما، وأركاديوس في الشرق وعاصمته بيزنطة. (انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، ص٢٥٢، المنجد، ص١٨٩).

(٢) انظر: بيزنطة بين الفكر والدين، ص٤٠.

(٣) مكسنتيوس: أمبراطور روماني (٣٠٦-٣١٢م) قضى عليه قسطنطين في معركة جسر ميلقيو.(المنجد، ص٥٥٥).

(٤) انظر: تاريخ العالم، نشر: جون هامرتن ٤/ ١٨٧.

(٥) انظر: الفكر الإسلامي ص١٠٦، المجمع المسكوني الأول،ص٤٧، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، د. عرفان عبدالحميد ص٦١.

مستشاراً له في الشؤون الدينية، وأوكل تربية أبنائه إلى كاتب نصراني[1].

٤- أعطى الأساقفة شيئاً من السلطة القضائية عندما منحهم حق إعتاق الأسرى، واعتبرهم قضاة يجوز لهم بت الأحكام في الدعاوى المدنية المرفوعة أمامهم، وحكمهم غير قابل النقض ولا الطعن ولا الاستئناف[2].

٥- أعطى الكنائس حق الوراثة، مما ساعد في الحفاظ على أموال الكنائس وميراثها[3].

٦- وضع الرموز النصرانية منذ سنة ٣١٥م على النقود، ومحا شعارات الوثنية[4].

بهذه الإصلاحات وغيرها استطاع قسطنطين أن يتدخل في القضايا والمشكلات العقدية بين النصارى، وهذا يدفعنا إلى النظر في قضية أخرى وهي مثار جدل كبير بين الدارسين، وهي مسألة اعتناق قسطنطين للنصرانية.

هل فعلاً تدين قسطنطين بدين النصرانية؟ أم أنه مجرد تملق واستعطاف للنصارى؟

لقد أخذ كتاب النصارى شيء من الزهو والفرح بما أظهره قسطنطين، وعدوه مكسباً كبيراً للنصرانية؛ وبالتالي أوردوا روايات عدة في قصة اعتناقه للنصرانية.

فقد ذكر لاكتانتينوس[5] وكذلك يوسابيوس وهو أول مؤرخي الكنيسة الكبار

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي، ص١٠٦، النصرانية،ص٦١.

(٢) انظر: المجمع المسكوني الأول،ص٤٨، الفكر الإسلامي،ص١٠٦، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٥٨.

(٣) انظر:المجمع المسكوني،ص٤٨، الفكر الإسلامي،ص١٠٦

(٤) انظر: المجمع المسكوني الأول، ص٤٨، الفكر الإسلامي،ص١٠٦.

(٥) لاكتانتيوس: كاتب لاتيني في آسيا الصغرى، ألف سنة ٣٢٠م كتاباً بعنوان موت المضطهدين، وقد لاقى رواجاً كبيراً في العصور الوسطى. (انظر: التاريخ الوسيط،).

وأحد أصدقاء قسطنطين وموضع ثقته، أكثر من رواية وخلاصتها: أن المسيح ظهر له في الحلم وقال له: أنه إذا آمن به فسوف ينتصر على عدوه مكسنتيوس[(١)].

ومن تلك الروايات كذلك ما أورده يوسابيوس وابن البطريق من بعده والتي فيها: أن قسطنطين وجنوده شاهدوا من نصف النهار صليباً يتلألأ في السماء مكتوباً بهذه الشارة سوف تنتصر. فقال لأصحابه: رأيتم ما رأيت؟ قالوا: نعم[(٢)].

ولاشك أن تعدد هذه الروايات بهذه الصورة مدعاة إلى تسليط النقد عليها، ويحق لمنهج البحث العلمي تناولها بمزيد من الدراسة والاستقصاء.فمن ناحية نجد أن هذه الرواية التي ذكرها " يوسابيوس " في كتابه (حياة قسطنطين) والذي ألفه سنة ٣٣٧م، لم يذكرها في تاريخه الكنسي الذي أنهاه في عام ٣٢٤م، أي بعد الحادثة باثنتي عشرة سنة، وهي أقل من الفترة في كتابه حياة قسطنطين التي كانت خمساً وعشرين سنة، وكل ما قاله عن الفترة التي سبقت الحرب بين قسطنطين وماكسينوس: "أما قسطنطين الذي كان متقدماً في المقام والمركز الإمبراطوري فإنه في بداية الأمر إذ أشفق على من ظلموا روما، وإذ لجأ بالصلاة إلى إله السماء وكلمته يسوع المسيح مخلص الجميع كعون له تقدم بجيشه"[(٣)].

ومن جهة ثانية أن الذين نقلوا لنا هذه الرواية ذكروا أن الجيش كله رأى تلك المعجزة في السماء ولم يكن قسطنطين وحده الذي رآها ومعنى ذلك أن الخبر قد شاع في الآفاق وأصبح معلوماً لدى الجميع، ومع ذلك لا نجد أحداً يذكرها، وإنما ذكرها يوسابيوس عن قسطنطين نفسه وهذا ما حصل حتى من مؤرخي الكنيسة النصارى

---

(١) انظر: حياة قسطنطين العظيم يوسابيوس ص٣٠، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية - كانتور ص٦٣، تاريخ الدولة البيزنطية د. جوزيف نسيم ص٤٤-٤٥، الروم أسد رستم ١/ ٥٣.

(٢) انظر: حياة قسطنطين العظيم ص٣٠، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لابن بطريق ص١٢١، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية - كانتور ص٦٥.

(٣) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص٤٦٥.

يرفضون مثل هذه الرواية، حيث يقول "يوحنا موسهيم": "لماذا لم يستند يوسابيوس إلا إلى شهادة الإمبراطور دون ذكر شهادة أحد من الألوف الذين كان ينبغي أن يكونوا شاهدوا ذلك؟"[١].

ويقول "اندرو ملر[٢]": "وكذلك لا نصدق حصوله على إعلان إلهي في الرؤية التي رآها في وقت الظهيرة أو الحلم الذي شاهده في منامه، بل ربما كان هناك منظر غير عادي حول الشمس أو السحب يخيل له من هذا المنظر شكل الصليب، ويحتمل أن يكون المنظر الذي رآه في الحلم نتيجة مشغوليته الكثيرة واضطرابه العظيم، وقد تعتبر هذه القصة كلها الآن كخرافة مملوءة بالتملق والمداهنة للإمبراطور العظيم أبهجت وأسرت يوسابيوس الذي كان معجباً جداً بالإمبراطور مثنياً عليه أحسن الثناء فدونها كأنها حقيقة واقعية"[٣].

ويقول فليب حتى[٤]: "ويرجح قصة اعتناق قسطنطين للمسيحية من باب الأساطير"[٥].

وقد جزم كثير من الباحثين بأن تحول قسطينطين إلى النصرانية إنما كان لمصلحة معينة فهذا "ول ديورانت" يقول: "ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة

---

(١) تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، موسهيم ص١٢٧-١٢٨.

(٢) اندرو ملر (١٨١٠ -١٨٨٣م): مؤرخ كنسي بروستانتي، ولد بقرية كيلمورز بمقاطعة إيرشاير بإنجلترا، صاحب كتاب: مختصر تاريخ الكنيسة. (انظر: مقدمة مختصر تاريخ الكنيسة، ص١١).

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، اندروملر ص١٤٨.

(٤) فيليب حتِّي: (١٨٨٦ - ١٩٧٨م) ولد في بلدة شملان بلبنان، ودرس في بلدة سوق الغرب في مدرسة الأمريكان، ثم أكمل دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت، وأكمل دراسته في أمريكا ونال الدكتوراه منها، ورجع إلى بيروت ودَّرس في الجامعة الأمريكية. من كتبه: تاريخ العرب، تاريخ الشرق الأدنى. (انظر: موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ١/ ٢٩٨- ٣٠٣).

(٥) تاريخ سوريا ١/ ٣٨٧.

بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب"[١].

وهو ما ذهب إليه المؤرخ "بوركهارت"[٢] عندما قال في كتابه عصر قسطنطين العظيم: "قسطنطين كأمير ميكافيللي (انتهازي)"[٣]، بمعنى أنه من أجل تثبيت حكمه وفرض السلام في الإمبراطورية استخدم مختلف الوسائل ومن بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة فكان ينتصر للدين الذي يربح من ورائه.

وهناك دلائل كثيرة تؤيد هذا الأمر منها:

١-أن قسطنطين لم يتم تعميده إلا وهو على فراش الموت على يد يوسابيوس أسقف نيقوميدية الآريوسي، بعد أن تبرأ من الكسندروس وشيعته من القائلين بألوهية الابن ومساواته للآب[٤].

يقول د. أسد رستم: "قسطنطين بقي وثنياً طوال حياته وانه لم يتقبل النصرانية الا على فراش الموت"[٥].

٢-أن قسطنطين لم يكن يأبه بالدين النصراني وبطقوسه، حتى أن لم يعنَ بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها النصرانية، وهذا واضح من رسائله التي بعث بها إلى أساقفة النصارى، ولو كان نصرانياً حقاً لكان نصرانياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذٍ ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين فكانت النصرانية عنده وسيلة

---

(١) قصة الحضارة ١١/ ٣٨٧.

(٢) بوركهارت (١٨١٨-١٨٩٧م): مؤرخ سويسري، وأحد مؤسسي التاريخ الحضاري، تعلم بجامعة برلين، شهر بكتابه الخالد: حضارة عصر النهضة في إيطاليا، الذي لا يزال يعد من أعظم المراجع في موضوعه، وكتاب: عصر قسطنطين الأكبر، وكتباً أخرى في التاريخ والفن. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٣١).

(٣) انظر: التاريخ الوسيط، كانتور، ص٦٤.

(٤) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري ١/ ٦٤٩، مصادر النصرانية ٢/ ٧٥٧.

(٥) الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، د.أسد رستم، ١/ ٥٤.

لا غاية"[1].

٣-أن قسطنطين لم يغير الطقوس والشعائر الوثنية في فترة حكمه، بل كان محتفظاً بها وكان متمسكاً بمنصب الكاهن الأعظم وهو المنصب الإمبراطوري في الديانة الرومانية الوثنية، بل وبنى قوس نصره لرب الشمس الذي لا يقهر، كما استخدم في تدشين القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معاً، واستعمل رقى سحرية لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض[2].

٤-أنه لم ير بأساً في أن توجد آلهة وثنية على عملاته النقدية التي كان يسكها مع أنها كانت تتغير سنوياً فقد كانت صورة الآلهة الوثنية القديمة وقد وضعت إليها آلهة فيكتوريا - ربة النصر عند الرومان - تتوج الإمبراطور بيدها[3].

والحاصل أنه بات من الصعب القول بأن قسطنطين قد اعتنق النصرانية[4]، بل الأدلة توضح بقاءه على وثنيته وأن هدفه كان تجنيد كافة المذاهب والعقائد الدينية لتقف من خلفه وتدعم مركزه.

والحقيقة المعترف بها أن اعتراف قسطنطين بالنصرانية كان سبباً مباشراً في سرعة انتشارها في أوروبا، وبالتالي أحدث تغييراً في هذه الديانة وهو ما سوف نتحدث عنه في مسألة مستقلة.

---

(١) انظر: قصة الحضارة ١١/ ٣٧٨ بتصرف.

(٢) تاريخ أوروبا العصور الوسطى،ص٧، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، د. سيد الناصري، ص٤٣٤، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى - دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية، ص١٨٧، قصة الحضارة،١١/ ٣٨٩.

(٣) انظر: التاريخ الوسيط، كانتور، ص٦٤.

(٤) وهو ما ذهب إليه كانتور في كتابه: التاريخ الوسيط، وقد ذكر بعض أقوال المؤرخين في تنصر قسطنطين.(انظر: التاريخ الوسيط ص١٥).

المطلب الثاني
تأثير قسطنطين على النصرانية

مما لا شك فيه أن النصرانية رأت في قسطنطين الشخص المخلص لها من الظلم والاضطهاد، وقد استطاع أن يأسر الكنيسة ويطوق أعناق النصارى بأعطياته ومنحه، مما جعل له مكانة وقداسة عندهم واعتبروه رئيس الشعب النصراني، وهذا ما جعل له تأثيراً يتضح بما يلي:

١- تدخل الإمبراطور قسطنطين المباشر في شؤون الكنيسة الداخلية، وخاصة عندما حصلت هناك انشقاقات وخلافات عقدية بين النصارى، وقد كانت هذه المسائل من اختصاص الكنيسة حصراً، وكان المتسببون في الانقسام يخضعون لعقوبات أبرزها الحِرْم[1]، أما في عصر قسطنطين فقد نصب نفسه حكماً في النزاعات الدينية، بل فرض العقوبات على بعض الأساقفة.

٢- دعوته لعقد المجامع من أجل فض الخلافات الدائرة بين النصارى، وكانت تعقد تحت نظره وإشرافه، بل وترأسه بعضها.

يقول "رسل[2]": "فلقد عمد الإمبراطور من أجل تسوية الخلافات بين

---

(١) الحِرْم بكسر الحاء وسكون الراء: هو الطرد من الكنيسة، فلا يصبح المحروم عضواً فيها، ويميز بين حرم أكبر: وهو الطرد التام من الكنيسة، وحرم أصغر: هو منع المحروم من الاشتراك في الطقوس الدينية وحدها. (انظر: رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ص٧٨).

(٢) برتراند رسل: فيلسوف ورياضي إنجليزي، ولد سنة ١٨٧٢م، دخل كلية الثالوث بجامعة كمبردج، انتخب زميلاً بكلية الثالوث بكمبردج. تأثر بهيجل وكانط. من كتبه: تاريخ الفلسفة الغربية، الصدق والمعنى. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ٨٦٦. موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبدالمنعم حفني ١/ ٦٤٧).

المسيحيين إلى استخدام نفوذه لعقد مجمع نيقية[1]، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكنيسة تتبع وسائل كهذه في حل الخلافات"[2].

٣- فرض آراء حاسمة في هذه المجامع، والانتصار لإرادته التي كانت توافق ميوله الوثنية، والتهديد بسلطته السياسية لمن يخالف تلك القرارات.

وأكبر مثال على تأثير قسطنطين على النصرانية ما حدث في مجمع نيقية من إقرار ألوهية المسيح بقوة السلطان، يقول الشيخ أبو زهرة: "ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين[3] رأي الذين رأوا ألوهية المسيح"[4].

ويقول ولز[5]: "والجلي الذي لا خفاء فيه أن قدراً كبيراً من تاريخ المسيحية في ذلك العصر يشف عن روح قسطنطين بقدر ما يشف عن روح يسوع إن لم يزد"[6].

إذن فقد أحدث الإمبراطور قسطنطين تحولاً كبيراً في النصرانية مما جعلها تبتعد كثيراً عن ديانة المسيح عليه السلام، وأن تزداد ضلالاً وبعداً وتعلقاً بالوثنيات.



(١) نيقية: مدينة إزنيك التركية والتي تقع شمال غرب تركيا على بحر مرمرة.(انظر: المنجد في الأعلام، ص٥٨٤).

(٢) حكمة الغرب، رسل ص١٩٥.

(٣) كان الأولى للشيخ أبو زهرة -رحمه الله- أن يقول: بانتصار وثبات رأي الذين رأوا ألوهية المسيح؛ ذلك أن القول بألوهية المسيح كان قبل انعقاد المجمع.

(٤) محاضرات في النصرانية ص١١٩.

(٥) هربوت جورج ولز (١٨٦٦-١٩٤٦): أديب وصحفي وروائي انجليزي ولد في بروملي وتخرج في جامعة لندن عام ١٨٨٨م، تأثر بدروس توماس هنري، من مؤلفاته: معالم تاريخ الإنسانية. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة،ص١٩٦٢).

(٦) معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٧٢١.

المطلب الثالث
نشأة الاضطهاد عند النصارى.

كانت النصرانية في بداية أمرها تتوافق مع دعوة المسيح ﷺ إلى التسامح وتهذيب الأخلاق ونبذ العنف، فأثرت فيمن تبعه من الحواريين والأتباع فكانوا أمثلة حية للمحبة والتسامح.

يقول "دي روزا ": "في البداية كان العنف وقتل الأنفس حراماً وذنباً كبيراً، لا يغتفر، وكان المسيحيون الأوائل يقولون رداً على مقولة إن روما تحتاج إلى الحرب لحمايتها: إن روما تحتاج لملوكها لحمايتها عن طريق الحروب، ولكن المسيحي الحقيقي لن يشترك في ذلك... وكانت رسالة المسيحية الأولى هي نشر السلام، وكان سلاح المحارب المسيحي الوحيد هو الصلاة والتضحية وليس القتل"(١).

ونتيجة لقرب العهد بالمسيح ﷺ وأتباعه فقد رفض النصارى الأوائل الذين كانوا يعيشون في الإمبراطورية الرومانية الانخراط بالجيش والخدمة به لعدم رغبتهم في القتل وسفك الدماء وقد أكد تروتوليانس على التعارض من حيث القانون ما بين المذهب النصراني والخدمة في الجيش الروماني: فالمرء المسيحي لا يستطيع أن يخدم معلمين الله والشيطان، فالجندي يحمل السيف الذي حظره يسوع على ذويه(٢).

ولم يقتصر الأمر على مجرد تحريم القتال، بل كان من يرفض القتال ويُقتل لأجل ذلك يعد شهيداً، إذ كانت الشهادة تعني بذل الروح في سبيل رفض إزهاق أرواح الآخرين.(٣)

لكن في القرن الرابع الميلادي تحولت النصرانية التي كانت تنفر من ذكر القتال

---

(١) التاريخ الأسود للكنيسة، القس دي روزا، ترجمة آسر خطيبة ص١١٢-١١٣.

(٢) انظر: الحرب المقدسة الجهاد الحرب الصليبية، جان فلوري ص٢٤.

(٣) المصدر السابق ص٢٦.

والاقتتال إلى داعية إلى الحرب والاضطهاد.

يقول "دى روزا": "ويلاحظ هنا أن نفس هذا التطور حدث بالنسبة لنشر الدين المسيحي ففي البداية كان استخدام العنف من أجل نشر الدين بالإكراه ممنوعاً، ثم مدح البابا ليو الكبير[(١)]. ملكاً؛ لأنه قام بتعذيب المشعوذين من أجل مصلحة الكنيسة وبقائها، وكانت حرمة إراقة الدماء هي السبب الوحيد لعدم قتلهم لهؤلاء المشعوذين والاكتفاء بتعذيبهم فقط.

ولكن هذه الحرمة ضعفت بمرور الزمن، وازدياد عدد المسيحيين في الجيش، فحتى عام ١٧٥م لم يكن هناك جندي مسيحي واحد في الجيش، ولكن في عام ٤١٦ لم يسمح إلا للمسيحيين بالانضمام للجيش، وتركت مهمة نشر السلام لأهل الكنيسة من قساوسة وكرادلة"[(٢)].

لقد بدأ الاضطهاد في النصرانية منذ اللحظة الأولى التي ظفرت فيها الكنيسة بسلطة مدنية - في عهد قسطنطين -ودخل مبدأ الكبح العام، واستمرت عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب في الأغلال، وعانى من قسوته سائر الأديان[(٣)].

والذي أدى إلى نمو هذا الاضطهاد وازدياده عوامل منها:

١- أن الكثير من مجالس الأكليروس قد طلب إلى السلطات المدنية معاقبة الهراطقة أو نفيهم، وكان لهذه القرارات أثرها الملحوظ في مسلك الإمبراطورية إزاءهم[(٤)].

---

(١) بابا رومة (٤٤٠-٤٦١) يعتبر أحد أعظم البابوات في تاريخ النصرانية، عزز مكانة الكرسي البابوي وعمل من أجل وحدة الكنيسة الغربية في ظل السيادة البابوية (يعرف بالكبير).(انظر: موسوعة المورد العربية ٤/ ١٠٩٥، معجم البابوات، ص٣٠-٣٣).

(٢) التاريخ الأسود للكنيسة ص١١٣.

(٣) انظر: قصة الاضطهاد الديني ص٦٢.

(٤) انظر: المصدر السابق ص٦٧.

وهو مبدأ نسطوريوس[(١)] في الاضطهاد حين قال للإمبراطور: أعطني الدنيا وقد تطهرت من الملحدين، أمنحك نعيم الجنة المقيم!.[(٢)]

يقول توماس ادواردز: "إن الكتاب المقدس وشهادة رجال الإصلاح الديني - وهم بمثابة آباء جدد للكنيسة - يوافقون على العقاب البدني للهراطقة وعلماء الدين الزائغين"[(٣)].

٢- استلهام الروح العدائية من الفكر اليهودي، فقد استقام أمر الاضطهاد في شريعة بني إسرائيل، كما تشهد مذبحة كنعان ومجزرة كهنة بعل[(٤)] وغيرها من وجوه الاضطهاد[(٥)].

كما نجد أن أسفار اليهود والتي تعتبر من مصادر النصارى مليئة بأخبار وشرائع القتل وإباحة سفك الدم وحرق المدن، ومن النصوص التي تبين ذلك وهي كثيرة ما جاء في سفر يشوع أن الله أمر موسى أن يأخذ الجميع بالحرب ولا يرأف عليهم

---

(١) نسطوريوس: ولد في منطقة جرمانيكيا جنوب تركيا وتدعى حالياً (ماراس) ثم ذهب إلى أنطاكية وتعلم فيها وظل هناك إلى عام ٤٢٨م حين أصدر الإمبراطور بتعيينه أسقفاً للقسطنطينية، توفي في مصر حوالي سنة ٤٥٠م،صنف الكثير من الكتب لكنها فقدت لعل أهمها البازار أو كتاب هيراقليوس الدمشقي، وهو دفاع عن مذهبه وسلوكه. (انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي ص٥٢١، تاريخ الفكر المسيحي،حنا جرجس الخضري ٢/ ١٥٣-١٥٥، معجم الإيمان المسيحي ص٥٠٩).

(٢) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٦٥.

(٣) رسالة في التسامح جون لوك ص٢٦.

(٤) كان للبعل كهنة كثيرون يدعون الناس بسحرهم وشعوذتهم وأعمال أخرى ينسبونها لإلههم، فقام إيليا وهو أحد أنبياء بني إسرائيل بمقاومة عبادة الأوثان والسحرة والكهان وأمر بقتل كهنة بعل الذين كان عددهم نحوا من ٤٥٠ نفساً، فأظهر بذلك للناس كذبهم وعدم قدرة إلههم على عمل العجائب. (انظر: قاموس الكتاب المقدس ص١٨٢، دائرة المعارف الكتابية ١/ ٥٧٤، المنجد ص٩٤)

(٥) انظر: قصة الاضطهاد الديني ص٥٩.

ويبيدهم إبادة تامة فيقول السفر: "لم تكن مدينة صالحت بني إسرائيل إلا الحوّيّين سكان جعبون، بل أخذوا الجميع بالحرب، أنه كان من قبل الرب أن يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة فيحرموا، فلا تكون عليهم رأفة بل يبادون كما أمر الرب موسى"[(١)].

وجاء في سفر العدد " وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم، ونهبوا بهائمهم وجميع مواشيهم، وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم"[(٢)].

وفي سفر القضاة " ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني نيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها حتى البهائم، حتى كل ما وجد، وأيضاً جميع المدن التي وجدت أحرقوها بالنار"[(٣)].

يقول توفيق الطويل: "يكاد ينعقد الرأي عند جمهرة المؤرخين على أن هذه السياسة قد أثرت تأثيراً ملحوظاً في الاضطهاد الديني عند المسيحيين، فالأستاذ "بيوري"[(٤)] يصرح بأن بعض المقطوعات التي تنطوي على التعصب الممقوت في "العهد القديم" أي التوراة قد تسللت إلى العهد الجديد وكان زاداً لأنصار الاضطهاد في العالم المسيحي بعد ذلك وأيد بايل وريـنان القول بتأثير الاضطهاد في العالم المسيحي بسياسة الاضطهاد عند اليهود"[(٥)].

---

(١) يشوع ١١/ ١٥-١٦.

(٢) سفر العدد ٣١.

(٣) سفر قضاة ٢٠.

(٤) جون باجنل بيوري (١٨٦١-١٩٢٧م): مؤرخ ايرلندي وحجة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية الشرقية، كان أستاذاً بجامعة دبلن، وجامعة كيمبردج، من مؤلفاته: تاريخ العهد الأخير للإمبراطورية الرومانية. انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٧٥.

(٥) قصة الاضطهاد الديني ص٦٠.

٣ - عقيدة الخلاص عند النصارى تعتبر الأساس الذي قامت عليه كثير من عقائدهم وأفكارهم، ومن رحم هذه العقيدة صدر التفكير في الاضطهاد؛ إذ أخذ النصارى بنظرية مؤداها: أن الخلاص لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها "فجعلوا الاضطهاد نتيجة طبيعية لعقيدة الخلاص"(١).

وعندما روجوا للإيمان بهذه العقيدة أذاعوا أن الذين لا يدينون بصدق نظريتها تحيق بهم اللعنة الأبدية لا محالة؛ فأفضى هذا الاعتقاد إلى الاضطهاد والتنكيل بكل من أبى الإذعان للكثلكة.

وإذا كانت الكنيسة تعتبر الطفل - على براءته وخلو ساحته من الخطايا - إذا مات من غير تعميد أمضى بقية حياته الأخروية في جهنم(٢)، فالطبيعي بعد هذا أن يستهدف المتهمون بالمروق لأشد صنوف العذاب(٣).

وإذا كانت الكنيسة تستبيح عذاب طفل وتتصوره عدالة، فلا ينتظر منها أن تعامل جماهير الناس بمنطق سليم، وقد مضت تشق طريقها في الحياة على ركام من جثث الخصوم ورفات الماضي(٤).

٤ - ظهور شخصيات نصرانية عمقت مبدأ الاضطهاد، وسوغت اضطهاد المخالفين والتنكيل بهم.

---

(١) انظر: المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، دراسة عقدية تحليلية، راجح السباتين ص٢١.

(٢) رجعت إلى كتب النصارى مثل كتب الأسرار، وكذلك وثائق الكنيسة الكاثوليكية ولم أعثر على مثل هذا القول، بل إن بعض النصارى يرون أن التعميد يكون بعد بلوغ سن الرشد. (انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٦٣٧، التعميد عند النصارى ص٢٦).

(٣) انظر: قصة الاضطهاد الديني ص٧٣.

(٤) انظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام دحض شبهات ورد مفتريات، الشيخ محمد الغزالي ص٩٦ بتصرف.

وكان من أبرزهم "أوغسطين"[1] الذي أعطى الكنيسة وقوداً وحججاً مؤيدة للقمع والكبح، ففي أول أمره كان داعياً إلى المحبة والتسامح ثم تغير موقفه إلى أن أصبح متعصباً ومنظراً للعنف والاضطهاد في النصرانية.

يقول محمد الغزالي[2]: "وفي أوائل القرن الخامس ظهر القديس "أوغسطين "، وهو رجل عنيف المشاعر، بالغ القسوة، كانت حياته سَوْطَ عذاب على مخالفي المسيحية، ورافضي الدخول فيها، وقد أمدَّ حركة الاضطهاد بالوقود الذي زادها ضراماً ورسم للأخلاق مُثلاً سيئة للجماح والتوحش"[3]

فقد اعتبر أوغسطين أن القوة شر لابد منه، إذا استعملت في هداية الوثنيين والهراطقة إلى سعادتهم الأبدية، وأطلق على هذا الشر الضروري عبارة " الاضطهاد العادل "، أو الحرب العادلة؛ ليميزها عن الحروب الأخرى التي لا تخدم كنيسة روما وذلك باعتبار أن الكنيسة هي الممثلة لإرادة الله تعالى، والمخولة بتحقيق العدل الإلهي[4].

---

(١) أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠): من آباء الكنيسة المشهورين، عاش شاباً مضطرباً وارتد بفضل مواعظ أمبروسيوس. لاهوتي وفيلسوف وكاتب كبير قاوم البدع الدوناتية والبيلاجية، حاول التوفيق بين العقل والإيمان من آثاره: الاعترافات، مدينة الله، النعمة. (انظر: المنجد في اللغة والإعلام ص٨٦-٨٧).

(٢) محمد الغزالي بن أحمد السقا (١٣٣٥- ١٤١٦هـ) من أكبر مفكري الاسلام ودعاته وكتابه في عصره، ولد بقرية نكلا العنب مركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة، تعلم بالأزهر وتخرج فيه، درس بكليات الشريعة وأصول الدين والدراسات العربية في الأزهر، وفي جامعة أم القرى، نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، توفي بالرياض ودفن بالبقيع في المدينة المنورة. من كتبه: عقيدة المسلم، خلق المسلم، كفاح دين.(انظر: ذيل الإعلام، علاونة، ص١٩٣).

(٣) التعصب والتسامح، ص٩٤.

(٤) انظر: المصنف الوجيز في تاريخ الأديان، فريدريك لونوار، ترجمة محمد الحداد، صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة الدوسري ص٢٧٠.

ونجد أن أوغسطين استند في دعواه إلى الاضطهاد على نصوص من الإنجيل، وخصوصاً العبارة الواردة في إنجيل لوقا " أرغموهم على الدخول"[(١)]، وكذلك بعض حوادث العهد القديم، وكان يرى أن من دلالات الرفق وشواهد الرحمة أن يعاقب الملحدين إذا كان العقاب ينقذهم من العذاب الأبدي، الذي ينتظره المرتدون عن دينهم القويم[(٢)].

لقد كانت هذه العوامل وغيرها البذور الأولى للاضطهاد الذي تبنته الكنيسة ، واستمرت قروناً طويلة بهذا الوضع ليصبح تاريخها أشد صفحات التاريخ قسوة وقتامة، من حروب دامية، وحملات صليبية، ومحاكم تفتيش إلى غيرها من صنوف الاضطهاد والعنف.

---

(١) إنجيل لوقا ١٤/ ٢٣.

(٢) رسالة في التسامح ص١١، قصة الاضطهاد الديني، ص٧١.

المبحث الثاني

الاضطهاد بين الطوائف النصرانية القديمة

وفيه توطئة وثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الاضطهاد الحاصل بسبب الخلاف حول شخصية المسيح.
- المطلب الثاني: الاضطهاد الحاصل بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح.
- المطلب الثالث: الاضطهاد الحاصل بسبب الخلاف في عبادة الصور والتماثيل.

* * * ** * * *

توطئـــــة

لم يمض وقت طويل على رفع المسيح عليه السلام حتى طرأت على النصرانية معاول التحريف، ثم أخذت تنسلخ رويداً رويداً عن عقيدتها التوحيدية الخالصة التي جاء بها عيسى عليه السلام، وتحولها إلى مزيج من الشركيات والفلسفات الوثنية، فأدى ذلك إلى تفرق النصرانية إلى عشرات الفرق المنحرفة، فحصل بينها النزاعات والصراعات الداخلية، وهو ما حصل مع النوميدين[(١)] والدوناتيين[(٢)] وهو أول خلاف أثناء حكم قسطنطين وأساسه ما حصل في اضطهاد دقلديانوس من تسليم بعض رجال الكنيسة الكتب المقدسة إلى السلطات الرومانية والبعض الآخر امتنع عن ذلك وتعرض بالتالي للاضطهاد والتعذيب[(٣)].

وقد ترتب على هذا الأمر " أن الأساقفة الذين سلموا الكتاب المقدس لرجال الشرطة الوثنيين قد فقدوا بعملهم هذا أهليتهم لمنصبهم وسلطتهم، وأن شعائر التعميد ورسامة القساوسة التي تجري على أيدي هؤلاء الأساقفة باطلة"[(٤)]، وهذا رأي الدوناتيين، وأما الفريق الآخر فيرى بأن فعالية أسرار الكنيسة لا تتوقف على قداسة الذين يقومون بها[(٥)].

---

(١) نسبة إلى نوميديا وهي بلاد قديمة في إفريقيا الشمالية بين قرطاجة والمغرب، موقعها اليوم في الجزائر على وادي الرمل. أشهر ملوكها ماسينيسا، فتحها العرب في القرن السابع. (انظر: المنجد، ص٥٨٨).

(٢) الدوناتية نسبة إلى دوناتس الروماني وهو زعيم الطائفة، ظهرت في أوائل القرن الرابع الميلادي، ومن أهم مبادئها وجوب تقديس الشهداء، وإمعان اللعنة على المرتدين عن المسيحية أزمنة الاضطهادات السابقة لعهد قسطنطين. (انظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، فشر. ٢/ ٩، قصة الاضطهاد الديني ص٩٥).

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٢/ ١٢٢، التاريخ الوسيط، نورمان ص٦٨، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٢٤٠.

(٤) قصة الحضارة ١١/ ٣٩١.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ص١٢٣.

ومن هنا حصل الخلاف وخاصة في عام ٣١٣م عندما قدح الدوناتيون في انتخاب "سيسيليانس"؛ لأن واحداً من الأساقفة الذين اشتركوا في سيامته[1] كان خائفاً، أي: من أولئك الذين سلَّموا الكتب المقدسة إلى السُّلَط، عندها عارض النومنديون هذا الانتخاب وقدحوا فيه واجتمع سبعون أسقفاً منهم وحكموا بعزل " سيسيليانس " وعينوا " ماجورينوس" أسقفاً جديداً على قرطاجة، فانقسمت الكنيسة إلى حزبين عليهما أسقفان "سيسيليانس" و"ماجورنيوس"، وعندما عرض هذا الأمر على الإمبراطور قسطنطين أوكل البت فيه إلى أسقف العاصمة الإمبراطورية، فعقد أسقف روما مجمعاً سنة ٣١٣، أيد انتخاب "سيسيليانس" وإدانة الدوناتيين لكن الدوانتيون لم يقبلوا هذا القرار، مما اضطر قسطنطين إلى استدعاء مجمع في آرل من أعمال بلاد فرنسا سنة ٣١٤، ولم يكن أيضاً لصالح دوناتس[2][3].

وقد استمر الدوناتيون في عدم الانصياع لقرارات هذا المجمع، وطلب من قسطنطين قراره الشخصي في قصة هذا النزاع، وفي سنة ٣١٦ قبل الإمبراطور هذه المهمة، ولكنه بعد أن استعرض القضية أصدر قراره بإدانة دوناتس وأنصاره، وكلف السلطات العسكرية بسحق هذه الحركة[4].

---

(١) السيامة، يقصد به الرسامة، أي رسامة الرتب الكنسية المختلفة، وهي تعني انتقال سلطة يسوع الروحية إلى الرسل جيلاً بعد جيل، ومنحت هذه العملية لقادة الكنيسة عن طريق وضع الأيدي على الرؤوس. (انظر: معجم المصطلحات الكنسية، ٢/ ٢٣٢، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د.أحمد القاضي ص٤٥).

(٢) دوناتس: أسقف قرطاجة ٣١٥م، أنشأ بدعة متشددة لا تتساهل مع الخطأة أحدثت شقاقاً وفتناً كثيرة في أفريقيا. (انظر: المنجد في اللغة والإعلام ص٢٥٠).

(٣) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص١٠٧، الدولة والكنيسة ٢/ ١٤٥، قصة الحضارة ١١/ ٣٩١.

(٤) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص٢٤٣، الفكر الإسلامي ص١٠٧، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، موسهم ص١٦٥، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، د. سيد أحمد الناصري، ص٢٣٨.

ولما لم يستجب الدوناتيون لهذه القرارات أخذ الأمبراطور في اضطهادهم، فأمر بهدم كنائسهم ومصادرة اجتماعاتهم، ونفي كهانهم، وإحراق كتبهم، فمن أخفى ما كتب كان الإعدام مصيره[1].

وبالرغم من كل هذا الاضطهاد والإقصاء الذي عاشه الدوناتيون لكن ذلك لم يزدهم إلا إصراراً ثباتاً وقوة فازدادت شعبيتهم وكثر عددهم، فاعترفت الحكومة بالهزيمة ومنحت الحرية للدوناتيين عام ٣٢١م.[2]

وكان هذا بداية الخلاف والنزاع واستعانة الطوائف النصرانية بالسلطة الحاكمة على بعضها البعض، واستخدموا في ذلك أبشع وسائل القمع والتنكيل والتعذيب، ويمكن التقسيم العقدي لهذا الصراع إلى ثلاث مراحل[3]:

المرحلة الأولى: اختلاف الطوائف النصرانية حول شخصية المسيح أهو رسول من عند الله كسائر الرسل؟، أم له صلة خاصة بالله أكبر من مجرد كونه رسولاً؟، وهي صلة البنوة لله ﷻ، وهذا ما حصل بين الموحدين " آريوس[4]" وأتباعه، وبين المثلثين " آثناسيوس"[5] وأتباعه.

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني ص٦٥.

(٢) تاريخ الكنيسة، لوريمر ٢/ ١٢٥.

(٣) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. أحمد القاضي، ص٨، الإسلام والصراعات الدينية، حافظ عثمان، ص١٠٦.

(٤) آريوس: (٢٥٦- ٣٣٦م)، ولد في منطقة بطليموس عاصمة الإقليم الشرقي، بينما تذكر مصادر أخرى أنه ولد في برقة على وجه التعميم ثم سافر إلى الإسكندرية ومنها إلى أنطاكية. عاش وتربى في الإسكندرية وتعلم في مدرستها المعروفة، تتلمذ على لوقيانوس زعيم المدرسة الأنطاكية المشهورة، من مؤلفاته: ثاليا Thalia أي: المائدة. (انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، ص١٥).

(٥) أثناسيوس (٢٩٥-٣٧٣ م): بطريرك الإسكندرية. قديس من آباء الكنيسة، حارب الآريوسيّة. (انظر: المنجد،ص٢٧).

المرحلة الثانية: الاختلاف على طبيعة المسيح عليه السلام بين آباء كنيسة الإسكندرية القائلين بالطبيعة الواحدة، وآباء كنيسة أنطاكية القائلين بالطبيعة المزدوجة وهم الذين عرفوا بالملكانية الأرثذوكسية.

المرحلة الثالثة: الاختلاف على وسائل التقرب من المسيح عليه السلام، وهي تقديس الصور والتماثيل " الأيقونات "، وقد حصل بين الكنيسة الشرقية والغربية واستمر لفترة طويلة.

قد تكون هذه أبرز الأفكار العقدية التي حصل عليها التفرق والاختلاف بين الطوائف النصرانية القديمة، وسوف نبين مدى تأثير هذه الاختلافات والاتجاهات في حصول الاضطهاد وزيادته.



المطلب الأول
الاضطهاد الحاصل بسبب الخلاف حول شخصية المسيح

اشتد الخلاف بين الفرق النصرانية حول شخصية المسيح عليه السلام حتى أصبح الخلاف واضحاً وكان من الصعب إيقاف فكرة إحدى الطائفتين وهما طائفة الموحدين " آريوس" وأتباعه، وطائفة المثلثين " آثناسيوس" وأتباعه.

وقد وقع اضطهاد كبير على الأريوسيين نسبة إلى آريوس، الذي قاد حركة تصحيحية كبيرة خلال القرن الرابع الميلادي ضد القائلين بتأليه المسيح، والذي رفض رفضاً قاطعاً عقيدة التثليث(١)، هذه العقيدة الدخيلة على عقائد النصارى الأوائل أتباع المسيح، ونتيجة لوقوفه ضد المثلثة وصف كتاب النصارى هذه الحركة بالهرطقة والإلحاد، فهذا ديورانت يقول: "أثناء حكم قسطنطين شهدت الإسكندرية قيام أخطر حركة إلحادية في تاريخ الكنيسة"(٢).

ويقول زكي شنودة: "كان آريوس أخطر أصحاب البدع التي ظهرت في تاريخ المسيحية كلها، وقد أثار بتعاليمه زوبعة هوجاء أقلقت الكنيسة زماناً طويلاً"(٣).

وقد امتاز آريوس بالذكاء، والفصاحة، وقوة الحجة، والجرأة في الرأي مع ملكة الحوار وفن الإقناع، شهد بذلك خصومه يقول أحدهم: "ليس هناك في تاريخ الأساقفة ورجال الدين العظماء من فعل مثلما فعل آريوس، لقد كان رجلاً طويل القامة مع انحناءة، متطرفاً متهوراً ذا عينين متوهجتين ذاتي بريق وقدرة عقلية من

---

(١) التثليث عند النصارى يقصد به الاعتقاد بإله واحد يكشف عن نفسه في الأقانيم الثلاثة، وهي الأب والابن (يسوع المسيح)والروح القدس. هؤلاء الثلاثة رغماً عن ذلك ينظر إليها على أنها كيان واحد تشترك في جوهر واحد، وقد حددت هذه العقيدة في النهاية. (انظر: معجم الأديان ص٧٥٩).

(٢) قصة الحضارة ١١/ ٣٩٢.

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٥٠.

الفوران العاطفي الرهيب، بل ليس هناك رجل يحمل السامعين على تغيير رأيهم مثله؛ لأنه كان عالماً مثقفاً وصادقاً وأصيلاً"[(١)].

بدأ آريوس في نشر آرائه حول طبيعة المسيح قبل سنة ٣٢٠م بقليل في الإسكندرية، وكان آريوس يرى " أن الله واحد غير مولود لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته، أما (الكلمة) فهو وسط بين الله والعالم. كان ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي ولا قديم. بل كانت مدة لم يكن فيها (الكلمة) موجوداً. فالكلمة مخلوق، بل إنه مصنوع، وإذا قيل إنه مولود فبمعنى أن الله تبناه، ويؤدي ذلك إلى أن الكلمة غير معصوم طبعاً، ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل. فهو دون الله مقاماً، ولو كان معجزة الأكوان خلقاً بلغ من الكمال ما لا يستحيل معه شيء أكمل منه رتبة ومالاً"[(٢)(٣)].

---

(١) Glasgow ،the Historyg of the Chunch ،Campbell ،J ،J. Aulay Steele، نقلاً عن تاريخ عقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلاَّم ص٢٩٩.

(٢) المسيحية والحضارة العربية، جورج قنواتي ص٢٦، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غرديه، جورج قنواتي ٢/ ٢٨٧.

(٣) وهنا قضية مهمة حول مفهوم آريوس عن التوحيد هل فعلاً كان موحداً أم أن مفهومه يختلف عن الفهم الإسلامي للمسيح عليه السلام؟ وقبل أن نبين هذه المسألة نشير إلى أنه لا يوجد مصدر معتمد يبين قول آريوس في هذه المسألة؛ لأن كل كتبه تم حرقها وإتلافها فبالتالي أن الأقوال التي بين ايدينا مأخوذة من كتب أناس آخرين قد تكون هذه الأقوال دخيلة عليه،وعليه فإن هذه الأقوال التي تنسب إلى آريوس لا يوافقها الإسلام؛ حيث إن آريوس يرى أن العلاقة بين المسيح والآب علاقة تبني أي أن المسيح ليس ابناً لله، والله ليس أباً ليسوع غير أن الله اتخذه ولداً، وهو فهم يتناقض مع ما قرره القرآن عن المسيح عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٥].(انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، ص٨٥- ٨٦، مصادر النصرانية، دراسة ونقداً،٢/ ٧٤٢، قضايا المسيحية، ص٤٨٣).

ولم يكن آريوس بمفرده يتبنى هذه المقالة بل كان معه جمع عظيم من النصارى في مصر، وفلسطين، ومقدونية، والقسطنطينية، ومن بين الأساقفة ورجال الدين الذين اتبعوه أسقف كنيسة أسيوط، و"يوسابيوس" القيصري مؤرخ الكنيسة الشهير، وأوسيبيوس النيوقومندي من مدرسة أنطاكية[1].

وسعى أسقف الإسكندرية إلى القضاء على هذا القول، فعمد إلى لعن "آريوس" وطرده وزعم أنه رأى المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقال له: يا سيدي من شق ثوبك؟ فقال: "آريوس"!! لكن لما لم تنفع مثل هذه الرؤى والأحلام في القضاء على " آريوس" دعا أسقف الإسكندرية إلى عقد مجمع محلي حوالي عام ٣٢٠م أو ٣٢١م ضم حوالي مائة أسقف من كنائس مصر، وليبيا للنظر في أمر "آريوس". وانتهى المجمع بالحكم عليه بالحرمان وإخراجه من الكنيسة، لكن "آريوس" لم يستسلم واستمر في نشر دعوته في أماكن كثيرة، وزاد أتباعه في كل مكان[2].

أخذ "آريوس" في زيادة أتباعه ومناصريه، فارتحل إلى " نيقوميديا " للقاء أسقفها "يوسيبوس" صاحب تاريخ الكنيسة، والذي آمن بدعوته، وسخر لها نفوذه خلال علاقته بالأسرة الحاكمة في الإمبراطورية، وخلال رسائله التي بعث بها إلى كل أصدقائه الأساقفة طالباً منهم النظر في قرارات كنيسة الإسكندرية، بل إن "يوسيبوس" أسقف نيقوميدية دعا إلى مجمع محلي للنظر في قضية "آريوس"، وأمر هذا المجمع بوجوب قبول "آريوس" وجماعته في الشركة، ووجوب الكتابة إلى "الكندروس"[3]

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،ص١٢٥، محاضرات في النصرانية ص١١٦، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، يوسف الكلاّم، ص٢٩٨.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية ص١١٦، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس ص٢٩٨، تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٢٠.

(٣) الكندروس: بابا وبطريك الكنيسة الإسكندرية أو رئيس أساقفتها، يعتبره أتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية خليفة مرقس الإنجيلي، توفي عام ٣٢٦م. (انظر: مصادر النصرانية ٢/ ٧٣٤).

بذلك ليرفع عنهم الحرم[1].

وهكذا اشتد الخصام والجدال بين "آريوس" وأتباعه وبين المؤيدين لبطريك الإسكندرية "الكندروس" حتى أصبح الشقاق والانقسام واضحاً وبصورة علنية في كل أرجاء الديانة النصرانية. يقول القس "منسي يوحنا": "وتمكن "آريوس" بدهائه وفصاحته أن يجذب إليه بعض الأنصار، فكانوا يجادلون المؤمنين في شوارع الكنيسة ويصرخ الواحد منهم في وجه الآخر قائلاً: "يا هرطوقي من الأكبر؟ الوالد أم المولود وآخر يقول: هل من المعقول أن يوجد قبل ولادته"[2].

كان قسطنطين يدرك خطورة مثل هذه الانقسامات على وحدة الإمبراطورية، فقد عاش من قبل المسألة الدوناتية وما أحدثته من اضطرابات، مع أن خطر الدوناتية كان رأسياً فلم يتعد أفريقيا ونوميديا، أما الحركة الآريوسية فقد اتسعت عرضاً لتشمل كنائس مصر وليبيا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى[3].

فقام قسطنطين بمحاولة التقريب بين الطائفتين والتوفيق بينهما فأرسل مستشاره الديني في شؤون الكنيسة " هوسيوس"[4] بخطاب وجاء فيه: "أنتما يا من يتعالى صياحكما في قضايا هي تافهة ووضيعة وسوقية، هي حمق صبياني، تقف والضد في حصافة الإكليروس والعقلاء " واختتم رسالته بقوله: "أعيدوا إلي أياماً خوالي وليالي غفت فيها جفوني حتى تنالني بهجة الضوء الوهاج ومسرة سكينة الحياة"[5].

---

(١) انظر: الدين والسياسة، سالمة عبدالجبار ص٤٧، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ص١٩٥.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية،ص٢٠٩.

(٣) انظر: الدولة والكنيسة، د. رأفت عبدالحميد ٣/ ٦١.

(٤) هوسيوس (٢٥٦-٣٥٧م): المستشار الكنسي للإمبراطور قسطنطين الأول، عيّن رئيساً لأساقفة قرطبة حوالي سنة ٢٩٥م. (انظر: مصادر النصرانية، ٢/ ٧٣٤).

(٥) الدين والسياسة، سالمة عبدالجبار، ص٦٠.

إن رسالة قسطنطين كانت دليل جهله الكبير بالمسائل اللاهوتية، وأنه كان حريصاً بالدرجة الأولى على أمن دولته واستقرارها، وحماية وحدتها واستقلالها، ولذلك انزعج كثيراً عندما علم بأن رحلة " هوسيوس "باءت بالفشل ولم تحقق نتائج إيجابية[1].

لقد كان النزاع أكبر من أن يفضه رسالة أو وساطة فرأى هوسيوس عقد مجمع عالمي لدارسة الأمر، وكان مجمع نيقية وهو أول مجمع مسكوني[2] في تاريخ النصارى[3].

انعقد هذا المجمع في عام ٣٢٥م بحضور قسطنطين، وكان عدد الحاضرين في المجمع- على اختلاف في الروايات - ثمانية وأربعين وألفين من الأساقفة، وابتدأت النقاشات في المجمع وبرزت العديد من الآراء والاتجاهات، وقد وصف " ابن البطريق " أحوال المجتمعين فقال: "إن منهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهين من دون الله. ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، ومنهم من كان يقول: إن مريم لم تحبل به تسعة شهور وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب.ومنهم من كان يقول: إن المسيح قد خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وإن ابتداء الابن من مريم وإنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه المحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله. ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح

---

(١) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٣٠٠.

(٢) المسكوني: مجلس يدعى إليه جميع أساقفة المسكونة، ومن لهم حق التصويت، والذي يعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبية، ويجيز مراسيمه، لمناقشة قضايا الطائفة والتي يدور حولها الخلاف سواء في أصول الديانة أو فروعها. (انظر: معجم الإيمان المسيحي ص٤٣٦، معجم المصطلحات الكنسية ٣/ ٢١٠).

(٣) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص٢٧٢، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، د. لينه حمصي ص٢١٨.

وطالح وعدل منهما، ومنهم من يقول بألوهية المسيح وهي مقالة بولس ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً"[1].

هذا بالإضافة إلى قول آريوس وجماعته المنكرين لألوهية عيسى عليه السلام، والذين كانوا يشكلون الأكثرية داخل المجمع، فتناظر القوم وتناقشوا، وبعد أن احتدم النقاش بين الأطراف انقسم المجتمعون إلى جهتين، الأولى كانت تناصر آريوس وهم الأغلبية الساحقة، أما الثانية فكانت تناصر أثناسيوس الذي يمثل مذهب اسكندر القائل بتأليه المسيح عليه السلام.

ثم جنح قسطنطين إلى مقالة أتباع بولس القائلين بتأليه المسيح وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً فقط أي ١٥,٥ ٪ من المجتمعين. وفوضهم بصياغة القوانين والقرارات التي غيرت معالم النصرانية تماماً، ولذلك يقول ابن البطريق: ويقول في ذلك ابن البطريق: "وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه، وسيفه، وقضيبه. فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذب عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به"[2].

وهكذا يبدو أن هذا المسلك الذي صار عليه الإمبراطور قسطنطين كان يطمح منه طمس الآريوسية والقضاء عليها من أجل وأد الانقسامات والاختلافات في مملكته، ولم يكن يهمه شيء آخر؛ ولذلك مال إلى مقالة المثلثة دون أن يفهم واقع هذه العقيدة.



(١) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧

المطلب الثاني
الاضطهاد الحاصل بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح

ما إن استقر قول النصارى على التثليث حتى تفاقم الاختلاف بين الطوائف النصرانية على قضايا عقدية جوهرية من صميم الديانة، فكانت مشكلة ما يتصل بكيان المسيح وتفسير ماهيته، ومدى العلاقة بين الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص المسيح مدار هذا الاختلاف والنزاع.

فظهرت في منتصف القرن الخامس مقالتان كان لكل واحدة منها أتباع وأنصار مما جعل هذا الخلاف يستمر لأكثر من مائتي سنة، وكانت سبباً في عقد عدة مجامع مسكونية، ومحلية[١] للبت في هذه القضايا[٢].

المقالة الأولى: مقالة أصحاب الطبيعتين والذين تمثلهم طائفة النساطرة[٣] أتباع نسطور، وقد انطلقت هذه المقالة من تعاليم "ثيودوروس"[٤] أسقف المصيصة[٥]

(١) المحلية: هي التي كانت الكنائس وما تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها أو للنظر في بعض الشؤون المحلية الخاصة. (انظر: تاريخ الأقباط ١/ ١٧١، معجم المصطلحات الكنسية ٣/ ٢١٠).

(٢) انظر: تاريخ الانشقاق، الارشيمندريتي جراسيموس مسرَّه اللاذقي ١/ ١٩٤.

(٣) ويطلق عليهم كذلك الأشوريون وهم طائفة من النصارى تنسب إلى نسطور بطريرك القسطنطينية، قطنوا كردستان بين الموصل وأرمينية إلى أن تبدد شملهم بعد حرب ١٩١٤م. وقد اتحد قسم منهم بالكنيسة الكاثوليكية في خلال القرن السادس عشر وهم الكلدان. (انظر: المنجد ص٧٠٨، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، عدنان المقراني ص٧٧).

(٤) ثيودوروس، وهو الثامن والثلاثون بعد الرسولين واسمه يوناني ومعناه عطا الله، وقد اتخذ موقفاً حازماً من بيلاجيوس وأتباعه فعقد مجمعاً انطاكياً وخطّا هؤلاء وحرم عليهم الوصول إلى الأماكن المقدسة (انظر: كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، د. أسد رستم ١/ ٣٠٦).

(٥) المصيصة: وهي مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، كانت من الأماكن التي يرابط بها المسلمون قديما، وهي مسماة فيما زعم أهل السّير باسم الذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، عليه السلام. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/ ١٤٤).

الذي كان يرى أن طبيعة الله " الكلمة " طبيعة كاملة، كما أن الطبيعة البشرية في المسيح كاملة أيضاً، أما الاتحاد بين هاتين الطبيعتين فهو اتصال أو حلول الكلمة الإلهي في الإنسان عيسى، وهو ما ينجم عنه نفي اشتراك الأسماء والصفات في المسيح بين الكلمة ابن الله والإنسان واعتبار أن الإنسان عيسى ليس ابن الله حقاً إنما أصبح اهلاً لهذه التسمية بـ " النعمى " فحسب(1).

وهذ الرأي هو ما أكده " نسطور " في التمايز والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح، والطبيعة البشرية، فالمسيح ليس طبيعتين فحسب بل أقنومين، أي شخصيتين متمايزتين أيضاً وهما شخصية عيسى المسيح الذي كان بشراً وهذا البشر هو وحده الذي ولد من مريم العذراء وبالتالي مريم والدة المسيح وليست والدة الله(2)، ورأى في اصطلاح "والدة الإله" خلطاً بين اللاهوت والناسوت، واقترح القول: "والدة المسيح"(3)، كما أن الذي صُلِبَ - في اعتقادهم - وتألم ومات، لم يكن الله الابن، بل عيسى الإنسان البشر(٤).

لقد أدى هذا الرأي إلى انقسام واسع بين المدرستين الأنطاكية والإسكندرية، وذلك بحكم أن الإسكندرية تزعمت الفكر المسيحي مدة من الزمن وشاطرتها أنطاكية هذه الزعامة؛ وبالتالي أحدث ضرورة إلى سوء التفاهم(5).

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص١١٥، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غرديه، جورج قنواتي ٢/ ٣٠٣.

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم ص٢٦، المسيحية في الوطن العربي الحسين بن طلال ص٥٨،

(٣) انظر: كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، د. أسد رستم ١/ ٣٠٩.

(٤) انظر: الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن، سعد رستم ص١٢.

(٥) انظر: كنيسة مدينة أنطاكية العظمى ١/ ٣١٠، المسيحية والحضارة العربية، د. جورج قنواتي ص٢٩.

ملامح الخلاف حول هذه المقالة:

ما أن وصلت مقالة "نسطور" إلى "كيرلس"[(١)] أسقف الاسكندرية حتى نهض في مقاومة هذا الرأي فتوترت العلاقات بين الرجلين، وهنا لا يمكن إغفال المنافسة القديمة بين بطريكيتي الاسكندرية والقسطنطينية التي قد دبت إلى الصدور بعد المجمع المسكوني الثاني عندما أصبح أسقف القسطنطينية الثاني بعد أسقف رومة في المكانة[(٢)].

المقصود أن "كيرلس" بدأ في ثني "نسطور" عن مقالته ففي منشوره الفصحي لسنة ٤٢٩م تكلم في تعليم الكنيسة عن الطبيعتين وحارب نسطور من دون أن يذكر اسمه[(٣)].

ثم أعقب ذلك برسائل إلى "نسطور" يوضح له غلطه ويحاول رده عن قوله، فكان "نسطور" يستجهل "كيرلس" ويقابله بعبارات انتفاخ واحتقار فلم يحصل من تلك الكتابات إلا زيادة في تعميق الخلاف وإصرار كل واحد على قوله، وعقد "كيرلس" مجمعاً محلياً وعرض عليه الرسائل المتبادلة فاستصوب المجمع رأيه وحكم بصحته[(٤)].

سارع "كيرلس" في تسليم "سلستينوس"[(٥)] بابا روما رسالة تتضمن الجدل

---

(١) كيرلس (٣٨٠-٤٤٤م): بطريرك الاسكندرية. ولد في حوالي ٣٨٠م. وعند وفاة عمه البطريرك ثيوفيلس، خلفه على الكرسي الأسقفي عام ٤١٢م، عزل عن كرسيه بأمر من ثيوذوسيوس الثاني، لكنه ما لبث أن أُعيد إليه مات عام ٤٤٤م من كتبه الرسائل الفصحيّة. (انظر: معجم الإيمان المسيحي ص٤٠٦، قاموس أعلام الفكر ص٤٥٥ - ٤٥٧).

(٢) انظر: كنيسة مدينة أنطاكية العظمى ١/ ٣١٢، قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي ص٥١٩،

(٣) انظر: تاريخ الانشقاق، ١/ ١٩٥.

(٤) انظر: كنيسة مدينة انطاكية ١/ ٣١٣، تاريخ الانشقاق ١/ ١٩٦، الروم، د. أسد رستم ١/ ١٢٤،

(٥) سيليستينوس الأول: كان البابا لكنيسة روما الكاثوليكية من عام ٤٢٢م وحتى عام ٤٣٢م، أرسل إلى
= ⇦

في مراحله المختلفة مع "نسطور"، فعقد البابا مجمعاً رومانياً سنة ٤٣٠م كفّر فيها تعليم "نسطور". ثم أرسل برسائل أربع إلى الشرق: كانت الأولى موجهة إلى "نسطور" نفسه، يطلب فيها من الرجل أن يعلن رجوعه عن أقواله بعد عشرة أيام من استلامها. أما الثانية، فكانت موجهة إلى كنيسة القسطنطينية، والثالثة إلى يوحنا أسقف انطاكية، والرابعة إلى "كيرلس" ذاته، يعيّنه فيها البابا ممثلاً للسدة البطرسية ومكلفاً بتطبيق أحكامها[1].

وما أن استلم "كيرلس" رسالة البابا حتى عقد مجمع لأساقفة مصر في الاسكندرية عام ٤٣٠م، وأجمعوا فيه على اثنتي عشرة قاعدة، كفّروا بها تعاليم "نسطور"، وعرف الكل " بالاثني عشر تحريماً"[2]، ثم أرسل هذه التحريمات إلى نسطور من أجل التوقيع عليها والإقرار بمحتوياتها. ولكن أبى نسطور التسليم برأي الاسكندريين حول طبيعة المسيح، فعمت الفوضى وتصلب كل فريق عند رأيه.

يقول د. أسد رستم: "وهكذا فإن الاختلاف في الاصطلاح واندفاع كل من نسطوريوس وكيرلس وانتفاخهما وتسرعهما قسم الكنيسة في ظرف سنوات ثلاث إلى شطرين رومة وآسية وأوروشليم والإسكندرية في الجهة الواحدة وأنطاكية ونسطوريوس في الجهة الأخرى"[3].

ولما وصل النزاع إلى هذه الصورة تم عقد مجمع أفسس[4] عام ٤٣١م، وقرر هذا

= بريطانية جرمانس، أسقف أوكسير ليحارب البدعة البيلاجيّة وينصر الوثنيين. (انظر: معجم الباباوات، خوان داثيو،ص ٢٨، مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د. عبدالرزاق الأرو ٢/ ٨٠٨).

(١) انظر: فلسفة الفكر الديني ٢/ ٣٠٨،كنيسة مدينة انطاكية ١/ ٣١٣، تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢١٩.

(٢) للوقوف على هذه الحرمانات انظر: تاريخ الكنيسة القبطية، القس منسي يوحنا ص٢١٧-٢١٩، تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢٢٠-٢٢٢.

(٣) كنيسة مدينة انطاكية، ١/ ٣١٤.

(٤) أفسس كلمة يونانية تعني " المرغوبة " وهي اسم لمدينة كانت عاصمة المقاطعة الرومانية تقع على الشاطئ =

المجمع كما يقول ابن البطريق: "أن مريم العذراء والدة الله. وأن المسيح إله حق وإنسان، معروف بطبيعتين، متوحد في الأقنوم"[1].

وقد حكم هذا المجمع بكفر "نسطور" وإسقاطه من رتبته وفرزه من كل خدمة كنسية، ومنع من نشر آرائه، ونفي إلى البطراء سنة ٤٣٥م، ثم إلى صحراء مصر حيث مات فيها سنة ٤٥١م[2]، لكن الكثير من السريان لم يقبلوا هذا القرار ورفضوا قرارات المجمع وانفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسية، وعرف هؤلاء المنشقون باسم النساطرة.[3]

مظاهر الاضطهاد الذي صاحب هذه المقالة:

يمكن أن نستنتج من خلال تلك الملامح التي صاحبت هذه المقالة مدى الاضطهاد الذي وقع على صاحبها وتأثير ذلك في زيادة الانحراف والانقسام فنجد ما يلي:

١-سعي "كيرلس" بطريرك الإسكندرية بكل الوسائل حتى -الدنيئة منها- إلى تكفير نسطور وتجريده من كل مسؤولياته، وذلك بفضل مساعدة الرهبان المصريين الذين كانوا يكونون قوة كبيرة لها اعتبارها، وكذلك بفضل مساعدة البابا ورجال

= الأيسر من نهر الكايسترا الذي يصب في بحر ايجة (في تركيا الآن)، وعلى مسافة ثلاثة أميال من البحر جنوبي شرق أزمير، وكانت ميناءً بحرياً مهماً ومركزاً دينياً - نصرانياً - في العصور القديمة. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٩٢، معجم الإيمان المسيحي، ص٥٢).

(١) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص١٥٧.

(٢) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس كسّاب ص٢٨٨، موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة ١/ ١٧٧،تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، موسهيم ص٢١٥، فلسفة الفكر الديني ٢/ ٣٠٢، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص١١٦.

(٣) انظر: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، د. لاسي اوليري، ترجمة، د. وهيب كامل، ص٧١.

الدين في روما[1].

٢- عدم توفر الجو المناسب في مناقشة هذه المقالة، أعطى مزيداً من الاستبداد وإصدار القرارات التي تكرس الحكم بالحرمان، فنجد أن بابا روما يعقد مجمعاً محلياً من أجل الحكم على نسطور دون الاجتماع به وسماع مقالته، كذلك كيرلس الذي يستميل البابا إليه برسائله، واستخدام قرار البابا في تفويضه للبت في شأنه بإصدار اثني عشر حرماناً، يقول حنا الخضري: "لقد اتفق معظم العلماء على أن كيرلس قد تخطى بهذه الحرمانات حدود السلطان الذي خول له من كرسي روما، فإن كل ما طلبه بابا روما من كيرلس، هو أن يقدم رئيس أساقفة القسطنطينية إقرار إيمان واضح وصريح يعترف فيه بلاهوت وناسوت المسيح، وأن المسيح هو إله وإنسان معاً منذ اللحظة الأولى من الحمل. فلم يطلب بابا روما من كيرلس أن يقوم بتأليف حرمانات أو قانون إيمان جديد ويرغم نسطوريوس على قبوله فيقبل في الكنيسة أو رفضه فيرفض من الكنيسة"[2].

٣-يبدو من الوهلة الأولى أن مجمع أفسس الذي عقد من أجل مناقشة هذا الرأي يميل بما حواه من أحداث ووقائع إلى ممارسة الاضطهاد على نسطور وشيعته ومن تلك الدلائل:

أ -اختيار مدينة أفسس مقراً لهذا المجمع لم يكن موفقاً نظراً لتقديس أهل هذه المدينة لمريم عليها السلام، ورفعها منزلة فوق منزلتها حتى وصلت في كثير من الأحيان إلى عبادتها، فكان من الطبيعي أن يقفوا ضد هذه المقالة وأن ينحازوا إلى كيرلس وشيعته لذلك أظهروا عداوتهم بكل وضوح، فكان استقبال أسقف المدينة " أمنون " لنسطور ووفده استقبالاً سيئاً وعدوانياً، بل قدّمهم للشعب في صورة أعداءٍ

---

(١) انظر: تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر كمال توفيق، ص٧٢.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢٢٢.

لوالدة إلههم - بزعمهم-، كما أغلقت أبواب الكنائس في وجه نسطور وأتباعه بأمر من أسقف المدينة، وعدم السماح له بالوعظ في المدينة، ولذلك لما صدر حكم المجمع على نسطور بالحرمان صرخ شعب أفسس قائلين: "إلى الهاوية نسطوريوس اليهودي... إن مريم أم الله انتصرت على نسطوريوس"[(١)]، بل إن أهل أفسس قاموا بمظاهرات يعلنون فيها ابتهاجهم بقرار الحرمان[(٢)].

ب -إعلان كيرلس افتتاح المجمع قبل اكتمال الوفود من الأساقفة المقرر حضورهم، كان محل تساؤل خاصة وأن بعضهم كيوحنا أسقف أنطاكية أرسل خطاباً يعلمهم بمجيئه ويذكر أسفه على التأخر؛ لأن قافلتهم تعرضت لبعض الحوادث، كما أنه رجا زملاءه في أفسس التفضل بانتظارهم حتى يصلوا، ويتألف وفد يوحنا من أربعة وثلاثين أسقفاً، وكان رأيهم موافقاً لنسطور ولاشك أن عدداً كهذا سيشكل قوة في الرأي الذي يميل إليه، إلا أن كيرلس لم يصبر وقرر افتتاح المجمع ولهذا يرى النقاد حتى - النصارى منهم - أن صنيع كيرلس هذا كان دافعه أمران هما:

أولهما: خوف كيرلس من زيادة اتباع نسطور، ووقوف الوفد الأنطاكي معه ومساندته، وبالتالي تأخير افتتاح المجمع يصب في مصلحة نسطور، يقول د. حنا الخضري: "فمن الواضح أن أساقفة أنطاكية كانوا ضد كيرلس وخاصة الحرمانات التي نطق بها ضد نسطوريوس، ألم يطلب يوحنا الأنطاكي من الأسقف اندراوس[(٣)] والأسقف ثيودوريطوس[(٤)] بأن يكتبا تقريراً عن هذه الحرمانات لأن

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥.

(٢) انظر: قصة الحضارة ١٢/ ١٠١.

(٣) اندراوس: أسقف شميشاط، بدأ اندراوس نشاطه كأسقف على شميشاط عندما اندلعت الأزمة النسطورية إذ كلفه يوحنا الأنطاكي وثيودوريطس أسقف قورش بالرد على إبسالات كيرلّس الإسكندريّ. (انظر: أعلام الفكر الديني المسيحي، ص١٠١).

(٤) ثيودوريطس (٣٩٣- ٤٦٦م): أسقف قورش، ولد في أنطاكية من عائلة مسيحية ميسورة، ثم انتحل =

ثلاثتهم رأوا فيها رائحة الأبولوناريوسية؟ فإن وجود يوحنا الأنطاكي مع وفده (حوالي ٣٤أسقفاً)في المجمع لابد وأنه كان سيغير الموقف"[(١)].

ثانيهما: حسد كيرلس وحقده الموروث وخوفه من مناقشة بنوده أمام المجمع بكامله، وخاصة الحرمانات التي كتبها[(٢)].

جـ - تدعي النصارى أن المجامع هيئات شورية[(٣)]، لكن ما حدث في هذا المجمع يقوض هذا الادعاء تماماً فرئاسة كيرلس لهذا المجمع لم يكن شورياً ولا ترشيحاً بل كان قسرياً، فالغالبية العظمى من علماء النصارى يرون عدم قانونية رئاسة كيرلس لهذا المجمع، يقول د.حنا الخضري: "لا يوجد أي خطاب، ولا أي نص من البابا كيليستينوس إلى كيرلس أو إلى المجمع يشير إلى أن رئيس أساقفة الإسكندرية هو رئيس المجمع فإن الخطاب المؤرخ بتاريخ ٧مايو (آيار) ٤٣١م والذي أرسله البابا مع وفده لا يقترح اسم القديس كيرلس لرئاسة هذا المجمع ولا يعينه، وهذا الأمر واضح أيضاً من الدعوة التي أرسلها الإمبراطور؛ فإنها لا تعين أي شخص، بل تُرك هذا الأمر لتقرير المجمع نفسه"[(٤)].

إضافة إلى أن المجمع أصبح يتجه إلى محاكمة نسطور لا إلى المهمة التي كان عليها وهي " عرض تعاليم كيرلس وتعاليم نسطور والبحث فيهما، وإصدار حكمه ضد

= الحياة الرهبانية بعد وفاة والده سنة ٤١٦ في أحد الأديار بجوار مدينة نيكرتي القريبة من أبامية في سورية، سُقّف على مدينة قورش سنة ٤٢٣، عمل فيها بجد مدة أربعين سنة، فغدا واحداً من كبار اللاهوتيين والمفسرين الأنطاكيين الأكثر غزارة له مؤلفات لاهوتية وتاريخية منها: التاريخ الديني، تاريخ الحياة الرهبانية. انظر: أعلام الفكر الديني المسيحي، ص٢٥٠، المنجد، ص١٨٩.

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢٣٥.

(٢) انظر: كنيسة مدينة انطاكية ١/ ٣١٦، تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢٣٥.

(٣) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٧٠

(٤) تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢٣٦-٢٣٧.

التعاليم المضلة، وقبول التعاليم الصحيحة. وهذا يعني أيضاً بأنه كان من الواجب القانوني بأن يجلس القديس كيرلس ورئيس أساقفة القسطنطينية أمام هذا المجمع ويجاوب كل منهما على الأسئلة التي توجه إليه بتواضع وخضوع واحترام لسلطة هذا المجمع المنعقد لحل هذه المشكلة"(١).

د- نلاحظ في مجمع أفسس عدة أشياء تفقده النزاهة والحيادية، وأن كيرلس اختط لنفسه منهجاً قاسياً من أجل تحقيق مآربه وإقرار مذهبه، فنجد أنه أخذ معه إلى أفسس أكثر من أربعين أُسقفاً مصرياً وبالتالي لم يعبأ بنص الدعوة الإمبراطورية ووجوب الاكتفاء بعدد قليل من الأساقفة، إضافة إلى موكب ضخم من الإكليركيّين وحتى من المجدّفين مفتولي العضلات استعداداً للمشاركة في المعركة إذا اقتضى الأمر(٢)، كذلك نجد أنه حُكم على نسطور غيابياً مع أنه كان أول الحاضرين إلى مدينة أفسس لكنه رفض الحضور حتى يصل جميع الأساقفة؛ ولأن خصمه هو المتنفذ في المجمع؛ ولذلك يقول نسطور عن هذا الأمر: "لقد كّون [كيرلس] محكمة، وكل ما كان يقوله قَبِلَه الآخرون... كان هو المحكمة... وجمع حوله كل الذين يعملون مسرّته، البعيدين والقريبين... ولقد دعاني كيرلس الذي أمر بافتتاح المجمع، استدعاني كيرلس الذي كان رئيساً لهذا المجمع من هو القاضي؟ كيرلس. ومن هو موجِّه الاتهام؟ كيرلس، كان كيرلس الكل في الكل"(٣).

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٣٧.

(٢) انظر: كنيسة مدينة انطاكية ١/ ٣١٥، تاريخ الكنيسة المفصل ١/ ١٨١.

(٣) Nestorius.Lelivred Heraclide.Ed.F.Nau,1camelot49.،نقلاً عن تاريخ الفكر المسيحي ٢/ ٢٣٦.

المقالة الثانية: أصحاب الطبيعة الواحدة (المونوفيزتية)[1]:

ويسمون باليعاقبة[2]، الذين يرون أن للمسيح طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً فيقال لهم من أجل ذلك أصحاب الطبيعة الواحدة، ومجمل اعتقادهم: "إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما طبيعة الناسوت، والأخرى طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصارتا إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً، وهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، هو إله كله وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين"[3].

وعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح قول تدين بها الكنائس الأرثذوكسية القبطية حيث تزعم أنه قد " اتحد لاهوته مع ناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير إذ لم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد"[4].

وكذلك هو قول الكنائس الشرقية الأخرى التي لم تعترف بقرارات مجمع خلقدونية -المنعقد سنة ٤٥١م - مثل الأحباش الأرثوذكس والسريان الأرثوذكس بالشام بالإضافة إلى الكنيسة الأرمنية[5].

---

(١) مونوفيزية مركبة من monos= وحيد وphusos= طبيعة.

(٢) نسبة إلى يعقوب البرادعي، أسقف الرها ٥٤١-٥٧٨، أكبر منظمي السريان الأرثوذكس، لكن اليعاقبة ترفض هذه النسبة بحجة أن الذي أسس الكنيسة السريانية القديس مار بطرس وليس مار يعقوب، مع اعترافهم بمكانة يعقوب البرادعي فهو أحد أبائها الميامين وهو الذي ثبت الكنيسة السريانية أيام عصر الاضطهاد والإبادة التي لحقتها من الكنائس الخلقدونية، وقام بنشر الإيمان، ورسم عدد من الأساقفة لكن النسبة إليه تشعر المستمع أن ابتداء الكنيسة من يعقوب البرادعي وانقطاع تسلسلها في الآباء قبله حتى تصل إلى أحد تلاميذ المسيح الذين رسموا كنيسة أنطاكية التي ينتسبون إليها. (انظر: هداية الحيارى لابن القيم ٢/ ٥٣٤،تاريخ الكنيسة القبطية، منسي يوحنا، ص٢٧٤).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، ص٥٣٤.

(٤) الفروق العقيدّية بين المذاهب المسيحية، القس إبراهيم عبد السيد ص١٤.

(٥) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص١٣١، الفرق والمذاهب =

ونجد أن شر أقوال النصارى قول هذه الطائفة، فالنساطرة قد ميزوا بين المسيح إلهاً، والمسيح إنساناً، ثم جعلوا بين الطبيعتين وحدة أو اتحاداً أدبياً معنوياً، أما أصحاب الطبيعة الواحدة فإنهم يؤكدون الوحدة في المسيح، فهناك اتحاد في الأقنوم قد تحقق في الأقنوم القديم الذي هو أقنوم الكلمة الإلهي[1].

ملامح الخلاف حول هذه المقالة:

لم يدم الوفاق طويلاً بين الكنائس الشرقية بعد مجمع أفسس الثالث، فما مر عقد من الزمان حتى قام راهب يدعى "أوطيخا"[2] رئيس دير كبير في القسطنطينية، وكان نافذ الكلمة في بلاط الإمبراطور ثاودوسيوس، وكان ضد مقالة نسطوريوس في طبيعة المسيح، وتطرف حتى قال: "أن المسيح - قبل التجسد- كان طبيعتين ولكن بعد الاتحاد لم يبق إلا طبيعة واحدة الإلهية ويفسر ذلك قائلاً بقيت الطبيعة الإلهية على ما كانت عليه وذابت البشرية فيها كما يذوب ماء البحر نقطة العسل التي تسقط فيه"[3].

ورغم قربه ومكانته عند الحاكم إلا أن أفكاره لم تسلم من المعارضة، فقام "ثيودوريطس الكورشي" من الكنيسة الإنطاكية، ومن المؤيدين لغالب أفكار نسطوريوس بكتابة كتاب اسمه " الشحاذ" مفنداً وناقداً ضلال وهرطقة هذه التعاليم[4].

= المسيحية، أسد رستم ص٢٩، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي،ص ٧٧.

(١) انظر: الوحدانية، د.بركات دويدار ص٦٢-٦٣.

(٢) أوطيخيا: (ت نحو ٤٥٤) راهب بيزنطي قال بوحدة الطبيعة فحرمه المجمع الخلقيدوني عام ٤٥١ .(انظر: المنجد ص٨٦).

(٣) المسيحية والحضارة العربية، الأب الدكتور جورج قنواتي ص٣١.

(٤) انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ٢٠٠، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ١/ ٦٥.

واستخدم أوطيخا مكانته ونفوذه عند الحاكم في اضطهاد كل من لا يجاريه في أفكاره وخصوصاً أتباع المدرسة الأنطاكية[(١)].

وكان فلافيانوس[(٢)] أسقف القسطنطينية يتابع انتشار فكرة أوطيخا وأدرك خطورتها، واقتنع بعقد مجمع لمناقشة هذا الرأي وهو ما حصل في سنة ٤٤٨م حضره ثلاثون أسقفاً، وأدان المجمع أوطيخا وحكم عليه بتجريده من وظيفته الكهنوتية واستبعاده من رياسة الدير[(٣)].

هذه القرارات رفضها أوطيخا، ولم تعجب الإمبراطور ثيودوسيوس، فقرر عقد مجمع مسكوني في أفسس، وعهد إلى ديوسقيورس[(٤)] أسقف الأسكندرية صديق أوطيخا والمتبني لفكرته رئاسة المجمع، وحضره وفي رفقته جمع من الرهبان المتحمسين لحراسته، وما أن دخل هؤلاء الرهبان إلى قاعة الاجتماع حتى سارعوا إلى إخراج أشدّ المعارضين لموقف بطريركهم بالقوة، ولم يستطع ممثل رومه من قراءة رسالة البابا لاون، بل افتتحوا بتلاوة أعمال المجمع القسطنطيني الذي حكم على أوطيخا بالقطع، وعندما بلغ القارئ قوله: "أن أوسابيوس الدوريلي قد بذل جهده عبثاً في حمل أوطيخا على الإقرار بأن للمسيح طبيعتين " هتف عدد كبير من الحاضرين " فليُحرق أوسابيوس حياً لأنه أراد أن يُقسِّم المسيح " ثم طرح ديوسقوروس قضية أوطيخا للتصويت وحكم المجمع بإعادته إلى الكنيسة وإرجاعه إلى رئاسة دير القسطنطينية، ثم أدان المجمع فلابيانوس وأسابيوس وحكما عليهما بالحرمان، وكل من عارض

---

(١) انظر: المسيحية والحضارة العربية ص٣١.

(٢) فلافيانوس: بطريريك القسطنطينية ٤٤٦. قاوم أوطيخا فعُزل عام ٤٤٨م ومات منفياً. (انظر: المنجد، ص٤٢١).

(٣) انظر: الروم أسد رستم ١/ ١٢٦.

(٤) ديوسقورُس: بطريرك الإسكندرية (٤٤٤ - ٤٥١). اتبع مذهب أوطيخا فعزله مجمع خلقيدونية. (انظر: المنجد، ص٢٥٥).

أوطيخا، فاحتج فلابيانوس على هذا الحكم، وتقدم بعض الأساقفة نحو ديوسقوريوس ورجوه التبصر والتريث فأدعى بأنهم هددوه وطلب المعونة من ممثلي الأمبراطور. ففتح أبواب الكنيسة وأدخلوا الجند والرهبان والبحارة المصريين وسادت الفوضى وعم الاضطراب، واجبروا بقوة السلطان على التوقيع على خلع هذين الأسقفين، وطالبوهم بالتوقيع على أوراق بيضاء لأن المحْضَر لم يدون بعد، وكان رئيس المجمع يمر وسط الصفوف وبجانبه رئيس أساقفة أورشليم لجمع التوقيعات، وكل من امتنع كان عقابه الإهانات والاتهام بالهرطقة النسطورية، ظلت الأبواب مغلقة طوال هذه الجلسة الطويلة الصاخبة، حتى حل الظلام وأشعلت المشاعل، وكان فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية واقفاً في ركن من الكنيسة فاقترب منه رئيس أساقفة الإسكندرية ورماه بالشتائم بل ضربه على خديه، فهرع فلافيانوس مسرعاً نحو المذبح وتمسك به محتمياً فيه حتى لا يلمسه أحد، ولكن بالرغم من ذلك جذبه أثنان من شمامسة الإسكندرية وألقياه على الأرض فأوسعه ديوسقوريوس ضرباً وداسه بالأقدام، ولم يجرؤ أحد على التدخل لإنقاذه من أيديهم، ولاذ بعض الأساقفة فراراً بأنفسهم عندما فتحت الأبواب، وأرسل فلابيانوس إلى المنفى لكنه مات في طريقه إلى منفاه متأثراً بجراحه بعد ثلاثة أيام، أما أسابيوس فإنه كان أسعد حظاً إذ تمكن من الهرب إلى رومة، ولما بلغ لاوون الكبير أبدى انزعاجه وغضبه من هذا المجمع وأطلق عليه "مجمع اللصوص"[1]، إشارة إلى أن كل ما حكم به كان بخداع واغتصاب[2].

---

(١) انظر: كنيسة مدينة أنطاكية ١/ ٣٣٢- ٣٣٦، تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ٢٢٧ وما بعدها، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية، الأب يوسف الشماس المخلصي، ص١١٨-١١٩ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ١/ ٦٥-٦٧،تاريخ الكنيسة المسيحية سمير نوف، ص٢٦٤-٢٦٥، الهرطقة في الغرب، د. رمسيس عوض، ص٨٨-٨٩، المسيحية في الوطن العربي ص٦٠

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، موسيهم ص٢١٨.

سخط بابا رومة على هذا المجمع وعزم على عقد مجمع آخر ينقضه لكن هذا لم يحصل إلا بعد أن مات الإمبراطور ثيودوسيوس سنة ٤٥٠ وخلفه مرقيانوس[1] الذي وافق على عقد المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية سنة ٤٥١م، تجاوز عدد أعضائه عشرين وخمسمئة أسقف، وكانت رياسة المجمع بيد السلطة الحاكمة، وافتتح المجمع أولى جلساته بحضور جميع الفئات المتخاصمة، روما والقسطنطينية وخصوم ديوسقوروس من جهة، وأنصار ديوسقوروس وأوطيخا من جهة أخرى[2]،تقول مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية: "وكان أول اقتراح طلبه مندوبو رومية انسحاب ديسقورس بطريرك الإسكندرية من المجلس.فسأل الرئيس عن الباعث لهذا الانسحاب وعن الأسباب التي تلجئ المجمع إلى إخراج هذا البطريرك من قاعته؟ فكان اعتراض هؤلاء أن ديسقورس شكل مجمعاً دون أن يستأذن الكرسي الرسولي، ويقصدون بالكرسي الرسولي بابا القسطنطينية... فلم يصادق مندوبو الحكومة على هذا الرأي السقيم، وقرر المجمع بقاء ديسقورس، ولكن على غير كرسي الرياسة، كما كان في المجمع السابق؛ لأنها أصبحت في يد رجال الإمبراطورة، وقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات في أثناء الاجتماع مما جعل مندوبي الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان أحدهم: "إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا مثل هذه الأعمال الشائنة من صياح، وصراخ، وسب، وقذف، وضرب ولكم. بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب في الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد، ولذلك نرجوكم أن

---

(١) مرقيانوس(٣٩٦-٤٥٧): امبراطور بيزنطي (٤٥٠-٤٥٧)، يعد عهده من أزهى عصور الدولة البنزيطية دعا إلى عقد مجمع خلقودنيا الكنسي الذي حرم القول بالطبيعة الواحدة. (انظر: موسوعة المورد العربية ٤/ ١١٠٨).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، لويمر ٣/ ٢٢٦،تاريخ الكنيسة الشرقية ١/ ٦٧-٦٨ مجموعة الشرع الكنسي ص٣٧٥، تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ٢٤٣ومابعدها، كنيسة مدينة أنطاكية ١/ ٣٤٠، عصر المجامع ص٣٢٧- ٣٢٨، الهرطقة في الغرب ص٨٩-٩٠، الكنيسة في التاريخ ١/ ٤٩٦، المسيحية والإسلام ص٢٣٨- ٢٣٩.

تستعملوا البرهان بدل المهاترة، والدليل عوضاً عن القول الهراء، وأميلوا آذانكم إلى سماع ما سيتلى عليكم"[١].

وفي هذه الجلسة أقرَّ المجمع أن كل ما قد جرى في إِفسس إنما كان جبراً وظلماً وأن ديوسقوروس ومن ذهب مذهبه مستحق القطع[٢].

وهذا ما حصل فعلاً في جلسة تالية حيث ثبَّتوا حِرم أوطيخا وبرَّأوا ساحة فلابيانوس، وحكموا على ديوسقوروس بالقطع؛ لأنه برأ أوطيخا، ولم يسمح بقراءة رسالة البابا لاون، وبسبب الاغتصابات التي ارتكبها في مجمع أفسس الثاني[٣]، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين، وسموا بالملكانية[٤].

لقد عزل ديوسيقوروس، وتم نفيه بأمر الإمبراطور، لكنه لم يستكن عن الدعوة إلى مقالته وتثبيت أهل الإسكندرية ومصر على مذهبه حتى وهو في منفاه، لذلك يقول ابن البطريق: "لما نفي سار إلى فلسطين، وبيت المقدس، فأفسد دين كل من بفلسطين وبيت المقدس، حتى قالوا بمقالته"[٥].

---

(١) محاضرات في النصرانية ص١٢٨.

(٢) انظر: الروم، د. أسد رستم ١/ ١٢٧.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، المطران ميشيل يتيم والاشمندريت إغناطيوس ديك، ص١٠٠، تاريخ الكنيسة الشرقية السريانية ١/ ٦٩، المسيحية والإسلام ص٢٣٩.

(٤) الملكانية: هو اسم أطلقه اللاخلقيدنيون = المونُوفيزيون على سبيل السخرية على أتباع العقيدة الخلقيدونية في سورية ومصر، أي أتباع مذهب الملك (الإمبراطور البيزنطي) الذي أعلن قبوله عقيدة مجمع خلقيدونية، لذلك يقال لهم الروم نسبة إلى بيزنطة، أما اليوم فعبارة " ملكيون" تدل على الروم الكاثوليك فقط، وهم فريق من الروم الأرثوذكس أتحد بروما.(انظر: نقد الأديان عند ابن حزم، المقراني ص٧٧ – ٧٨، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم ص٢٩).

(٥) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لابن البطريق،ص ١٨٣.

وقد أصدر الإمبراطور أمراً بتعيين بطريك آخر بدل ديسقورس وكتب إلى المصريين رسالة يتوعد فيها كل من يجرؤ على عصيان أوامره، فثار المصريون في وجه العسف البيزنطي، تقول مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية: "ولما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا، واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذي أصدر هذا الحكم، وأعلنوا رضاهم ببقاء بطريركهم رئيساً عليهم، ولو إنه محروم مشجوب، وأن إيمانه ومعتقده هو عين إيمانهم ومعتقدهم، ولو خالفه فيهما جميع أباطرة القسطنطينية، وبطاركة رومية، ولقد اعتبر المصريون أن الحكم الذي صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنية، مجحف بحقوقهم السياسية، ولو إنه حكم ديني صرف"[1].

ويشير ديورانت إلى تلك المآسي التي أصابت اليعاقبة من مخالفيهم وخاصة أهل بيزنطة، فيقول: "وكان المسيحيون اليعاقبة في مصر قد قاسوا الأمرين من جراء اضطهاد بيزنطة؛ ولهذا رحبوا بقدوم المسلمين"[2].

مظاهر الاضطهاد الذي صاحب هذه المقالة:

لقد أضحت الخلافات العقدية بين النصارى وقوداً لمزيد من الاضطهاد والتعسف ضد بعضهم البعض، وقد تسببت في حصول مذابح جماعية وفردية، وتقتيل فردي بالسيف والنار، وتشريد خارج المدن والأديرة، إلي غير ذلك من أنواع التعذيب التي تقشعر لها الأبدان، مما جعل أمياثوس مارسلانوس يقول: "لم ير التاريخ بهائم متوحشة أشد افتراساً وقساوة من المسيحيين، بعضهم لبعض"[3].

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) قصة الحضارة ١٣/ ٢٦١.

(٣) المسيحيون في الشرق قبل الإسلام، أدمون ربّاط، ص٢٠.

ويقول البابا شنودة[1]: "وتعبير أصحاب الطبيعة الواحدة أسيء فهمه عن قصد أو غير قصد خلال فترات التاريخ، فاضطهدت بالذات الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية اضطهادات مروعة بسبب اعتقادها، وبخاصة في الفترة من مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م حتى بدء دخول الإسلام مصر وسوريا حوالي سنة ٦١٤م"[2].

وعند استعراض ما أحدثته هذه المقالة من صراع مرير واضطهاد دام قروناً مديدة، نجد أن هناك ممارسات وقرارات وتجاذبات ألقت بظلالها على الطوائف النصرانية خلال هذه الفترة منها:

١-عُقد من أجل هذه المقالة أكثر من مجمع محلي ومجمعان مسكونيان، اضطربت فيها الأقوال والأحوال، كان للسلطة الحاكمة تأثيرٌ واضحٌ في قرارات هذا المجمع أو ذاك بحسب ميول وسلطة الإمبراطور، ففي مجمع أفسس الذي كان الإمبراطور ثيودوسيوس يناصر أوطيخا استطاع أن يعيده إلى منصبه السابق وهو رياسة دير في القسطنطينية، بل أن يقرر عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح، وعندما مات تغير الأمر تماماً بمجيء الإمبراطور مركيانوس الذي تحمس لمقالة الطبيعتين فأرجع المنفيين وأمر بعقد مجمع خلقيدونية الذي حكم بالقطع على أوطيخا وديوسقوروس. من هنا كان "تدخُّل الأباطرة في النزعات العقدية وترجيحهم لكفة حزب على آخر ودعوتهم إلى انعقاد

(١) نظير جيد، ولد سنة ١٩٢٣م، في قرية السلامة التابعة لمحافظة أسيوط، تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة. عمل صحفياً وكاتباً وشاعراً.انضم إلى سلك الرهبان وترهبن في دير وادي النطرون، تولى عرش البابوية سنة ١٩٧١م، وحينما تولى شنودة سدة البابوية راح يتخذ من الأدوات والآليات التي تسمح بتمدّد نفوذ الكنيسة من الرهبنة والنشاط الديني إلى المعترك والمسرح السياسي، معتقداً أن هذا التمدد يمكن أن يحقق للأقباط امتيازات ومكاسب ضخمة على الأصعدة كافة، وفي مقدمتها السياسة، حصلت في عهدة مواجهات بين المسلمين والنصارى ومن تم عزله ونفيه في عهد السادات، ثم عاد إلى كرسيه في عهد مبارك ومات سنة٢٠١٢م.من كتبه: طبيعة المسيح.(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٢/ ٥٨٧).

(٢) طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، ص٨.

المجامع"[1] مدعاة للإيغال في الاضطهاد وشدة اضطرام نار الفتنة والضغينة.

٢- كان خلال هذه الفترة تكريس لمبدأ القوة والعنف والاضطهاد، بل كانت سياسة مقننة من أجل تكميم الأصوات ومصادرة الرأي المخالف تماماً، وإسكات الخصوم بصورة عجيبة تعطيك دلالة على مدى انتصار كل فريق لرأيه، ولذلك سرعان ما استبد الفريق المؤيد بالسلطان إلى اضطهاد الآخر ومنعه حتى من الحديث، فقد وقف أسابيوس في مجمع خليقدونية وأعلن أن ديوسقوروس استبد في إدارته لمجمع أفسس الثاني والدليل على ذلك أنه " منعني من أن أقدم تعاليمي وأن أدافع عن أفكاري في مجمع أفسس"[2].

٣- تحكم الأهواء والميول الشخصية في قرارات هذين المجمعين، فكما أنهم لعنوا نسطوريوس في المجمع المسكوني الثالث الذي كان يرى القول بالطبيعتين لا الطبيعة الواحدة، نجدهم أنهم رجعوا إلى مقالة نسطوريوس نفسها ولهذا تحير أعضاء المجمع في السبب الذي من أجله يستحق أسقف الإسكندرية ديوسقوروس اللعن والإبعاد هل لقوله بعقيدة الطبيعة الواحدة؟ أو لتصرفه ودوره في مجمع أفسس؟ أو لعدم قراءته رسائل لاون. وقرروا أخيراً استحقاقه للحرمان من أجل سلوكه وتصرفاته في المجمع الذي أسموه اللصوصي[3].

٤- شكل الاضطهاد الذي عقب مجمع خلقيدونية حجر عثرة لأصحاب الطبيعة الواحدة إذ استغلت السلطة السياسية هذا الخلاف في فرض سيطرتها على مصر والشام، وفرضت على كنائسهم أساقفة ملكانيين، وإبعاد من يرفض ذلك من أصحاب المذاهب المحلية، ولعل ذلك كان من البيزنطيين بدافع امتزجت فيه السياسة

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى للشرفي، ص١٢٢.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ٢٥٦.

(٣) انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٣/ ٢٧٠، مصادر النصرانية ٢/ ٨٠٧.

مع الدافع الديني، فإن تحول نصارى المشرق إلى المذهب التي تدين به السلطة يدفعهم إلى مزيد من ضمان ولائهم لها وخضوعهم بخلاف بقائهم على مذاهب مختلفة لمذهب الإمبراطور فإنه يجعلهم عرضة للاضطهاد المذهبي، وهذا هو الواقع الذي استمر سنوات طويلة[1].

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية، سعد رستم، ص٣٠.

المطلب الثالث: الاضطهاد الحاصل بسبب الخلاف في عبادة الصور والتماثيل

إن المسيحيين الأوائل كانوا بمنأى عن مثل هذه الشركيات، فقد كانوا يحرمون عبادة واستخدام هذه الصور استناداً للوصية التي وردت في التوراة التي يقدسونها ويعظمونها " لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ممّا في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولاتعبدهنّ"[1].

لكن بمرور الزمن وبحكم تأثير الوثنيات ظهر تقديس بعض آباء الكنيسة أمثال أوريجانوس و"يوحنا ذهبي الفم"[2] وغيرهما مما جعلت لهم بعض خصائص الإلهية فاعتبروا هؤلاء القديسين بمثابة الحراس على المدن، والمعضدين للتجارة، والشافين للأمراض، فهم حاضرون في كل مكان، بل وصل بهم الحال إلى أن جعلوا أي كنيسة لا تحمل رفات وذخائر وأجزاء القديسين مفتقرة إلى ما يكملها[3].

إذا كان هذا حال النصارى مع رهبانهم وآباء كنائسهم فما هو حالهم مع عيسى وأمه عليهما السلام؟ لاشك أنه أشد كفراً وبهتاناً فقد أخبر الله ﷻ أنهم جعلاهما إلهين من دون الله - تعالى الله عن ذلك - قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

---

(١) سفر الخروج ٢٠: ٥٤، تثنية ٥/ ٩٨.

(٢) يوحنا فم الذهب (٣٤٧- ٤٠٧) أحد آباء الكنيسة الإغريقية وبطريرك القسطنطينية، ثم عزل ونفي ومات في المنفى. وقد وصفه ابن البطريق بأنه عالم كبير، وسبب تسميته فم الذهب أن امرأة ندبته عند موته فقالت يا يوحنا يا فم الذهب فسمي فم الذهب.(انظر: التحقيق والمجموع لابن البطريق، ص١٥١وما بعدها، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٩٨٩).

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة لويمر ٣/ ٢٥٥، الإسلام والصراعات الدينية،ص ١١٤.

وقد أدي الغلو بالنصارى إلى الشرك الصراح إذ نقلوا عيسى من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدون الله، أضف إلى أن من مظاهر شركهم وغلوهم أن جعلوا للمسيح عليه السلام وأمه مريم صوراً وتماثيل في كل كنيسة من كنائسهم يسجدون لتلك الصور ويدعونها من دون الله[1].

وبما أن هذا الانحراف كان طارئاً بعد القرون الثلاثة الأولى عندما شهد القرن الثامن الميلادي خلافاً عنيفاً بين الكنيستين الغربية والشرقية حول تحطيم الأيقونات والتماثيل نظراً؛ لأن الغرب كان يتعشق التأمل في المسيح كإنسان عاش ومات، بينما رأي الشرق أن اعتبار المسيح شخصاً فانياً أمر يحطُّ من مقامه[2].

وقد ظهرت حركة تُسمَّى «أيكونوكلازم iconoclasm»، أي «تحطيم الأيقونات» أو «تحطيم الأوثان»، وقد تكون نشأتها نتيجة تأثرها بالإسلام[3]، وهذه الحركة مّرت في تاريخ الدولة البيزنطية بمرحلتين: الأولى دامت من عام ٧٢٦م حتّى ٧٨٧م، والثانية من عام ٨١٧م حتّى ٨٤٣م[4].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،لابن القيم، ٢/ ٢٩٢.

(٢) انظر: تاريخ الفكر الأوربي الحديث، رونالد ستر ومبرج، ترجمة، أحمد الشيباني ص٢٤.

(٣) نقل الأمين الخولي عن كاتب كنسي قوله: "إن ليون فعل ذلك لأسباب سياسية، إذ رغب في التقرب إلى المسلمين بذلك، أو فعل ذلك تقليداً لحركة من هذا النوع قام بها في ذلك العهد المسلمون في ديارهم " ثم عقب قائلاً: ولا يعنينا كثيراً أن نعمل لترجيح أحد الاحتمالين في هذا المكان، فكلاهما كاف لإيضاح أن أقوى حركة عرفها تاريخ المسيحية ضد عبادة الصور كان لها بالإسلام مثل ذلك الاتصال في نشأة القائم بها وفي تفكيره ا.ه (انظر: صلة الإسلام بإصلاح الكنيسة، أمين الخولي ص٧٦)، وبعض الباحثين يرى أنها حركة إصلاحية دينية ترمي إلى تطهير النصرانية من أدران الوثنية وأنها جاءت في الوقت نفسه الذي جرت فيه محاولات أخرى للإصلاح.(انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ٢/ ٨٠).

(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري ٤/ ٣٠١، المسيحية في الوطن العربي ص٧٤.

المرحلة الأولى (٧٢٦-٧٨٧م):

عندما رأى "ليون الثالث" تفشي عبادة الأيقونات، وما يصاحبها من تأله وأمور قبيحة لتلك الصور والتماثيل، وما احتوته تلك الأديرة من كنوز وممتلكات ذهبية التي كانت معفاة من الضرائب جعلت الدولة تفتقد جزءاً كبيراً من إيراداتها، كما أن الرهبان بفضل إشرافهم على الأيقونات وعبادتها استحوذوا على نفوذ كبير وأصبحوا عنصراً خطراً على السلطة الإمبراطورية.(١)

فبدأ ليون بإصدار مرسوم سنة ٧٢٦م يقضي بتحريم عبادة الأيقونات، وإزالة جميع التماثيل والصور الدينية من الكنائس والأديرة، وبدأ رجال الإمبراطور فعلاً في إزالة الصليب الكبير المقام فوق بوابة القصر الإمبراطوري في القسطنطينية، الأمر الذي أثار عامة الناس، فرد ليون على تلك الاحتجاجات وقضى عليها، وهبّت ثورة في اليونان وجزر الأرخبيل فأخمدها الجيش بالقوة(٢).

وفي سنة ٧٣٠م أصدر مرسوماً أشد أمر فيه بإبادة جميع التماثيل وتبيض الحيطان التي نقشت عليها الصور فقاومه البطريك جرمانوس(٣) واحتج عليه، فأهانه ليون وعزله ونصب مكانه بطريرك يؤيده في قراراته، ولم تلبث هذه الأعمال أن استفزت رجال الكنيسة لاسيما في الغرب، حيث وقف البابا جريجورى الثاني ثم البابا جريجورى الثالث موقفاً عنيداً من سياسة الإمبراطور اللاأيقونية، حتى أصدر البابا جريجورى الثالث قرار الحرمان ضد الإمبراطور، بل بإنزال اللعنة على كل من ناصر

---

(١) انظر: تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر كمال توفيق، ص١٢٢، أوربا العصور الوسطى ١/ ١٣١.

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى ٢/ ١٣١، الروم ١/ ٣٠٦.

(٣) جرمانُس: أسقف القسطنطينية، ولد في مدينة القسطنطينية بين عامي ٦٣١ و٦٤٩، انتخب أسقفاً على سيزيكس، قبل أن يصبح رئيساً لأساقفة القسطنطينية سنة ٧١٥، عزل سنة ٧٣٠ بسبب دفاعه المستميت عن الإيقونات المقدسة، فانكفأ في منزله حتى توفي سنة ٧٣٣. (انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، ص٢٦٨).

أعداء الأيقونات[1].

وقد رد الإمبراطور ليون الثالث على قرار البابا بحرمانه من الكنيسة بأن حرم البابوية من حقوقها وأملاكها في صقلية وجنوب ايطاليا، وفصل الكراسي الأسقفية في هذه الجهات عن سلطان البابا الديني والقضائي وجعلها تحت سلطان بطريق القسطنطينية[2].

عقب ليون الثالث جاء ابنه قسطنطين الخامس[3] والذي ورث عن أبيه عداءه لعبادة الصور والتماثيل، وتدعي مصادر التاريخ الكنسي أنه " شرع في اضطهاد الكنيسة فسخر بكل قديس وبالاحتفال به، ومنع الأعياد والأصوام، وحطم الأيقونات وطلي جدران الكنائس بما يطمس الصور والرسوم"[4].

وزيادة في تقوية موقفه في محاربة الصور والتماثيل عقد مجمعاً سنة ٧٥٤م في هيريه[5] حضره أكثر من ثمانية وثلاثين وثلاثمائة أسقفٍ حرم فيه " عبادة الصور والتماثيل، ووصفها بأنها عمل "ممقوت"، وقال إن "الشيطان قد أعاد عبادة الأوثان إلى سابق عهدها عن طريق عبادتها". ولعن "الفنان الجاهل الذي يشكل بيديه

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر ص٢١٢، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ٢/ ٨٨، تاريخ الانشقاق الكنسي ١/ ٣٣٥.

(٢) انظر: أوربا العصور الوسطى١/ ١٣٢.

(٣) قسطنطين الخامس (٧١٨-٧٧٥): إمبراطور بيزنطي (٧٤٠-٧٧٥)، أحرز انتصارات عسكرية على العرب والسّلاف والبلغار. عرف بمعاداته لتقديس التماثيل الدينية وما إليها وباضطهاده للرهبان الذين ناهضوا موقفه من هذه القضية. (انظر: موسوعة المورد العربية ٣/ ٩١٩، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٣٨٠).

(٤) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، د. أسد رستم ٢/ ٨٩.

(٥) هيريه أو هيرابوليس: مدينة قديمة في سوريا، وهي الآن خراب، حوالي خمسين ميلاً شمال أليبو في مقاطعة أليبو السورية. (انظر: مصادر النصرانية ٢/ ٨١٧).

النجستين ما لا يصح أن يؤمن به الناس إلا بقلوبهم، وأمر بأن يمحى ويدمر كل ما في الكنائس من صور وتماثيل"(١).

وتقوّى قسطنطين الخامس بقرارات هذا المجمع فاندفع في محاربة الأيقونات فسجن من قاومه من الرهبان أو سلط عليهم ألوان العذاب، فسملت الأعين، واقتلعت الألسنة، وجدعت الأنوف مرة أخرى، وعذب البطريق وقطع رأسه. وأغلق أديرة الرهبان والراهبات، وصادر أموالها، وحول مبانيها إلى أغراض غير دينية، ووزع أرضها على محاسبيه. وجمع عامل الإمبراطورية في أفسس، بموافقة الإمبراطور، رهبان الولاية وراهباتها، وأرغم الرهبان على أن يتزوجوا الراهبات وإلا قتلهم جميعاً. وظل هذا الاضطهاد يجري في مجراه خمس سنين، وقد فرَّ عدد كبير من الرهبان إلى إيطالية وجنوبي روسية وشاطئ لبنان وفلسطين(٢).

استمرت الحرب على الصور والتماثيل حتى بعد وفاة قسطنطين الخامس ومجيء ابنه ليو الرابع والذي أعطى والده عهداً على مواصلة نفس السياسة الدينية، وبعد فترة حكمه القصيرة وهي خمس سنوات مات وخلفه ابنه قسطنطين السادس(٣) الذي كان عمره خمس سنوات، فتولت أمه إيرين(٤) زمام الحكم باسمه وكانت من محبّي الأيقونات، دعت إلى عقد مجمع مسكوني مضاد للمجمع الذي حرم اتخاذ الصور،

---

(١) قصة الحضارة ١٤/ ١٥٩-١٦٠.

(٢) انظر: الروم ١/ ٣٠٨، قصة الحضارة ١٤/ ١٦٠، مجموعة الشرع الكنسي،ص ٧٩٧.

(٣) قسطنطين السادس: ولد حوالي ٧٧٠م، إمبراطور بيزنطي (٧٨٠-٧٩٧)، قامت أمه إيرين بالوصاية ثم شاركته في الحكم عام ٧٩٢م، وفي عام ٧٩٧م انتهزت فرصة عدم حب الناس له فخلعته وسملت عينية. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٣٨٠).

(٤) إيرين: إمبراطورة بيزنطية (٧٩٧-٨٠٢م)، وجهت جهودها إبان وصايتها على ابنها قسطنطين السادس عام ٧٨٠ لإخماد حركة تحطيم الصور (اللاأيقونية)، وفي عام ٧٩٧ خلعت ابنها وسملت عينيه.(انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٨٣-٢٨٤).

وبالفعل حصل ذلك سنة ٧٨٧م في نيقية شارك فيه ٣٥٠ أسقفاً أعلنوا عن اعتبار منع التعبد هرطقة وأعادوا للأيقونات مكانتها - بزعمهم-، وهو المجمع المعروف في العالم النصراني الشرقي بالمجمع المسكوني السابع[(١)].

المرحلة الثانية (٨١٧- ٨٤٣م):

بدأت هذه المرحلة في عهد لاوون الأرمني، فقد كان معادياً للصور والتماثيل، ويرى أن ما حل بالدولة الرومانية من ضعف وما أحدق بها من خطر إنما كان نتيجة العودة إلى عبادة الصور والتماثيل، وأعاد قرارات مجمع ٧٥٤م والتي حرمت الأيقونات، وقد طلب من البطريرك نيقوفوروس أن يرفع بعض الصور إلى مستوى مرتفع لا يمكن الناس من تقبيلها أو معانقتها، ولمَّا رفض البطريرك تنفيذ ذلك عزله ونصب مكانه من شارك الإمبراطور آراءه اللاأيقونية[(٢)].

لقد جاءت هذه المرحلة بعد المجمع المسكوني السابع والذي سمح باتخاذ الصور والتماثيل وتقديسها لذلك وجدت الدولة نفسها هذه المرة مضطرة إلى استخدام العنف لفرض إرادتها، فنظّمت هجمات عسكرية على الأديرة المتشددة في المقاومة، وقد نتج عن بعض تلك الهجمات سقوط ضحايا، كما ألقي القبض على عدد من الرهبان النافذين، ووضع في السجن، أو جرى نفيه[(٣)].

ويعد الإمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩-٨٤٢م) من أشد حكام هذه المرحلة حرباً

(١) انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ٢/ ٩٤،تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف، ص٢٨٨، تاريخ الانشقاق ١/ ٣٤٦، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،ص ١٣١، حرب الكنائس، د. أسد رستم، ص٤١.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، المطران ميشيل يتيم، الأرشمندريت إغناطيوس، ص١٦٥، أوربا العصور الوسطى ١/ ٣٩٠-٣٩١.

(٣) انظر: المسيحية في الوطن العربي ص٧٥.

على الأيقونات فقد أمر بتدمير جميع الصور والتماثيل الدينية مهما كان نوعها سواء كانت للمسيح أو للقديسين، وقد ساعد الإمبراطور في تنفيذ هذا الأمر البطرك حنا النحوي الذي أصدر قرار الحرمان ضدّ جميع الأساقفة والديريين الذين لم يمتثلوا للقرار السابق، ولكن سرعان ما تغير هذا القرار وذلك بعد وفاة الإمبراطور بعد أن تسلمت زوجته زمام الحكم فأمرت بعزل البطريرك والأساقفة، ودعت مجمعاً في القسطنطينية لإعادة الأيقونية وتسفيه اللاأيقونية، ونزلت بالاضطهادات على اللاأيقونيين الذين أخذوا يهجرون البلاد بالجملة(١).

ومما أعان أصحاب الأيقونات في التغلب على مخالفيهم المكانة الخاصة والمتميزة لتلك الأيقونات في التراث البيزنطي، وأنها مظهر لهوية حضارية متميزة، وادعاؤهم بأن الأيقونات لا تمثل ارتكاساً في الوثنية. كما صور الأمر مخالفوهم، بل هي رمز وعنوان للتجسيد الإلهي في عيسى الإنسان(٢).

ولا شك أن مثل هذه المفاهيم والانحرافات التي ترسخت في عقائد النصارى من الارتكاس في الفطرة، وتقديس ذواتٍ وأشخاصٍ لا يملكون شئياً. وهو من الكفر القبيح الذي وقع فيه النصارى عندما سجدوا لهذه التصاوير في الكنائس والبيع، فلم يعد هناك فرقٌ بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير.



(١) انظر: أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، ١/ ٣٩٣-٣٩٤بتصرف.

(٢) انظر: النصرانية، د. عرفان عبدالحميد، ص٧٨.

المبحث الثالث

الاضطهاد بين الطوائف النصرانية الحديثـة

وفيـه تمهيـد ومطلبـــان:

- المطلـــب الأول: اضــطهاد الكاثوليــك للأفـــراد والجماعات والطوائف.
- المطلـــب الثــاني: اضــطهاد البروتــستانت للأفــراد والجماعات والطوائف.

* * * ** * * *

تمهيـــــد

إن ديانة المسيح عليه السلام أصابها الانحراف شيئاً فشيئاً وزاد التفرق والاختلاف عندما تغيرت العقيدة وتبدلت وأصبحت كل فرقة وطائفة تدعي أنها تمتلك الحقيقة، وترفض في الوقت نفسه أي نقاش في شأن الإيمان وطريق الوصول إليه باستثناء ما تقول به تعاليمها، وكان واضحاً منذ الانشقاقات الأولى في الكنيسة اتحاد العامل الديني بالعامل السياسي، بحيث أصبحت السلطة تتدخل في كثير من تلك الاختلافات، ومع مرور الزمن انفردت بعض الكنائس بالسلطة الدينية والزمنية وأصبحت تفرض تعاليمها وهيمنتها بكل قوة مما زاد من الانشقاقات والاختلافات، واستمر هذا الصراع خافتاً أحياناً وصاخباً أحياناً أخرى، ونتج عن هذا الصراع اقتتالٌ بين الطوائف مع بعضها البعض وكذلك بين أبناء الطائفة الواحدة وسالت دماء ومورست أشكالٌ متنوعة من التعذيب والاضطهاد تحت ستار الاتهامات بالهرطقة والزندقة والخروج عن تعاليم الكنيسة.

وقد رأينا كيف كان ذلك الصراع والاضطهاد بين الطوائف القديمة، ونأتي هنا لنبين فصول ذلك الاضطهاد الطائفي الذي حصل بين الطوائف النصرانية الكبرى الحديثة وقبل الخوض في تلك الوقائع والأحداث نعطى لمحة سريعة عن تلك الطوائف الثلاث الكبرى:

أولاً: الكاثوليك: كلمة كاثوليك أصلها من لفظة يونانية Katholikos "كاثوليكوس" وتعني العالمي أو العام أو جامعيّة وشموليةأي أنها الديانة العالمية العامة[1].

---

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهورها حتى اليوم، سعد رستم، ص٦٨، معجم الإيمان المسيحي، ص٣٩٠، طوائف الكنائس البروتستانتية وعقائدها دراسة مقارنة، د. إنعام عقيل، ص١١، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص١٣١، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس إبراهيم عبد السيد، ص٦.

ويطلق على كنيستهم الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية تدعى الكنيسة الكاثوليكية أنها أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر النصرانية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا والبرتغال، وإن كان لها أتباع في بعض الدول الأخرى، وسميت بالبطرسية أو الرسولية؛ لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين(١).

وتعرف أيضاً بالكنيسة الرومانية بسبب جذورها التاريخية التي ترجع لمدينة روما وهذا المصطلح استخدم في القرن التاسع عشر للتمييز بين كنيسة روما والكنائس الأخرى(٢).

وتعد الكاثوليكية أكبر الكنائس النصرانية الغربية التي انتشرت في مناطق كثيرة على يد المستعمرين والإرساليات الأوربية. وبعض الكنائس الكاثوليكية الشرقية على علاقة وثيقة بالكاثوليكية الرومانية(٣).

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي بمعنى أن البابا هو الحبر الأعظم وبطريرك الغرب، وكل أساقفة الكنائس الكاثوليكية تحت مظلته وأنه الخليفة الرسولي للكنيسة الجامعة وله حقوق وامتيازات تفوق من دونه، والبابا في نظر الكاثوليكيين معصوم من الخطأ، وإرادته إرادة إلهية، وأوامره أوامر إلهية يجب أتباعها بدون تردد ومناقشة(٤).

---

(١) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٣٧، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٤٦٤.

(٢) انظر: طوائف الكنائس البروتستانتية وعقائدها، ص١٣.

(٣) انظر: معجم الأديان، ص٦١٠-٦١١.

(٤) انظر: طوائف الكنائس البروتستانتية وعقائدها، ص١٦، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٤٦٤-٤٦٥.

ثانياً: الأرثوذكس: هي كلمة يونانية تتكون من كلمتين "أرثوس" بمعنى الحق أو المستقيم، و" ذُكْسا " بمعنى المذهب أو المعتقد. وتعني المذهب الحق أو المستقيم[1]، يقول القس إبراهيم عبدالسيد: "لعل المفهوم الشائع لها هو استقامة الرأي"[2]، ويسمون قديماً اليعاقبة[3].

والمقصود بمصطلح الإيمان الأرثوذكسي هو إيمان الكنيسة الجامعة قبل الانشقاق مقابل إيمان الهراطقة، وبعد حصول الانشقاق الكنسي الكبير بين الكنيستين الشرقية والغربية سنة ١٠٤٥م وقد زاد من هذا النزاع بعض العوامل العقدية، وكان من أهمها عاملان، الأول: دعوى الكنيسة الغربية أن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن ـ حسب زعمهم ـ وإصرار الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط. والثاني: دعوى الكنيسة الغربية بامتداد سلطتها على الكنائس كلها. وقد أدى هذا إلى نزاع بين "فوتيوس"[4] بطريرك القسطنطينية والبابا "نقولا الأول"[5] خلال القرن التاسع الميلادي، واستمر النزاع حتى عام ١٠٥٤م حيث تم الانقسام بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، وأصدر كل فريق حرمان ضد رؤساء

---

(١) انظر: معجم المصطلحات الكنسية، ١/ ٦١، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهورها حتى اليوم، ص٤٧، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٤٧٣، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٣١.

(٢) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، ص٦.

(٣) سبق التعريف بها ص١٩٥.

(٤) فوتيوس: (٨٢٠-٨٩٢م) بطريرك القسطنطينية، عمل استاذاً في جامعة القسطنطينية، ورئيساً لمجلس البلاط في عهد ميشيل، انتقد الكنيسة اللاتينية، في بعض العادات كحق البابا في الموافقة والاعتراض على انتخاب البطريرك، مات فوتيوس في المنفى. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد غربال، ٢/ ١٣٢٩).

(٥) نقولا الأول: اعتلى البابوية (٨٥٨-٨٦٧م) من أعظم أحبار القرون الوسطى الأولى. دافع عن حقوق البابوية وانتصر لبطريرك القسطنطينية إغناطيوس ضد فتيوس. (انظر: المنجد في الأعلام، ص٥٩١).

وأفراد الفريق الآخر. وازدادت الخصومة بين الكنيستين مرارة حينما دمر النصارى القسطنطينية(١).

وتسمى كنيستهم: كنيسة الروم الأرثوذكسية، أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية؛ لأن أتباعها من الروم الشرقيين أو البلاد الشرقية كروسيا واليونان(٢).

وبعد ذلك أصبح المصطلح " الأرثوذكس "يطلق على الكنيسة الشرقية وهي تنقسم إلى قسمين:

أ-الأرثوذكسية الخليقدونية: وهم الذي يأخذون بقرارات مجمع خليقدونية الذي عقد سنة ٤٥١م، وتعترف بالمجامع المسكونية السبعة(٣) وهي موافقة للكنيسة الغربية من ناحية طبيعة المسيح، وتسمى اليوم الكنيسة الأرثوذكسية، الروم الأرثوذكس، وتمثلهم تسع عشرة كنيسة منتشرون في بقاع العالم من أهمها: أربع بطريركيات حديثة هي: روسيا، وبلغاريا، ورومانيا، وصربيا.وست كنائس مستقلة هي: قبرص، واليونان، وبولندا، وألبانيا، وجبل سيناء.وأربع كنائس لها الحق الذاتي في إدارة شئونها هي :فلندا، اليابان، أمريكا والصين(٤).

ب- الأرثوذكسية اللاخليقدونية: وهم الذين لا يعترفون بقرارات مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م، كما لا يعترفون إلا بالمجامع الثلاثة الأولى.

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٠/ ٦٣، بتصرف، ولمزيد من حيثيات هذا الانقسام ينظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي، القس، د. فايز فارس،ص٦٨،تاريخ الانشقاق، الارشمنديت جراسيموس مسره اللاذقي ٢/ ٨٧وما بعدها، تاريخ المسيحية، ص٣٨٩-٣٩٠، الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ثيموتي وير، ص٦١، نحن ورومة والفاتيكان، د. أسد رستم، ص٣٨-٣٩ محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٣٩، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٤٧٣.

(٣) وهي: نيقية ٣٢٥م، والقسطنطينية ٣٨١م، وأفسس ٤٣١م، وخليقدونية ٤٥١م، والقسطنطينية الثاني ٥٥٣، وترولو (القبة)٦٩٢م، ونيقية الثاني ٧٨٧م).

(٤) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٢٠/ ٦٣.

وتمثلهم ست كنائس في الشرق هم: الكنيسة القبطية، والكنيسة الأثيوبية، والكنيسة الاريترية، والكنيسة السريانية الأنطاكية، والكنيسة الهندية في مقاطعة المالابار، والكنيسة الأرمنية(1).

والكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية تتفقان في كثير من العقائد كالتثليث وعقيدة الصلب والفداء والأسرار الكنسية السبعة وتزيد الكاثوليكية سر العصمة للبابا الذي لا تقره الكنيسة الشرقية، وتختلف هاتين الطائفتين في النقاط الآتية:

١-الكنيسة الغربية ترى إن روح القدس نشأ عن الله الأب، والله الابن معاً، وأصّرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط.

٢-الكنيسة الشرقية تعتقد بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن، وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الاثنين.

٣-قولهم بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان: إلهية وإنسانية، فهو عند الكنيسة الغربية إله تام وإنسان تام، وفيه اتحد الابن بناسوت المسيح، والكنيسة الشرقية تقول بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشئية واحدة.

٤-تقول الكنيسة الكاثوليكية بأن الأرواح الخاطئة لن تدخل الجنة حتى تتطهر في جحيم صغير في مكانٍ ما من الأرض يسمى: "المطهر" تتطهر به أرواح العصاة، ثم تكون أهلاً لدخول الفردوس، والكنيسة الأرثوذكسية لا تؤمن بعقيدة المطهْر(2).

ثالثاً: البروتستانت: أصل الكلمة لاتيني من بروتستاري "protestari" وتعني الاحتجاج والاعتراض وأطلق على معتنقيها اسم البروتستانت أي المحتجين

---

(1) انظر: معجم المصطلحات الكنسية، ١/ ٦١، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهورها حتى اليوم، ص٤٨.

(2) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٤١، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، ص١٢وما بعدها، الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة؟، د. منقذ بن محمود السقار، ص١٧-١٨، طوائف الكنائس البروتستانتية وعقائدها، ص٣٢-٣٩.

والمعترضين[(١)].

وهذا اللفظ أول ما أطلق على الذين احتجوا على قرارات مجلس دايت أوف سبير سنة ١٥٢٩م الذي جمع بين أتباع الكنيسة اللوثرية والكاثوليكية، وكان الكاثوليك يشكلون الأغلبية في هذا المجلس، واتخذوا قراراً بوجوب عدم إجراء أي تغييرات كنسية جديدة، والسماح بإقامة العبادة الكاثوليكية في المناطق اللوثرية، وإرجاع حقوق المسؤولين الكاثوليك التي سيطر عليها اللوثريون، لكن المندوبين اللوثريين احتجوا على القرار فلقبوا بالمحتجين[(٢)].

ومع ذلك فإن هذا المعنى وهو الاحتجاج أو الاعتراض لا تحبذه البروتستانت بصورة عامة؛ لأنه لا يدل على معتقداتهم وأفكارهم لأنهم يرونها جاءت إصلاحية وتجديدية، فقد ورد في مقدمة قاموس البروتستانتية "لا نخجل أن نقول بأن هناك علاقة بين مصطلح البروتستانتية والاحتجاج ولكن من المهم جداً أن نوضح بأن كلمة protest لها معنيان الأول سلبي وتعني الاحتجاج، والثاني ايجابي وتعني الإعلان أو المجاهرة أو التأكيد وهو المعنى الذي تهتم به البروتستانتية"[(٣)].

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له. فالجميع متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب، وهم بذلك يرفضون سلطة

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة، ص١٤٠، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، ص٨.

(٢) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنيسة الإنجيلية ولا هوتها، القس د. عيسى دياب، ص١١، البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمة، ص٢١، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، د. عرفان عبدالحميد، ص١٣٦، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، د. عبدالعزيز الشناوي، ص٣١٠-٣١١.

(٣) A Popular Dictionary of Protestanism p.9 نقلاً عن البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمة، ص٢١.

الكنيسة في الاحتفاظ بتفسير الإنجيل[1].

الخلفية الأيدلوجية وراء ظهور حركات الإصلاح الديني:

تعتبر الكنيسة البروتستانتية طائفة منشقة من الكنيسة الأم وهي الكاثوليكية، وقد حصل انقسام وانشقاق في أوروبا كلها إلى أغلبية بروتستانتية في الشمال وأغلبية كاثوليكية ظاهرة في الجنوب، وقد شهدت الكنيسة الغربية حركات إصلاح داخلية، استهدفت تطهيرها من البدع والانحرافات، كان الغالب على الداعين إليها الخلفيات الرهبانية بخلاف الحركات الإصلاحية التي ظهرت في بداية عصر النهضة فإنها لم تبدأ وتصدر عن روح رهبانية وإنما جاءت رد فعل عنيف لكلا المؤسستين الرهبانية والبابوية[2].

دوافع وأسباب ظهور هذه الطائفة:

١-ظلم واستبداد وتحكم الكنيسة الكاثوليكية، فقد سيطرت الكنيسة طيلة فترات العصور الوسطى على كل شيء. حتى وصلت إلى قمة السلطة الدينية والدنيوية، فقد كان الأساقفة أصحاب سلطة دينية ومدنية على المقاطعات والدوقيات التي تتبع لهم، وبعد أن كان الملوك والأباطرة يعينون الأساقفة، انتزع البابا هذا الحق من الملوك، بل استطاع بابا روما أن يفرض سلطانه على الإمبراطور نفسه[3].

لقد مارست الكنيسة القمع تجاه كل فكرة أو رأي لا ينطبق على أفكارها ويتوافق مع نهجها، وحاربت آراء المفكرين الأحرار ووصفتهم بالإلحاد والمروق، وقضت على العديد من هؤلاء عن طريق محاكم التفتيش[4].

---

(١) انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٤١، معجم الإيمان المسيحي، ص٦٨،

(٢) انظر: النصرانية، د. عرفان عبدالحميد، ص١٣٤-١٣٥بتصرف.

(٣) انظر: الأسفار المقدسة، ص١٤٠، أضواء على الإصلاح الانجيلي، القس، د. فايز فارس، ص١٠.

(٤) انظر: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، ١/ ٤١٨،

٢-تقلص مكانة البابوية في نفوس الناس وفقدانها لهيبتها ونفوذها نتيجة ما حدث لها من أحداث مثل انتقال مركز البابوية من روما في إيطاليا إلى مدينة أفنيون الفرنسية وقد مكثت اثنتين وسبعين سنة (١٣٠٥-١٣٧٧م) والتي أطلق عليها الأسر البابلي حيث كانت البابوية شبه أسيرة بحكم خضوعها للملكية الفرنسية، وكذلك الانشقاق الديني الكبير وما نتج عنه من وجود ثلاثة بابوات على رأس العالم النصراني الغربي، وأصبح كل بابا ينزل الحرمان ضد البابا الآخر وهكذا مجت الناس هذه التصرفات من القيادات الكنسية[(١)].

يقول د. عرفان عبدالحميد: "أن البابوية قد تخلت عن هموم الجماهير واستولت الأطماع على رجال الدين وتدهورت عقائد الجماهير حتى غدت تمثل ديانة شعبية وبدائية مقطوعة الصلة بجوهر المسيحية"[(٢)].

٣- حب البابوات للمال وجمعه بشتى الوسائل غير المشروعة وهو ما سارت عليه كنيسة روما من فرض إتاوات وضرائب باهظة على التابعين لها، وما كان ينفق إلا القليل من حصيلة هذه الإتاوات والضرائب على الشئون النصرانية العامة، ومعظمه كان يتوزعه رجال الكنيسة وينفقونه في شئون ترفهم وشهواتهم[(٣)].

ومن الأساليب المحببة للبابوات لجمع المال بيع المناصب الكنسية وصكوك الغفران، أخذها المال أو الهبات أو الوصايا مقابل تلاوة الأدعية والصلوات التي يدعون إنها تقصر المدة التي تقضيها روح الميت في المطهر لتعاقب عن ذنوبها[(٤)].

يقول أندرو ملر:"وكان الكهنة الجشعون يحاصرون أسرة المرضى المحتضرين

---

(١) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٢٦٨- ٢٦٩.

(٢) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص١٣٩-١٤٠.

(٣) قصة الحضارة ٢٢/ ٤٢،الأسفار المقدسة، ص١٤١.

(٤) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٤/ ٣٧، قصة الحضارة ٢٢/ ٤٢- ٥٢.

ويزعجون أنفاسهم ولحيظاتهم الأخيرة، حتى يبتزوا منهم منحة لهم أو للكنيسة. ولم يكتفوا بسلخ العشور من الأحياء، بل كانوا يفرضون ضرائب على الأموات، فما يكاد الفلاح المسكين يلفظ نفسه الأخير إلا ويأتي القسيس الجشع لكي يحصل على هدية الجثة، وكان يفعل ذلك كلما سطا الموت على عائلة بائسة. وكل من كان يتأخر في تقديم هذه الهبات أو يظهر عدم الطاعة لرجال الإكليروس كان نصيبه اللوم الكنسي"[1].

٤-فساد أخلاق رجال الدين فإن العديد من رجالات الكنيسة يعيشون حياة التحلل والفساد، والانغماس في ملذات الدنيا.الأمر الذي أضعف سلطة الكنيسة الروحية ومكانتها الدينية.

يقول أحد الأساقفة: "إن أخلاق رجال الدين فاسدة يشمئز منها العلمانيون"[2].

وهذا كاتب كاثوليكي يقول: "كانت بابوية دنيوية تهتم أساساً بالسياسات الإيطالية. وكانت مركزاً لبلاط غنى، عالمي، فاسد وعاجز عن تقديم قيادة روحية فعالة وإرشادات للكنيسة، وحقاً كان هذا البلاط يغوص منحدراً إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية"[3].

ولما أرسل "جاى جوينو" من قبل البابا لإصلاح أديرة البندكتيين[4] في فرنسا كتب بعد عودته تقريراً يصف فيه فساد أخلاق رجال الدين قال فيه: إن كثيراً من

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص٣٦٤- ٣٦٥.

(٢) قصة الحضارة ٢٢/ ٤٤.

(٣) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٤/ ٣٥.

(٤) البنيديكتون: رجال الرهبنة البنيديكتية التي أسسها القديس بنيديكت في ما بين ٥٣٥وعام ٥٤٠م، والتي وضع لها دستور حياة لا يزال متبعاً حتى الآن في كثير من الرهبنات الأوربية.(موسوعة المورد ١/ ٢٥٠- ٢٥١).

الرهبان يلعبون الميسر ويكثرون من السباب، ويترددون على الحانات، ويتسلحون بالسيوف، ويجمعون الأموال ويحيون حياة السكيرين، وهم أكثر تعلقاً بالدنيا من رجال الدنيا أنفسهم...ولو أنني أردت أن أقص كل ما وقعت عليه عيناي لملأت بذلك صحفاً طويلة"[1].

٥-الصراع على السلطة بين الكنيسة والدولة، فقد شهدت القرون الثلاثة التي سبقت حركة الإصلاح صراعًا بين ملوك أوروبا والكنيسة، فبعد أن كانت للكنيسة سلطة مطلقة على الحكام المدنيين، سعى الملوك إلى استرداد سلطتهم المدنية. وبلغ الأمر أن اضطهد بعض الملوك البابا، ولجأ البابا إلى ترك روما لفترة معينة، الأمر الذي أضعف من سلطة الكنيسة. كما شهدت هذه الفترة أيضًا صراعًا داخليًا بين الكرادلة، وتنافسًا فيما بينهم حول منصب البابوية[2].

٦- نهضة العلم، والانفتاح على حضارة المسلمين، ومطالبتهم بتحرير العلوم من الفكر الكنسي.وقد ظهر في الغرب منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي، ما يعرف بحركة النهضة التي دعت إلى الاهتمام بالحضارات القديمة ودراسة آدابها وتاريخها وفلسفتها. وقد كان لذلك أثر كبير على النصرانية، إذ إن الاهتمام باللغات القديمة مثل العبرية واليونانية مكّن العلماء من قراءة النصوص المقدسة في اللغات التي كتبت بها أصلاً، وبدراسة الفترة النصرانية المبكرة عرف العلماء كيف تغيرت الكنيسة خلال القرون. كما أن اختراع الطباعة المتحركة مكّن كثيرًا من الغربيين، من غير رجال الدين، أن ينالوا حظًا من التعليم والثقافة[3].

فقد تزامن ظهور الحركة البروتستانتية مع اختراع المطابع التي تواجدت في أكثر من مائتي مدينة وبلدة في أوروبا. وقدر عدد الكتب التي طبعت بستة ملايين كتاب

---

(١) قصة الحضارة ٢٢/ ٤٥.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٢٠/ ٦٦.

(٣) انظر: موسوعة الحضارات، ص٩٧، الموسوعة العربية العالمية، ٢٠/ ١١٩.

كان معظمها في موضوعات دينية مما جعل الكثير يرغبون في تعلم القراءة والكتابة[1].

أهم مبادئ الفرقة البروتستانتية:

لا تختلف البروتستانتية عن الفرقتين السابقتين فيما يتعلق بجوهر العقيدة، فهي مثلهما تؤمن بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه وقيامته ورفعه وحسابه للعالم يوم القيامة، وبأنه صلب لتكفير الخطيئة الأزلية التي ارتكبها آدم وعلقت بجميع نسله، ومع ذلك فإن هناك اختلافاً بين البروستانتية وبعض الطوائف الأخرى في بعض الأمور الفرعية من أهمها ما يلي:

١-المصدر الوحيد للبروتستانت الكتاب المقدس، بخلاف الكنائس الأخرى فإنها تعتمد على الكتاب المقدس وقرارات المجامع وآراء البابوات ورؤساء الكنائس.

٢-لا تقر البروتستانتية البابوية أو الرئاسة العامة في شئون الدين، ولذلك ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، فكل كنيسة حرة في رئاستها وتصرفاتها.

٣-إن البروتستانتية ترى الاعتراف على الله مباشرة، إذ هذا من اختصاص الخالق، أما الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية فتؤمن بعقيدة الاعتراف بالذنوب للكاهن للحصول على الغفران.

٤-ليس في البروتستانتية نظام الرهبنة، وهي لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسس بمختلف درجاتهم.

٥- تنكر البروتستانتية أن المسيح يحل في بدن كل من يأكل العشاء الرباني، كما تنكر استحالة الخبز إلى عظام المسيح والخمر إلى دم المسيح، وتقرر أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر في العشاء الرباني تذكيراً لما قام به المسيح من فداء للخليقة.

٦-تنكر هذه الكنيسة على الكنائس الأخرى ما تقيمه للسيدة مريم أم المسيح

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية ٤/ ٨٥- ٨٦.بتصرف.

من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، وترى أن كل هذا من المحدثات.

٧-تحريم وضع الصُّور والتماثيل في الكنائس باعتبارها مظهراً من مظاهر الوثنية، بخلاف الكاثوليك فإنها تعتقد بوجوب تقديس صور المسيح، ووالدته مريم وتعليقها والوقوف أمامها.

٨- رفض الوساطة التفسيرية، واحتكار التأويل للنص الديني، والتأكيد على خبرة الفرد الشخصية في فهم الإنجيل وليس وقفاً على الكنيسة(١).

أبرز قادة الكنيسة البروتستانتية:

كان على رأس هذه الطائفة الجديدة ثلاثة من أكبر دعاتها ومؤسسيها وهم: مارتن لوثر الألماني(٢)، وزونجلي السويسري(٣)،

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٤٣-١٤٥، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٤٧٦- ٤٧٧، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، ص٢٧٨، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، د. إنعام بنت عقيل، ص٩٣ومابعدها، الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي، د. محمد بن علي آل عمر، ص١٣٧، محاضرات في النصرانية، ص١٦٩-١٧٢ .الفلسفة الحديثة عرض نقدي، د. كريم متى، ص٢٠.

(٢) مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦) زعيم حركة الإصلاح الديني الكنسي التي أدت إلى ميلاد البروتستانتية، ولد في عائلة بروجوازية، درس الفلسفة، ثم عين أستاذاً لها في جامعة أرفورت، ثم ترهبن، ونال درجة الدكتوراه في اللاهوت، عارض بيع رسائل الغفران، عام ١٥١٧م، وانتقد عصمة البابا، وبصحة المجامع، ولم يبق لوثر على سلطة دينية إلا سلطة الكتاب المقدس، وبدأت دعوته الإصلاحية في الانتشار،، عقد البابا مجمعا قرر محاكمته، فلم يذعن مارتن لهذا القرار وسانده الشعب على ذلك. ومن كتبه: شرح لرسالة بولس إلى أهل روما، بيان إلى الأشراف الألمان، ترجمة الكتاب المقدس، الأسر البابلي للكنيسة، الحرية المسيحية. (انظر: تاريخ الكنيسة، لوريمر ٤/ ١٠٠وما بعدها، مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص٥٢،معجم الفلاسفة،جورج طرابيشي، ص٥٨٧،الأسفار المقدسة، ص١٤٢).

(٣) أولريخ زونجلي (١٤٨٤-١٥٣١م) ولد في قرية ويلد هاوس، درس في بازل وفيينا، رُسم كاهناً سنة ١٥٠٦م، خدم في الجيش البابوي مرشد روحي سنة ١٥١٦م، درس اللغة اليونانية وتعمق فيها، ساعدته في دراسة الكتاب المقدس، دُعي إلى زيوريخ ليكون هناك كاهن الشعب ومنها بدأ ببعض الخطوات =

وكلفن الفرنسي(١).

وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن اضطهاد كل طائفة من هذه الطوائف السابقة، ولئلا تتشعب الوقائع والأحداث فسأقتصر على أبرز ما يظهر تلك الصورة القاتمة من اضطهاد النصارى لبعضهم البعض وبيان هذا سيكون في المطالب التالية:



= الإصلاحية حيث أقنع مجلس المدينة بالحكم في القضايا الدينية بالاستناد إلى تعاليم الكتاب المقدس.هاجم زونجلي بيع صكوك الغفران، ونادى بالتخلص من الصور والتماثيل، وإلغاء الحج إلى الأماكن المقدسة.من كتبه: التعليق الشامل على الدين الحقيق والدين الباطل.(انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص٦٢، تاريخ الكنيسة، لوريمر ٤/ ١٦٣ومابعدها، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، ص١٤٦ وما بعدها)

(١) جون كلفن (١٥٠٩-١٥٦٤م) لاهوتي أسس الطائفة الكاليفينة ولد في مدينة نيون بفرنسا، عمل والده وكيلاً لمجلس الرهبان؛ لذا وجه والده إلى دراسة اللاهوت، اهتم بدراسة اللغة اليونانية، اضطهد في سبيل دعوته الإصلاحية من الكاثوليك، انتشرت دعوته " الكالفينية " انتشاراً واسعاً، ولها تأثير أقوى من اللوثرية ودعي صاحبها بالمصلح الدولي الوحيد. من كتبه في التسامح، تأسيس الديانة المسيحية، إحياء النصرانية.(انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص٦٨، تاريخ الكنيسة، لوريمر ٤/ ١٩٨ومابعدها، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، ص١٧٠، معجم الفلاسفة، طرابيشي، ص٥٠٦).

المطلب الأول
اضطهاد الكاثوليك للأفراد والجماعات والطوائف

من المعلوم أن الطائفة الكاثوليكية من أكبر الطوائف النصرانية، وتعد نفسها الطائفة الأم لكل النصارى، وأنها الحارسة للدين بالإضافة إلى ما تدعيه من أفضلية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على غيرها من الكنائس، وأن الخلاص الحقيقي لا يتأتى إلا عن طريقها، وقد امتلكت تنظيمات وإمكانيات جعلها تحكم الناس وتسيطر عليهم، نتيجة فرضها عقائد وأفكار جعلتهم دوماً يتعاطفون معها، وينساقون لكل ما تمليه عليهم تسليماً لها عن ارتضاء أو خوفاً ووجلاً من ظلمها وأساليبها القمعية. ومع هذا كله سيبقى البنيان الضعيف في قواعده معرضاً للسقوط والانهيار في أي وقت.وهذا ما حدث للكنيسة الكاثوليكية عندما ظهرت دعوات تصحيحية واحتجاجية من أشخاص وجماعات وفرق استطاعت أن تحدث تغيراً فكرياً زعزع من تسلط الكنيسة، فما كان من الكاثوليكية إلا أن تنزل بالمخالفين لها أقسى ما عرفته البشرية من الاضطهاد والتعذيب والتنكيل. وسوف يكون الحديث في المسائل التالية:

۞ المسألة الأولى: اضطهاد الكاثوليك للأفراد:

لقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تسيطر على أوروبا لأكثر من ألف عام ابتداء من القرن الرابع الميلادي حتى عهد ما يسمى بالإصلاح الديني وعارضت بكل قوة أي شخص مخالف لها وسجلت خلالها صفحات قاتمة من الاضطهاد على عدد كبير من الشخصيات وسوف أذكر شخصيتين نالهما ظلم الكنيسة وهما:

أولاً: جون ويكليف: (١٣٢٩-١٣٨٤م).

درس في جامعة أوكسفورد ودرَّس فيها.ثم عين مستشاراً لاهوتياً لملك إنجلترا

أدوارد الثالث[١] في خلافه مع البابا، لكنه جلب على نفسه نظرة عدائية من الكنيسة لما بدأ يحقق في حياة الترف التي يحياها الإكليروس وتورطهم في الشئون السياسية[٢].

كان ويكليف يأخذ مواقف صريحة وصعبة وغير عادية لإصلاح الكنيسة الأمر الذي أغضب السلطات الكنسية والبابا نفسه ووضعه أمام تحديات قاسية.وعندما دُعي سنة ١٣٧٧م للمثول أمام أسقف لندن حماه النبلاء من إلقاء القبض عليه، وعندما أصدر البابا الأوامر للقبض عليه لمحاكمته، حماه أصدقاؤه في البلاط الملكي من التعرض له بسوء.عندئذ بدأ ويكلف يهاجم البابوية بشكل علني مباشر. قال إن الكنيسة ليست متمركزة في البابا والكرادلة، لكن في شركة المختارين يكون المسيح بالتأكيد رأسها الوحيد. ويقول: "ليس للبابا قوة في الربط والحل أكثر من أي كاهن، إنها عندي مسألة إيمان بأنه لا يجب على أي إنسان أن يتبع البابا أو حتى أحد القديسين في السماء إلا عندما يقتدون بالمسيح"[٣].

وعارض ويكلف النظرية القائلة بأن فضائل القديسين يمكن أن يستعان بها على إنقاذ الأرواح من المطهر، وقال إن المسيح والقديسين لم يأتوا إلى الناس بشيء من صكوك الغفران، "إن الأحبار يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة أووثائق المغفرة. وينهبون بذلك أموالهم لعنة الله عليهم.. وما أشد حماقة من يبتاعون هذه الصكوك بهذه الأثمان الغالية؟ وإذا كان في مقدور البابا أن ينتزع الأرواح من المطهر، فلم لم ينتزعها منه على الفور عملاً بروح الإحسان المسيحية؟"[٤].

---

(١) أدوارد الثالث(١٣١٢- ١٣٧٧م): ملك إنجلترا، دمر عند نشوب حرب الأعوام المئة الأسطول الفرنسي، وأنتصر على فرنسا في معركة كريسى ١٣٤٦م. (موسوعة المورد العربية ١/ ٦١).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة جون لوريمر ٤/ ٥١.

(٣) المصدر السابق، ٤/ ٥٢.

(٤) قصة الحضارة ٢٢/ ٧١.

آراؤه وتعاليمه:

١-للكتاب المقدس المعصوم من الخطأ السلطة الكاملة على حياة الإنسان وإيمانه، وعلى الإنسان أن يخضع له وليس للبابا.

٢-المسيح هو رأس الكنيسة الوحيد، والكنيسة هي جماعة المختارين.

٣-عقيدة الاستحالة الجوهرية هي هرطقة لاهوتية شرّعها البابا "إنوسنت الثالث"[1]، وكان يؤمن بأن الجسد والدم يكونان حاضرين روحياً لا مادياً.

٤-رفض فكرة صكوك الغفران.

٥-أنكر ضرورة الاعتراف الجهري أمام القس، ونادى بالعودة إلى الاعتراف الاختياري العام الذي كان يفضله النصارى الأولون[2].

من أهم أعمال ويكليف قيامة بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية، بحيث أصبح بمقدور كل فرد في المجتمع الإنجليزي أن يطلع على هذه الترجمة ويقرأها بنفسه، وقد أغضب هذا العمل السلطة الكنسية واعتبرته عملاً شائناً كمن يقذف الجواهر أمام الخنازير. وبعد موت ويكليف أصدرت الكنيسة سنة ١٤٠٨م مرسوماً يمنع قراءة ترجمة ويكليف للكتاب المقدس وتداولها[3].

وفي سنة ١٣٨٢م أدان أسقف مدينة كانتبري رئيس الكنيسة الإنجليزية، تعاليم ويكليف ومنعه من الاستمرار من إلقاء المحاضرات في جامعة أكسفورد ونتيجة حماية

---

(١) إينوسنت الثالث (١١٦١-١٢١٦م) بابا رومة (١١٩٨-١٢١٦م) بلغت البابوية في عهده أوج قوتها. آمن بأن السلطة الروحية يجب أن تكون فوق السلطة الزمنية، شن الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٢م. (انظر: موسوعة المورد العربية ١/ ١٧٨).

(٢) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص٣٥-٣٦، قصة الحضارة ٢٢/ ٧٣ بتصرف.

(٣) انظر: مختصر الكنيسة، أندرو ملر، ص٣٩٢، مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص٣٦، تاريخ الكنيسة جون لوريمر ٤/ ٥٣ بتصرف.

أصدقائه له لم يستطع أن يلقي القبض عليه، رغم حرص البابا على معاقبته وإصدار أمر بالقدوم عليه في رومه، لكنه أصيب بضربة شلل سنة ١٣٨٤م مات بعد ثلاثة أيام[١].

وبعد مضي خمسة وعشرين عاماً على وفاة ويكليف أعلنت الكنيسة بشكل رسمي أنها تعتبره مهرطقاً، فقررت في مجلس كنستانس عام ١٤١٥م بإخراج عظامه وحرقها ورميها في مجرى ماء[٢].

وهكذا كانت آراء وتعاليم ويكليف النقدية في غاية القوة والصراحة، موجهة إلى الكنيسة وأباتها، وكاشفة مخازي ومساوي عقائدها، وداعياً بالرجوع بالنصرانية إلى ما قبل الكاثوليكية ومع هذا كله نجى ويكليف من ظلم الكنيسة وعقابها البدني، ولم تستطع البابوية النيل منه وكان ذلك راجعاً إلى قربه وعلاقته بالبلاط الملكي فقد كان له أصدقاء يمنعون عنه كل الدسائس والمؤامرات، بالإضافة إلى أن دعوة ويكليف كانت في وقت تمر فيه البابوية بأزمة طاحنة تعرف بفترة الانشقاق الكنسي العظيم ضد النظام البابوي، فكانت الكنيسة نوعا مشغولة بترتيب وضعها الداخلي إلا أنها تابعت حركة ويكليف ونددت أكثر من مرة بآرائه.

ثانياً: جون هس: (١٣٧٣-١٤١٥م).

وُلد جون هَسَ من أبوين فلاحين تشيكيين، في بلدة هوسنيك، درس في جامعة براغ التي درَّس فيها وأصبح رئيسها، رسم كاهناً سنة ١٤٠١م، وقد كان واعظاً مفعماً بالحرارة والحماس قدر ما كان لاهوتياً حاذقاً، كان يجتذب الجمهور إلى كنيسة بيت لحم في المدينة القديمة، حيث يلقي عظاته باللغة العامية[٣].

---

(١) انظر: قصة الحضارة ٢٢/ ٧٤-٧٦، تاريخ الكنيسة جون لوريمر ٤/ ٥٣.

(٢) انظر: الهرطقة في الغرب، د. رمسيس عوض، ص٢٢٧. قصة الحضارة ٢٢/ ٧٦.

(٣) انظر: الهرطقة في المسيحية، ويتلر، ترجمة جمال سالم، ص١٧٧، قصة الحضارة ٢٣/ ٤، تاريخ المسيحية ٤/ ٥٥.

تأثر هس بأعمال ويكليف وقام بترجمة الكثير من آرائه إلى اللغة التشيكية، حيث اشتهرت مما جعل القوامين على الإدارة الكهنوتية في الكاتدرائية يتقدمون إلى أساتذة الجامعة بخمسة وأربعين نصاً مختاراً من كتابات ويكليف متسائلين: هل تمنع الجامعة هذه الأقوال؟ فأجاب عدد من الأساتذة بينهم هس بالنفي، ولكن الأغلبية حكمت أنه لا يجوز منذ ذلك الحين لأي عضو من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، أن يدافع أو ينتصر بصورة علنية أو سرية لقول من هذه الأقوال الخمسة والأربعين(١).

ولكن هس تجاهل هذا الطلب، فأصدر رئيس أساقفة براج أمراً بحرمان هس.لكن الملك والشعب احتجوا لأن هس أصبح وقتئذ رمزاً للوطنية(٢).

ورغب البابا عام ١٤١١م في الحصول على أموال للقيام بحملة صليبية ضد نابولي، فأعلن عرضا آخر لصكوك الغفران. ولما أذيع ذلك في براغ وبدا للمصلحين أن عملاء البابا يبيعون الغفران بالمال، دعا هس ومؤيده الأول جيروم البراغي ضد هذه الصكوك، وناقشا وجود المطهر، واحتجا على جمع الكنيسة للأموال لإهراق الدم المسيحي. وهبط هس إلى القدح فوصف البابا بأنه "نابش الأموال" وزاد على ذلك بأنه ضد المسيح. وشارك جانب كبير من الشعب، هس في آرائه وعرض أعمال البابا للسخرية والانتقاص، إلى حد جعل الملك يحرم كل دعوة أو عمل بعد ذلك ضد صكوك الغفران. وخرج ثلاثة من الفتيان على هذا المرسوم، فاستدعوا إلى مجلس المدينة، ودافع هس عنهم، واعترف بأن دعوته أثارتهم، فأدينوا وقطعت رؤوسهم. وعمل البابا في تلك الفترة على توجيه حرمانه إلى هس. ولما تجاهل الرجل القرار أصدر يوحنا قراراً بحرمان أي مدينة يأوي إليها. ورحل هس عن براغ مستجيبا لنصيحة الملك وظل معتزلاً بالريف عامين.

---

(١) انظر: قصة الحضارة ٢٣/ ٥.

(٢) انظر: تاريخ المسيحية ٤/ ٥٦

آراؤه وتعاليمه:

١-أنكر عبادة الصور والاعتراف السمعي وتعدد الشعائر الأنيقة.

٢-أن الكنيسة يجب ألا يكون لها طيبات دنيوية، بمعنى سلطة عسكرية تشن بها في الحروب.

٣-أن البابا ليس رأساً للكنيسة، ونفى العصمة عن البابا.

٤- رفض فكرة بيع صكوك الغفران.

٥-ادخل في الكنيسة مبدأ القضاء والقدر ذلك المبدأ الذي قد أدانته الكنيسة كهرطقة في القرن التاسع الميلادي[١].

ولما انعقد مجمع كونستانس سنة١٤١٤م، لتسوية موضوع الانقسام البابوي، رأى الإمبراطور الروماني سيجسموند[٢] الذي كان قائماً على المجمع أنها فرصة مناسبة لتسوية الخلاف بين هس والكنيسة، فدعا الملك سيجسموند جون هسّ إلى المجمع وأعطاه وعد الأمان والمحافظة على حياته.عندها أوقف البابا "يوحنا الثالث والعشرون"[٣] مفعول مرسوم الحرم بحقه، فلبى هس رغبة الملك وذهب إلى

(١) انظر: قصة الحضارة ٢٣/ ٧، الهرطقة في المسيحية، ص١٨٠، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، أ. د. عمر عبدالعزيز عمر، ص١٤٧-١٤٨.

(٢) سيجسموند (١٣٦٨ - ١٤٣٧م). إمبراطور الإمبراطورية الرومانية من عام ١٤١٠م حتى وفاته. حكم المجر وبوهيميا وأسهم في إنهاء الانشقاق الكبير قادة حملة صليبية ضد الدولة العثمانية الين اجتاحوا صربيا وبلغاريا لكنه هزم هزيمة منكرة عام ١٣٦٩م.(انظر: موسوعة المورد العربية ٢/ ٦٦١).

(٣) يوحنا الثالث والعشرون (١٣٧٠- ١٤١٩م). مغامر وجندي إيطالي بارع، كان مناهضًا للبابا خلال فترة مليئة بالاضطرابات في تاريخ الكنيسة تسمى الانشقاق الكبير (١٣٧٨ - ١٤١٧م). كما أنه طالب بمنصب البابوية، بل ادعاه بطريقة غير ملائمة. انتخُب يوحنا لمنصب البابا عام ١٤١٠م، اتهم بسوء خلقة وفساده فخُلع عام ١٤١٥م.(انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٧/ ٣٤٤-٣٤٥، معجم الباباوات، ص١٦٢).

كونستانس[1]، فلما وصل وعرض على المجمع واستجوبوه اقتنعوا، بأنه هرطيق كبير فسيق إلى السجن، وشكا سيجسموند من أن تصرف المجلس قد خالف جواز الأمان الذي أعطاه لهس، فأجاب المجلس بأنه غير مقيد بصنيعه وبأن سلطته لا تمتد إلى الشئون الروحية، وبأن للكنيسة الحق في أن يعلو حكمها على حكم الدولة إذا أرادت أن تحاكم عدواً للكنيسة، ثم نقل هس إلى حصن جوتليين على نهر الراين ووضع هناك في الأصفاد. بعدها سيق هس مكبلاً بعد أن قضى في السجن سبعة أشهر أمام المجلس. وسئل عن الآراء الخمسة والأربعين التي سبق أن اتهمت من مؤلفات ويكليف فأنكر معظمها وأيد بعضها. ولما توجه بفقرات من كتابه "عن الكنيسة" عبر عن رغبته في حذف ما ينكره الكتاب المقدس، واحتج المجلس بأن الكتاب المقدس يجب أن يفسر بوساطة رؤساء الكنيسة لا بوساطة اجتهاد الأفراد وطالب هس أن يسحب جميع تلك الآراء التي استشهد بها دون تحفظ لكنه رفض ذلك، وبعد أن فشلت كل المحاولات التي تجعل هس ينكر تعاليمه، فأمرت السلطة الكنسية بإحراقه، فأحرقوه على قائم خشبي[2].

۞ المسألة الثانية: اضطهاد الكاثوليك للجماعات:

لم يقتصر نقد الكنيسة والاحتجاج عليها، وبيان ما احتوته من عيوب وانحراف على الأفراد بل من الطبيعي أن يكون لهم أتباع وأنصار يعجبون بأفكارهم ومبادئهم فينساقون خلفهم مؤيدين ومناصرين فتكونت حركات وجماعات مناهضة للكنيسة.

وهذا الأمر لاشك كان يغضب البابوية بحيث يزعزع مكانتها وسلطتها مما

---

(١) كونستانس: مدينة في الجزء الجنوبي الغربي من ألمانيا، على مسافة ٣٥ميلا شمال شرق زيوريش، عقد فيها مجمع كونستانس الذي أنهى الانشقاق (موسوعة المورد العربية ٣/ ١٠٠٥).

(٢) انظر: قصة الحضارة ٢٣/ ٨-١٠، تاريخ المسيحية ٤/ ٥٧-٥٨، مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص٣٧.

جعلها تسعى سعياً حثيثاً لتقويض مثل تلك الحركات والجماعات فأعطت لنفسها الحق في اتخاذ كل الوسائل من أجل اضطهادها والقضاء عليها ومن تلك الجماعات:

١-جماعة الكاثاري.

ظهرت جماعة الكاثريين في القرن الثاني عشر، وهذا اللفظ مشتق من كلمة يونانية معناها " الطاهر" أو البلغاري نسبة إلى أصلهم، وكانوا يعرفون بـ" الألبيجينيين " نسبة إلى بلدة ألبي وهي أسم المنطقة الفرنسية التي كانوا يعيشون فيها(١).

انتشرت هذه الجماعة في المنطقة الجنوبية من فرنسا لاسيما مقاطعة لانجدوك وتولوز(٢)، كذلك في كولون بألمانيا، وشمال إيطاليا وإسبانيا(٣).

وقد يكون منشأ هذه الجماعة في المنطقة الجنوبية نتيجة احتكاك هؤلاء النصارى بالمسلمين وتأثرهم بأفكارهم الربانية(٤).

أهم ما دعت إليه جماعة الكاثاري:

١-العودة إلى العقائد والأساليب المسيحية الأولى.

٢-يرفضون العشاء الرباني والقداس وتعظيم الصور المقدسة.

٣-ينكرون التثليث، ولا يؤمنون بأن المسيح ولد من عذراء، وعندهم أن المسيح من الملائكة، ولكنه ليس هو الله.

---

(١) انظر: قصة الحضارة ١٦/ ٧٩، تاريخ المسيحية ٤/ ٤٢.

(٢) تولوز: مدينة فرنسية، تقع في جنوب غربي فرنسا على نهر جارونيه. وكانت تولوز في القرون الوسطى مركزاً فنياً وثقافياً للدول الأوربية.(انظر: الموسوعة العربية العالمية، ((مادة تولوز))، المكتبة الشاملة).

(٣) انظر: الكنيسة في التاريخ، الخوري ناصر الجميِّل، ٢/ ٣٢٣، التاريخ الأسود للكنيسة، القس دي روز، ص١١١.

(٤) انظر: قصة الحضارة ٢/ ٩٧.

٤-أنهم ينكرون الملكية الخاصة، ويأملون أن تقسم الطيبات بين الناس بالتساوي

٥-اعتقد أتباعها بالتضاد المستمر لمبادئ الخير والشر في العالم.

٦- اعتقدوا أن الأمور الدنيوية تمثل قوى الشر، وأن الروح البشرية هي الخير الوحيد.

٧- أن الروح كانت أسيرة الجسد كعقاب لارتكاب الخطيئة، وأن أعلى مراتب الخير كان يتمثل في فك إسار الروح من الجسد.

٨- عارضوا الزواج وإنجاب الأطفال وأكل اللحوم ومنتجات الحيوان الأخرى

٩-كانت جماعة الكاتارى تدعي أنها وحدها كنيسة يسوع المسيح، بينما كنيسة روما هي " أم أعمال الفسق" و"بابل الكبرى " و"كاتدرائية الشيطان " وأن رجال الدين هم زمرة الشيطان، وأن البابا هو المسيح الدجال[1].

والناظر في هذه العقائد والأفكار لا يمكن التسليم المطلق بصحتها؛ كونها منقولة عن أعدائهم. أما ما كتبوه هم عن جماعتهم فقد أصابها الضياع والتلف، فإن الكنيسة أرادات أن تمحى كل ماله صلة بهم.

وقد يكون هذا من التشويه المتعمد من البابوية لزيادة الخصومة عليهم وتصويرهم على أنهم فئات ملحدة حوت خليط من السخف، نفثت فيها سذاجة الجماهير سماً زعافاً.

---

(١) انظر: قصة الحضارة ١٦/ ٧٩-٨١ بتصرف، الهرطقة في المسيحية، ص١٢٣، الموسوعة العربية العالمية مادة "ألبجنسيون".

اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لجماعة الكاثارى:

لقد انتشرت هذه الجماعة في أغلب البلدان الأوربية، وتسامع الناس بتنظيمهم وشجاعتهم في توجيه النقد للكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وأساقفتها، ونتيجة كذلك لتمتعهم بالأخلاق الرفيعة وتضحياتهم المبذولة اجتذبوا أتباعاً كثيرين من أفراد الشعب[1].

هال هذا الأمر الكنيسة الكاثوليكية، وأدركت أنها في خطر كبير، ورأت أن مثل هذه الجماعة تعتبر من الخطر الداخلي الذي يهدد كيانها ويجعلها تضعضع أمام الرأي العام، فما كان منها إلا أن تسعى بكل المساعي من أجل اجتثاث هذه الجماعة، فرأت أن تبدأ بمرحلة الإقناع فأرسلت مجموعة من الوعاظ كان أشهرهم "برنردس"، ولكنه فشل في مهمته حيث لم يقتنع أحد. وقام غيره من الرهبان بمحاولات أخرى، لكن الكثار قبلوا النقاش ولم يتخلوا عن أي أمر من الأمور[2].

ولما اعتلى " إنوسنت الثالث " كرسي البابوية، كان القضاء على هذه الجماعة من أولوياته ولذلك كتب بعد شهرين من توليته إلى رئيس أساقفة أوتشى في غسقونية يقول: "إن قارب القديس بطرس الصغير تتلقفه العواصف وتتقاذفه أمواج البحر، ولكن أشد ما يحزنني ويقض مضجعي... أن قامت في هذه الأيام فئة لم نر لها فيما مضى مثيلاً في تحررها من جميع القيود وفي شدة أذاها، قد ارتكبت أخطاءً لا يرتكبها إلا الشياطين، وأخذت توقع نفوس السذج من الناس في حبائلها، وتفسد بخرافاتها وبدعها الكاذبة معاني الكتاب المقدس، وتحاول أن تهدم وحدة الكنيسة الكاثوليكية. وإذ كان... هذا الوباء قد أخذ ينتشر في غسقونية والأقاليم المجاورة لها، فإنا ندعوكم أنتم والأساقفة زملاءكم إلى مقاومته بكل ما أوتيتم من قوة... وقد أصدرنا إليكم هذا

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية ٤/ ٤٢.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المفصل، ٢/ ٨٨.

الأمر القوي النافذ أن تقضوا على هذه الفئات الملحدة بكل ما تستطيعون من الوسائل، وأن تخرجوا من أسقفيتكم كل من أصابهم دنسها... وفي وسعكم إذا اضطررتم أن تجعلوا الأمراء والشعب يقضون عليهم بحد السيف"[١].

وقد رأى ريموند السادس صاحب مدينة تلوز أن هذا الطلب من الظلم القاسي الذي لا مبرر له، وأجاب ريموند بالقول: "إننا قد نشأنا وتربينا مع هؤلاء الناس، ولنا أقارب بينهم،ونعلم أنهم أمناء وسيرتهم طيبة.فكيف يمكننا أن نضطهد أخلص الناس في شعبنا وأشدهم ميلاً للهدوء والسلام"[٢].

غضب البابا من تصرف ريموند وحمايته للألبجنسين ووضعهم تحت الحرمان ولعنة الأنثيما، التي لم تكن قاصرة عليهم بل تناولت كل من يجرؤ على حمايتهم والتعامل معهم تجارياً أو اجتماعياً، وأخذ البابا يرسل المناديب مرة تلو الأخرى من أجل المناقشة وإقناع ريموند بالقضاء على الكاثاريين، وقد أوفد البابا - كمحاولة أخيرة - بطرس راؤول لمناقشتهم للمرة الأخيرة قبل إعلان الحرب عليهم، فقام أحد رجال ريموند بقتل مندوب البابا مما حد به إلى تحميل المسئولية للمنطقة كلها وإعلان الحرب عليها[٣].

وبعد أن حرم البابا ريموند ومحرضيه من الكنيسة، وجعل أراضيهم مستباحة لكل نصراني يستطيع القبض عليهم، ودعا النصارى في جميع أقطار العالم إلى حرب صليبية ضد الألبجنسيين ومن يحمونهم. وأجاز "فليب أغسطس"[٤] لكثيرين من

---

(١) قصة الحضارة ١٦/ ٨٤-٨٥.

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص٣٣٠.

(٣) انظر: التاريخ الأسود الكنيسة، ص١١٢.

(٤) فيليب أغسطس (١١٦٥-١٢٢٣م) وكان سياسيًا بارعًا لم يوسع مملكة فرنسا فحسب، بل جعل أيضًا منصب الملك قويًا. تولى الحكم ١١٨٠م، منقادة الحملة الصليبية الثالثة، حارب الإنجليز وانتصر على الإمبراطور جون، في عهده تأسست جامعة باريس.(انظر: المنجد في الأعلام، ص٤٣٣).

بارونات مملكته أن يتطوعوا في هذه الحرب، وجاءت فصائل من ألمانيا وإيطاليا. ووعدت جميع من يشتركون في هذه الحرب بالغفران الشامل الذي وعد به من يحملون الصليب للقتال في فلسطين(١).

لقد تكونت حملة صليبية قوامها ثلاثمائة ألف من الجنود المتعطشين لنهب خيرات وممتلكات تلك المقاطعات الغنية وارتكبت مجازر رهيبة في حق أولئك المسالمين، وسطرت الكتب النصرانية تلك البشاعات التي حدثت في مذبحة ليس لها مثيل في التاريخ الأوربي فقد تم حصار مدينة بيزية، وعندما نجح فرسان البابا في دخولها قاموا بقتل وذبح أكثر من عشرين ألف شخص ما بين رضع ونساء وشيوخ ورجال، رغم احتمائهم بكنيسة مريم المجدلية، ثم تم إحراق المدينة كاملة بحيث أصبحت كومة من الرماد لم يبقوا على أثر واحد.

وفي هذه المذبحة تم لأول مرة ذبح رجال الكنيسة وخاصة خلال إقامة صلاة وشعائر دينية، فقد كانت شهية فرسان الصليب للقتل وتعطشهم للدماء قد بدأت ولم ترجع لسابق عهدها أبداً. وعندما وصلت أخبار مدينة بيزييه للبابا خر لله ساجداً شاكراً له نعماءه ونصره(٢).

بعد أن تم حرق مدينة بيزية عن آخرها تقدم الصليبيون إلى مدينة كاركاسون(٣) لكنهم فشلوا في دخولها واستطاعوا أن يحتالوا على قائدها في طلبهم للصلح فتوجه إليهم وبرفقته ثلاثمائة من الرهبان فغدروا بهم وألقوهم في السجن وبعد ذلك قتلوهم شر قتلة(٤).

---

(١) انظر: قصة الحضارة، ١٦/ ٨٦.

(٢) انظر: التاريخ الأسود الكنيسة، ص١١٤- ١١٥ بتصرف.

(٣) كاركاسون: مدينة فرنسية عاصمة محافظة أُود، تقع على قناة الجنوب ونهر أُود، من مدن العصور الوسطى ذات الأسوار. (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٤٢١، المنجد، ص٤٥٥).

(٤) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص٣٣٣، التاريخ الأسود للكنيسة، ص١١٥.

وقد نقل "ولز" مساوي تلك الحملات وبشاعتها وكيف أنها فاقت التصور العقلي،حيث قال: "ومن ثم نرى مشهداً يبدو فيه "إنوسنت الثالث" وهو يحرض على حرب صليبية ضد هاته الشيع، ويأذن لكل نذل زنيم أو متشرد أثيم بأن ينضم إلى الجيش وأن يعمل السيف والنار، واغتصاب الحرائر، ويرتكب كل ما يمكن أن يتصوره العقل من أنواع انتهاك الحرمات... والقصص التي تروى عن هذه الحرب الصليبية تحكي لنا من أضرب القساوة والنكال البشع ما يتضاءل إزاء بشاعته قصة أي قتل للنصارى على أيدي غيرهم، وهي فوق هذا تسبب لنا رعباً مضاعفاً لما هي عليه من صحة لا سبيل إلى الشك فيها"[(١)].

٢- جماعة فُرسان الهيكل:

عبارة عن جماعة عسكرية دينية من جماعات الفروسية النصرانية، أنشأها نفرٌ من الفرسان الفرنسيين في القدس عام ١١١٩م، وقت الحروب الصليبية بحجة حماية الحجاج النصارى الوافدين إلى بيت المقدس[(٢)].

وقد كوَّنوا جماعة وظيفية قتالية استيطانية في العالم الإسلامي، وجماعة وظيفية مالية وسيطة في العالم الغربي. وقد كانت العلاقة بين العالم المسيحي في العصور الوسطى وجماعة فرسان الهيكل علاقة نفعية، فقد جعل الفرسان تحت حمايته الخاصة بحيث يستخدمهم كقوة ضد الخصوم[(٣)].

وبعد تحرير القدس من النصارى وطردهم منها خرجوا جماعة الفرسان إلى عكا ومنها إلى أوروبا الغربية والتجأوا إلى فرنسا، ومعهم ثروات ضخمة[(٤)]،

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ٣/ ٩٠٤-٩٠٥

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، أسد رستم، ص١١٧.

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. المسيري ٦/ ١٤٤.

(٤) أكبر دليل على ثروة الهيكليين الفاحشة، أنهم قاموا بشراء جزيرة قبرص برمتها من ملك انجلترا ريتشارد =

وقاموا بعمليات المصارف التي ساعد على انتشارهم في جميع أنحاء أوروبا، وقد أثارت أموالهم الطائلة المكنوزة، ودولتهم المسلحة في داخل الدولة، كل هذا أثار حسد "فيليب الرابع"[(١)] لهم وخوفه وغضبه عليهم[(٢)].

وقد وجهت اتهامات عدة للهيكليين منها: أنهم يعبدون رأساً منحوتاً يدعونه "بافوميه"[(٣)]، وأنهم كانوا يبصقون على الصليب يوم استقبالهم، وأن أخلاقهم كانت ضد الطبيعة، ورفضهم القول بألوهية المسيح وتأثرهم العميق بالفكر الديني الإسلامي[(٤)].

يقول فيصل الكاملي: "إن اشتراك الفرسان والكنيسة في عبادة الشمس يؤكد أن اضطهاد الكنيسة للفرسان فيما بعد لم يكن نتيجة اختلاف في المعتقد وإنما بسبب اتساع نفوذهم"[(٥)].

ومما ساعد كذلك على اضطهاد فرسان الهيكل تفوق قوة السلطة الزمنية على السلطة الكنسية؛ فقد كانت الكنيسة تعيش في مرحلة الانشقاق، عندما كان الكرسي

= قلب الأسد، نظراً لحاجته للنقود بمقابل ٤٠ ألف بيزنط معجل، ٦٠ألف بيزنط لاحقاً. (انظر: قصة محاكم التفتيش في العالم، ص١٣٦).

(١) فيليب الجميل (١٢٦٨-١٣١٤م)،حكم عام ١٢٨٥م، استند إلى المشترعين في حكمه واستقل عن الكرسي الرسولي ودخل في نزاع معه.(انظر: المنجد في الأعلام، ص٤٣٣).

(٢) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، د. جلال يحي، ص٧٩، قصة الحضارة ١٥/ ٦٣.

(٣) بافوميه أو بافوميت وهو: روح إله الشمس "أوزيريس " وهو" كبش منديس" المعروف في الكتابات الباطنية وهوبهذا إله شمش.(انظر: اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، فيصل بن علي الكاملي، ص٨٧).

(٤) انظر: محاكم التفتيش، غي تستاس، جان تستاس، ترجمة، د. ميساء السيوفي، ص٦٨، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٥/ ٤٦٠.

(٥) اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، ص٨٧.

الرسولي في افينيون جنوب فرنسا فكانت البابوية تنفذ املاءات ورغبات الحكم الفعلي للبلاد.

قام الملك «فيليب» بمطالبة البابا «كلمنت الخامس» بإصدار مرسوماً بابوياً من أجل التحقيق مع جماعة الفرسان، فقبض في عام ١٣١٠م على كل من كان في فرنسا من جماعة فرسان المعبد دون سابق إنذار لهم ووضع الخاتم الملكي على ممتلكاتهم، وبدأت معهم محاكم التفتيش[1] التحقيق وقد استخدمت جميع أنواع الاعتراف الإجباري، فمنهم من علقوا من معاصمهم وكانوا يرفعون وينزلون فجأة، ومنهم من وضعت أقدامهم عارية أمام النيران ومنهم من دقت شظايا حادة بين أظافر أيديهم، ومنهم من كانت تقتلع لهم سن كل يوم، ومنهم من يربطون بعض الأثقال بأعضاء الجسم، ومنهم من ماتوا موتاً بطيئاً من الجوع. وكانت جميع وسائل التعذيب السالفة الذكر تستخدم مع أولئك الفرسان في كثير من الحالات، فكانت النتيجة أن الكثيرين منهم حين جيء بهم ليعاد استجوابهم كانوا ضعافاً موشكين على الموت. وأظهر واحد منهم العظام التي سقطت من قدميه المحروقتين. واعترف الكثيرون منهم بجميع التهم التي وجهها لهم الملك، وقال بعضهم إنهم قد تلقوا وعداً مختوماً بخاتم الملك أن يؤمنوا على حياتهم وترد لهم أملاكهم إذا اقروا بارتكاب التهم التي توجهها لهم الحكومة، ومات بعضهم في السجون، وانتحر البعض الآخر؛ وشد تسعة وخمسون على قوائم خشبية وأحرقوا بالنيران[2].

---

(١) محاكم التفتيش: مشتق من كلمة لاتينية هي (Inquirer) ومعناها يتقصى، يبحث، يفتش. وهناك تسميات لمحاكم التفتيش: ديوان التحقيق، الديوان المقدس) ولكن التسمية الدقيقة هي الأولى؛ لأن هذه المحاكم كانت تعتمد أسلوب البحث والتقصي والتفتيش عن المتهمين من خلال لوائح الكنيسة والتي تفوض فيها عدد من الرهبان والقسس للتجول والبحث عن المخالفين للكنيسة الكاثوليكية. (انظر: محاكم التفتيش الإسبانية، د.بشرى الزوبعي، ص١٨، قصة محاكم التفتيش في العالم، د. بسام اسخيطه، ص١٣).

(٢) انظر: قصة الحضارة ١٥/ ٦٣، الهرطقة في الغرب، ص١٨٤.

وزيادة في معرفة ما أصاب هذه الجماعة من اضطهاد وظلم لنقرأ ما سطره شارل مالكي قائلاً: "في كل مكان من أوروبا ألقي بفرسان الهيكل في السجون وصودرت أموالهم وممتلكاتهم.وضع المئات منهم على المخلعات فاعترفوا حتى بالتهم اللامعقولة التي نسبت إليهم مما أدى إلى زيادة السخط الشعبي وإلى انتعاش آمال أعدائهم. صحيح أنهم حين ينزلون عن المخلعة كانوا ينكرون كل ما سبق لهم أن اعترفوا به، غير أن هذا لم يساعد إلا على زيادة النقمة عليهم وعلى اعتباره تهمة أخرى تضاف إلى تهمهم.صار ينظر إليهم بمنظار أكثر سوءاً من قبل فتم إلقاؤهم إلى النار على أنهم هراطقة مرتدون... في ١٣١٣م واختتم المشهد الأخير من هذه المأساة بحرق زعيم الطائفة، جاك دي موليه"[(١)].

وكانت نهاية هذه الجماعة المأسوية عندما أصدر البابا "كلمنت الخامس"مرسوماً يدعو فيه ملوك أوروبا إلى اعتقالهم ومصادرة ممتلكاتهم، وفي مجمع فيان عام ١٣٠٧م، صدر مرسوم بتحريم إعادته[(٢)].

---

(١) تاريخ التعذيب، بيرنهاردت، ترجمة: ممدوح عدوان، ص٦٤-٦٥.

(٢) انظر: اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، ص٨٧.

المطلب الثاني
اضطهاد البروتستانت للأفراد والجماعات والطوائف

جاءت الطائفة البروتستانتية في سياق الحركات الدينية الإصلاحية، وأخذت تنتشر في أوروبا قاطبة وكونت لها قوة وسلطة حاكمة تسعى إلى فرض مبادئها وأفكارها وتضطهد من يخالفها أو ينشق عنها وبالتالي مارست مع المخالفين نفس طريقة الكاثوليك من التعذيب والاضطهاد فلم يكن حالها أحسن من حال الكاثوليك بل كانت في كثير من الأحيان أشد تعصباً وفتكاً بالمخالف وهذا ما سيتبين من خلال المسائل التالية:

۞ المسألة الأولى: اضطهاد البروتستانت للأفراد:

لاشك أن ظهور حركات الإصلاح النصراني في بداية القرن السادس عشر وانتشارها السريع في أنحاء أوروبا كان دافعاً لانطلاق دعوات أخرى فردية تصحيحية كانت في حقيقتها دعوة إلى العودة بالمسيحية إلى جذورها الأولى وهو ما أثار البروتستانت وراحت تلاحق وتنكّل أي مخالف لذلك ومن أولئك الأفراد:

١- ميشيل سرفيتيوس: (١٥١١-١٥٥٣م).

فهو عالم وطبيب ولاهوتي من أصل إسباني. لقد كان قمة من قمم العلم في القرن السادس عشر. ولا يخلو كتاب من كتب تاريخ العلوم من الإشارة إليه، فقد ترجم كتاب الجغرافيا لبطليموس وهو أحد المكتشفين الكبار لتركيب الدم وحركة الدم في الرئة كما كان عالما في مجال التشريح ووظائف الأعضاء[1].

كان يضطرم بعاطفة دينية متقدة، وعرف بالشجاعة الأدبية. وكانت تنتابه حالة

---

(١) انظر: قصة الحضارة ٢٨/ ٢٢.

من القلق الديني رأى أن يعالجها بالتعمق في الدراسات الدينية. اتصل برجال الإصلاح الديني في ألمانيا وسويسرا لكن آراءه التي جهر بها عن مبدأ الثالوث المقدس، أثارت الكاثوليك والبروتستانت على السواء[(١)].

لقد كان "سيرفيتس" أكثر أفراد الحركة المناهضة للتثليث صخباً في هذه الفترة، وكان له من الثقل العلمي ما يجعله جديراً بالاهتمام، لدرجة أن خصومه الذين حاولوا جاهدين التقليل من قدره سُرعان ما رجعوا عن ذلك معترفين بفضله وعلمه[(٢)].

كان "سرفيتيوس" يتنقل في أنحاء أوروبا وكانت كل جهوده طوال تلك الفترة تتركز في تنقية النصرانية مما أصابها من التحريفات، وأخذ يراسل كالفن خلال تلك الفترة، ولكن لم يتلق رداً إيجابياً من كالفن، وبعدها قام بتأليف كتاب حمل فيه كل آرائه وسماه أخطاء التثليث ونشر عام ١٥٣١م هاجم فيه بشدة ألوهية المسيح، وكان وقع هذا الكتاب على أوروبا كالصاعقة فلم يجرؤ أحد من قبل على نشر كتاب بهذه الصورة. فما كان من الكنيسة ألا أن أدانته بالهرطقة[(٣)].

وقد أقام "سيرفيتوس" دعوته على رفض أن يؤمن بتعميد الأطفال، وأعلن بطلان عقيدة التثليث، ورفض ألوهية المسيح بشدة، وكان يُسمَّي الثالوث بـ" الوحش الشيطاني ذي الرؤوس الثلاثة"[(٤)].

وقد قبضت عليه الكنيسة الكاثوليكية وقدمته للمحاكمة مذنباً بجريمة الهرطقة،وبطريقة ما هرب "سيرفيتوس" قبل التمكن من إعدامه. وعندما كان متجهاً إلى إيطاليا شاء له عدم تبصُّره أن يمر بجنيف، فألقي القبض عليه حيث كان كالفن

---

(١) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٣٩٣، الدين والسياسة، د. سالمة عبدالجبار، ص١٦٤.

(٢) انظر: المسيحية المؤمنة بنبوة عيسى عليه السلام، د. أميمة الجلاهمة، ص٣٨.

(٣) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ترجمة، عادل محمد حامد، ص١٢٣.

(٤) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، د. يوسف الكلام، ص٣٠٢.

حاكماً عليها، فحوكم وأدين وصدر الحكم بالإعدام حرقاً[(١)].

٢- جون بيدل (١٦١٥- ١٦٦٢م).

يعد المؤسس الحقيقي للمذهب التوحيدي في انجلترا، درس في جامعة أكسفورد ونال درجة الماجستير منها سنة ١٤٦١م، عُيِّن مديراً لمدرسة الحرَّة[(٢)].

فقد ساعدته معرفته باللغة اليونانية القديمة، ودراسته للعهد الجديد بلغته الأصلية في اكتشاف حقيقة أن عقيدة التثليث ليس لها مستند كتابي، وأخذ ينشر هذه الأفكار[(٣)].

وقام بنشر رسائله التوحيدية المدعمة بأقوى البراهين المنطقية على بطلان ألوهية المسيح وبطلان ألوهية روح القدس، أشهرها رسالته التي نشرت سنة ١٦٤٥م وعنوانها " اثنتا عشرة حجة تنفي ألوهية الروح القدس"[(٤)].

وقد عمدت الكنيسة إلى الشروع في اضطهاده والذي طال أمده في فترة لا تقل عن سبعة عشر عاماً، ولكن هذا الاضطهاد لم يفت في عضده بل زاده تشبثاً برأيه، حتى أنه أدخل السجن عدة مرات[(٥)].

وكانت من أهم أعماله ما ألفه عام ١٦٥٤م تحت عنوان «كتاب الصلوات المزدوج»،ويعتبر هذا الكتاب أكثر الكتب التي تهاجم الفكر النصراني التقليدي ضراوة ودعوة إلى رفض اللاهوت والكهنوت المتراكم خلال ستة عشر قرناً والعودة بالمسيحية إلى منابعها، ويرى بيدل أن النصرانية حرفت وأنها لم تقل بالخطيئة الأصلية أو الثالوث أو سر المناولة أي تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه،

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية ٤/ ٢٤٠، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٤٩.

(٢) انظر: المسيحية المؤمنة بنبوة عيسى عليه السلام، ص٥٠.

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص٣١٠.

(٤) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٣٠٤.

(٥) انظر: الإلحاد في الغرب، ص٨٢.

والكتاب المقدس في نظره بسيط يمكن للبسطاء أن يفهموه(١).

هذه الأفكار وغيرها أدت إلى محاكمته وإدخاله السجن عدة مرات، ثم أصدر أمراً بنفيه مدى الحياة تحت حراسة مسلحة في جزر سكيلي التي تبعد عن جنوب انجلترا بنحو أربعين ميلاً، وبعد ضغوط أنصاره ومطالبات لأنصاره أعيد من منفاه. ولكنه ظل مراقباً حتى ألقي القبض عليه وأدخل السجن في ظروف بالغة السوء الأمر الذي أصابه بمرض عضال توفي بسببه سنة ١٦٦٢م(٢).

۞ المسألة الثانية: اضطهاد البروتستانت للجماعات:

لقد كانت تعاليم البروتستانتية تشجع الجميع ليعيدوا النظر في الفهم الكنسي الموروث من الكتاب المقدس، الأمر الذي ساعد على ظهور حركات وجماعات رأت أن دعوة لوثر وغيره، كانت قاصرة على قضايا يسيرة ولم تستكمل العودة إلى دعوة المسيح الأصلية، فشعرت البروتستانتية أن دعوة هذه الجماعات أضرت بالمكاسب التي جنتها واستمالت إليها جمهور عريض، فما كانت إلا أن سامتها سوء العذاب والاضطهاد ومن تلك الجماعات ما يلي:

١-جماعة الأنابابتيست أو المطالبون بإعادة التعميد:

وهم جماعة نصرانية بروتستانتية تشاركهم مبادئهم الأساسية إلا أنها تعتبر واحدة من الحركات الراديكالية المتطرفة من وجهة نظر البروتستانت، وقد تسمت باللامعمدانيين أو المعمدين من جديد وذلك من إصرارها على أن التعميد، إذا تلقاه المرء في طفولته، يجب أن تعاد مراسيمه عند البلوغ، بل إن من الخير أن يؤجل، إلى أن يتمكن المتلقي الراشد من اعتناق العقيدة المسيحية بعلمه واختياره(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ٨٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٩١-٩٢، بتصرف.

(٣) انظر: قصة الحضارة ٢٤/ ٩٦-٩٧، معجم الإيمان المسيحي، ص٤٧٣، مختصر تاريخ الكنيسة، ص٤٥٨، =

وفكرة وجوهر هذه الجماعة أنها تسعى لهدم كل السلطات الموجودة، سواء الكنسية أو المدنية، ليؤسسوا على أنقاضها مجتمعاً جديداً، يقوم على مبادئ الحرية، والمساواة، الاشتراك العام بالأموال[1].

وقد نشأت هذه الطائفة أول أمرها في مدينة زيروخ وضمت شباباً من أتباع "زونجلي" المتأثرين بالنزعات الإنسانية التي بشر بها "مونتزر" و"كارلستاد"، ممن سأتهم المسيرة البطيئة للإصلاح. ولما باءت جهودهم حيث لم يكن هناك إسراع في عملية الإصلاح، انفصلوا عن "زونجلي" وباشروا عقيدتهم في إعادة التعميد عام ١٥٢٠م، ووجدوا أنفسهم مع مر الأيام معرضين للاضطهاد من قبل السلطة[2].

وأخذت الجماعة تنتشر في سائر أوروبا، وبسبب رفضهم للنظام الهرمي لرجال الدين،وتدخل الدولة في الأمور الدينية الخاصة؛ اتهموا بالعصيان والخروج على الحكم، وتعرضت حركتهم للاضطهاد العنيف، حتى من تزعم في دعوته التسامح مع المخالفين فهذا لوثر كان يؤيد إعدام أقطاب حركة دعاة التعميد، مع أنهم كانوا من دعاة التسامح الديني ورفضهم للعنف[3].

لقد صارت طائفة الأنابابتيست عرضة لاضطهاد مزدوج من الكاثوليك والبروتستانت معاً، وكان من بين تلك الوسائل التي اتبعت في تصفيتهم جسدياً إغراق مجموعات منهم في مياه الأنهر[4].

= النصرانية، د. عرفان عبدالحميد، ص١٥٠.

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٦٥.

(٢) انظر: النصرانية، ص١٥٠.

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية، ص١٦٦-١٦٧، قصة الحضارة ٢٤/ ١٠٧، رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة، د. عبدالرحمن بدوي، ص١٤.

(٤) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص١٤٩.

وقد أصدرت الكنيسة الإصلاحية بقيادة "زونجلي" سنة ١٥٢٥م قراراً من مجلس المدينة يقضي بتجريم تعميد الكبار وجعل عقوبتها الموت، وبالفعل تم تنفيذ هذا الحكم فمثلاً مانز تم إعدامه غرقاً، وفي فينا سنة ١٥٢٨م تم حرق قائد هذه الجماعة حياً مربوطاً إلى عمود، وتم إغراق زوجته في نهر الدانوب[١].

لقد استشعرت السلطة الحاكمة خطورة أفكار هذه الجماعة، فتعاونت السلطات المدنية وعلى رأسها الأمراء والبروتستانت مع الهيئات الدينية في سحق هذه الحركة وضرب القائمين عليها دون شفقة أو هوادة فقد وضعت السلطات الحاكمة نظاماً موحداً لمعاملتهم، فكل من انتمى يوماً ما إلى هذه الطائفة ثم نبذ آراءها وتخلى عنها فإنه يكتفى بضرب عنقه، أما من يظل على ولائه للجماعة متمسكاً بآرائها فإنه يحرق حياً[٢].

يقول "سابستيان فرانك"-أحد المعاصرين لتلك الأحداث-: "إنه ما أن حل عام ١٥٣٠م حتى كان ٢٠٠٠ لامعمداني قد نُفذ فيهم حكم الإعدام، وفي أنزيشايم إحدى مُدن الألزاس أُعدم ٦٠٠، وفي سالزبورج سُمح لمن تاب منهم بأن يقطع رأسه قبل وضعه على المحرقة، أما الذين لم يتوبوا فقد شويت أجسادهم على نار بطيئة حتى لاقوا حتفهم"[٣].

ومع كل هذه الاضطهادات ومحاولة القضاء على هذه الجماعة إلا أنها لم تمح الانابابتيست واستمر هذا المذهب في الانتشار حتى أصبحت تشكل الكنائس المعمدانية المجموعة الكبرى الثانية على الوجود الديني الأمريكي، وتأتي بالمرتبة الثانية بعد المجموعة الرومانية الكاثوليكية[٤].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة ٤/ ١٧١.

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٢٩٦.

(٣) قصة الحضارة ٢٤/ ١٠١.

(٤) انظر: طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، ص٢٤٠.

٢- الحركة الصوصنية:

هذه الحركة من جماعات الموحدين المنكرين للتثليث، انشقوا على الكنيسة في روما إبان القرن السادس عشر، وتنسب هذه الجماعة إلى اللاهوتي الإيطالي "سوزيني"[(١)]، اشتهر باسم "سوسيانوس"، نشر كتاباً إصلاحياً ينقد عقائد الكنيسة الأساسية من تثليث وتجسد وكفارة وغيرها، وأقام عقيدته على مبدأ التوحيد[(٢)].

وقد استطاع "سوسيانوس" أن يوثر في الطبقة الحاكمة، وأن يقنعها بأفكاره التي كانت مناهضة تماماً للكنيسة الكاثوليكية وللطائفة البروتستانتية التي عمل على تطهيرها من أفكارها المتعصبة، وأعلن أن الدين إذا صاحبه الاضطهاد كان لعنة ومجلبة للمحن[(٣)].

ويمكن أن نلخص الجانب العقدي عند هذه الجماعة بما يلي:

- أن عيسى عليه السلام كان إنساناً ونبياً ورسولاً من الله مبلغاً كلمته.
- أن عيسى عليه السلام لم يكن إلهاً ولا تجسُّداً لله.
- أن الله هو الرب الأعلى لكل العباد، ولا يمكن بأي حال التشكيك في وجوده وقوته، وأن الله منزه عن كل نقص.
- إنكار الاضطهاد وجعل القوة أداة لخدمة الدين[(٤)]

---

(١) فاوستو باولو سوزيني (١٥٣٩- ١٦٠٤م) ولد في إيطاليا، وقضى فترة طويلة من حياته هناك، ثم غادرها إلى جنيف واعتمد عضوا من أعضاء المجلس الكنسي الإيطالي، قام بدراسة الكتاب المقدس، ثم أرتحل إلى بولندا حيث كانت تمتاز بالتسامح العقلي، ومكث فيها حتى توفي.(انظر: الدين والسياسة، سالمة عبدالجبار، ص١٧١).

(٢) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٦٠،تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٣٠٣.

(٣) انظر: الدين والسياسة، د. سالمة عبدالجبار، ص١٧١، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٦٠.

(٤) انظر: المسيحية المؤمنة بنبوة عيسى عليه السلام، ص٤١، الدين والسياسة، د. سالمة عبدالجبار، ص١٧٣، قصة =

وقد تعرضت هذه الجماعة للاضطهاد الشديد من الكاثوليك والبروتستانت معاً بحكم التباين العقدي بينهما، فقد قبض على "سوزيني" وحكم عليه بالإعدام حرقاً، وبعدها خفف الحكم إلى تجربة الماء البارد فألقي في ماء عميق مقيداً، ولكنه لم يغرق فعفي عنه[(١)].

ولم يسلم أتباع هذه الجماعة من التعصب الديني ضدهم، حيث بدأوا يتعرضون لاضطهاد وحشي منذ عام ١٦٣٨م، فحرق الكثير منهم أحياء، أو حرموا من حقوقهم المدنية، وأحرقت كتبهم، وفي عام ١٦٥٨م، خير الناس بين قبول الكاثوليكية، أو الطرد للمنفى، أو الإعدام، وبهذا هاجر الكثير منهم إلى هولندا ثم إلى إنجلترا ومنها إلى باقي دول العالم[(٢)].

إذن ظهور جماعة الصوصنية وتوافقها مع ما كانت الآريوسية تدعو إليه دليل على مدى تأثير الحركة الآريوسية في الفكر الديني النصراني طوال تاريخ الكنيسة، وأن موقف الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية من هذه الجماعة لا لشيء إلا لارتباطه بهذا المذهب والعقائد الدينية المعارضة، كذلك لارتباط الكنيسة الرسمية بالعقيدة النيقية وقوانين إيمانها، ومن هنا فقد رفضت تعاليم الجماعة الصوصنية وأنكرتها بالكامل رغم التسامح الديني التي تتغنى به حركة الإصلاح الديني[(٣)].

= الصراع بين الدين والفلسفة، ص٦٠.

(١) انظر: الحوار المسيحي الإسلامي، داوود بسام عجك، ص٣٢٦.

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص١٧٤.

(٣) انظر: الدين والسياسة، ص١٧٥ بتصرف.

۞ المسألة الثالثة: اضطهاد الكاثوليك للطوائف النصرانية:

يعتبر الصراع بين هذه الطوائف الثلاث الكبرى: الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، فيما بينها من أشد تلك الاضطهادات قوة ودموية وخاصة ما وقع بين الكاثوليك والبروتستانت وهذا أوان الحديث عن تلك الاضطهادات:

أولاً: اضطهاد الكاثوليك - الأرثوذكس:

إن الانفصال بين الكنائس الشرقية والكنيسة الكاثوليكية كان نتيجة سلسلة طويلة من الخلافات التي بدأت منذ القرن الرابع بين الكنيسة اللاتينية في روما والكنيسة اليونانية في القسطنطينية، وأخذت العلاقات بين الكنيستين تسير من سيء إلى أسوأ لأسباب لاهوتية، لكن القضايا السياسية كانت أيضاً جزءاً من المشكلة[(١)].

إن الحملات الصليبية التي قادتها البابوية ضد بلاد المشرق، لم تكن لنصرة نصارى المشرق كما أدعتها، بل إن أول من اكتوى بنارها، ومسه شر تلك الحملات الهمجية هم أتباع الكنيسة الأرثوذكسية، يقول "أفغراف سمير نوف": "إن الحروب الصليبية قد سببت لمسيحيي الشرق كثيراً من الشر بدلاً مما انتظروه من تخفيف حالهم... وابتدأ التضييق منذ الحملة الصليبية الأولى سنه ١٠٩٦م. فالصليبيون الخشنون بينما كانوا يمرون في الأملاك الأوربية التابعة للملكة البيزنطية عاملوا اليونان والكنيسة الأرثوذكسية باحتقار وبغض مدفوعين إلى ذلك بتشجيع رجال الدين اللاتين. وحدثت عدة مناسبات بدأ فيها الصليبيون بنهب اليونان. ولما انتقلوا إلى آسيا وأخذوا ينتزعون من الأتراك شيئاً فشيئاً، المقاطعات اليونانية ضيقوا تماماً على سكان الشرق الأرثوذكسيين بدعايتهم اللاتينية والبابوية الاغتصابية"[(٢)].

وقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تنتهز الفرصة من أجل السيطرة على الكنائس

---

(١) انظر: المسيحيون المصريون وعلاقاتهم بالمسلمين في القرن العشرين، د. أحمد الحذيري، ص٧٦.

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، ترجمة المطران ألكسندروس، ص٣٦٩

الأرثوذكسية، خاصة بعد الانقسام النهائي الذي حصل بين الكنيسيتين عام ١٠٥٤م، وخلال الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م تهيأت الفرصة لهذا الأمر فباركت البابوية الهجوم على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وحصل من الأوربيين الكاثوليك من العنف والاضطهاد مالم تعرفه تاريخ الكنيسة، يقول المؤرخ ارنولد توينبي: "والمصيبة الكبرى حلت بالإمبراطورية الرومانية الشرقية في ١٢٠٤م، فقد هوجمت الكنيسة القسطنطينية وأُحتلت مرتين من قبل قوه مشتركة من البنادقة الصليبين الفرنسيين، في المرة الأولى قام المهاجمون بذلك الحساب مدَّع للعرش الإمبراطوري الشرقي، وفي الثانية كان لحساب المهاجمين أنفسهم. وكانت هذه المرة الأولى التي تمكن فيها أعداء من مهاجمة القسطنطينية واحتلالها منذ نشأتها سنه ٣٣٣م وقد نهبت المدينة بوحشية"(١).

وسطر المؤرخ النصراني "ول ديورانت" تلك المآسي التي فعلها النصارى الغربيون ضد نصارى القسطنطينية، وكيف استباحوا المدينة وفعلوا فيها الأفاعيل الشنيعة، حيث قال: "انقضوا على المدينة الغنية في أسبوع عيد الفصح وأتوا فيها من ضروب السلب والنهب ما لم تشهده رومة نفسها على أيدي الوندال(٢) أو القوط(٣). نعم إنه لم يقتل في هذه الحوادث كثير من اليونان، فلعل عدد القتلى لم يتجاوز ألفين. أما السلب والنهب فلم يقفا عند حد. ووزع الأشراف القصور فيما بينهم، واستولوا على ما وجدوه فيها من الكنوز؛ واقتحم الجنود البيوت، والكنائس، والحوانيت،

---

(١) تاريخ البشرية، ارونولدتويني، ترجمه د.نقولا زيادة ص١٦٣.

(٢) الوندال: هي إحدى القبائل الجرمانية الشرقية، اقتطعوا أجزاء من الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، وأسسوا لهم دولة في شمال أفريقيا مركزها مدينة قرطاج.(انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، وندال).

(٣) القوط: قبائل جرمانية شرقية، قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، وفي القرن الرابع اعتنق معظم القوط النصرانية واتخذوا الآريوسية مذهباً لهم وفي القرن الخامس تحولوا معظمهم إلى الكاثوليكية.(انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، قوط).

واستولوا على كل ما راقهم مما فيها، ولم يكتفوا بتجريد الكنائس مما تجمع فيها خلال ألف عام من الذهب والفضة والجواهر، بل جردوها فوق ذلك من المخلفات المقدسة، ثم بيعت هذه المخلفات بعدئذ في أوربا الغربية بأثمان عالية. وعانت كنيسة أياصوفيا من النهب ما لم تعانه فيما بعد على يد الأتراك عام ١٤٥٣م، فقد قطع مذبحها العظيم تقطيعاً لتوزع فضته وذهبه. وكان البنادقة، وهم الذين يألفون المدينة التي كثيراً ما رحبت بهم تجاراً، يعرفون أين توجد أعظم كنوزها، فاستعانوا بذكائهم الفائق على أعمال التلصص، وامتدت أيديهم إلى التماثيل، والأقمشة، والأرقاء، والجواهر؛ ونقلت الأربعة الجياد البرنزية التي كانت تطل على المدينة اليونانية، وجمل بها ميدان القديس مرقس...وبددت في أثناء هذا السلب والنهب محتويات دور الكتب وأتلفت المخطوطات الثمينة أو فقدت، واندلعت ألسنة النيران بعدئذ مرتين في المدينة فالتهمت دور الكتب والمتاحف كما التهمت الكنائس والمنازل"[(١)].

وعندما فتحت القسطنطينية على يد المسلمين انتقلت مقر رئاسة الكنيسة الأرثوذكسية إلى موسكو عاصمة روسيا وأصبحت المدينة المقدسة بعد روما، ولتصبح معقل الكنائس الشرقية. وقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بالخطر والندية فأخذت تتآمر عليها من أجل إضعافها وتقليل سيطرتها على كنائس شرق أوروبا، وعندما اقتربت الحرب العالمية الأولى حصل اتفاق بين رئيس وزراء بريطانيا واليونان يقضي بمنح اليونان القسطنطينية لتصبح عاصمة للكنيسة الأرثوذكسية، وهو ما أغضب الفاتيكان وجعلها تدعم عميلها كمال أتاتورك الذي فرحت كثيراً عندما انتصر على اليونان وأحبط أحلامهم في امتلاك العاصمة الأرثوذكسية القديمة[(٢)].

---

(١) قصة الحضارة، ١٥/ ٥١-٥٢. وانظر: أوربا العصور الوسطى، سعيد عاشور ١/ ٤٣٠، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ص٢٣١-٢٣٣، صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، نجيب اسطيفان ص٢٢٣-٢٢٤.

(٢) انظر: الصراع الطائفي النصراني وأثره على الصراع الدولي الحرب العالمية الأولى أنموذجاً، فيصل الكاملي، ص٣٦٢.

ومما يدل على حنق الكنيسة الكاثوليكية وبغضها للأرثوذكسية أنه عندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م وتكونت حكومة شيوعية في روسيا، فقد تضررت الكنيسة الشرقية، وتم الاستيلاء على ثروتها وتهميش الدور السياسي لقساوستها. عندها فرح الفاتيكان وابتهج لمثل هذا الحدث، فالشيوعيون وإن كانوا ملاحدة إلا أنهم خدموا الكنيسة الغربية بالقضاء على عدوها اللدود الكنيسة الشرقية، واستطاعت الكنيسة الكاثوليكية أن تسيطر على الكنائس الشرقية وتحويل أتباعها إلى الكاثوليكية كما في بلغاريا ورومانيا والصرب وغيرها من دول شرق أوروبا، بل لما نهضت الكنيسة الشرقية لمقاومة الملاحدة لم يقدم الفاتيكان أي تأييد أو مناصرة، بل تمنت من الدولة الشيوعية أن تقضي على الكنيسة الشرقية إلى الأبد، وهو ما صرح به "مونتي "المقرب من البابا "بندكت الخامس عشر"[(١)] قائلاً: "إن قداسته [يعني البابا] يرى أن هذه الجرائم وهذه الدماء ستكون ذات فضل يوماً ما، إن أمكن - بعد انصراف موجة الإلحاد هذه - أن يبشر بالكاثوليكية في روسيا. إن بقاء الأرثوذكسية لن يدوم طويلاً ونهايتها كدين رسمي يتيح فُرصاً لم تكن لتوجد في ظل حكم القياصرة حراس الكنيسة [الأرثوذكسية]"[(٢)].

ومن الأمثلة الحية المعاصرة على الاضطهاد بين الكاثوليك والأرثوذكس ما حصل من حروب دينية في يوغسلافيا عام ١٩٩٠م، فالكروات يعتبرون من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، والصرب من أتباع الكنيسة الشرقية فهم أرثوذكس، وعندما بدأ ميلوسفيتش، الدكتاتور الصربي، بالتلويح بفكرة " صربيا الكبرى " أعلنت كرواتيا استقلالها، وعلى الفور سارع الفاتيكان وألمانيا بالاعتراف بكرواتيا كدولة كاثوليكية

---

(١) جياكومو دلا كييزا (١٨٥٤-١٩٢٢م) بابا رومة (١٩١٤-١٩٢٢م)، رقي الكرسي الرسولي بعد شهر واحد من الحرب العالمية الأولى.(انظر: موسوعة المورد العربية ١/ ٢٥٠).

(٢) Count Sforza. Contemporary Italy(F.Muiker,1940) عن الصراع الطائفي،ص ٣٦٣.

مستقلة، كما قام الفاتيكان بإرسال مندوبيه في جميع بلدان الغرب للاعتراف بالدولة الكاثوليكية الجديدة، وقام البابا بمضاعفة النداءات، والصلوات والقداسات من أجل استقلال كرواتيا، كما قام الرئيس الكرواتي الكاثوليكي برفض جميع الموظفين الأرثوذكس من وظائفهم وقامت بينهم حروب تشابه تلك الحروب التي حدثت عام ١٩٤٠م – ١٩٤٤م والتي أبادوا فيها ستمائة ألف صربي أرثوذكسي[(١)].

إذن الكنيسة الكاثوليكية تسعى جاهدة في فرض سيطرتها على الكنائس الشرقية، مستخدمة في سبيل تحقيقها شتى الوسائل فمثلاً في مصر والتي تعتبر أكبر معقل للنصارى في المشرق سواء من الأقباط أو غيرهم من الطوائف الأخرى والتي كانوا في السابق من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية لكنهم تحولوا إلى الطوائف الأخرى نتيجة البعثات التنصيرية وغيرها من الإغراءات، وهو ما زاد من رغبة الكنيسة الكاثوليكية في استخدام بعض الحجج من أجل الضغط بها على الحكومات من أجل تحقيق هذه الغاية فمرة تستخدم مكانتها عند السلطة الحاكمة لتقوية موقفها[(٢)]،ومرة عن طريق شماعة معروفة وهي اضطهاد النصارى الكاثوليك في مصر سواء من الأقباط أو الطوائف الأخرى من أجل أن تتدخل في ذلك.

---

(١) انظر: الصفحة السوداء للمسيحية، ريبوني، نقلاً عن الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، ص١١٨.

(٢) تذكر بعض المراجع القبطية أن محمد علي حاكم مصر قد فكر في تحويل الأقباط الأرثوذكس إلى المذهب الكاثوليكي بالقوة إرضاء لأصدقائه الفرنسيين الذين أكثر من استخدامهم في حكومته، والذين زينوا له أن يحمل الأقباط غير الكاثوليك على اعتناق الكثلكة بحجة جمع شمل النصارى في بلاده بدل انقسامهم إلى عدة مذاهب، لكنه توقف بعد ذلك عندما طلب منه أحد الأقباط أن يتحول هو وعائلته إلى الكاثوليك ثم يتبعه الشعب من تلقاء أنفسهم، وهو ما أغضب محمد علي عليه فاغتيل هذه المعلم.(انظر: المسيحيون المصريون وعلاقاتهم بالمسلمين في القرن العشرين، ص٩١).

ثانياً: اضطهاد الكاثوليك - البروتستانت:

يعتبر الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت من أقوى الصراعات دموية، ومن أشد أنواع الاضطهادات ظلماً وبطشاً، بلغ فيه الاضطهاد مبلغاً لا يتصوره عقل ولا يقره ضمير. انتقل فيه من حيز الأفراد والجماعات إلى نطاق الحكومات والدول، وكابدت فيه الشعوب لظى تلك الحروب سنوات طويلة، بل أكثر من قرنين من الزمان، اضطرمت فيها نيران الحروب في أوروبا طولاً وعرضاً، وفي نظري أن هناك عوامل جعلت هذا الاضطهاد بين الكاثوليك والبروتستانت بهذه الصورة العنيفة منها:

أ-قوة الأفكار والمبادئ والانتقادات التي دعت إليها حركة الإصلاح الديني، وملامسة هذه المبادئ لحاجة الناس ورغبتهم في الانفكاك من تسلط الكنيسة الكاثوليكية.

ب- سرعة انتشار الحركة الإصلاحية في أوروبا وترحيب كثير من الدول الأوروبية بالحركة، وفقدان البابوية كثير من كنائسها وذهاب الضرائب المالية التي كانت تتحصل عليها البابوية من تلك الدول.

ج- سيطرة فكرة الصراع على عقول بابوات الكنيسة الكاثوليكية التي جعلتها دائماً تميل إلى القتال والحرب ونبذ التسامح.

د- إن الكنيسة الكاثوليكية كانت لا ترى للمخالف أي حق في خلافها، وكانت تتعامل مع المخالف بالإقصاء والإبعاد، وأنه يستحق أن يمحى من الوجود.

هـ- اعتماد كل من الكاثوليك والبروتستانت على السلطة الحاكمة، فكان رجال الدين من البروتستانت والكاثوليك يحرصون على أن يكون حكام البلاد على دينهم من أجل استمالة الناس لتدينهم بدين ملوكهم.

يقول توفيق الطويل: "وقد أحسن رواد الإصلاح الديني قيادة الجماهير، ونجحوا في إثارة عواطفهم وإقناعهم بفساد الكنيسة وضرورة إصلاحها، ووقفوا في

إثارة اهتمامهم برد الدين إلى أصوله وسرعان ما تحولت هذه البواعث العقلية إلى فيض من التعصب والحقد، فاضطرم الثائرون حماسة لنصرة مذهبهم الجديد، بالغاً ما بلغت تضحياتهم في سبيل ذلك، وإذا هاجت العواطف فليس لتمردهم على الأوضاع الفاسدة حد ينتهي عنده، ولا لطغيانهم على خصومهم نهاية يقف عند بلوغها، ومن هنا كانت حماسة الثائرين في الدفاع عن مذهبهم، وتماسكهم في احتمال العذاب من أجله"[1].

كان انطلاق اضطهاد البروتستانت من مجمع ترنت[2] الذي عقد عام ١٥٤٥م وكان من أسباب عقد هذا المجمع اتساع الحركة البروتستانتية في أوروبا بشكل سريع مما ينذر بفقدان الكنيسة الكاثوليكية سيطرتها على أوروبا، واعتبر المجمع أن حركة الإصلاح بدعة وهرطقة ولعن أتباعها، وأخذت الكنيسة الكاثوليكية تستعد لمواجهة هؤلاء الهراطقة.

بداية الصراع بين الكاثوليك وحركة الإصلاح الديني عندما ظهر "مارتن لوثر" ودعا إلى إصلاح الكنيسة وتخليصها من تلك الانحرافات فهو في حقيقة الأمر لم يكن يريد أن يأتي الإصلاح من خارج الكنيسة بل من داخلها، فظهور الحركة كان في الأصل لأسباب دينية.

وقد زار "لوثر" سنة ١٥١١م روما، وصدم ما رآه فيها من حياة التبذل وانهيار

---

(١) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص٩٣-٩٤.

(٢) مجمع ترنت: يعرف ايضاً باسم المجمع التريندي، عقد في تورنتو في ايطاليا، دعا إلى انعقاده البابا بولس الثالث، عقد بين ١٥٤٥- ١٥٦٣م. وكان الداعي إليه هو اتساع الحركة البروتستانتية في أوروبا بشكل أنذر بفقدان الكنيسة الكاثوليكية نفوّذها على بعض الممالك الأوروبية، وقد حاول المجمع أن يعرف المعتقدات الكاثوليكية، وأن يُبطل تعليمات البروتستانت. قام المجمع بعدة إصلاحات في إجراءات الكنيسة الكاثوليكية خلال القرنين ١٦، ١٧م. وقد أثرت المبادئ التي أصدرها المجمع تأثيرًا كبيرًا في الكنيسة منذ ذلك الحين.(انظر: الموسوعة العربية العالمية، «مادة مجمع ترنت» المكتبة الشاملة|).

القيم الأخلاقية، وما فيه رجال الدين من انحراف، ولما جاءت فكرة صكوك الغفران أعلن احتجاجه على هذه الصكوك، وعلق على باب الكنيسة في ألمانيا ذلك الاحتجاج وكان يشتمل على خمسة وتسعين فقره، هاجم فيها الكنيسة الكاثوليكية، وبين فيها بطلان بيع صكوك الغفران، وهاجم فيها سلطات الكنيسة، وتعاليمها، وأصر على اتخاذ الكتاب المقدس وحده دستوراً لتفسير أي موضوع يختلف عليه. وقد أشار البابا على رجاله بأن يردوه عن غيه وزيغه بالحجة المقنعة، فلم يزده جدلهم إلا إصراراً، فبادر البابا بإصدار قرار الحرمان ضد "لوثر"، ولكنه أحرق هذا القرار على ملأ من الناس[1].

لقد اتخذ "لوثر" عدة خطوات عملية لتنفيذ الإصلاح الديني فوجه في سنة ١٥١٩م الدعوة إلى حكام الولايات الألمانية من الأمراء والنبلاء كي يتزعموا هذه الحركة الإصلاحية، ومعنى ذلك أن لوثر عزم على أن يأتي الإصلاح من خارج الكنيسة طالما أنها رفضت إصلاح نفسها، وكان عدد كبير من حكام المقاطعات في ألمانيا ينتظر هذه الفرصة للمكاسب السياسية والمادية التي تعود عليهم من ورائها[2].

ومن هنا وقعت حروبٌ مريرة وأحداثٌ جسيمة بين الكاثوليك والبروتستانت، حيث أخذ كل فريق يناصر عقيدته ومذهبه، فكانت الاضطهادات سمة بارزة ومثالاً واقعياً لما وصل إليه الحال في أوروبا، وهو ما يمكن تسميته في هذا العصر القتل على حسب الهوية، والأحداث في هذا المقام كثيرة والذي منها:

١-القتال في ألمانيا:

طلب البابا من "شارل الخامس" إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة أن ينفذ قرار الحرمان الصادر ضد "مارتن لوثر" فدعا الإمبراطور "لوثر" للمثول أمام محكمة

---

(١) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، د. جلال يحي، ص٤٤٢-٤٤٣، قصة الاضطهاد الديني، ص٤٩، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، مفيد الزيدي، ص٤٣٥.

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٢٨٣.

"ورمز" سنة ١٥٢١م، لكن "مارتن لوثر" رفض ذلك، وتوارى عن الأنظار مدة عامين نقل فيها الإنجيل إلى الألمانية، مما سهل أمر إطلاع عامة الأهالي على الكتاب المقدس وبلغتهم وزاد عدد أتباعه وأنصاره(١).

بدأت عملية الإصلاح اللوثري تدخل طور جديد وهو طور الدفاع العسكري عن العقيدة، حيث كونت المقاطعات البروتستانتية فيما بينها "حلف شمالكلد"، حيث تعاهدوا على عدم الاستجابة لمطالب الإمبراطور، وحاول الإمبراطور التفاوض مع البروتستانت ولكنهم رفضوا ذلك، فما كان من الإمبراطور إلا مهاجمتهم في موقعة مهلبرج عام ١٥٤٧ وهزمت القوات البروتستانتية هزيمة ساحقة، ووقع قادة الجيش البروتستانتي في الأسر، وانتهت هذه الحروب في ألمانيا بعقد المصالحة بين الكاثوليك والبروتستانت، وتمت المصالحة على أساس أنه يحق لكل إمارة في اختيار عقيدتها؛ وأصبح لكل أمير الحق في أن يحدد في إمارته شكل الكنيسة ونوعها، ولا شك كان هذا الصلح ناجحاً للبروتستانتية وأصبح هو الأساس للحياة الدينية والسياسية في ألمانيا لمدة تزيد على خمسين سنة(٢).

٢-مذبحة سان برثليمو في فرنسا:

ظهرت حركة الإصلاح الديني في فرنسا في مطلع القرن السادس عشر، وسرعان ما فشت البروتستانتية واعتنقها أتباع "كلفن" ممن سموا بالهيجونت، فهم لم يعودوا أقلية ضئيلة عاجزة من الفرنسيين البروتستانت يقودهم ويلهمهم "كالفن" من جنيف، بل ثورة عقائدية واجتماعية واسعة الانتشار على الكنيسة، وكان "كالفن" قد حذر أتباعه "الهيجونت" من المقاومة العنيفة للحكومة. ولكن صبرهم حيل تحت

(١) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، ص٤٤٣، قصة الاضطهاد الديني، ص٩٥.

(٢) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، ص٤٥٣- ٤٥٥، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، د. عبدالعزيز نوّار، د. محمود جمال الدين، ص١٢٩-١٣١، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٣٢٤وما بعدها.

وطأة الاضطهاد. ذلك أن "هنري الثاني"[(١)] كان قد أمر جميع القضاة بأن يحكموا بالإعدام على كل البروتستانت المتشبثين بعقيدتهم. ثم جدد "فرنسيس الثاني" هذا الأمر، وأضاف إليه أمراً بهدم جميع المباني التي تعقد فيها اجتماعات دعاة الإصلاح البروتستانتي، وأمر بإعدام الأشخاص، وحتى الأقرباء، الذين يؤوون مهرطقاً محكوماً عليه، أو يقصرون في إبلاغ الحكام عنه. وفي الشهور الخمسة الأخيرة من عام ١٥٥٩م أحرق ثمانية عشر شخصاً أحياء لتماديهم في الهرطقة، أو لرفضهم حضور القداس أو تناول القربان الكاثوليكي. وفر مئات من الهيجونت الفرنسيين إلى جنيف حيث آواهم كالفن. أما الذين بقوا في فرنسا فقد بدأوا ينظمون أنفسهم لخوض الحرب الأهلية[(٢)].

هكذا بدأت في فرنسا الحروب بين الكاثوليك والبروتستانت " الهيجونت " بعد أن أصبحوا يشكلون قوة سياسية بقيادة الأمير ال" جاسبار دي كوليني "، وكان الكاثوليك يدركون تماماً أن نجاح البروتستانت يعني القضاء على مخططاتهم التوسعية[(٣)].

ولما مات الملك "فرانسوا الثاني"، وأصبحت "كاترين دي ميتشي" وصية على ابنها الثاني تشارل التاسع، وكانت كاترين ترغب في انتهاج سياسة العفو والتوفيق، فأصدرت عفواً عن الكلفنيين، ثم أصدرت مرسوماً في عام ١٥٦٢م فيه اعتراف للهيجونت بممارسة شعائرهم الدينية، لكن النفوس لما كانت مضطرمة، فهاجم الهيجونت بعض الكنائس وخربوا الصور وهدموا التماثيل الموجودة فيها، فقامت

---

(١) هنري الثاني (١٥١٩ – ١٥٥٩م) ملك فرنسا (١٥٤٧ – ١٥٥٩م) ابن الملك فرنسيس الأول، كان كاثوليكياً متعصباً فاضطهد الهيجونت وضيّق عليهم. (موسوعة المورد العربية ٤/ ١٢٧١).

(٢) انظر: قصة الحضارة ٢٩/ ١٧٢-١٧٥، قصة الاضطهاد الديني، ص٩٦، أوروبا في العصور الحديثة، ص٤٦٩.

(٣) انظر: اليسوعية والفاتيكان، ص١٢٤.

الكاثوليكية بقتل عدد من الهيجونت؛ فنشبت الحرب بين الفريقين، وفي طول فرنسا وعرضها[1].

ثم لما اعتلى الحكم الملك "تشارل التاسع"[2] وأراد أن ينشر الأمن في ربوع البلاد فهادن الهيجونت، وأدنى زعماءهم من حضرته، وتوج هذه الحركة بالرغبة في تزويج أخته من زعيم لهم، فأثار هذا التصرف ثائرة الكاثوليك. وفي ليلة الزفاف أقبلت جموع الهيجونت تترى إلى باريس، فأطلق الرصاص على زعيمهم كولينى الذي كان ضيفاً عند الملك، وعندئذ وطن الملك عزمه على التنكيل بمن حاول اغتيال كولينى، وخشي الكاثوليك مغبة ذلك، فعقدوا النية على أن يجعلوا عيد بارثولوميو مذبحة يبيدون فيها خصومهم. وفي منتصف الليل دق ناقوس كنيسة سان جرمان مؤذناً ببدء المذبحة، وكانت الأوامر أن يذبحوا كل هيجونتي يعثرون عليه، وتم قتل كولينى ثم تلت بعد ذلك مذبحة ندر أن عرفتها المدن حتى في جنون الحرب، وقد أخذ الجنود والحرس الملكي وجموع الجماهير تنقض على بيوت الهيجونت والفنادق التي آوتهم،وتأتي على من بها ذبحاً ذبح الأنعام، وانتزعت الأجنة من بطون أمهاتهم القتيلات وهشموا. وما لبث الجثث أن تناثرت على أرصفة الشوارع، فلما أصبح الصباح كانت شوارع باريس تجري بدماء الهيجونت، وراح ضحية هذه المذبحة خمسة وسبعون ألفاً على رأسهم قائدهم الذي أرسل رأسه على البابا[3].

---

(١) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، ص٤٧٠.

(٢) تشَارْل التاسع (١٥٥٠ – ١٥٧٤م). جاء إلى العرش في عام ١٥٦٠م بعد موت أخيه، فرانسيس الثاني. تولت أمُّه، كاترين دي مديتشي تسيير أمور المملكة طوال معظم حكمه. وتآمرت مع قادة الكاثوليك الرومان لاغتيال كبار قادة البروتستانت، الذين كانوا يؤيدون الحرب مع أسبانيا. وكانت النتيجة مذبحة سان برتلمي عام ١٥٧٢م. مات تشَارْل بعدها. (الموسوعة العربية الميسرة، ٢/ ١٠٦٤، الموسوعة العربية العالمية،٦/ ٢٩٩).

(٣) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٩٧، قصة الحضارة ٢٩/ ١٩٠ما بعدها، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص٢١٣،اليسوعية والفاتيكان، ص١٢٥.

موقف البابوية من المذبحة:

كان البابا "جريجوري الثالث عشر"[(١)] قبل مجزرة سان برثليمو بأشهر قد حلّ خلفاً "لبيوس الخامس" وراح يعمل بنشاط يضاهي نشاط سلفه، من أجل إحياء الكثلكة وكان يرى أن الوضع الديني متأزم وخطير، ففي إنجلترا ملكة بروتستانتية تعمل بمهارة فائقة من أجل مضائقة الكاثوليكية في إنجلترا، وفي البلاد الواطئة [هولندا] يرتبط انتشار البروتستانتية بحركة الثورة الوطنية ضد السيطرة الإسبانية.أما في فرنسا فقد بدأ الهيجونت يظهرون بمظهر قوة عسكرية قادرة على إسقاط الملك فكان الإصلاح يبدو لروما خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر وكأنه مشروع ضخم يتشابك فيه الروحي بالزمني بطريقة مبهمة فكانت البابوية ترى عدم التسامح مع هؤلاء الهراطقة، ففي نظر "بيوس الخامس"[(٢)] و"جريجوري الثالث عشر" تجنيد قوى الكثلكة الروحية والزمنية معاً من أجل استئصالهم.

لم يكن التسامح مع الهيجونت ممكناً بالنسبة إلى البابا بيوس الخامس الذي كتب إلى الملكة "كاترين دي ميتشي" يطلب إليها بشكل علني حرب مفتوحة عليهم،

---

(١) جريجوري الثالث عشر (١٥٠٢ – ١٥٨٥م). وُلِد جريجوري في بولونيا بإيطاليا، وكان اسمه واسم عائلته أوجو بونكومباجني، عينه البابا بيوس الرابع كاردينالاً عام ١٥٦٥م.انتُخب بابا عام ١٥٧٢م بإيطاليا، وكرَّس عهده للإصلاح الكاثوليكي، أعطى أولوية لتحسين تعليم رجال الدين الكاثوليك. ومن خلال جهوده نظمَّت الكنيسة كثيرًا من الحلقات الدراسية لتدريب أساقفة الأبرشيات، ووسَّع الكلية الرومانية في روما، التي أصبحت تُعرف فيما بعد بالجامعة الجريجورية تكريمًا له. شجع العمل التنصيري للجماعة اليسوعية في الصين والهند واليابان والبرازيل.(انظر: الموسوعة العربية العالمية ٨/ ٢٦٥).

(٢) بيوس الخامس (١٥٠٤ – ١٥٧٢م). انتخب بابا عام ١٥٦٦م. حرم إليزابيت ملكة الإنجليز، وحاول من خلال منصبه أن يفرض معايير حازمة من التقوى والأخلاق حسب المفاهيم الكنسية على الأكليروس وعامة الناس، تحالف مع البندقية وإسبانيا.(انظر: المنجد، ص١٦١، معجم الباباوات، ص٢٢٦).

والتصدي لأعداء الكنيسة الكاثوليكية بشكل علني وشامل[1] ولما جاء بعده جريجوري كان حريصاً على القضاء على الهيجونت ولذلك؛ لما وصل هذا الخبر للبابا كاد يطير من الفرح، حتى أمر بأن تسك أوسمة لتخليد ذكراها،وقد رسمت على هذه الأوسمة صورته وإلى جانبه ملك يضرب بسيفه أعناق الملحدين، وأمر البابا بإطلاق المدافع وإقامة القداس في شتى الكنائس، وأرسل تهنئة إلى تشارل[2].

واستمر الاضطهاد ضد البروتستانت في فرنسا، وكان الملك " لويس الرابع عشر " يتبجح بأنه خلال عام واحد لم يُبق في فرنسا سوى ١٠٠٠- ١٥٠٠ من الهيجونت البروتستانت، كما يذكر أحد الأباة الفرنسيين بأن الملك الفرنسي تسبب في قتل نصف مليون من الرجال والنساء والأطفال الذين هلكوا في طرقات فرنسا، كما تسبب في هلاك ضِعف ذلك العدد في أرض المهجر[3].

٣- محاكم التفتيش في هولندا:

كانت هولندا مع بقية الأراضي المنخفضة خاضعة لحكم أسبانيا، وقد ظهرت الحركة الإصلاحية وانتشرت في الأراضي المنخفضة، مما جعل ملك أسبانيا فيليب الثاني وهو من غلاة المتعصبين للكنيسة الكاثوليكية يصدر قراراً عام ١٥٥٠م جاء فيه "ليس لأحد أن يطبع أو يكتب أو ينسخ أو يمتلك أو يخفي أو يبيع أو يشتري أو يوزع في الكنائس أو الشوارع أو غيرها أي كتاب أو مقالة لـ مارتن لوثر... أو جون كلفن أو هراطقة آخرين قد أدانتهم الكنيسة المقدسة... كذلك نحذر كل العامة من الحوار أو المجادلة حول الأسفار المقدسة، سراً كان أو جهاراً خصوصاً حول شبهة أو مسالة

---

(١) انظر: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ص٦٣٨- ٦٣٩ بتصرف.

(٢) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٩٩.

(٣) انظر: الصراع الطائفي النصراني وأثره على الصراع الدولي الحرب العالمية الأولى نموذجاً، الكاملي ص٣٦٤.

عويصة... [أما عقوبتهم] فالرجال بحد السيف والنساء بالوأد أحياء، هذا إذا انتهوا عن ضلالاتهم؛ أما إذا لم ينتهوا فلُيحرقوا بالنار، وتصادر ممتلكاتهم في الحالتين لصالح العرش"[1].

وقد استعان فيليب الثاني بمحاكم التفتيش وأطلقها في الناس تأخذهم بالشبهات وتصليهم نارها في غير رفق ولا رحمة، وكانت تسمى مجمع الدم التي أبادت بأمر فيليب الثاني في أقل من عقد في حجرات التعذيب وتحت المقاصل وعلى المحرقات مائتين وخمسين ألفاً من الرجال والنساء الهولنديين[2].

٤-تآمر الكاثوليك على نسف البرلمان:

نشطت حركة الإصلاح الديني في انجلترا في مطلع العصر السادس عشر، وساعد على انتشارها لأول مرة الملك هنري الثامن[3] إذ وقع في نزاع مع البابا أدّى إلى إعلان استقلال انجلترا عن بابا روما، لكن لما تولت العرش "ماري تيودور"، وكانت كاثوليكية، فأعادت للكاثوليكية مكانتها، وقامت باضطهاد فظيع للبروتستانت وانهالت عليهم بالتعذيب والإحراق، فأحرقت ثلاثمائة من الأساقفة ورجال الدين وغيرهم، وكان من بينهم رئيس الأساقفة، وهرب الكثير من رؤوس البروتستانت إلى جنيف وألمانيا وزوريخ[4].

---

(١) اليسوعية والفاتيكان، ص١٢٨.

(٢) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٩٥، اليسوعية والفاتيكان، ص١٢٩.

(٣) هنري الثامن (١٤٩١-١٥٤٧م) ملك إنجلترا (١٤٨٥-١٥٠٩م)،كان نزّاعاً إلى الاستبداد، تسبب طلاقه من زوجته الأولى كاثرين وزواجه من آن بولين في نشوب أزمة عنيفة بينه وبين البابا كليمنت السابع فأدى ذلك إلى نشوء الكنيسة الإنجليزية عام ١٥٣٤م.(انظر: موسوعة مورد العربية ٤/ ١٢٧٢).

(٤) انظر: رسالة في التسامح، جون لوك، مقدمة المترجم، د. عبدالرحمن بدوي، ص١٩.

في عـام ١٦٠٣م ماتـت الملكـة وخلفهـا جـيمس الأول[1] وكـان بروتـستانتياً مخلصاً.وبدأ حكمه بأن وعد باتخاذ سياسة التسامح مع الكاثوليك لكنه سرعان ما تحلل من وعده هذا نتيجة لما يعرف باسم مؤامرة البارود والتي دبرها الكاثوليك برعاية من الملك فيليب الثالث، فقد قرر الكاثوليك أن يبيدوا الملك وكل عائلته بالإضافة إلى كل زعماء البروتستانتية بضربة واحدة عن طريق تفجير البرلمان أثناء اجتماعه بستة وثلاثين برميلاً من البرميل.ولكن شاء الله أن يدخل العمدة قَبْو البرلمان ليجد " جاي فوكس" يتأهب للقيام بالعملية فتم القبض عليه. وبعد محاكمته تبين أنه كان يعمل بتوجيه من اليسوعي الإقليمي في إنجلترا "هنري جارنت" فأعدم الأثنان[2].

٥- حرب الثلاثين عاماً:

بدأت نار الحرب الدينية بين القوتين الكبيرتين المتصارعتين في التوسع بين الدول الأوربية، ففي ألمانيا استطاع أمراء الشمال والجنوب من البروتستانت عقد" الاتحاد البروتستانتي" عام ١٦٠٨م، وفي مقابل ذلك عقد الكاثوليك "الحلف الكاثوليكي" عام ١٦٠٩م، وأصبحت الحرب دولية بين أمم مختلفة وكان سبب قيام هذه الحروب هو انتشار الحركة البروتستانتية في أوروبا، خصوصاً ألمانيا. ففي مستهل القرن السابع عشر كان غالب ألمانيا بروتستانتية بعد أن انتشرت فيها تعاليم لوثر

---

(١) جيمس الأول (١٥٦٦ - ١٦٢٥م). أول ملك من آل ستيوارت لإنجلترا. وأصبح جيمس السادس ملكًا لأسكتلندا عام ١٥٦٧م، وحكم كلاً من إنجلترا وأسكتلندا حتى وفاته. عرف باستبداده ونادى بحق الملوك الإلهي،فنشب بينه وبين البرلمان صراع عنيف انقلب إلى حرب أهلية. ناصر جيمس الكنيسة الإنجيلية ورعى ترجمة الكتاب المقدس عام ١٦١١م. وتعرف هذه الترجمة ـ حاليًا ـ بترجمة الملك جيمس. واضطهد مجموعات بروتستانتية معينة مثل البيوريتان (التطهيريين) الذين هاجر بعضهم إلى أمريكا عام ١٦٢٠م.(انظر: الموسوعة العربية العالمية، ١٢/ ٢٦١ موسوعة المورد ٢/ ٤١٢).

(٢) المصدر السابق، ص٢٠، اليسوعية والفاتيكان، ص١٣٢.

وكالفن، وفي نفس الوقت بدأت الحركات التبشيرية لليسوعين الكاثوليك في ألمانيا، إلا أنها كانت تلقى مقاومة من البروتستانت، وزاد غيظهم أكثر عندما طردتهم مملكة "بوهيميا"[(١)] معلنة في بيان خاص: "تحذر اللوردات والفرسان ونواب "براغ" وكوتنبرغ " والأراضي الأخرى نعترف إجماعاً بالخطر العظيم الذي أحدق بمملكة بوهيميا منذ السماح لطائفه اليسوعيين المنافقة، كما أننا وجدنا حقاً أن أصل كل هذا الفساد هم اليسوعيون سالفو الذكر الذين شغلوا أنفسهم بالتخطيط للطريق الذين يعززون به الكرسي الرسولي [مقر البابوية] ويُخضعون الممالك والأراضي لسلطانهم وجبروتهم..."[(٢)].

وقد مرت حرب الثلاثين عاماً بأربعة أدوار وهي:

١-الدور البوهيمي(١٦١٨-١٦٢٣م):

سعى الإمبراطور "رودلف" إلى تأسيس حكومة مركزية في ألمانيا، فقام باضطهاد أهالي "بوهيميا" البروتستانت، ولم يسكت أهلها على الاضطهادات وقاموا بثورة عام١٦١٨م فقامت قوات الإمبراطور "فريناند الثاني"[(٣)] والحلف الكاثوليكي بالاشتباك مع قوات بوهيميا البروتستانتين عند التل الأبيض في نوفمبر سنه١٦٢٠م،انتصر فيها الإمبراطور والحلف الكاثوليكي مما نتج عنها زيادة

---

(١) بوهيميا: مقاطعة قديمة تقع غرب تشيكوسلوفاكيا، عاصمتها براج، ويحتمل أن بوهيميا اشتق اسمها من قبائل بولي الكلتية التي زحزها التشيك في القرن الخامس. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٤٩، المنجد ص١٥١.

(٢) انظر: اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، فيصل الكاملي ص١٣٣، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ص٤٤.

(٣) فريناند الثاني: (١٥٨٧-١٦٣٧م) ملك بوهيميا وهنغاريا ورأس الإمبراطورية المقدسة. نشأ كاثوليكياً متعصباً وعدواً لدوداً للبروتستانتية، قاتل خلال حكمة البروتستانت قتالاً مريراً استمر ثلاثين سنة.(موسوعة المورد ٣/ ٨٤٠).

الاضطهادات على أهل بوهيميا البروتستانت، وقد أثرت هذه الاضطهادات على ملوك دول أوروبا، وتعاطفوا مع البروتستانت الألمان مما جعل ملك الدانمرك يقود حملة عسكرية ضد الإمبراطور والحلف الكاثوليكي.

٢-الدور الدنماركي(١٦٢٥-١٦٢٩م):

انتصرت قوات الإمبراطور والتحالف الكاثوليكي على قوات الدنمارك، وانتهت هذه المعارك بصلح بينهما تعهد فيه ملك الدنمارك بعدم التدخل في الشؤون الألمانية، وقد أصدر الإمبراطور سنه١٦٢٩م قراراً يعرف باسم مرسوم استرجاع أملاك الكنيسة ويعني ذلك أن ترد إلى الكنيسة الكاثوليكية كل ما تحصلت عليه البروتستانت بفعل الاتفاقات السابقة وهذا المرسوم أثر على ألمانيا وبدأت الاضطرابات تعود من جديد وأخذت جنود الإمبراطورية يعبثون فساداً وتشريداً في الجماعات البروتستانتية.

٣-الدور السويدي(١٦٣٠-١٦٣٥م):

دخل الملك السويدي "جوستاف"[(١)] في حرب مع الإمبراطور "فرديناند الثاني" بحجة حماية البروتستانت مع أن السبب الفعلي كان سياسياً إذ تطمح السويد في السيطرة على بحر البلطيق، والتقى مع الجيوش الكاثوليكية وانتصر "جوستاف" في معركه لينزج سنه١٦٣١م، واستطاع "جوستاف" أن يكتسح وسط أوروبا. في معركة لوتزن سنه١٦٣٢م قتل ملك السويد وبعدها تراجعت الجيوش السويدية أمام التحالف الكاثوليكي.

---

(١) جوستاف: (١٥٩٤-١٦٣٢م)حكم من (١٦١١-١٦٣٢م)، أوطد الاستقرار الداخلي بمنحه بعض الامتيازات للاشراف وانهى حرب كالمار، تدخل في حرب ضد الإمبراطورية نصرة للبروتستانت، حقق انتصارات سريعة على الإمبراطور، وقد قتل في معركة ولوتزن، وخلفته ابنته كريسينا.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة، غربال، ١/ ٦٦٦).

٤-الدور الفرنسي السويدي(١٦٣٥-١٦٤٨م):

اتحدت فرنسا والسويد من أجل الهجوم على الإمبراطور ومع ذلك نزل بهما هزيمة مذلة، وأخذ يلاحق الجنود الفرنسيين ويستولي على المقاطعات حتى وقف على أبواب باريس، ثم استطاعت السويد التغلب على الإمبراطور ونشطت فرنسا في مواجهة التحالف الكاثوليكي وقامت بطرد قوات الإمبراطور والتحالف وواصلوا انتصاراتها ضد قوات الإمبراطور حتى استولوا على بوهيميا، وبعد أن انهكت الحروب الطرفين لجأوا إلى توقيع معاهدة صلح وستفاليا[١] سنه ١٦٤٨م، وقد وضع هذا الصلح حداً للصراع الدامي الذي اجتاح أوروبا ثلاثين عاماً[٢].

وعندما آلت الأمور للبروتستانتية واستطاعت أن تسيطر على الحكومات في بعض أوروبا مثل ألمانيا وإنجلترا وهولندا فإنها لم تتعامل مع الكاثوليك بمبدأ التسامح والتعايش السلمي بل سامتها العذاب وتحكمت فيها وفي شعائرها وسنت مجموعة من القوانين من أبرزها:

١- لا يرث كاثيوليكي تركة أبويه.

٢- لا يشتري واحد منهم أرضًا بعد ما يجاوز عمره ثماني عشرة سنة إلا إذا صار بروتستانتينيًا!!

٣- لا يشتغل أحد منهم بالتعليم، ومن خالف هذا الحكم يسجن سجنًا مؤبدًا.

٤- من كان من الكاثوليك يؤدي ضعف الخراج.

---

(١) وستفاليا: إقليم بروسي سابق في غربيّ ألمانيا. وستفاليا بالألمانية تعني السّهل الغربيّ.(موسوعة المورد ٤/ ١٣٠٣).

(٢) انظر: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص١٤٤، وما بعدها، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص٢٤٠-٢٥٢، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص٤٨٨وما بعدها، قصة الحضارة ٣٠/ ١٩٥-٢٢٠.

٥- إن أرسل أحد منهم ولده خارج إنجلترا للتعليم يقتل هو وولده وتسلم أمواله ومواشيه كلها.

٦- من لم يحضر منهم يوم الأحد أو العيد في الكنيسة البروتستانتية يغرم غرامة مالية شهرية كبيرة، ويكون خارجًا عن الجماعة.

٧- لا يسمع استغاثة أحد منهم عند الحكام وحسب القانون.

٨- لا تنفذ أنكحتهم، ولا تجهز موتاهم ولا تكفن، ولا تعمد أولادهم إلا إذا كان ذلك على طريقة كنيسة إنجلترا.

٩- لا يحضر القسيس عند قتلهم ولا عند تجهيزهم وتكفينهم.

١٠- لا يصح لواحد منهم أن يمتلك سلاحًا[(١)].

وقد أشار ديورانت إلى ذلك الاضطهاد الذي لحق الكاثوليك في عصر الملكة إليزابيت فقال: "والآن جاء دور الكاثوليك ليعانوا من الاضطهاد. فقد كان محرماً عليهم-ولو أنهم كانوا لا يزالون يشكلون الأغلبية-أن يقيموا الصلوات الكاثوليكية، أو يكون لهم أدب كاثوليكي. وحطمت الصور المقدسة في الكنائس بأمر الحكومة، كما أزيلت المذابح. وأرسل ستة من طلبة أكسفورد إلى "البرج" لمقاومتهم إزالة صليب يمثل صلب المسيح من كنيسة كليتهم، وخضع معظم الكاثوليك للتعليمات الجديدة في حزن وأسى، ولكن عدداً كبيراً منهم آثر دفع الغرامة على حضور الطقوس الأنجليكانية... وأودع السجن الكاثوليك الذين حضروا القداس في كنيسة سفير أسبانيا، وفتشت البيوت في لندن-وأمر الأجانب الذين وجدوا فيها بالإدلاء ببيان عن ديانتهم، وطلب إلى الحكام أن يعاقبوا كل من يوجد في حوزته كتب المذهب الروماني

(١) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٣٥٨-٣٥٩، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ص٨٢٦-٨٢٧.

الكاثوليكي"[1].

وهكذا فإن الصراع بين الطوائف النصرانية لم يهدأ طيلة العصور الماضية، وأصبحت كل طائفة تنتهز الفرصة لكي تنال من الأخرى.

تحليل هذه الأحداث:

إن الذي يتأمل هذه الأحداث وما حصل في النصرانية من الانشقاقات والاختلافات خاصة تلك المرحلة التي نتحدث عنها وهي الاضطهاد بين الطوائف الكبرى يجد تناقضات عجيبة في مبدأ الاضطهاد ومنها الآتي:

١-ندرك أن ظهور حركات الإصلاح الديني كانت تدعو إلى الرجوع إلى المسيحية الأولى وإلى تصحيح ما عند الكاثوليك من الأخطاء ولكنها في الواقع لم تنجح إلا في جانب تمرد الناس على البابوية وكهنوتها المذل، وأوقعت الناس في تناقضات فكرية وعقدية لم تستطع أن تعالجها وبالتالي لم تحافظ البروتستانتية على كيانها بل أنها استغلت من أطراف أخرى كاليهود مثلاً.والسبب الذي أوقع البروتستانت في ذلك أن الحركة الإصلاحية أدركت أنها تواجه خصماً عنيداً وقوياً وهي الكنيسة الغربية وبالتالي اعتمدت على الأمراء والنبلاء في حمايتها من اضطهاد وظلم الكاثوليك.ولا شك أن هؤلاء الأمراء لهم أطماع وأهداف من مناصرة حركة الإصلاح البروتستانتي ولذلك نجد أن هذه الحركات لم تناصر المظلومين وعامة الشعب الذين خرجوا بعد إعجابهم بمبادئ الحركة بل أنها أعطت التعليمات في سحقهم والقضاء عليهم، وهناك سبب آخر في فشل الحركة البروتستانتية، حيث أنها لم تسع إلى تصحيح العقيدة النصرانية، وخاصة القضايا العقدية التي تمثل صلب النصرانية كالتثليث والصلب والفداء والتجسيد، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "لكنهم لم يسيروا في منطقهم إلى أقصى مداه، فرفضوا آراء الكنيسة في أمور ولم

---

(١) قصة الحضارة، ٢٨/ ٢٦.

يتوجهوا إلى لب العقيدة"[1].

٢- تناقض البروتستانتية مع مبادئها التي وضعتها، وكان دافع دعاتها في الانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية، إقرار المبدأ القائل بحق الحكم الفردي لكل إنسان، بخلاف الكاثوليك فإنهم لم يناقضوا أنفسهم في الاضطهاد لأنها ترى نفسها حامية للدين النصراني والدفاع عن تعاليمه، وأن كل من يخرج عن هذه التعاليم يتعرض للعقوبة هذا أولاً.

ثانياً: أن البروتستانت لم يؤتوا من السلطان ما كان للكاثوليك، وعندما تهيأت هذه السلطة - على يد كلفن في جنيف - لم يكونوا أقل وحشية من الكاثوليك.

ثالثاً: أن الكاثوليك إذا كانوا قد حرموا دراسة الحقائق التي انتهى إليها علم الفلك الحديث في أوروبا الكاثوليكية إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر، فإن السلطات البروتستانتية قد أنكرت الحقائق التي كشفها علم الأرض وعلم الحياة، وحظرت الجامعات الأمريكية تدريسها.

ورابع الأمور التي ينبغي مراعاتها عند تقرير المسؤولية التي يتحملها الإصلاح الديني في فظائع الاضطهاد، أن الإصلاح قد نهض وانتصر بعد اضمحلال نفوذ الكنيسة الكاثوليكية واندحار السلطان البابوي، وتيقظ الأمم والشعوب ونزوع الناس إلى تحكيم العقل في كل شيء، فكان الطبيعي أن يكون اضطهاد المصلحين أخف حدة وأقل فظاعة من العصور الوسطى[2].

٣- أن الحركة البروتستانتية وقعت في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الكاثوليك من اضطهادهم للمخالفين سواءً من الطوائف الأخرى أو من الفرق المنشقة عنها،

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص٢٦٦.

(٢) انظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص١٠٨-١٠٩، بتصرف، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص٥٦.

وخالفت في ذلك كل مبادئها التي كانت تدعو إليها فقد كانوا يقولون في حال ضعفهم أن الكلمة هي البديل الوحيد لقوة المال والسيف، لكنه في ظل الواقع لا يمكن أن نصدق دعوى أن البروتستانتية كانت طاقة من الجنة فتحت على النصرانية، بل هي باب آخر من النار فتحت على الطرفين المعتنق لها والمخالفين أيضاً. فلوثر كان يرى أن الخلاف والانشقاق أمر طبيعي، لكنه لا يراه مسموحاً به؛ إذ إنه يرتب عليه القتال والقتل وكأنه النتيجة الطبيعية له، أو السلوك الطبيعي تجاهه[1].

٤- الاضطهاد الديني في هذا العصر أخف كثيراً مما كان عليه في السابق وأصبحت هناك جهودٌ حثيثة من الكنائس من أجل التوحد ونبذ الاختلاف وقامت الكنيسة الكاثوليكية بعمل اجتماعات وخطط تجمع الكنائس ورضيت كثير من الكنائس بأن تنضوي تحت مظلة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

فالكنيسة الانجليزية "الانجليكانية" والتي اضطهدتها الكنيسة الكاثوليكية طيلة خمسة قرون وسفكت كثيراً من الدماء من أجل جعلها مملكة كاثوليكية تعزم على الانضمام إلى هذا التوحد، بل أنها ترحب بذلك وقد سعت إليه بشكل فعلي حيث عدلت بعض القرارات ومن أهمها تنازل العرش البريطاني عن شرط الانجيلكانية لمن يجلس عليه وهذا يعني انتصاراً للكنيسة الكاثوليكية ولاشك أن مثل هذا التوحد بين الكنيستين الكاثوليكية والأنيجليكانية، إن تمّ سيشكل دعماً قوياً للكنيسة الغربية خاصة وإن بريطانيا دولة استعمارية توسعية[2].

أما فيما يتعلق بين الكنيسة الغربية والشرقية فقد كان بصورة رسمية منذ قيام المجمع الفاتيكاني الثاني[3] عام ١٩٦٢م، وأثناء بابوية يوحنا بولس الثاني حيث كثف

---

(١) انظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية ولوازم تفسيرها وموقف الإسلام منها، رفعة الشهراني، ص٢٨٠، بتصرف.

(٢) انظر: الصراع الطائفي وأثره على الصراع الدولي، ص٣٧٣،بتصرف

(٣) المجمع الفاتيكان الثاني: انعقد المجمع في روما من الفترة الممتدة من ١٩٦٢- ١٩٦٥م، دعا إلى هذا =

جهوده في التلاقي بين الطرفين وعبر البابا الكاثوليكي وبطريرك القسطنطينية الأرثوذكسي برثولوميو الأول عن الرغبة في نسيان ما مضى من الحرمانات الكنسية، والسعي في إعادة بناء مشاركة تامة وأوجدت هيئة انبثقت عن المجمع الفاتيكاني الثاني تعرف بالهيئة الدولية المشتركة للحوار اللاهوتي بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية، وهناك اجتماعات دائرة بين الكنسيتين من أجل التوحد ومن آخرها الزيارة التي قام بها البابا الأرثوذكسي القبطي "تواضروس" للفاتيكان بدعوة من البابا فرنسيس الأول في مايو ٢٠١٣م بعد أربعين عاماً من الجفاء.

كل هذه الأمور تدل على أن هناك جهوداً حثيثة في محاولة اتحاد الكنائس مع بعضها البعض، ولكن تبقى تحالف الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في روسيا مع الكنيسة الكاثوليكية في روما وهو الأخطر وهو الذي لا يزال محل معارضة من الأرثوذكس ولو تم هذا الاتحاد فسيشكل قوة كبيرة الإمبراطورية الرومية وهذا الاتحاد ليس بعيداً، فقد جاء في الحديث الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»[1][2].

٥- الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية لم يحصل منها اضطهادٌ قويٌ مع الطوائف النصرانية الأخرى وذلك راجع إلى أنهم لم تكن لهم دولة أو حكومة كبقية الطوائف

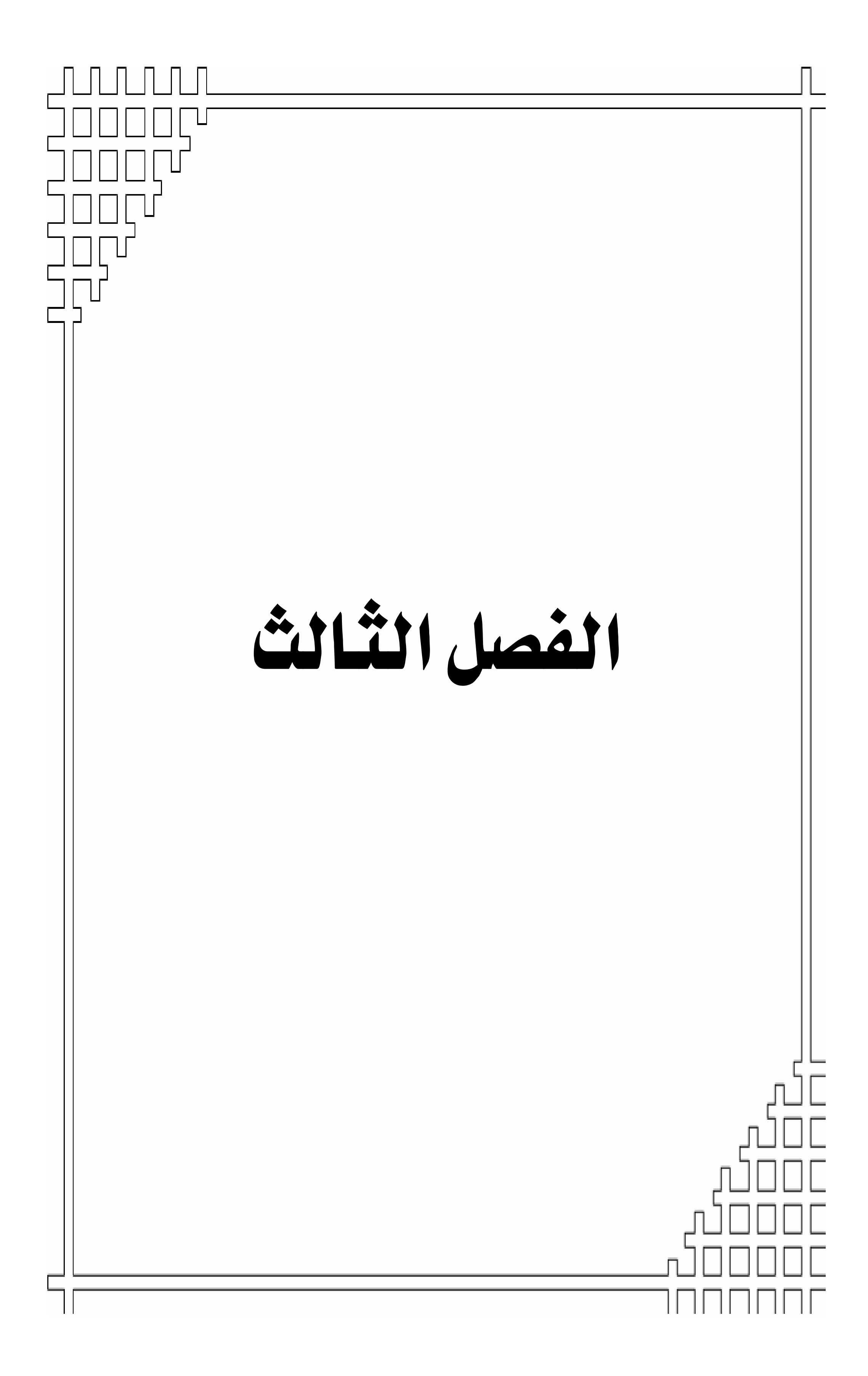
= المجمع البابا يوحنا الثالث والعشرون، شارك في المجمع ٢٥٠٠ عضو وعدد كبير من غير الكاثوليك، وقد أطلق هذا المجمع عقال الكنيسة الكاثوليكية في نظرتها وتعاملها مع المخالفين، من النصارى أتباع الكنائس الأخرى، وغير النصارى من اليهود والمسلمين، بل والوثنيين والعلمانيين.(انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «المجمع الفاتيكاني الثاني»، المكتبة الشاملة، دعوة التقريب بين الأديان، ص٤٠٧ وما بعدها).

(١) أخرجه الامام مسلم في صحيحيه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ، حديث رقم: ٢٨٩٨.

(٢) الصراع الطائفي وأثره على الصراع الدولي، ص٣٧٤، بتصرف.

فغالب النصارى الأرثوذكس في المشرق كانت تحت حكم الإسلام الذي لم يميز بين الطوائف النصرانية المختلفة، وحتى عندما كانت الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية أيام الدولة البيزنطية أو عندما انتقلت إلى روسيا فإنها كانت تابعة ذليلة للدولة فكانت الدولة تفرض عليها سياستيها.





الفصل الثالث



اضطهاد النصارى للمخالفين

وفيه مبحثـــان :

- **المبحث الأول : اضطهاد النصارى لليهود.**
- **المبحث الثاني : اضطهاد النصارى للمسلمين.**

المبحث الأول

اضطهاد النصارى لليهود

<u>**وفيــه تمهيــد ومطلبــــــان:**</u>

- المطلب الأول: الجذور العقدية والفكرية لاضطهاد النصارى لليهود.
- المطلب الثاني: مراحل اضطهاد النصارى لليهود.

* * * ** * * *

تمهيـــــد

العداء بين اليهود والنصارى عداء قديم كما أخبر سبحانه وتعالى عن حالهم فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]، وكما قال تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة:١٤]، وعن مجاهد بسند صحيح في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة:١٤] قال: بين اليهود والنصارى[(1)].

ومع أن هناك توافقاً كبيراً بين الديانتين، فعيسى عليه السلام واحد من أنبياء بني إسرائيل بالإضافة إلى أن النصرانية جاءت مكملة ومصححة لليهودية إلا أن هذا التوافق لم يكن له ثمرة واقعية على دعوة المسيح عليه السلام، إذ سعى اليهود إلى محاربة هذه الدعوة للقضاء عليها، وقد بينا في الفصل الأول أحداث تلك المناكفات والصراعات التي أفضت إلى عداوة وكراهية بين الطرفين،

وكما أن اليهود سلوا سيوف العداء وزرعوا بذوره في أول الأمر؛ فقد جنوا ثمرة ذلك في آخر الأمر، إذ لم ينس النصارى مكايد اليهود ودسائسهم، وما حملته أناجيلهم من اتهامات مباشرة، وتحميلهم المسئولية كاملة عن دم المسيح -بزعمهم- ولذلك ترسخ كره اليهود وبغضهم في أذهان النصارى، فعزموا على الانتقام واضطهاد اليهود، وهو ما حصل فعلاً عبر عصور طويلة، وهذا ما سوف أتحدث عنه في تضاعيف هذا المبحث على النحو التالي:



(١) انظر: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير ياسين، ٢/ ١٦٧.

المطلب الأول
الجذور العقدية والفكرية لاضطهاد النصارى لليهود

١- النصارى يحمّلون اليهود إهانة المسيح وقتله وصلبه بزعمهم؛ فهم إذن قتلة وأشرار، وقد كانوا يقولون: "دمه علينا وعلى أولادنا"[(١)]؛ وقد بقيت هذه العبارة مغروسة في العقل النصراني على مر القرون، واعتبرها النصارى شهادة دامغة على أن اليهود في كل عصر ومصر يحملون في أعناقهم دم المسيح.[(٢)]، وقد عزز البابا"جريجوري الأعظم"[(٣)] هذه النظرة عندما أعلن أن اليهود" لم يكونوا عمياناً عند رسالة المسيح، وأنهم مسؤولون مسؤولية مباشرة عن صلبه"[(٤)].

كما نجد أن اليهود -حتى في عصرنا الحاضر- يعترفون ويتبجحون بمسؤوليتهم عن قتل المسيح -بزعمهم- فهذا الكاتب اليهودي "إسرائيل شاحاك"[(5)] يلخص هذا النهج قائلاً: "الكراهية والافتراء البشع ضد المسيح... وفق ما ورد في التلمود، تم تنفيذ حكم الإعدام بالمسيح على يد محكمة كهونتية سليمة بتهمة الوثنية، وتحريض غيره من اليهود على الوثنية، واحتقار السلطة الكهنوتية، وجميع المصادر الكلاسيكية

---

(١) إنجيل متى ٢٧/ ٢٥.

(٢) انظر: اليهودية عرض تاريخي، لعرفان عبدالحميد ص٥٨.

(٣) جريجوري الأول (٥٤٠- ٦٠٤م) بابا رومة (٥٩٠- ٦٠٤م) يعتبر واحد من أكبر رجال الكنيسة النصرانية وقديسها. وجه بعثة تنصيرية إلى إنكلترا عام ٥٩٦م. يعرف بالكبير.(انظر: موسوعة المورد العربية، ٣/ ٨٠٣).

(٤) المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة دراسة نقدية تحليلية، راجح السباتين، ص٤٥.

(٥) إسرائيل شاحاك: (١٩٣٣-٢٠٠١م)كاتب يهودي متحرر، ولد في وارسوا في بولندا، عمل محاضراً في الكيمياء في الجامعة العبرية بالقدس، عرف عنه نقده الصريح للمجتمع الإسرائيلي، وسياسات إسرائيل العنصرية.(انظر: مقدمة كتاب الديانة اليهودية وطأة ثلاثة الآف سنة، ص٧).

اليهودية التي تذكر إعدامه، تبدو شديدة السعادة لتحمل مسؤولية إعدامه، والوصف التلمودي لا يتطرق ألبته إلى الرومان"[1].

٢- سيطرة بعض العقائد والأفكار على عقائد اليهود؛ كالعنصرية والاستعلاء وعقيدة شعب الله المختار، والتي أدت إلى إحساسهم بالتفرد والتميز على بقية الشعوب واحتقارهم لها. جاء في التوراة: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون لهم شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظ القسم الذي أقسم لآبائكم"[2].

وقد غذت هذه العنصرية نصوص كثيرة من كتبهم المقدسة-بزعمهم- التي تجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين، وتنظر إلى ما عداها من الشعوب نظرة وضيعة في سلَّم الإنسانية، فقد جاء في سفر إرميا: "وشعب إسرائيل هو شعب ميراثه، واسمه الرب القدير"[3].

وقد كان من نتاج هذه النزعة العنصرية لدى اليهود إبادة الأغيار في أرض إسرائيل، حيث جاء في أسفارهم " لن نترك حياً وأي شيء يتنفس"[4]، وجاء في سفر التثنية تأكيداً على هذه النزعة أنه يباح للإسرائيليين بل يجب عليهم غزو الشعوب الأخرى وخاصة شعب كنعان وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلدٍ ما أن " يضربوا رقاب جميع رجالهم البالغين بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في

(١) تاريخ اليهود وديانتهم عقب ثلاثة آلاف عام، إسرائيل شاحاك، ص١٨٣.

(٢) سفر التثنية، ٧/ ٦-٨.

(٣) سفر إرميا، ١٠/ ١٦.

(٤) سفر التثنية / ٦٠

المدينة من غنيمة فاغنموها لأنفسكم، واستمتعوا بغنيمة أعدائكم التي أعطاكم الرب إلهكم"(١).

كما نجد أن هذه الصورة العنصرية العدائية في التلمود فمن تلك الأمثلة مسألة انتهاك حرمة يوم السبت لإنقاذ الحياة، فإن ذلك واجب إذا كان لإنقاذ حياة يهودي، أما إذا كان الضحية غير يهودي فلا يجدر بل يجب على اليهودي الاعتذار، وكذلك في حالة طلب من قابلة يهودية لمساعدة امرأة غير يهودية جاءها المخاض، فعلى القابلة إذا كان ذلك في السبت أن لا تفعل ولتعتذر بقولها: مصرح لنا بانتهاك حرمة السبت لمصلحتنا فقط، لأننا نتقيد بحرمة السبت، أما أنتم الذين لا يتقيدون بذلك، فلا يسمح لنا بانتهاك حرمة السبت من أجلكم"(٢)

إذاً نجد أن الفكر الديني اليهودي قد صاغ العقلية اليهودية في إطار من العنصرية التي تسبغ على اليهود صفات المديح والتعظيم، في الوقت الذي تتعامل فيه مع الشعوب غير اليهودية بسيل من الأوصاف العنصرية والشتائم التي تؤكد على أن الاستعلاء العنصري هو أساس ثابت في تكوينها.(٣)

٣- رغبة اليهود في تهويد النصارى:

إن الدعوة إلى اليهودية قد استمرت في بعض الأماكن مع دخول القرن الرابع، وعندها أخذ الأباطرة المسيحيون بسن قوانين للحد من هذه الدعوة.

لقد اعتبر كثير من المختصين في دراسة المسيحية المبكرة أن سبب العداء لليهودية هو اعتناق أعداداً كبيرةً من المسيحين والوثنيين لليهودية، وليس هو الاعتراض

---

(١) المصدر السابق، ٧: ١.

(٢) انظر: تاريخ اليهود وديانتهم عقب ثلاثة آلاف عام، إسرائيل شاحاك ص١٦٢

(٣) انظر: الشخصية اليهودية الإسرائيلية العدوانية، د. رشاد عبدالله الشامي ص٢٧-٢٨.

اللاهوتي ضد اليهودية[1].

"وفي كل مكان كان اليهود يستغلون امتيازاتهم الاجتماعية والاقتصادية ليفرضوا عقيدتهم... وإنه لمما يسترعي الانتباه أن اليهود... على الرغم من بقائهم أقلية... برهنوا على حيوية إيمانهم بعطشهم الذي لا يروى له غليل إلى التوسع، وبتصميمهم العنيد على تجنيد أتباع جدد"[2].

لقد أحدث هذا الحرص من اليهود في إضافة أتباع جدد للديانة هجوماً شرساً عليهم من قبل عدد من اللاهوتيين، فهذا سبريان في كتاب منسوب إليه يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث يقف موقفاً مساوماً ضد التهويد، ذاكراً بعض الكلمات اللاذعة لليهود حيث قال: "لا يصح لمسيحي أن يضل عن طريق الحق ويقتفي أثر اليهود العميان الجهلاء بحجة تصحيح يوم عيد الفصح"[3].

وكان من أشدهم هجوما يوحنا كرسستوم الملقب "بفم الذهب" وقد كانت لهجته الشديدة في شأن اليهود تمثل ربطاً ما بين الخوف من تهويد النصارى وازدراء الكنيسة لليهود. حيث قال: "إن الكنيس ليس فقط مكانا يجتمع فيه اللصوص والمحتالون، بل تجتمع فيه الشياطين أيضا، وليس ذلك في الكنائس فقط، بل نفوس اليهود هي كذلك محل إقامة الشياطين... كيف لك أن تجتمع في مكان يقيم فيه رجال متلبسين بالشياطين، أرواحهم نجسة، قد تربوا على القتل والذبح"[4].

ويرى بعض الباحثين الذين كتبوا دراسات عن يوحنا أن مواعظه عن المتهودين

(١) انظر: بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى. كوهين ٧٢-٧٣ بتصرف.

(٢) اليهود والمسيحيون في العالم الغربي، برنار بلو منكرانز، نقلا عن تعدد الأديان وأنظمة الحكم، د.جورج قرم،ص١٩٠.

(٣) بين الهلال والصليب، ص٧٣.

(٤) المصدر السابق ص٧٤.

قد قامت بتدعيم التوجيهات المعادية لليهود التي أصبحت خاصة من خصائص التقليد المسيحي[1]، إضافة إلى زرع الكراهية والعداوة والاضطهاد[2].

كما أنه في حالة استمرار هذه الرؤية المعادية عند النصارى حول اليهود قد ينتج عن ذلك نهاية الديانة اليهودية، لكن الذي عادل هذه الرؤية وقلص من عنفوانها كتابات أغسطين فقد بنى كتاباته على عقيدة "الإشهاد" التي صارت فيما بعد تبرر الحفاظ على وجود اليهود عبر القرون في العالم المسيحي[3].

إن وجود اليهود من جهة أولى لا غنى عنه للنصرانية؛ لأنهم على حد تعبير "جوستر" الشهود على صدق مجيء المسيح، الشهود على المواعظ النبوية، الشهود بنوع ما على قدم الدين المسيحي الذي شق طريقه إلى الوجود-افتراضاً- منذ أن أعطى الرب لموسى شريعة ذات صفة مؤقتة في أحد وجوهها إلى حين مجيء المسيح"[4].

لكن عقيدة الإشهاد الاغسطينية بتعليمها البرغماتي للقبول باليهودية لم تكن كافية في كبح جموح النصارى في اضطهاد اليهود، وقد جاء في " صفتهم كـ"قتلة الله- بزعمهم- وضرورة تحقيق النبوءات المتعلقة بأيلوليتهم إلى انحطاط وهو أن تدفعان بالحاضرة المسيحية، من جهة ثانية إلى أن تتخذ بحقهم الإجراءات القمعية بأن تحيل حياتهم إلى بؤس وشقاء"[5].

٤- من الطقوس الدينية عند بعض الطوائف اليهودية، وهو أخطرها طقس

---

(١) التقليد المسيحي: هو ما ليس في الكتاب المقدس من الفرائض والأحكام والعوائد، وإنما تداوله الناس من جيل إلى جيل. (انظر: قاموس الكتاب المقدس، جورج يوسف، ص٧٤١).

(٢) انظر: بين الهلال والصليب، ص٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص٧٥.

(٤) تعدد الأديان وأنظمة الحكم، د.جورج قرم، ص١٩٢-١٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص١٩٣.

الدم عند اليهود والذي يحتاج إلى دم بشري طازج؛ غالباً دم طفل مسيحي، لأجل صنيع فطير عيد الفصح، وصنع الرماد المقدس الذي يستعمل أثناء ممارسة عقود الزواج ويوم الرماد، وطقوس أخرى[1] وقد كان هذا الطقس السبب وراء ما حصل لليهود في أوروبا والعالم- كما سنرى لاحقا- من اضطهاد ورغبة عند الشعوب الأوروبية للتخلص من المجموعات اليهودية، وعند التحقيق حول هذا الطقس نجده مجرد اتهام، حيث اتهم يهود مدينة نوريح الانجليزية باغتيال طفل يدعى وليم، وقد وجدت جثته في غابة قريبة وعليها آثار تشطيب عديدة، فوجهت أمه وكاهن البلدة أصابع الاتهام إلى الجالية اليهودية بقتله، ومع إنكار المؤرخين لهذا الحدث وتبرئة اليهود منه، وصدور قرارات بابوية بإنكارها، فإن اليهود ظلوا يتهمون بهذه التهمة وتلصق بهم حتى أواخر القرن التاسع عشر[2][3].

ونبذ إنوسنت الرابع[4] (١٢٤٧م) هذا الطقس وأن من شعائر اليهود ذبح أطفال النصارى وقال: "لقد ابتدع بعض القساوسة والأمراء والضلال وكبار الأشراف أساليب تتنافى مع الدين ضد اليهود خداعاً منهم وتضليلاً، فحرموهم بلا حق من أملاكهم قوة واقتداراً واستولوا عليها لأنفسهم واتهموهم زوراً وبهتاناً بأنهم

---

(١) انظر: المسألة اليهودية قصة الصراع اليهودي المسيحي، المهندس غسان سميح الدين،ص١٠٧-١٠٨.

(٢) انظر: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان عبدالحميد، ص٥٨. وانظر: الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم الإسلامي، كارين استرونغ، ص٢٨٩.

(٣) حول هذه المسألة يرجع لكتاب المسألة اليهودية، للمهندس غسان سميح حيث أطنب في الحديث عنها من ص١٠٩-١١٩، وخلص إلى أنه لا توجد في العهود القديمة ولا أثناء القرون الوسطى أثر لمثل هذا الاتهام ضد اليهودية.

(٤) إنوسنت الرابع: (١٢٠٠-١٢٥٤م) ولد في جنوه بإيطاليا. وكان اسمه سينيبالدو فييسشي، انتخب ليشغل منصب البابا في عام ١٢٤٣م، جعل السلطة البابوية مركزية، وجمع الأموال للصرف على جيوش البابوية، واستخدم التعذيب في محاكم التفتيش.(انظر: معجم الباباوات، ص١٢٧، الموسوعة العربية العالمية ٣/ ٢٩٤).

يقتسمون فيما بينهم في يوم عيد الفصح قلب غلام مذبوح..."[1].

نخلص إلى أن مثل هذه الجذور العقدية عمقت الكراهية لدى النصارى، بل إن بعض الباحثين النصارى يرون أن الصراع مع اليهودية كان عاملاً أساسياً في عملية بناء الهوية النصرانية. فحتى يعد المرء نصرانياً كان يتحتم عليه أن يقوم بالتالي:

١) أن يرفض اليهودية بناء على الكتب اليهودية.

٢) أن يؤمن بأن ما وعد به العهد القديم لم يعد قائماً لليهود.

٣) أن يؤكد أن الرفض العنيد لليهود في ذلك قد أتى من تمردهم الفطري الذي تجلى في انحراف بني إسرائيل إلى الوثنية وسخريتهم بأنبيائهم.

٤) أن يعنف ويعادي بقوة هؤلاء النصارى الذين رفعوا من مقام اليهودية من خلال محافظتهم على تعاليمها وطقوسها.[2]

هذه العوامل مجتمعة وغيرها[3] أدت إلى خلق مناخ فكري ساعد على اضطهاد اليهود لقرون عديدة من الزمن.



(١) قصة الحضارة ١٤/ ٨٥

(٢) انظر: بين الهلال والصليب ص٧٨.

(٣) هناك عوامل اجتماعية اقتصادية مثل تعامل اليهود بالربا والتحكم في الاقتصاد وكذلك انعزال اليهود وعدم اندماجهم في كثير من الأحيان مع الشعوب التي يعيشون بينهم. انظر: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها. د.أحمد الزغيبي، ١/ ١٥١، ٤/ ٢٩، وانظر: المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية، راجح السباتين ص٥٠، اليهودية، أحمد شلبي، ص٩٨.

المطلب الثاني
مراحل اضطهاد النصارى لليهود

حظيت اليهودية في فترات من العصر الروماني بشيء من التسامح، فكان معترفاً بها كمجمع يُسمح لأعضائه بالتجمع لأغراض دينية وأن يعيشوا وفق شريعة أجدادهم، إلا أنهم اضطهدوا عندما ثاروا على السلطات الرومانية عام ٧٠م في عصر طيطس فأمر بتدمير أورشليم وحرق الهيكل وبناء معبد الإله جوبتير محله وقتل اليهود في مذبحة عامة[١].

ومع استمرار اليهود في ثوراتهم المتتالية، سعى الأباطرة إلى سن قوانين تكبح علوهم وتمنع إظهار شعائر دينهم إلا أن هذه القوانين ما تلبث أن تنقض بمرسوم إمبراطوري كذلك، فحين منع الإمبراطور هدريان إقامة شعائر السبت والختان، جاء بعده الإمبراطور كركله الذي منح حق المواطنة حتى لليهود بمعنى أن الوضع القانوني لليهود ارتقى من التسامح إلى التكافؤ مع غيرهم من الرومان[٢].

إلا أن هذا الوضع ازداد سوءاً عندما دانت الدولة الرومانية بالنصرانية المحرفة، وأصبحت كل الأديان مضطهدة ومن جملتها اليهودية ولذلك سوف أجمل الحديث عن هذا الاضطهاد في ثلاث مراحل:

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ١٩٠، هداية الحيارى لابن القيم، ٢/ ٥٤٢، بين الهلال والصليب، كوهين ص٩٥، اليهودية عرض تاريخي، د. عرفان عبدالحميد ص٥٣، اليهودية، د.أحمد شلبي ص٨٨، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، د. سعد البازغي ص٤٢، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، برنار لازار، ترجمة: د. ماري شهرستان، ص٥٨.

(٢) انظر: بين الهلال والصليب ص٩٧.

المرحلة الأولى: من تنصر قسطنطين حتى بداية العصور الوسطى:

باعتناق قسطنطين النصرانية وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية بدأت حقبة جديدة من السياسة الدينية اتجاه اليهود، فقد اضطهد اليهود وفرض عليهم قيوداً ومطالب جديدة، وأصدر قانوناً يحكم فيه على المرتدين من النصرانية إلى اليهودية بالحرق، ووضع قوانين تمنعهم من الزواج بالنصارى، ومنع اليهودية من الزواج بنصراني، وحرم وجود خدم نصارى عند اليهود ومنعهم من ممارسة الوظائف العامة، كما ألغى المحاكم الخاصة بهم، وفرض عليهم ضرائب قاسية للأديرة(1).

وأسوقُ هنا حادثة تبين مدى إفك وظلم النصارى في اضطهاد اليهود وهو ما ذكره ابن البطريق في تاريخه ملخصها: أن الملك أمر أن لا يسكن يهودي بيت المقدس، ولا يمر بها، ومن لم يتنصر يقتل، فتنصر من اليهود خلقٌ كثيرٌ، وظهر دين النصرانية.

فقيل لقسطنطين الملك: إن اليهود يتنصرون من فزع القتل، وهم على دينهم.

قال الملك: كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟ قال بولس البترك: إن الخنزير في التوراة حرامٌ، واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، فأمر أن تذبح الخنازير، وتطبخ لحومها، وتطعمهم منها، فمن لم يأكل منه علمنا أنه مقيمٌ على دين اليهودية.

فقال الملك: إذا كان الخنزير في التوراة حرامًا؛ فكيف يجوز لنا أن نأكل لحم الخنزير ونطعمه الناس؟

فقال له بولس البترك: إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما في التوراة، وجاء بناموسٍ آخر، وبتوراة جديدة، وهو الإنجيل، وفي إنجيله المقدس: (إن كل ما يدخل البطن ليس بحرام، ولا بنجس وإنما يُنجس الإنسان الذي يخرج من فيه)(2).

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها، وتقطع صغارًا صغارًا، وتصير

(1) انظر: قصة الحضارة ١٤/ ٦، الاختراق الصهيوني للمسيحية، القس: إكرام لمعي ص٥٩- ٦٠.

(2) إنجيل متى ١٥: ١١

على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير، فمن لم يأكل منه يقتل، فقتل لأجل ذلك خلق كثير(١).

وقد فرض جالوس أخو قسطنطين على اليهود من الضرائب الفادحة ما اضطر الكثيرين منهم إلى أن يبيعوا أبناءهم ليوفوا بمطالبه منهم(٢).

خلال العقود التالية لزمن دستور مجمع نيقية النصراني، أخذت الإمبراطورية الرومانية على عاتقها ملاحقة جاليات اليهود، الذين لا يتمتعون بالحقوق المدنية كحال أهل البلاد، ولا تشملهم حماية القانون الروماني، فتم المزيد من شرذمتهم وقام رجال الكهنوت المسيحي بمزيد من الضغوطات من أجل تدمير العقيدة اليهودية. وأصدر الإمبراطور سيودوس الثاني عام ٤٣٩م أمراً بنزع الحقوق المدنية عن السكان المعتنقي اليهودية، وأصبح اليهود بعدها خاضعين لقانون الأجانب، الذي حد من الحرية في ممارسة شعائرهم اليهودية، فحرموا من بنائهم للكنائس، وصعَّب من شروط امتلاكهم للعبيد، وحرمهم من الانخراط في سلك الدولة، وأصبح هذا القانون يعمل به في أرجاء الدولة النصرانية على مدى الألف وخمس مائة عام اللاحقة(٣).

ولاشك أن هذه المرحلة تعتبر مقدمة في عملية تدعيم وهيمنة الكنيسة النصرانية على المعمورة فهي تستقوي بالسلطات الحاكمة في محاولة شرعنة قوانين تستطيع من خلالها إضعاف أي منافس لها مهما كان التوافق العقدي معه، فهي إذن خلقت جواً من العداء العلني لليهودية والمعتنقين لها ولم يعد هناك مجال للتعايش معها أو التسامح مما أدى إلى استمرار الاضطهاد في العصور الوسطى.

---

(١) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لسعيد ابن البطريق ص١٣٣-١٣٤، ونقل ذلك ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٢٣٠.

(٢) قصة الحضارة ١٤/ ٦.

(٣) انظر: المسألة اليهودية قصة الصراع اليهودي المسيحي، م. غسان سميح، ص١٧٩بتصرف.

المرحلة الثانية: العصور الوسطى[1] :

هذه الفترة التي تقارب العشرة قرون كانت عصيبة على اليهود حيث إن العلاقات بين اليهودية والمسيحية أصبحت تنم عن عداء خالص وتباعد بين الفريقين، وأظهرت ذلك بكل صور العنت والاضطهاد لليهود[2].

يقول رسل: "كان المسلمون خلال العصور الوسطى أكثر مدنّيةً وأرق قلباً من المسيحيين؛ فقد اضطهد المسيحيون اليهود، وبخاصة في عهود الاضطراب الديني، وصاحبت الحروب الصليبية مذابح مروعة، وذلك على نقيض ما كانت عليه البلاد الإسلامية، حيث لم يسئ أحد معاملة اليهود بأي معنى من معاني الإساءة في معظم الأحيان"[3].

ومع بداية العصور الوسطى أصدرت المجالس الكنسية قرارات صارمة وقوانين متعسفة ضد اليهود، وتعتبر كل هذه القوانين الأسقفية تقريباً والمجامع الكنسية العالمية المتعلقة باليهود سواء في إسبانيا أو فرنسا أو الشرق قمعية وتعكس تيار اللاّتسامح في النصرانية[4].

بدأت تلك القوانين تزداد مع دخول الملك "ريكارد"[5] في النصرانية الذي كان سبباً في انعقاد مجمع طليطلة عام ٥٨٩م فقد أزعج الكهنوت اليهود بالاضطهادات

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد زمن العصور الوسطى على أقوال عدة أقواها من يميل إلى أن العصور الوسطى تبدأ في القرن الخامس وتنتهي بالقرن الخامس عشر ميلادي.(انظر: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، د. جوزيف نسيم يوسف، ص١٩-٣٢).

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية ٢/ ٣٥، اليهودية عرض تاريخي، عرفان عبدالحميد ص٥٦.

(٣) تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل ٢/ ٣٥.

(٤) انظر: بين الهلال والصليب، ص١٠٨-١٠٩.

(٥) ريكارد (ت٦٠١م) ملك قوطي غربي في إسبانيا (٥٨٦- ٦٠١م) أدى اعتناقه للكاثوليكية الى كثلكة القوط الغربيين.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٩١١).

والإذلالات بتلك القرارات والتي كانت تنص على أن لا يسمح بزواج مختلط بين النصارى واليهود، ولا يحسن بالنصارى تناول الطعام مع اليهود أو تلقي أية مأكولات منهم، وليس لليهود أن يعملوا يوم الأحد، ويجب أن لا يباع العبيد المسيحيون لليهود، ولا يعين اليهود قضاة ولا جامعي ضرائب، وليس لليهود أن يجرؤوا عل طلب أي سلطة من الملك تمكنهم من التحكم في النصارى، وليس للنصارى أن يأكلوا خبز اليهود غير المخمر، ولا أن يستعملوا اليهود أطباء أو أن يستحموا معهم، وتحظر تربية اليهود لأطفال النصارى، وإذ ثبت على أهل النصارى ذلك؛ انتزع منهم حق حضانة أطفالهم، وعهد بهؤلاء الأخيرين إلى الأديرة لتتولى تنشئتهم، ومن تلك القوانين أنه يتحتم على كل يهودي أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتعميدهم وتربيتهم تربية نصرانية، وأحياناً تفرض موعظة كاثوليكية على اليهود أثناء أعيادهم الرئيسية[(١)].

ومن تلك القرارات كذلك ما وجه به البابا " إنوسنت الثالث" سنة ١٢٠٥م على شكل رسالة إلى ملك فرنسا، والذي تتضمن مجموعة من الألفاظ التي تندد باليهود وتصفهم بأوصاف مختلفة مثل قولهم لهم: المرابون، الكفرة، المتغطرسون، المتعالون، واستخدامهم النصارى كعبيد لهم " ومن ذلك الرسالة التي بعث بها البابا" هوتتياس " عام ١٢١٨م، إلى رئيس أساقفة طليطلة يطلبه فيها بتنفيذ قرار مؤتمر لتران الرابع، والذي أُرغم فيه اليهود على لبس ملابس تميزهم عن النصارى، كما طالبه بضرورة تكليف اليهود بدفع عشر أموالهم للكنائس المحلية[(٢)].

---

(١) انظر: بين الهلال والصليب، ص١٠٩، المسألة اليهودية قصة الصراع اليهودي المسيحي، ص٢٣٤-٢٣٧، كنيس في الكنيسة العلاقات المسيحية اليهودية عبر التاريخ، ميشيل منير، ص٢٧، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، جورج قرم، ص٢٠١- ٢٠٨، بنو إسرائيل، د. محمد بيومي مهران، ٥/ ١٣٦- ١٣٨، قصة الحضارة ١٤/ ٥٠.

(٢) انظر: العلاقة بين اليهود والنصارى خلال النصف الأول من القرن العشرين، نصر عمر الحطامي ص٦.

لكن هذه القوانين والقرارات لم يكن تنفيذها بشكل صارم، بل يختلف تطبيقها من قطر إلى قطر، فقد استمر بعض النصارى عبيداً لليهود، ولم يمتنع اليهود عن مخالطة النساء النصرانيات، بل بعض الأحيان تجد من البابوات من يمنع عنهم بعض ذلك الاضطهاد، ففي روما كان السكان اليهود يقعون في عهدة البابا بالذات، ويحافظ عليهم ويرعاهم برعايته، كي يكون مثلاً حياً للشر الذي جاء المسيح ليخلص البشر منه[1].

كذلك من صنوف الاضطهاد التي كتبها الله على اليهود في هذه العصور الطرد والنفي والجلاء كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ [الحشر:٣]، يقول ابن كثير: "ولولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء، وهو النفي من ديارهم وأموالهم، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي، ونحو ذلك، قاله الزهري"[2].

وعن ابن عباس الجلاء أي إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى[3]، ولاشك أن الإخراج ليس بالأمر الهين بل هي عقوبة إلهية على من خالف أمره ولذلك استدل بعض العلماء على أن الإخراج من الدار بمنزلة القتل وعليه يدل قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ﴾ [النساء:٦٦]"[4].

إن مسألة طرد اليهود وإجلائهم أخذ شكل الاستمرارية عبر التاريخ والأزمان فقد سلط الله عليهم من يضطهدهم ويفرق شملهم، يقول المسيري: "إن الحديث عن «طرد اليهود»، كما لو كان ظاهرة تاريخية واحدة، هو تعبير عن الإيمان بوجود تاريخ

(١) انظر: بنو إسرائيل ٥/ ١٣٧، الملل المعاصرة في اليهودية، إسماعيل الفاروقي ص٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ٨/ ٦٠

(٣) انظر: تفسير الطبري، تحقيق: التركي ٢٢/ ٥٠٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن السمعاني ٥/ ٣٩٧.

يهودي واحد يُعبِّر عن هوية يهودية واحدة (منبوذة من الأغيار)، وأن اليهود شعب عضوي منبوذ"[١].

لذا نجد أن النصارى لما استولوا على بلاد الأندلس قرروا إخراج اليهود وتعقبوهم في كل مدنها، وقد بذل رجال الكنيسة الكاثوليكية كل جهودهم في سبيل طرد العنصر اليهودي، فكان أن أرغم جميع اليهود الذين لم يعتنقوا النصرانية على مغادرة البلاد الإسبانية وإلا حكم عليهم بالإعدام، وقد وقع كثيرون منهم في يد القراصنة، فجردوهم من أموالهم واتخذوهم عبيداً أرقاء، وقد لجأ كثير منهم إلى البرتغال، ولكن القساوسة أثاروا الرأي العام عليهم، فتم إبعاد جميع البالغين منهم، أما الأولاد الذين لا تتجاوز أعمارهم أربعة عشر عاماً فقد انتزعوا من أحضان أمهاتهم لكي يربوا، وينشؤوا على مبادئ الدين النصراني[٢].

وفي ألمانيا انتشر اليهود في كثير من مدنها منذ القرن الثامن الميلادى، وسكنوا على ضفاف نهر الراين. واستغلوا الشعب الألمانى أسوأ استغلال حتى كادوا يستولون على أمواله عن طريق الربا الفاحش واستخدام الوسائل المختلفة لجمع المال الحرام. ولقد هاج الشعب الألمانى ضدهم في أوقات مختلفة، واستعمل معهم كل وسائل القتل والسلب والطرد[٣].

يقول صاحب كتاب (تاريخ الإسرائيليين) "وظل القتل والذبح منتشراً في اليهود إلى أن صدرت الأوامر بطردهم من أنحاء- ألمانيا- في أزمنة متتابعة، وذلك ما

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري ٢/ ٣٥٦.

(٢) انظر: اليهود في القرآن، ص٩٠.

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي ٥/ ٤٢٠، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبدالله التل، ص١١٤-١١٥، إسرائيل فتنة الأجيال العصور الحديثة، إبراهيم خليل أحمد، ص٢٨

بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، حتى لم يكد يبقى منهم واحدٌ فيها"[1].

وفي فرنسا لقي اليهود نفس المصير وأشد حيث استمر الملوك الأوروبيون في ممارسة الاضطهاد ضدهم حين فرضوا عليهم التنصر، أو النفي والطرد، ففي عام ١١٨٢م، نشر مرسوم الطرد، ونص على إعطاء اليهود فترة سماح من ثلاثة أشهر لبيع أغراضهم الشخصية؛ أما الملكية الثابتة مثل البيوت والحقول، والحضائر كان مصيرها المصادرة، وحولت معابدهم إلى كنائس[2].

وفي عام ١٢٥٤م نفى اليهود من فرنسا، وصادر أملاكهم ومعابدهم، ثم عاد فسمح بدخولهم إياها، ورد إليهم معابدهم، وبينما كانوا يعيدون بناء جماعاتهم إذ أمر فيليب الجميل بسجنهم، وصادر ما كان لهم من ديون، وجميع ما كان لهم من متاع لم يستثن إلا ما كان عليهم من الثياب، ثم طردهم جميعاً من فرنسا وكانوا يبلغون مائة ألف، ولم يسمح لهم بأكثر مما يكفيهم من الطعام يوماً واحداً. وقد بلغ ربح الملك من عمله هذا قدراً أغراه بأن يهدي معبداً يهودياً إلى سائق عربته[3].

وقد لبثوا فترة ثم عادوا في عهد لويس العاشر[4] وسمح لهم بالسكن في المدن التي عاشوا فيها قبل إبعادهم، وكان هذا مقابل مبلغ مالي دفع للملك من أجل ترسيم هذا القرار.

وكان الوضع مضطرباً ولم تدم حماية لويس لليهود من النصارى، ففي عام ١٣٢٠م ظهرت جماعة من الفلاحين المتمردين وقاموا بقتل اليهود وطردهم

---

(١) تاريخ الاسرائيليين، شاهين مكاريوس ص٨٨.

(٢) انظر: المسألة اليهودية، غسان الزين، ص٢٥٤.

(٣) انظر: قصة الحضارة ١٤/ ٩٤.

(٤) لويس العاشر (١٢٨٩-١٣١٦م) ملك فرنسا (١٣١٤-١٣١٦م)، عمل على استرضاء النبلاء الساخطين وعمل على كسب رجال الدين.(موسوعة المورد العربية ٤/ ١٠٤٩).

وتشتيتهم، حتى استقر قرار الملك تشارلز السادس عام ١٣٩٤م على نفي اليهود وطردهم[1].

وفي انجلترا واجهت اليهود تهماً عديدة أدت إلى اضطهادهم وطردهم ومن تلك الوقائع اتهامهم بخطف طفل نصراني في الخامسة من عمرة وإجراء عملية الختان له، وكذلك اتهموا بقتل أطفال النصارى فحكم على اليهود في بعض الأحداث بدفع مبالغ مالية طائلة وبعضها تم القصاص منهم، كما حكم الملك هنري الثامن بالإعدام على ثمانية عشر يهودياً من أصل اثنين وتسعين من الموجودين في تلك المدينة نتيجة تواطئهم على القتل.

وفي عهد هنري الثالث[2] عذبهم وحبسهم بعد أن اكتشف أنهم ينزعون جزءاً من ذهب النقود الرسمية وفضتها، مما أدى إلى خراب اقتصاد البلاد، وعاقبهم الملك سنة ١٢٣٠م بأن يدفعوا إلى الخزينة ثلث أموالهم المنقولة[3].

ولما جاء الملك إدوار الأول[4] أمر سنة ١٢٩٠م بطرد اليهود نهائياً من انجلترا، وهكذا أصبح طرد اليهود من أوروبا ظاهرة مستمرة حيث تم طردهم في الفترة من ١٣٠٠م إلى ١٥٠٠م مائة وخمسين مرة، كما بدأت تظهر صورة اليهودي التائه، وهو الشكل المميز لأي يهودي، ويكون على هيئة رجل عجوز ذي لحية، وأنف مقوس،

---

(١) انظر: المسألة اليهودية ص٢٧٤، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص١١٤.

(٢) هنري الثالث (١٢٠٧ - ١٢٧٢م). من ملوك إنجلترا، كان أكبر أبناء الملك جون، وحفيدًا لهنري الثاني.(انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٥/ ٢٣).

(٣) انظر: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص١٠٨.

(٤) هو ابن الملك هنري الثالث (١٢٣٩-١٣٠٧م) ساهم بقوة في حرب والده للبارونات، وانتصر عليهم، ثم أصبح صاحب السيطرة على المملكة، قام بالحروب الصليبية عام ١٢٧٠م، تميز حكمه بالحروب المستمرة (انظر: الموسوعة العربية الميسرة، شفيق غربال ١/ ١٠٣).

وملامح حزينة وعابسة[1].

ولم يكن الطرد والإذلال آخر ما قاساه اليهود من أساليب الاضطهاد بل كانت هناك مذابح ومجازر تحل بهم، فعندما ذهبت الحملة الصليبية لمحاربة المسلمين، تهيئوا للحرب المقدسة بذبح اليهود، وعندما كان الطاعون الأسود أو الجوع يجتاح البلاد كانوا يقدمون اليهود إلى المحرقة كقربان للآلهة الغاضبة، وعندما كان يصاب الشعب باليأس والفقر والجوع والانهيار كانوا يجنُّون وينتقمون من اليهود الذين كانوا يوهبون كضحايا للتكفير[2].

وقد ذكر المؤرخ "ول ديورانت" تلك الوقائع في سياق حديثه عن كراهية اليهود وخاصة في ألمانيا قائلاً: "ولما دعا البابا "إربان الثاني" إلى الحرب الصليبية الأولى في عام ١٠٩٥م ظن بعض المسيحيين أنه يحسن بهم أن يقتلوا يهود أوربا قبل أن يخرجوا لقتال الأتراك في أورشليم، فلما قبل "جدفري البويلوني" قيادة الحملة أعلن أنه سيثأر لدماء المسيح من اليهود ولن يترك واحداً منهم حياً، وجهر رفاقه بعزمهم على أن يقتلوا كل من لا يعتنق المسيحية من اليهود. وقام أحد الرهبان يثير حماسة المسيحيين أكثر من هذا فأعلن أن نقشاً على الضريح المقدس في أورشليم يجعل تنصير جميع اليهود فريضة أخلاقية على جميع المسيحيين. وكانت خطة الصليبيين أن يزحفوا جنوباً بمحاذاة نهر الرين حيث توجد أغنى مواطن اليهود في أوربا الشمالية. وكان يهود ألمانيا قد اضطلعوا بدور رئيسي في إنماء تجارة نهر الرين وانتهجوا خطة حميدة من الصلاح وضبط النفس أكسبتهم احترام المسيحيين عامتهم ورجال دينهم على السواء. وكان الأسقف "رودجر الأسبيري" ذا صلة وثيقة بيهود أبرشيته، وقطع لهم عهداً يضمن لهم استقلالهم وسلامتهم، وأصدر الإمبراطور "هنري الرابع" في عام ١٠٩٥م عهداً

---

(١) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، لازار، ص٩٠، المسألة اليهودية، ص٣٠٠، موسوعة اليهود واليهودية المسيري ٤/ ٢٣٤، ٤٦٧، اختراق الصهيونية المسيحية، د. أكرم لمعي، ص٦٦.

(٢) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، لازار، ص٩٠.

مماثلاً لهذا العهد لجميع اليهود المقيمين في مملكته، لذلك وقعت أنباء الحرب الصليبية، والطريق الذي قررت اتباعه، وتهديدات زعمائها، وقع الصاعقة على تلك الجماعات اليهودية الآمنة المسالمة، فتملكهم الرعب حتى شل تفكيرهم، ودعا أحبارهم إلى الصوم والصلاة عدة أيام.

ولما وصل الصليبيون إلى أسبير جروا أحد عشر يهودياً إلى إحدى الكنائس وأمروهم أن يقبلوا التعميد، فلما أبوا قتلوهم عن آخرهم في (٣ مايو سنة ١٠٩٦م)، ولجأ غيرهم من يهود المدينة إلى الأسقف "جوهنسن"، فلم يكتف هذا الأسقف بحمايتهم، بل أمر بقتل عدد من الصليبيين الذي اشتركوا في مقتلة الكنيسة. ولما اقترب بعض الصليبيين من ترير استغاث من فيها من اليهود بالأسقف "إجلبرت"، فعرض عليهم أن يحميهم على شريطة أن يعمدوا، ورضى معظم اليهود بهذا الشرط، ولكن بعض النساء قتلن أطفالهن وألقين بأنفسهن في نهر الموزل (أول يونية سنة ١٠٩٦). وفي مينز خبأ "روثارد" كبير الأساقفة ثلاثمئة وألف يهودياً في سراديبه، ولكن الصليبيين اقتحموها عليهم وقتلوا منهم أربعة عشر ألفاً، واستطاع الأسقف أن ينقذ عدداً قليلاً منهم بإخفائهم في الكنيسة الكبرى في (٢٧ مايو سنة ١٠٩٦م)، وقبل التعميد أربعة من يهود مينز، ولكنهم انتحروا بعده بقليل ولما اقترب الصليبيون من كولوني خبأ المسيحيون اليهود في منازلهم، وأحرق الغوغاء الحي اليهودي، وقتلوا من وقع في أيديهم من اليهود القلائل، فما كان من الأسقف هرمان إلا أن نقل اليهود سراً من مخابئهم عند المسيحيين إلى منازل المسيحيين في الريف وعرض بذلك حياته هو لأشد الأخطار. وكشف الحجاج الصليبيون هذه الحيلة، وصادوا فريستهم في القرى وقتلوا كل من عثروا عليه من اليهود في (يونية سنة ١٠٩٦م) وكان عدد من قتلوا في إحدى القرى مائتي يهودي؛ وحاصر الغوغاء اليهود في أربع قرى أخرى، فقتل اليهود بعضهم بعضاً، مفضلين هذا على التعميد، وذبحت الأمهات من ولدن من الأطفال في أثناء هذه الاعتداءات وقت مولدهم. وفي وورمز أخذ الأسقف "ألبرانشز" من استطاع أن يأخذهم من اليهود إلى قصره وأنقذ حياتهم، أما من لم يستطع أخذهم فقد هاجمهم الصليبيون هجوماً خالياً من كل رحمة. فقتلوا الكثيرين منهم، ثم نهبوا بيوت

اليهود وأحرقوها، وفيها انتحر كثيرون من اليهود مفضلين الموت على ترك دينهم. ثم حاصرت جماعة من الغوغاء مسكن الأسقف بعد سبعة أيام، وأبلغ الأسقف اليهود أنه لم يعد في وسعه أن يصد أولئك الغوغاء، وأشار عليهم بقبول التعميد، وطلب إليه اليهود أن يتركوا وشأنهم لحظة قصيرة، فلما عاد الأسقف وجدهم جميعاً إلا قليلاً منهم قد قتل بعضهم بعضاً، ثم اقتحم المحاصرون الدار وقتلوا الباقين أحياء، وبلغ مجموع من قتل في مذبحة وورمز (٢٠ أغسطس سنة ١٠٩٦م) نحو ثمانمائة من اليهود. وحدثت مذابح مثلها في متزو رنجزبرجو براهة.... وكانت هذه المذابح إيذاناً بسلسلة من الهجمات الطويلة العنيفة... من ذلك أن حادثة قتل وقعت في بادن عام ١٢٣٥ ولم يعرف مرتكبها فاتهم بها اليهود، فأدى ذلك إلى مذبحة منهم؛ وفي عام ١٢٤٣م حرق جميع اليهود سكان بلتز القريبة من برلين وهم أحياء بحجة أن بعضهم قد دنسوا خبزاً للتقدمة مقدساً. وفي عام ١٢٨٣ أثيرت في مينز فكرة ذبح أطفال المسيحيين في بعض الشعائر اليهودية، وقتل عشرة من اليهود ونهبت البيوت اليهودية على الرغم مما بذله ورنر كبير الأساقفة من جهود. وفي عام ١٢٨٥م أهاجت مثل هذه الشائعة أهل ميونخ، ولجأ مئة وثمانون يهودياً إلى كنيس لهم، فأشعل فيه الغوغاء النار، واحترق المائة والثمانون بأجمعهم. وبعد عام من ذلك الوقت قتل أربعون يهودياً في أبرويزل بحجة أنهم امتصوا دماء مسيحي، وفي عام ١٢٩٨م حُرق كل يهودي في روتنجن حتى قضى نحبه بحجة أن بعضهم قد دنس الخبز المقدس. ونظم رندفلشخ وهو بارون متمسك بدينه جماعة من المسيحيين الذين أقسموا أن يقتلوا جميع اليهود وأمدهم بالسلاح، وأبادوا جميع الجالية اليهودية في ورزبرج، وذبحوا ٦٩٨ يهودياً في نورمبرج، ثم انتشرت موجة الاضطهاد فلم يمض إلا نصف عام حتى محي مئة وأربعون كنيساً يهودياً. وملأ اليأس بعد هذه الاعتداءات المتكررة قلوب يهود ألمانيا، وكانوا قد أعادوا تنظيم جماعاتهم مراراً وتكراراً، فغادرت أسر يهودية كثيرة مينز، وورمز، وأسبير، وغيرها من المدن الألمانية وهاجرت إلى فلسطين لتعيش في بلاد

المسلمين"[1].

وهذا النص مع طوله فقد آثرت نقله بنصه؛ لأنه صادر عن مؤرخ نصراني يحكي فعل قومه مع اليهود، ويصور المعاناة التي عاشتها هذه الفئة في هذه العصور.

أما في فرنسا فإن اليهود قد عانوا الاضطهاد في الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٦م حيث قام الصليبيون الفرنجة على جمع يهود في الكنيسة دون أي اعتبار للعمر أو الجنس، ولم ينقذ من الموت سوى أولئك الذين تقبلوا المعمودية فقط[2].

وقد لقي اليهود أثناء الحملة الصليبية الثانية عنتاً شديداً، فقد أشار بطرس المبجل رئيس دير كلوني على لويس السابع ملك فرنسا أن يبدأ بمهاجمة اليهود الفرنسيين وقال له: "لست أطالبك بأن تقتل أولئك الخلائق الملاعين... لأن الله لا يريد محوهم من الوجود، ولكنهم يجب أن يقاسوا أشد ألوان العذاب كما قاساه قائين قاتل أخيه، ثم يبقوا ليلاقوا هواناً أقسى من العذاب، وعيشاً أمر من الموت"، ولكن لويس التاسع اكتفى بفرض ضرائب باهضة على أغنياء اليهود"[3].

وفي عام ١٢٣٦م دخل الصليبيون المسيحيون الأحياء اليهودية في أنجو وبواتو وأمروا بأن يعمد اليهود جميعاً، فلما أبوا داسوا بحوافر خيولهم ثلاثة آلاف منهم حتى قضوا عليهم، وندد البابا "جريجوري التاسع"[4] بهذه المذبحة، ولكنه لم ينج اليهود من الموت[5].

---

(١) قصة الحضارة ١٤/ ٨٦- ٨٨.

(٢) انظر: المسألة اليهودية ص٢٥٠.

(٣) قصة الحضارة ١٤/ ٨٨

(٤) جريجوري التاسع (١١٧٠-١٢٤١م) بابا رومة (١٢٢٧- ١٢٣٩م). أحد أقوى الباباوات في القرن الثالث عشر. دافع عن امتيازات الكرسي الرسولي. أنشأ ديوان التفتيش الوسيطي ١٢٣١م. (انظر: موسوعة المورد ٣/ ٨٠٣).

(٥) انظر: قصة الحضارة، ١٤/ ٩٣ بتصرف.

وقد ظهرت جماعة من الفلاحين ورعاة الماشية عام ١٣٢٠م، وفي الغالب كان عمر أفرادها أقل من عشرين سنة، متشوقة للمعارك، والمغامرة، والسلب. كانوا تحت قيادة رجال من عديمي الضمير، كاهن وراهب، وكانا محاطين بحشود الفاجرين وقطاع الطرق. تجمع وصل تعداده إلى ٤٠٠٠٠ من الأفراد اجتاحوا لانجويدك صابين غضبهم وهجومهم أساساً على اليهود، الذين لم يتجاسر أحد على حمايتهم. فقد التجأ خمسمائة من السكان اليهود إلى قلعة فيردون سر قارون، وحاولوا أن يدافعوا عن أنفسهم بشكل جريء؛ لكنهم عندما رأوا بأن جهودهم دون جدوى، قرروا بأن الأكبر سناً بينهم يجب أن يقتل الآخرين، وقد مات الجميع ما عدا الأطفال الذي تم تعميدهم[1].

وفي انجلترا مع بداية القرن الثاني عشر، بدأ وضعهم في التدهور نظراً للهجوم عليهم من قبل الكنيسة والبارونات، ثم أخيراً من قبل العناصر الشعبية في المدينة. وكان أعضاء الجماعة اليهودية محط كراهية خاصة لارتباطهم بالملك. وتم الهجوم عليهم بشكل مخفف أثناء حملتي الفرنجة الأولى والثانية، ومع تزامن اعتلاء ريتشارد الأول[2](قلب الأسد) عام ١١٨٩ العرش تصاعد الاضطهاد ضد الجماعة اليهودية. وحينما سافر مع حملة الفرنجة الثالثة، انتهزت القوى المعادية الفرصة وهاجمت أعضاء الجماعة اليهودية في أماكن عدة من أهمها يورك، والتي قتل الغوغاء فيها ٣٥٠ منهم في مدينة يورك في العام نفسه وكان يقودهم رتشرد دي ملابستيا، ثم قام مائة وخمسون

---

(١) انظر: المسألة اليهودية، ص٢٦٧.

(٢) ريتشارد الأول (١١٥٧ - ١١٩٩م). حكم ما بين (١١٨٩ - ١١٩٩م)، وهو المعروف في التاريخ باسم ريتشارد قلب الأسد. وبعد أن أصبح ملكًا انضم إلى فيليب أغسطس الفرنسي في الحملة الصليبية، وقد احتل مدينة عكا. وحاول احتلال القدس، إلا أنه فشل في ذلك.، قُتل ريتشارد أثناء حصار قلعة فرنسية. كان شجاعًا وقويًا وقاسيًا في بعض الأحيان، كما كان شهمًا وسخيًا. (انظر: الموسوعة العربية العالمية ١٥/ ٦٧)

من يهود يورك يتزعمهم الحبر توم طوب بقتل أنفسهم[1].

وكذلك في إسبانيا تعرضت الجماعات اليهودية لمذابح عديدة في طليطلة وأشبيلية وبلنسية وقرطبة، جعلتهم ينزحون إلى مملكة غرناطة في الجنوب، ففي عام ١٣٩١م بدأت سلسلة من الهجمات على اليهود، وقام الراهب الدومنكي فيراند مارتينز بإلقاء الخطب الحماسية - مؤكداً ضرورة تعميد اليهود وتحويلهم إلى النصرانية أو موتهم - التي أدت إلى هياج عام ومذابح ضد اليهود[2].

فعندما انتصر ايزابيلا وفرديناند، واستوليا على حكم أسبانيا تحول كثير من اليهود فيها إلى النصرانية، وكان يطلق عليهم رسمياً اسم خاص هو المتحولون مع أن النصارى كانوا يطلقون عليهم اسم مارانوس[3] أي الخنازير، لكن الملك والملكة ظلا لا يثقان فيهم لشكهما في حسن نصرانيتهم وولائهم لهما. لذا طلبا من البابا سيكستوس الرابع[4] في عام ١٤٨٠ أن يتم إرسال مفتشين إلى أسبانيا للتخلص من هؤلاء الأعداء. وكان أشهر المفتشين في أسبانيا هو توماس الطرقماوي الذي استمر في منصبه لمدة خمسة عشر عاماً، وكان له ١١٤,٠٠٠ ضحية تم إحراق ١٠,٢٢٠ منها، ومعظم الباقين سجنوا مدى الحياة[5].

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري ٤/ ٣١٧، قصة الحضارة ١٤/ ٩١.

(٢) انظر: محاكم التفتيش الإسبانية، د. بشرى محمود الزوبعي، ص٤٨.

(٣) المارانو: أطلقت على أولئك اليهود المتخفين، في إسبانيا والبرتغال، الذين تراجعوا ظاهرياً عن اليهودية وادعوا اعتناق الكاثوليكية حتى يتمكنوا من البقاء في شبه جزيرة أيبريا، مع تَراجُع الحكم الإسلامي وبعد طَرْد يهود البرتغال عام ١٤٨٠ وطَرْد يهود إسبانيا عام ١٤٩٢. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٣/ ٣٦٣).

(٤) سكستوس الرابع يدعى فرانسيسكوا ديلا، ولد سنة ١٤١٤م في سبيلا، أصبح بابا ١٤٧١م توفي سنة ١٤٨٧م.

(٥) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة، دى روزا، ص١٢٠، النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية ⇐ =

المرحلة الثالثة: عصر النهضة:

تفرق اليهود في أنحاء أوروبا وكذلك المشرق نتيجة اضطهادهم من ملك أسبانيا، لكن تلك الجماعات اليهودية ما لبثت أن تجمعت مرة ثانية في بعض المدن الأوروبية وكونت ما يسمى بالجيتو، وفي القرن السادس عشر اندفعت مدن أوروبا إلى سن قوانين تفرض على اليهود السكن في الجيتو حتى أنه لم يبق مكان في القارة كلها يختلط فيه اليهود بالنصارى، وقد كان الجيتو غاصاً بالسكان مما يسهل انتقال العدوى والأوبئة، كما أن إقامة اليهود الإجبارية فيه، ومنعهم من الاتصال بالمحيط المسيحي سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود وحياتهم، لم يكن الجيتو معقل الأوساخ والقاذورات المادية فحسب، بل العيوب الاجتماعية؛ إذ كان مركز للمومسات وبؤرة للفساد والدسيسة، ومقراً للمتعاملين بالربا؛ إذ كان يصب اليهودي كل جهوده في الحفاظ على حياته، ولم يكن يهمه سلوكه القيم الأخلاقية[1].

وقد كانت هذه الفترة قروناً مظلمة لليهود لكنها في الوقت نفسه تعتبر عصور النهضة الأوربية، وذلك عندما تمكنت من تحرير نفسها من براثن السيطرة الاقتصادية اليهودية[2] وعندما استطاعت أن تحرر نفسها من العبودية للكنيسة والبابوات.

مع عصر النهضة في القرن السادس عشر بدأ الانحسار على صعيد الأديان كلها في أوروبا، وراحت المجتمعات الغربية تعيش مرحلة من (العلمنة) وكانت المسيحية أشد الأديان تأثراً، فهي الديانة السائدة في أوروبا، وأصاب اليهودية كذلك التطور نفسه[3].

= والإسلام، كارين آرمسترونغ، ترجمة محمد الجورا، ص٢١.

(١) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي ص٢٤.

(٢) انظر: أحجار على رقعة الشطرنج ص٣٥

(٣) انظر: فلسطين أرض الرسالات السماوية، جاروري، ص١٦٤.

وقد يكون الحدث الأبرز في هذه الفترة ظهور حركة الاحتجاج البروتستانتي بزعامة مارتن لوثر، والذي تقرب إلى اليهود وذلك من أجل كسب موقفهم معه، فانتقد موقف السلطة البابوية منهم، والتعامل معهم على أنهم كلاب لا بشر.

وقد كتب لوثر كتابه" المسيح ولد يهودياً" وهدفه من هذا الكتاب محاولة كسب اليهود إلى صفه لما لهم من حضور مالي؛ خاصة ضد البابا، ولقد أصبح فيما بعد أحد الشعارات الأساسية لدى أتباع المسيحية الصهيونية تحدث فيه لوثر عن محاسن وفضائل اليهود المتميزين على البشر أجمعين، وقدم فيه نظرة جديدة للعلاقات اليهودية النصرانية بخلاف ما كان سائداً في تلك الأزمنة[١].

لم يكن صنيع لوثر هذا مناصرة لليهود لكونهم فئة مضطهدة أو مغلوبة بل كان يأمل منهم الدخول في النصرانية أو مناصرة دعوته الاحتجاجية وعندما تبين للوثر رفض اليهود التجاوب مع دعوته تغير موقفه منهم وأصدر هجائية رهيبة ضد اليهود، فكان يقول: اليهود همج وكنائسهم هي حظائر للخنازير، يجب أن نحرقهم، لأن موسى لو عاد إلى العالم سوف يفعل ذلك، إنهم يجرون الكلمات إلى الطين، يعيشون في الفساد والحرام، إنهم حيوانات سيئة ضارة يجب طردها مثل الكلاب الثائرة.[٢].

لقد تحول لوثر من ذلك الداعية المتسامح مع اليهود إلى ثائر حريص على النيل منهم فألف كتابه الموسوم " اليهود وأكاذيبهم" والذي يعد من أشد الكتب ضراوة وهجوماً على اليهود وقد وصفهم لوثر بأنهم عصبة ضلت طريقها إلى الله، وأمر أتباعه بحرق دور اليهود وإتلاف كتبهم المقدسة خاصة التلمود، وهدم معابدهم واتهمهم بأنهم يبيتون النيات لقتل النصارى كلما قدروا على ذلك، بخاصة من خلال أطباء اليهود، فاليهود في رأي مارتن لوثر قوم جافاهم الله فأسلمهم للكفر، وصاروا من

(١) انظر: الصهاينة الجدد مهمة لم تنته ص١١٠-١١١.

(٢) انظر: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ص٩٩.

جراء ذلك شتاتاً لا وطن يجمعهم معذبين عبر العصور[1]. ومن هذا المنطلق يعد البعض أن لوثر مؤسس من مؤسسي العداء للسامية، وأول من كان له أثر في نشوء النازية في ألمانيا.

لقد استفاد اليهود من ثناء ودعوة لوثر في رفع الاضطهاد عن اليهود، ولذلك نجدهم احتفوا كثيراً بكتابه الأول وطبعوه ونشروه بخلاف الكتاب الذي فيه بيان أكاذيبهم فإنهم حاربوه وأخفوه، أضف إلى ذلك أن الأمر قد خرج عن السيطرة فلا يمكن بأي حال من الأحوال تغيير تلك النظرة التي خلفتها الفكرة الأصولية التي أطلقها لوثر في بداية دعوته لليهود[2].

ونتيجة للصراع الواقع بين البروتستانت والكاثوليك الذي دام فترات طويلة، توقف اليهود عن أن يكونوا كبش فداء، ونعم فيها بشيء من الهدوء، وأدى إلى تقارب بين بعض فئات اليهود ومختلف طبقات المجتمع، فكانت هناك لقاءات بين الأنسيون الشعراء وبين العلماء والفلاسفة والأطباء اليهود[3].

ولما ظهر عصر التنوير[4] قفزت العلاقات بين اليهود والنصارى إلى تعاون مشترك بينهما وأصبح هناك اندماج بين الفريقين، فأصبح التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصايات التي فرضها هو على نفسه، وعدت الوصاية الدينية أرذل

---

(١) انظر: اليهودية عرض تاريخي،ص٦٠.

(٢) انظر: ذئاب في ثياب حملان، ص٤٩، اليهودية ص٦٠.

(٣) انظر: مناهضة السامية ص١٠٠-١٠١.

(٤) التنوير: هو اتجاه ثقافي ساد أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة المثقفين المعروفين باسم المتفلسفين، من أمثال فولتير، وديديرو، وهولباخ.وكان التنوير نتاج عصر العقل، وأفكاره تقوم على ثلاث وحدات تتعلق بالعقل والطبيعة والتقدم.التنوير عند كانت لا سلطان على العقل إلا العقل نفسه. (انظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الحفني، ص٢٢٤،المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ص٢٣١).

الوصايات، وأشهرها ضرراً.

وسارع العقلانيون المتحررون من نيران الكنيسة وتعاليمها إلى تطبيق المبدأ المذكور في موضوع الدين، فهم اعتبروا الفرق بين الدينين النصراني واليهودي غير ذي بال في الحياة المدنية[(١)]، ونجد مثالاً لهذا ما حصل في هولندا فقد رحب الهولنديون بالمهاجرين إليهم بوصفهم دعماً للتجارة الهولندية، وسمح لهم عام ١٦١٩م بممارسة شعائرهم الدينية علناً وبحرية تامة، وقد تمكنوا كذلك من تأسيس وجود لهم في انجلترا على الرغم من المنع الصادر ضدهم[(٢)].

ومع تمكن التنوير في المجتمع الأوروبي خلال القرن الثامن عشر إلا أن تلك الفترة لم تكن خالية من حركات الطرد ونظرات الريبة تجاه اليهود على المستويين الشعبي والخاص، بل نجد أن بعض قادة التنوير كانوا يكرهون اليهود، وحين سعت الحكومة البريطانية بأعضائها المتنورين عام١٧٥٣م، إلى تجنيس رعاياها من اليهود لم تستطع فرض ذلك نتيجة المعارضة الشديدة من الشعب مما اضطرها إلى إلغاء قانون التجنيس، وقد تكون هذه الحالة مقارنة بما أصابهم من القتل والتشريد يسيرة مع أن حالهم في الغالب تحسن؛ خاصة عندما تبنى بعض ملوك أوروبا قرارات تحسن من أوضاعهم، كما فعل إمبراطور النمسا ولويس السادس عشر[(٣)] ملك فرنسا[(٤)].

لكن اضطهاد اليهود بقي على حاله في بعض البلدان، ففي روسيا ظلت القوانين متشددة إزاءهم، وشهدت أشكالاً مختلفة من اضطهاد اليهود، خاصة عندما أغتيل القيصر الكسندر الثاني عام١٨٨١م حيث صدرت قوانين صارمة ضدهم عام

---

(١) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي،ص٣٤-٣٥ بتصرف.

(٢) انظر: المكون اليهودي،ص٤٧-٤٨.

(٣) لويس السادس عشر (١٧٥٤ - ١٧٩٣م) حكم فرنسا عندما بدأت الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) وأُعدم بتهمة الخيانة عام ١٧٩٣م.(انظر: الموسوعة العربية العالمية،٩٨/٢٠).

(٤) انظر: المكون اليهودي في الحضارة الغربية ص٤٨-٤٩.

١٨٨٣م، وطبقت أقسى القوانين تجاه إقامتهم مما اضطر مئات الآلاف منهم إلى الهجرة، وانتشرت موجة من المذابح من أشهرها مذبحة كيشينيف[(١)] عام ١٩٠٣م، كما ظهرت عام ١٩٠٥م جماعات المائة السود بدعم خفي من الحكومة، وقامت بالهجوم على اليهود في عدة مدن[(٢)].

ولما حكم هتلر[(٣)] ألمانيا وكون حزب النازية أنزل باليهود حرباً شعواء بلغت ذروتها ولم يسبق لها مثيل من قبل في ممارسات النازية ضد اليهود، وقام هتلر إلى إخلاء ألمانيا ثم أوروبا بأسرها من جميع اليهود، وقد وصف اليهود بأنهم بكتيريا وجراثيم وآفات وطفيليات مميتة.

وكان يؤكد أن اكتشاف الفيروس اليهودي إحدى أعظم الثورات التي شهدها التاريخ، وارجع إلى أن هناك أمراض عديدة تعود إلى هذا الفيروس اليهودي والسبيل الوحيد لاستعادة الصحة هو إبادة اليهود[(٤)].

ويصرح قائلاً: عندما نبيد تلك الآفات، فإننا نسدي بذلك خدمة كبيرة للبشرية[(٥)].

---

(١) كيشينيف: مدينة روسية في بيساربيا التي ضمت إلى روسيا عام ١٨١٢م، وأصبحت مركزاً تجارياً وصناعياً مهماً وكانت توجد فيها أقلية يهودية كبيرة وصل عددها ١٨٤٧م إلى عشرة آلاف.(انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/ ٣٦٤.

(٣) هتلر، أدولف (١٨٨٩ - ١٩٤٥م). زعيم ألمانيا النازية. حكم ألمانيا حكمًا دكتاتوريًا من عام ١٩٣٣م إلى عام ١٩٤٥م. حوّل ألمانيا إلى آلة حرب قوية وأشعل نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م. هَزمت قواته معظم أوروبا قبل هزيمتها هي عام ١٩٤٥م. وأشاع هتلر الرعب بشكل لم يفعله أحد في التاريخ الحديث. (انظر: الموسوعة العربية العالمية

(٤) انظر: الهولوكست والحداثة، ص١٤٣.

(٥) المصدر السابق، ص١٤٤.

ومن تلك الوقائع والأحداث التي حصلت لليهود في ألمانيا عام ١٩٣٨م؛ ويطلق عليها كتاب التاريخ باسم"ليلة الزجاج المحطم" حيث انقض حشد من مثيري الفوضى بمباركة الأجهزة الرسمية في الخفاء على متاجر اليهود ودور عبادتهم، ومنازلهم فدمروها ونهبوها، وأضرموا النيران فيها، كما حصدت تلك الحادثة ما يقرب من مائة شخص، وكانت ليلة الزجاج المحطم هي الهجوم الشعبي الوحيد الذي وقع على نطاق واسع في شوارع المدن الألمانية طوال الفترة التي وقعت في الهولوكست[١].

وكان النازيون قد أنشأوا في بلدة أوشفينز القريبة من مدينة كراكوف البولندية أكبر معسكرات الاعتقال وأكثرها شهرة، ومن عامي(١٩٤٠-١٩٤٥م) قتل النازيون أكثر من مليون شخص، منهم عدد من اليهود، إضافة إلى أعداد كبيرة من البولنديين والغجر وكبار الروس، وكانت القطارات التي تنقل السجناء الضحايا في مختلف أرجاء الدول الأوروبية التي كانت محتلة من قبل الألمان تصل يومياً إلى المعسكر[٢].

وكما مر معنا أن النصارى كانت تنابذ لليهود العداء، واستمرت تلك العلاقة المتوترة قروناً عديدة تخبو تارة وتشتعل تارات أخرى، لكن في القرن العشرين تغير الحال تماماً، لدرجة أن تقوم الكنيسة الكاثوليكية بالاعتذار عن الاضطهاد الذي حصل على اليهود، بل إنها تبرئهم من دم المسيح -بزعمهم- تلك التهمة التي كانت سبباً وراء تلك الاضطهادات التي حصلت لليهود، وهو ما حصل في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي جاء في بيانه: "ولئن كان ذوو السلطان من اليهود ومشايعوهم هم الذين دفعوا على قتل المسيح فإن ما اقترفته الأيدي إبان آلامه لا يمكن إسناده في غير تمييز إلى جميع اليهود الذين عاشوا آنذاك، ولا إلى اليهود العائشين في عصرنا، من أجل ذلك لا يجوز على كون الكنيسة هي الشعب...وإلى ذلك فإن الكنيسة تستنكر

---

(١) المصدر السابق ص١٦٨.

(٢) انظر: الهولوكست حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، ندى الشقيفي ص١١١.

جميع ألوان الاضطهاد لجميع الناس أياً كانوا"[1].

لكن ما هي الخلفية التي جعلت النصارى بعد ألفي سنة يغيرون موقفهم من كره اليهود واضطهادهم؟، هل هو فعلاً نتيجة مراجعة صحيحة لهذه القضية؟ أم أن المسألة جاءت نتيجة ضغوط من اليهود أنفسهم؟، وهل يملك البابا أن يبرئ اليهود من مسئوليتهم تجاه إيذاء المسيح عليه السلام أم أن اليهود يعتبرون طرفاً في هذه القضية؟

إن في اعتقاد اليهود أن الذي قتل وصلب هو عيسى عليه السلام، فعليه فالجريمة في حد ذاتها قائمة وأركانها متوافرة تماماً، بل يعترف اليهود بهذه الجريمة ويقولون دمه علينا وعلى أولادنا[2].

ولذلك فإن النصارى يستقيم فعلهم في تبرئتهم اليهود المعاصرين من دم المسيح عندما يستنكر هؤلاء الأبناء جريمة آبائهم، ويكفوا أيديهم عن القتل وارتكاب الجرائم التي كان يرتكبها آباؤهم[3].

وهنا يأتي تساؤل آخر وهو: أيهما أولى بالتبرئة آدم عليه السلام من خطيئته وذلك عندما أكل من الشجرة، أم اليهود الذين اعتدوا على عيسى عليه السلام وقتلوه وصلبوه بحسب زعمهم؟!

فعندما أغوى الشيطان آدم عليه السلام وزين له الأكل من الشجرة التي حرم الله عليه أن يأكل منها، فكانت هذه خطيئة آدم، والتي أصبح متلبساً بها -كما في عقيدة النصارى- وورثها عنه جميع أبنائه من البشر حتى يوم القيامة، وآدم هنا وقع تحت الإغواء، ويقيناً لم يدر بخلده حين ارتكب هذه المعصية أنها ستورث للبشر جميعاً، والتي هي أساس عقيدة الفداء عند النصارى. أما اليهود فقد تآمروا على المسيح الذي

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني،ص٦٢٩-٦٣١.

(٢) انظر: دعوة الحق بين المسيحية والإسلام، القاضي منصور حسين عبدالعزيز،ص٣٩٣.

(٣) انظر: المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، عيسى اليازجي،ص١٣٥-١٣٦ بتصرف.

يعتبر في عقيدة النصارى إلهاً، ليصلبوه، وفي اعتقادهم أنهم قتلوه فعلاً، ولم يكفهم ذلك بل قبلوا في تحد أن يكون دمه عليهم وعلى أبنائهم من بعدهم.

ولذلك من الوضوح بمكان أنه لا تناسب بين خطيئة آدم وبين إثم اليهود وجرمهم، لا من حيث مقارفة المعصية ولا من حيث الإصرار عليها، فآدم عليه السلام فعل المعصية تحت تأثير الإغواء، ولم يحمل ذريته من بعده تبعية المعصية ووزرها، بخلاف اليهود فإن جرمهم ومعصيتهم أشد إثماً وذنباً منهم، فقد قبلوا في تحد كما رأينا أن يكون وزر المعصية وتبعيته عليهم وعلى أولادهم.

ولذلك ليس من العقل أن خطيئة آدم عليه السلام، والتي وقعت تحت تلك الظروف والملابسات تورَّث، وأما صلب المسيح وقتله وسفك دمه كما يعتقد النصارى- بعد أن قبل القتلة أن يكون دمه عليهم وعلى أولادهم - لا يورث.

وإذا كان الفاتيكان يُبَرِّئون اليهود من قتل المسيح وصلبه - بحسب اعتقادهم-، فإنهم يضربون بنصوص أناجيلهم عرض الحائط، ولذلك نجد من النصارى من استنكر هذه الوثيقة سواء كانوا في المجمع أو من خارجه[1].

وممن استنكر هذه التبرئة القس إبراهيم سعيد رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين حيث قال: "لمجمع الكرادلة، ولغير مجمع الكرادلة، أن يحاولوا كسب صداقة اليهود - ولكن على غير حساب الدين- فنحن لا نرضى أن نجعل عقيدتنا كبش الفداء لأي غرض من أغراض الدنيا، وأكبر الظن أن الصهيونية العالمية هي التي تحرك خيوط هذه المؤامرة من خلف الستار، تحقيقاً لحلم يداعب عيون اليهود تنفيذا لبرنامج يسمى "بروتوكول صهيون" وبها يحاولون أن يسيطروا على العالم الأوروبي وإن أمكن الأمريكي بالمال والصحافة وسائر وسائل النشر والدعاية.

وإذا ما حاول مجمع الكرادلة أو غيره، أن يبرئ اليهود من مسئولية صلب

(١) انظر: دعوة الحق من المسيحية والإسلام، ص٣٩٣ بتصرف.

المسيح، وجب عليه أن يعترف بأن المسيحية كلها عاشت تحت أكذوبة طويلة عريضة، مدة عشرين قرناً، بل عليه أن يعيد كتابة الإنجيل من جديد - بل أن يخلق إنجيلاً جديداً- محاولاً أن يلقي فيه مسئولية صلب المسيح على قوم غير اليهود!!"[1].

وهذا فعلاً ما قام به اليهود من إحداث تحريفات كبيرة طالت أسفار العهد الجديد وهي تحت مسمى "التعديلات" من أجل أن تتلاءم مع ما يذهبون إليه من تحسين صورتهم، ومحاولة كسب تعاطف النصارى معهم، وقد قاموا بطباعة هذه الأسفار وتوزيعها سنة ١٩٧٠م، ومن تلك التحريفات:

- محو كلمة " اليهود" من أسفار العهد الجديد، وقد تكررت فيها مائة وتسعاً وخمسين مرة، حيث تم استبدالها بكلمات أخرى مثل: مواطنو ولاية اليهودية، والعامة، والوثنيون،

- التخلص نهائياً من كلمة الصلب ومشتقاتها، بتغييرها إلى ألفاظ أخرى فمثلاً لفظة "أصلبه" يحرف إلى: خذه أو أبعده أو اشنقه.

- تجنب كلمة" القتل" ومشتقاتها، واستبدالها بألفاظ أقل منها حدة، فتحول كلمة" يقتل" يدين أو يأخذ أو يضايق أو يقاوم.

- محو الفقرات التي تلقي مسئولية إراقة دم المسيح على اليهود وأولادهم من بعدهم، ثم استبدالها بأخرى تحمل المصلوب نفسه مسئولية دمه المراق[2].

وبعد أن تبين أن البابا لا يملك حق تبرئة اليهود من صلب المسيح وقتله بحسب زعمهم، كما بينا في نقد هذه المسألة، نأتي إلى قضية أخرى وهي: هل لليهود طرفاً ويداً خفية وراء هذه القضية، والذي لا شك فيه أن اليهود فعلاً قاموا بإثارة تعميق الكره الكاثوليكي لليهود، وذلك خلال مبالغتهم بالحقد والعداء الذي يكنه

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل، ص٣٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٤٥-٤٦. بتصرف يسير.

الكاثوليك لليهود، وأخذوا في نشر تلك القبائح والشتائم وادعاء وصفهم بأنهم شياطين مما دفع الفاتيكان إلى موقف الدفاع عن النفس بإصدار قرارات تنفي هذه التهم، كذلك نجد أن اليهود بالغوا في إبراز اضطهادهم من قبل أوروبا، وخاصة في المجازر النازية للحصول على مزيد من العطف والشفقة، ومع الفاتيكان استخدمت هذه الطريقة مراراً وتكراراً، وخاصة في اتهام الأب بيوس الثاني عشر[1] بالتقصير إبان المجازر النازية[2].

واستمرت الحملة على البابا بيوس الثاني عشر، ففي الولايات المتحدة أصدر أستاذ يهودي اسمه جونز ليفي كتاباً أسماه" الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا النازية" وكان محور البحث في هذا الكتاب: ما إذا كان البابا بيوس الثاني عشر قادراً على وقف قتل اليهود على يد النازيين؟[3].

إن القصد من هذه الحملة هو عملية إرباك الموقف الكاثوليكي وجعله يتعاطف مع ما يتطلع إليه اليهود من مباركة السيطرة على فلسطين والأطماع الصهيونية.

لكن هناك صورة أخرى قد تكون أكثر واقعية وهو أن الفاتيكان غيرت موقفها من اليهود من أجل تحقيق أمور تطمح إليها ومن تلك الأمور:

أولاً: التخلص من اليهود وإيجاد موطن لهم في فلسطين من أجل ترحيلهم من أوروبا، وهذا ما يجعلنا نوافق المسيري في نظرته إلى أن المشروع الصهيوني ليس

---

(١) بيوس الثاني عشر (١٨٧٦ – ١٩٥٨م). انتخب بابا (١٩٣٩–١٩٥٨م) وُلِدَ بيوس في روما واسمه الأصلي أيوجينيو باسيلي، كان واحدًا من أنشط البابوات في تاريخ الكنيسة. كان مهتماً بالدفاع عن فكرة توحيد أوروبا. تباحث بيوس مع رؤساء عدة حكومات أوروبية لمحاولة منع وقوع الحرب العالمية الثانية. (انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٦/ ٧٨).

(٢) انظر: مقال العلاقات الفاتيكانية الإسرائيلية، وزيارات باباوات الفاتيكان مسامحه تكتيكيه وهيمنة استراتيجيه، د. سامر أبو مازن، مجلة البيان.

(٣) انظر: نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، ص٣٠.

مشروعاً يهودياً، بل هو مشروع استعماري غربي لتخلص أوروبا من اليهود[1].

ثانياً: أن هناك تطلعاً عند النصارى في العودة إلى القدس، والتي يعود ارتباطهم بها منذ عصر الحروب الصليبية، حين اتخذ فرسان الهيكل الصليبيون من القدس قاعدة لهم، وهو ما تشير إليه التقارير من تحسن العلاقة بين اليهود الصهاينة والفاتيكان، وأنه كان بدافع السيطرة على القدس، وقد شهدت السنين الأخيرة تطوراً واضحاً وعلنياً لهذا الارتباط بينهما، ففي مارس سنة ١٩٩٢م صرح محافظ القدس " تيدي كوليك" بأن على الحكومة الإسرائيلية أن تلبي مطالب الفاتيكان بمنح وضع خاص للقدس، وفي غرة إبريل من العام نفسه زار الكاردنيال " جوزيف راتسينجر" -البابا بندكت السادس عشر فيما بعد- فلسطين واكتفى بلقاء محافظ القدس " تيدي كوليك" إذ لم تكن تعنيه القضية الفلسطينية إلا بقدر ما يجني منها من مكاسب للكنيسة. وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٩٣م عقدت اتفاقية تاريخية باسم الاتفاقية بين الكرسي الرسولي ودولة إسرائيل[2].

لقد نشرت صحيفة"حدشوت" خبراً فحواه اعتراف الروائي والمفكر الفرنسي اليهودي "ماريك هولتر" بأنه تسلم من عام ١٩٩٣م رسالة من "بيريز" إلى البابا يعده فيها بتدويل القدس، ومنح الأمم المتحدة السيطرة السياسية على القدس القديمة، ومنح الفاتيكان البقاع المقدسة.

وفي عام١٩٩٥م سربت إذاعة عروتس شيبع، برقية تؤكد تسليم "بيريز" القدس إلى الفاتيكان، ونشرت هذه البرقية على الصفحة الأولى من صحيفة هارتس لكن بيريز زعم أن البرقية حرفت، وأنه كتب أنه "لن" يسلم القدس، لكن في لقائه مع كلينتون - الرئيس الأمريكي- عام ١٩٩٧م. قال: "كما وعدت الكرسي البابوي

---

(١) انظر: الصهيونية وخيوط العنكبوت، ص٨٨.

(٢) انظر: مقالة بعنوان: القدس في ظل العلاقة اليهودية الرومية، فيصل الكاملي، ص٢٠، مجلة البيان، العدد ٣١٩، ربيع الأول عام ١٤٣٥.

مسبقاً " وقد زادت هذه العلاقة توسعاً خاصة في عهد البابا الحالي " فرنسيس " إذ نشرت صحيفة "هارتس" اليهودية " مقالاً بعنوان: شخصية العام ليس بإمكان البابا فرنسيس أن يخلصنا، جاء فيه: أن علاقة الحب اليهودية مع فرنسيس ستزداد ولوعاً في الأشهر الستة القادمة، كلما اقتربنا من زيارته المزمعة (للقدس) وفي مايو عام٢٠١٤م سنستمر في مقارنته بسياسينا وأحبارنا لنجدهم قاصرين عنه جداً[(١)].

وخلص فيصل الكاملي إلى أن الصهاينة أمثال نتنياهو وبيريز لا يعدون كونهم عملاء للاستعمار الغربي الروحي يتوصل بهم إلى ما يريد أسيادهم[(٢)].



(١) المصدر السابق، نفس المقال.

(٢) المصدر السابق، نفس المقال.

المبحث الثاني

اضطهاد النصارى للمسلمين

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الجذور العقدية والفكرية لاضطهاد النصارى للمسلمين.
- المطلب الثاني: واقع الاضطهاد الديني النصراني للمسلمين قديماً وحديثاً
- المطلب الثالث: أساليب اضطهاد النصارى للمسلمين.

* *   * ** *   * *

التمهيـد

إن عداوة النصارى للمسلمين أمر مستحكم وواضح في آيات كثيرة من القرآن تبين حقدهم وكرههم للإسلام وأهله، فقد ذكر الله سبحانه عداوتهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧]، ويقول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢]، فهذه الآيات تؤكد أن المعركة التي بيننا وبين النصارى هي معركة عقدية، وأن هذا العداء للمسلمين عداء دائم ومستمر لا يمكن أن ينفك بحال من الأحوال، فالنص القرآني يؤكد ذلك بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ﴾ وبقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾، وقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾.

فالإسلام جاء إلى المعمورة وقد تجذرت النصرانية المحرفة في نفوس كثير من الناس، ولم يعد هناك ديانة تهدد انتشارها أو وجودها.

ولما ظهر دين جديد وهو الإسلام الذي نزل على محمد ﷺ في آفاق الجزيرة العربية ظن النصارى في أول الأمر أنهم أمام زوبعة عارضة سرعان ما تخبو جذوتها ويخمد لهيبها، لكن الإسلام خالف تلك التوقعات وانتشر بسرعة حتى وصل إلى بلاد النصارى، وهنا شعرت النصرانية ولأول مرة بأنها مهددة في عقر دارها وكان أمام النصارى الآن عدة خيارات:

أولها: الترحيب بالإسلام كدين جديد يتعايش مع النصرانية.

وثانيها: الدخول في الدين الإسلامي الذي هو ناسخ للنصرانية، وفي هذا تهديد للقساوسة والمؤسسة الكنسية.

والخيار الثالث: والذي بدأ جاذباً للنصارى هو تكذيب هذا الدين ومنابذته

وإعلان العداء له ومحاولة محقه بكل وسيلة وأسلوب[(١)].

ونجد أن عداء هؤلاء النصارى للإسلام أمر ظاهر ومتأصل ويعلنونه بكل صراحة في كل زمان وعصر قديماً وحديثاً، فهذا المستشرق الألماني بيلر يقول: "إن هناك عداءً من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها"[(٢)].

وهذه العداوة ليست محصورة على الأفراد بل حتى على المستوى الدولي أو الرسمي فنجد أنهم يظهرون عداءهم للإسلام علانية وبدون مواربة فهذا أبو جين روستو[(٣)] يقول: "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى"[(٤)].

وهذا الموقف العدائي من النصارى هو الأصل الراسخ، والعقيدة الجازمة عندهم فلا يمكن تغييرها مهما تظاهروا بالعدالة والتحضر؛ لأنه صراع بين مواقف نهائية فالغرب يرى في الإسلام خطراً عليه، ثم إنه لا يعترف بأنه دين سماوي، إنه يرانا متخلفين ومكامن للإرهاب قد تنفجر فيه في أي وقت.

ويرصد هذه العلاقة التاريخية في جانبيها السياسي والعقدي الباحث الروسي

---

(١) انظر: صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة مازن مطبقاني، بتصرف ص٢٥.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، حبنكة الميداني ص١٩٠-١٩١.

(٣) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جينسون.

(٤) قادة الغرب دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص٢٢-٢٣.

"اليكسي جورافسكي " قائلاً: "إن المجابهة العسكرية - السياسية بين هاتين الديانتين أو قل بين هاتين الحضارتين - منذ بدء ظهورهما المتجاور، ووصولاً إلى القرن العشرين كانت هي الطابع المسيطر على علاقاتها الأخرى - بما في ذلك العلاقات الدينية - الأيديولوجية. وبودنا التأكيد في هذا السياق أن ترسيخ الإسلام وتوطيد أركانه العقدية في سوريا، ومصر وشمال أفريقيا سحبا من المسيحية النصف الغني بثرواته من المجال الجغرافي الحضاري لشاطئ البحر المتوسط.

إن فتح المسلمين إسبانيا وصقلية، والحملات الصليبية إلى فلسطين، واستيلاء الصليبيين على القدس، وثأر صلاح الدين الأيوبي وانتصاره عليهم، وطرد العرب المسلمين من أسبانيا وسقوط القسطنطينية، وهجوم الأتراك العثمانيين على مناطق البلقان، وتمرد الشعوب الإغريقية والسلافية، كل هذه المصادمات والمجابهات العنيفة ألبست رداء الدين، والحرب من أجل تعزيز راية الإيمان ضد الكفرة"[(١)].

إذن عداوة النصارى للمسلمين ستظل باقية ما بقي هذا الدين، وما أخبارهم آخر الزمان والملاحم التي ستحدث فيها إلا دليل وبرهان على هذا الصراع المستمر[(٢)]،

---

(١) الإسلام والمسيحية، أليكسي جورافسكي، ترجمة خلف الجراد، ص٣٦-٣٧.

(٢) ومن تلك الأحاديث التي تبين الملاحم التي تكون في آخر الزمان، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله! لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً. فيفتحون قسطنطينية، فبينا هم يقتسمون الغنائم، قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون؛ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينا هم يُعِدُّون للقتال، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة؛ فينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته" (رواه مسلم في صحيحه، باب فتح قسطنطينية وخروج الدجال، رقم الحديث ٧٢٧٨، ص١١٨٨)

= ⇦

وسوف أتحدث عن ثلاثة مطالب مهمة في هذا المبحث:

= وعن ذي مِخبَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتُنصرون، وتغنمون، وتَسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرجٍ ذي تلول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليبُ. فيغضب رجل من المسلمين، فيدقُّه، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة" (رواه أبو داود ٣/ ٢١٠، وابن ماجه ٢/ ١٣٦٩، الحاكم ٤/ ٤٢١وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ١/ ٢) وفي رواية: "وتكون الملاحم، فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف"(رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ١٦٨٢٦، ٢٨/ ٣٣، والحاكم ٤/ ٤٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٣٦١٢، ١/ ٣٣٧).

المطلب الأول
الجذور العقدية والفكرية لهذا الاضطهاد

١-مجيء الإسلام بعقائد تخالف عقائد النصارى بل إنها تبطلها وتنكر على من يعتقدها.

إن دعوة محمد ﷺ كان أسها ولبها التوحيد ونبذ كل ما سواه، والتي هي دعوة كل الأنبياء، وقد قال تعالى مؤكداً هذه الحقيقة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقد ضلت النصارى في هذا الجانب ضلالاً كبيراً، يقول شيخ الإسلام: "والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل كقولهم: إن المسيح هو الله وابن الله. وكل من القولين يستلزم الآخر.

والنصارى أيضا يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها ويسبون الله سبا ما سبه إياه أحد من البشر"[1].

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم كفرهم وضلالهم في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] إلى غير ذلك من الآيات.

ولم يكتف الإسلام ببيان كفرهم بل وجه الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، ونبذ الشرك بجميع صوره، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣/ ١٠٠.

يقول جورافسكي: "الإسلام من وجهة نظر المسيحية - الغربية يتسم بخلفية إشكالية لاهوتية عميقة. حيث ظهر في أوائل القرن السابع للميلاد في محيط تميز تأثيره الروحي بالتقاليد اليهودية - المسيحية المبدئية بتلك التقاليد الشرقية (اليهودية - المسيحية)، ولكنه وضع نفسه من ناحية أخرى في خندق مضاد متعارض تماماً مع التقاليد الدينية المذكورة، وذلك من خلال تعميم مطلق غير محدود لهذا التوحيد، ألغى في حقيقة الأمر أي إمكان لتجسيد الطبيعة الإلهية مع نفي تام لفكرة الثالوث المسيحية. وبذلك التوجه العقائدي حطم الإسلام النظام البنيوي - اللاهوتي، الذي كان مهيمناً في التصورات المسيحية (لاسيما في العصر الوسيط) حول التكوين الإلهي للتاريخ، وحول التقديس، وتجسيد الإله ذاته. ولهذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعاً من التحدي الديني - التاريخي"(1).

٢- توسع نطاق الإسلام وسرعة انتشاره، وانحسار النصرانية في الشرق، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، كل هذه الأمور سببت صدمة كبيرة للنصارى، فالمسلمون في مدة تقل عن مائة عام تمكنوا من إخضاع جميع السواحل الشرقية، والجنوبية، والغربية للبحر الأبيض المتوسط وأصبحت تهاجم النصرانية في عقر دارها، وظهر دين الله في مشارق الأرض ومغاربها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "معلوم أن ظهور دين محمد في مشارق الأرض ومغاربها أعظم حادث حدث في الأرض، فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه فإن شرع موسى وإن دام فلم ينتشر انتشاره ودوامه بل كان غاية ظهوره ببعض الشام وأما شرع المسيح فقبل قسطنطين لم يكن له ملك بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها وكانوا مستضعفين تقتل أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات ولما انتشر تفرق أهله فرقا متباينة يكفر فيها بعضهم بعضا. ثم إن شرع محمد ظهر في مشارق الأرض ومغاربها وفي وسط الأرض المعمورة... وظهرت أمته على النصارى في أفضل الأرض وأجلها عندهم كأرض

---

(١) الإسلام والمسيحية ص٣٩.

الشام ومصر والجزيرة وغيرها ودام شرعه"[1].

يقول أحد الكتاب الغربيين: "وهكذا كان الإسلام يتوسع على نحو مندفع مخلفاً في الحقيقة صدمات هائلة تستعصي على التصور"[2].

ويقول مفكر غربي آخر: "إن وجود الإسلام قد لعب دوراً مزعجاً، لقد قطع إلى نصفين، عالماً كان يستعد للاتحاد، وتدخل بين (الهللينية)[3]، والشرق، وبين المسيحية البوذية، لقد قام الإسلام بعملية أسلمة للغرب، ومنع المسيحية من أن تتعمق، وأن تكون ذاتها أكثر فأكثر بعملية تلاقح مع البوذية، لقد أصبح الغرب مسلماً"[4].

ومما سبق يتبين أن الإسلام في نظر الغالبية العظمى من مفكري الغرب سبب رئيس في تأخر الحضارة الغربية، وأنه سبب أيضاً في انحسار النصرانية عن الوجود.

٣- تهديد الإسلام لمصالح النصارى وزعامتهم ومكانتهم الدينية والرئاسية.

دعوة الإسلام دعوة عالمية للناس جمعاء، فلم تكن قاصرة على العرب دون غيرهم بل كانت موجهة للبشرية كافة على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم، يتحاكمون إلى شريعة واحدة غنيهم وفقيرهم كبيرهم وصغيرهم، فلم يجعل للمكانة القبلية أو الزعامة الرئاسية ميزة عن غيرهم، وهذا الأمر لم يكن يعجب النصارى ولا غيرهم تمسكاً بملكهم ومناصبهم وزعامتهم، فأدى ذلك إلى اختيار المواجهة وإعلان الحرب ورد دعوة الإسلام مع علمهم بصدق دعوة محمد ﷺ، وصحة دين

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ١٨٨)

(٢) انظر: تقويم تجربة الحوار بين المسلمين والنصارى، د. أحمد القاضي، ص٥، ضمن بحوث مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام. مجلة البيان.

(٣) الهيلينية: هي روح وفكر العصر الهيليني، وهو العصر الذي يقع بين خروج الإسكندر الأكبر من اليونان عام ٣٢٣ق.م حتى سقوط الممالك اليونانية على يد الدولة الرومانية سنة ٣٠ق.م، وتختلط فيه الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والأفكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر الأبيض.(انظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د.عبدالمنعم الحفني، ص٩١٤).

(٤) لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام ﷺ، د.باسم خفاجي ص٥٣.

الإسلام، وهذا التصور عند النصارى هو ما أثبتته الأحداث والوقائع، ومن ذلك عبد المسيح أمير وفد نجران وذو رأيهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، لما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران؛ جلس أبو حارثه على بغلة له موجهاً إلى رسول الله وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة أو كوز بن علقمة، فعثرت بغلة أبي حارثة؛ فقال كوز: تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ. فقال له أبو حارثة بل أنت تعست. قال: ولم يا أخي؟ قال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره. فقال له كوز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى[1].

وكذلك هرقل وخبره مع أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام أيقن بصحة دعوته ﷺ، حتى أنه نصح لقومه وقال لهم: يا معشر الروم: هل لكم في الفلاح والرشد آخراً لآبد وأن يثبت لكم ملككم.[2] لكنه لما رأى إعراض قومه وشح بالملك والرياسة آثرها على الإسلام، وبقي على شركه وكفره.

وقد أخبر ﷻ عن أهل الكتاب أنهم يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك لم يؤمنوا به عناداً منهم واتباعاً لأهواء نفوسهم حرصاً منهم على الرياسة باسم الدين على أتباعهم؛ فقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ [الأنعام:٢٠].

٤- حسدهم للإسلام وأهله:

فهؤلاء النصارى ينقمون على المسلمين لأن الإسلام بزعمهم دين افتراه عربي ادعى النبوة، وادعى دينه بنسخ ما قبله، وفي زعمهم أن الدين الناسخ لما قبله هو النصرانية، فيجب أن ينفرد بالبقاء والسيادة[3].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ٥/ ٣٨٢، ٣٨٣، طبقات ابن سعد ١/ ٣٥٧، البداية والنهاية ٥/ ٥٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء.. ٦/ ٣٥، رقم ٤٢٢٣.

(٣) انظر: المنهج النقدي، مصطفى بوجمعه. ص٣٢٤.

ومرده هذا كله الحسد البغيض الذي حمل النصارى على المعاداة، فمع علمهم أنه رسول الله، فهم لم يؤمنوا به لا لشيء إلا أنه ليس نصرانياً كما قال هرقل: "وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم"[1]، كما حسدوا المسلمين؛ لأن الله تعالى أنعم عليهم بالإسلام، فحاربوهم وصمموا على أن يردوهم كفاراً بعد إيمانهم، وسلكوا الوسائل المختلفة من أجل تحقيق هذه الغاية[2]، يقول الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ [البقرة:١٠٩].

٥- من أصول عقيدة النصارى ميلهم إلى الحرب، وقتال المخالفين، وهو مدون في كتبهم المحرفة، ففي سفر التثنية: "إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها، فلا تسمع كلام ذلك النبي أو الحالم.. وذلك النبي أو الحالم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب"[3].

وفي إنجيل متى جاء على لسان المسيح: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت ألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنّة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني، من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها"[4].

(١) البخاري، كتاب الوحي، ١/ ٧.

(٢) انظر: منهج القرآن في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، د. نادية الشرقاوي ص٨٨ بتصرف.

(٣) سفر التثنية ١٣/ ٣٠٠.

(٤) إنجيل متى، ١٠/ ٣٤/ ٤٠.

المطلب الثاني: واقع الاضطهاد الديني النصراني للمسلمين قديماً وحديثاً

بعد أن عقد النبي ﷺ هدنة مع كفار مكة، وتم خضد شوكة اليهود وطردهم وإجلائهم من المدينة، بدأ النبي ﷺ بتوسيع دائرة الدعوة الإسلامية في بعض أنحاء الجزيرة العربية وخارجها، ويوجد بهذه المناطق قبائل عربية موالية للروم وحليفة لهم ومعظمها يدين بالنصرانية، ومن هنا وجه النبي ﷺ بتوجيه الدعوة إلى الملوك والحكام في تلك المناطق. واتخذ النبي ﷺ في دعوة هؤلاء النصارى أسلوبين أساسين ديبلوماسي وعسكري، ومن هذا المنطلق فإن رسائل الرسول ﷺ لهؤلاء الملوك والزعماء كانت بمثابة إنذار كتابي لهم يسبق العمل العسكري[(١)].

وكان أول لقاء عسكري مع النصارى غزوة مؤته[(٢)] وقد دعا النبي ﷺ إليها وذلك عندما قام أحد أمراء مصر قيصر على الشام شرحبيل بن عمرو الغساني بقتل رسول رسول الله ﷺ ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره[(٣)].

وفي هذه الغزوة كان الحضور النصراني العربي واضحاً وقد انضم إلى الروم قبائل عربية من لخم وجذام والقين وبهراء وبليّ مائة ألف[(٤)]،هذه النزعة العدائية حتى من نصارى العرب يظهر أنها كانت بتدبير خبيث من هرقل لإيقاع العداوة والبغضاء بين صنوف العرب والمسلمين والنصارى. خوفاً من أن تجرف العصبية العربية هذه

(١) انظر: المسيحية العربية وتطوراتها، د. سلوى بالحاج صالح، ص١٢٧، مرويات السيرة النبوية لابن هشام عن موقف النصارى من نبوة الرسول ودعوته، د. صالح التجاني حمودي، ص٩٨.

(٢) مؤته: من قرى البلقان في حدود الشام وبها كانت تطبع السيوف. (معجم البلدان، ٥/ ٢١٩).

(٣) انظر: المغازي للواقدي ٢/ ٧٥٥-٧٥٦، طبقات ابن سعد ٢/ ١١٩، فتح الباري لابن حجر ٩/ ٣٦٨.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٤/ ٩

القبائل فيكونوا عوناً للمسلمين على العرب[1].

ثم تتابعت بعد ذلك السرايا والمعارك مع النصارى في عهد النبي ﷺ، وكان آخرها معركة تبوك، وهذا التحول في منازلة النصارى ومقارعتهم بالسيف بعد أن أقام عليهم حجة البيان استجابة لأمر الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣].

وقد استمرت حركة الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة، ودارت معارك طاحنة ضد الروم حتى انتهى الأمر بانتصار المسلمين وخروج الروم نهائياً من أرض المشرق وفرار هرقل إلى القسطنطينية. وتعد هذه الفترة من أهم العصور في انتشار الإسلام حيث وصل الإسلام إلى مناطق شاسعة من المعمورة في الشرق والغرب واستطاعت تلك الدول الإسلامية أن تفتح بلاداً كثيرة كانت تحت النفوذ النصراني، فمن ناحية الشرق توقفت الفتوحات عند عاصمة الدولة البيزنطية، وفي الشمال استطاع قادة الفتح الإسلامي أن يكسروا شوكة الروم في تلك النواحي حتى الأندلس منتصرين عليهم سنة ٩٢هـ.

يقول برنارد لويس[2]: "لقد وصل محمد إلى السلطة والحكم أثناء حياته، وقد أسس بنفسه أول دولة إسلامية، وحَكَمَها مع أصحابه، لقد انتهت مهمة الرسالة الروحية لمحمد بوفاته، ولكن رسالته الدينية والسياسية استمرت على يد خلفائه. وتحت حكم الخلفاء؛ تقدم المسلمون من انتصار إلى انتصار، وبالتالي نشأ خلال قرن واحد كيان شاسع الأصقاع، يمتد من حدود الهند والصين، إلى جبال البيرينيه،

---

(١) انظر: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، د. جميل المصري، ص١٤٥.

(٢) برنارد لويس: مستشرق بريطاني الأصل، يهودي المعتقد، صهيوني الفكر، أمريكي الجنسية، ولد سنة ١٩١٦م، له إسهامات كثيرة في مجال الاستشراق، نزع في البداية إلى دراسة الفِرَق التي انبثقت عن الإسلام، فكتب عن الحشاشين، وكتب عن أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة.(انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا)

وسواحل المحيط الأطلسي. وهو كيان يحكم ملايين الأتباع، وبأعدادٍ هائلة؛ ممن اعتنقوا الدين الجديد... إن تاريخ الدولة الإسلامية المبكر الذي يحظى بالقداسة؛ يشكل جوهر ولب ذاكرة ووعي المسلمين في كل مكان، وهو يحكي قصة الفتوحات السريعة المتواصلة، والتي تساقط أمامها زعماء العقائد الفاسدة التي تضطهد شعوبها. لقد وصل الإسلام إلى الانتصار النهائي؛ سواء من حيث العقيدة أو السلاح، وأوصل كلمة الله إلى البشرية كلها، وفرض الشريعة الإلهية على العالم كله"[1].

ومع ذلك فقد استمر الصراع بين المسلمين والنصارى في فترات متعددة، فما إن بدأت الجيوش الإسلامية تقترب من روما حتى شعر النصارى بالخطر وأخذ النصارى يتوحدون لمواجهة المسلمين وفي معركة حاسمة جنوب فرنسا في بواتيه استطاع شارل مارتل هزيمة المسلمين، وأن يسترد كثيراً من المدن التي تقع جنوب فرنسا وودع المسلمون تلك مكثوا سبعين سنة (٧٢٠- ٧٨٦م).، وقد أثرت هذه المعركة على المسلمين حيث وضعت حداً لتقدمهم في أوروبا من هذه الجهة، أما في العالم النصراني فقد أدى هذا الانتصار إلى إضفاء قدر من التقدير والإجلال على هذه الشخصية ودولته الذي اعتبره النصارى أعظم قائد أنقذ أوروبا من سقوطها في أيدي المسلمين وأطلقوا عليه لقب المطرقة[2].

وخلال الصدر الأول من خلافة بني العباس كانت الجيوش الإسلامية تشن حملات قوية ضد الدولة البيزنطية، وتم فتح بعض المدن والحصون وأجبروا حكام النصارى على دفع الجزية وإذلالهم عندما تطاولوا على بلاد الإسلام، ولكن كثرة الخصومات والنزعات أثرت على المسلمين فاستطاع النصارى أن يهاجموا مدينة دمياط المصرية وقتلوا وحرقوا وسبوا ورجعوا في مراكبهم ولم يتعرض لهم أحد، وقصد

(١) الإسلام والغرب: برنارد لويس، ص٥.

(٢) انظر: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، الأمير شكيب ارسلان، ص٩٣، وما بعدها، وقصة الحضارة، ٢٨١/١٣، وما بعدها .

كذلك ملك الروم بلاد الشام في عام ٢٤٨هـ في خلافة المنتصر وهزم المسلمون في مالطيه[1].

وفي النصف الثاني من القرن الخامس وقعت أحداث وصراعات بين المسلمين والنصارى من أشدها معركة " ملاذكرت " عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م، بين جحافل الإمبراطورية البيزنطية بقيادة ملك الروم "رومانوس"، والسلاجقة السُّنيين بقيادة السلطان ألب أرسلان؛ في معركة من معارك التاريخ الفاصلة، كان الظفر فيها حليف المسلمين[2].

ولم تتمكن بيزنطة بعد هذه الهزيمة من حشد جيش آخر لرد خطر المسلمين، بل فقدت في هذه المعركة لقبها وصفتها كحامية لأوروبا المسيحية ضد الإسلام في الشرق[3].

بعد هذه المعركة المهمة وتوغل السلاجقة في دولة البيزنطية وخوف ملوكها من سقوط القسطنطينية معقل النصارى في الشرق استنجدت الدولة بالبابوية في إيقاف التمدد الإسلامي. وقد وجدت هذه الدعوة رغبة ملحة عند البابوية في تحقيق آمالها في السيطرة على الكنائس الشرقية بالإضافة إلى الاستيلاء على الأراضي المقدسة التي بيد المسلمين.

ومن هنا بدأت حقبة تاريخية مظلمة شنها الغرب الصليبي ضد المسلمين وهي مرحلة الحروب الصليبية، التي انطلقت من غرب أوروبا النصرانية ووسطها إلى بلاد المشرق الإسلامي (سواحل الشام، ومصر، وآسيا الصغرى)، في سبع حملاتٍ متعاقبة، استغرقت قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠-٦٩٠هـ)، بالإضافة إلى استمرار الزحف

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٢/ ١٠١.

(٣) انظر: أثر العامل الديني في مواجهة الحركة الصليبية، ص١٦٢.

النصراني جنوباً على بقية الأندلس المسلمة، وبقية جزر البحر الأبيض المتوسط[1].

ولا شك أن هذا تحول خطير حيث بدأت المواجهة بين المسلمين والنصارى بتقدم البابوية هذه الفترة ورغبتها في الانقضاض على المسلمين.

ولم تقتصر الحرب الصليبية على المشرق، بل كانت هناك حروبٌ وصراعات مع النصارى في بلاد الأندلس والتي شجعت البابوية، تلك الحروب التي أطلقت عليها حرب الاستعادة الإسبانية وقد أعفت البابوية أسبانيا النصرانية من المشاركة في حملاتها ضد المسلمين في المشرق؛ لشعورها بأهمية إسبانيا ورغبتهم في تنصير المسلمين وإجلائهم منها، انتهت بسقوط آخر معاقل المسلمين سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م ليستمر بعدها النصارى في اضطهاد المسلمين مستخدمة كل الوسائل التي لم يعرف التاريخ لها مثيل من قتل وتعذيب ومحاكمات ظالمة.

وجاءت بعد الدولة العثمانية التي خاضت مع النصارى معارك طاحنة وقد فتح الله على يد قائدها المظفر محمد الفاتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، بعد أن استعصت على جيوش الإسلام قروناً طويلة، وكان هذا الفتح حدثاً مهماً اهتز له العالم الإسلامي فرحاً وسروراً، وهز أوروبا وسائر النصارى في العالم حزناً وثبوراً. وسقطت الدولة البيزنطية العريقة، وعُدّ ذلك التاريخ مبدءاً للتاريخ الحديث؛ لجلالة المناسبة، وعميق آثارها[2].

واستطاعت الدولة العثمانية أن تتوغل في أوروبا وأن تفتح مدناً كثيرة وحصوناً عديدة، وكثير من الأحيان كانت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية تؤجلان حربهما لمواجهة الدولة العثمانية. واستطاعت أن تتحد كل الكنائس في التآمر على الدولة

---

(١) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، ص٢٦٩.

(٢) انظر: مقال: العلاقات الإسلامية النصرانية رؤية شرعية في الماضي والحاضر والمستقبل، د. أحمد القاضي، ص٨، مجلة البيان العدد، ١٨٨ ربيع الأول ١٤٢٤ ـ مايو ٢٠٠٣.

العثمانية حيث أوقعتها في حروب وتحالفات غربية تخدم مشاريعهم ولذلك، سقطت تركيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى واحتل اليونان والحلفاء أجزاءً منها، وفي عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م أعلن قيام الجمهورية التركية وأسقطت الخلافة وألغيت في عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م وقد تم لأعداء الإسلام هدفهم المطلوب وهو إلغاء الخلافة الإسلامية ليشرعوا في تحقيق بقية أهدافهم المنشودة وهي:

* تمزيق الخلافة الإسلامية العثمانية.

* السيطرة على الأجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سلطان الاحتلال البريطاني والفرنسي.

*إنشاء دولة لليهود في فلسطين[1].

وقد استمر الغزو الصليبي على بلاد الإسلام سنوات طويلة بحركات استعمارية تحت شعارات براقة أفرزتها الثورة الفرنسية والتظاهر الدولي من قبل النصارى، بإقصاء البعد الديني في السياسة الدولية، والتستر وراء مسوِّغات اقتصادية، واستراتيجية، وأمنية، وإنسانية؛ ومع ذلك فإنها لم تفلح في حجب الدوافع الدينية المتأصلة لدى القوم، خلال هذه الفترة، كما تشهد بذلك عشرات الشواهد، التي مارس فيها النصارى كل صنوف الاضطهاد والتعذيب واستباحت دماء المسلمين بكل همجية وصلف مثل:

١- الدعم المتواصل والمتنامي لدولة إسرائيل، من قِبَل جميع الدول النصرانية.

٢-اضطهاد المسلمين في الفلبين من قِبَل الحكومات النصرانية المتعاقبة.

٣- اضطهاد الأكثرية المسلمة في الحبشة، وتنزانيا، والعديد من الدول الإفريقية؛

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي، د. جميل المصري، ص١١٩، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، علي بخيت الزهراني ص٧٥٠ - ٧٥١، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح، ص١٣٩.

من قِبَل الأقليات النصرانية الحاكمة.

٤-الإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة والهرسك، ثم مسلمي كوسوفا، من قبل الصرب والكروات، في التسعينيات الميلادية.

٥- دعم الدول النصرانية للحركات الانفصالية، والأقليات النصرانية في السودان، وإندونيسيا، وجنوب إفريقيا الوسطى.

٦-الغزو العسكري النصراني لأراضي أفغانستان، والعراق[(١)].

٧- المؤامرات التي تحاك ضد الدول الإسلامية وتوريطها في حروب مع بعضها البعض.

٨- الحرب الإعلامية، وتزييف الحقائق والوقائع وذكر اضطهادات ومآسي لبعض الاقليات النصرانية وجعلها سلاحاً للضغط على تلك الدول مثل نصارى الأرمن في تركيا والأقباط في مصر.

إذاً مواقف النصارى ضد المسلمين عبر هذه القرون الطويلة مليء بالصراعات والمؤامرات ولم تتوقف يوماً من الأيام عن الكيد والعداء وقد استخدمت في حربها على الإسلام وأهله شتى الوسائل والتي سنتحدث عن أبرزها في المسألة التالية.



(١) انظر: مقال: العلاقات الإسلامية النصرانية رؤية شرعية في الماضي والحاضر والمستقبل، د. أحمد القاضي، ص١٢وما بعدها، مجلة البيان العدد، ١٨٨ربيع الأول ١٤٢٤ ـ مايو ٢٠٠٣

المطلب الثالث
أساليب اضطهاد النصارى للمسلمين

لقد اتضح من خلال عرض وقائع اضطهاد النصارى للمسلمين عبر التاريخ الحقد الذي استولى على قلوب هؤلاء النصارى وكرههم المستمر للمسلمين، مما جعلهم يخوضون تلك الحروب والوقائع مع المسلمين بشتى الوسائل والإمكانات، فقد برزت أساليب متنوعة في مواجهة الإسلام في جانبه العقدي والعملي ومن تلك الأساليب ما يلي:

١-التشويه والتضليل:

لما صار الإسلام قوياً ومهيمناً على كثير من البلدان، وتزايد عدد الداخلين فيه بشكل كبير، أفزع اللاهوتيين النصارى، وتحسروا أن يندرس دينهم بهذه الصورة، فجندوا أنفسهم من أجل الوقوف في مواجهة هذا التقدم الإسلامي، فراحوا ينبشون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ، وذلك بعد أن فشلت المواجهات العسكرية في إيقاف تلك الفتوحات، وقد كان التشويه والتضليل مطية نصارى المشرق وكان كبيرهم "يوحنا الدمشقي"[(١)] وهو من نصارى الشام، ولد وعاش في العصر الأموي، وتضلع في اللاهوت، وألف كتباً كثيرة من ضمنها كتاب باليونانية بعنوان: الهرطقات، وأفرد فيه فصلاً عن الإسلام أطلق عليه اسم "هرطقة الإسماعيلية" ويقصد بالإسماعيلية العرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وهذا الفصل شديد الطعن اتهم فيه العرب بالهرطقة والضلال والخرافة واعتبرهم فرقة نصرانية متهرطقة وزعم أن محمداً كان رسولاً زائفاً ادعى النبوة زمن

---

(١) يوحنا الدمشقي (٦٧٥-٧٤٠م) لاهوتي، سوري، نشأ في بلاط الأمويين بدمشق، حيث كان يعمل أبوه، قاوم ما يسميه النصارى بدعة تحطيم الايقونات. له كتب منها: ينبوع الحكمة.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٢/ ١٩٨٩).

الإمبراطور هرقل بعد أن قرأ العهد القديم والجديد وتعلم من راهب أريوسي فتظاهر بالتقوى حتى استمال العرب إليه، وكان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك التشويه تحصين النصارى من أهل الذمة والحيلولة بينهم وبين الإسلام حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، ودخول كثير من النصارى على دينهم سوى اتهام الإسلام بالهرطقة وتشويه صورة النبي لتكون صورته في نظر النصارى صورة قبيحة حتى لا يقبلوا على اعتناق الإسلام.

وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد الدولة البيزنطية (دولة الروم) واستخدمه البيزنطيون في هجماتهم الفكرية على الإسلام، ثم ترجم إلى اللاتينية وأسهم في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر[1].

يقول إليكسي جورافسكي:"إذا كنا نتفق على واقعة أن التصورات الأوروبية على الإسلام تشكلت ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، فإننا يجب أن نشير إلى حقيقة أن هذه التصورات تكونت في كثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية، وتعد المؤلفات التي وصفها يوحنا الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٠م من أكبر الدراسات المسيحية الشرقية عن الإسلام. والواقع أن التصورات المتكونة عن الإسلام كبدعة مسيحية، مرتدة، ومنشقة، وعن محمد كنبي مزيف انتقلت من مسيحيي سوريا إلى البيزنطيين، ومنهم إلى الأوروبيين"[2].

وهكذا أصبحت كتابات يوحنا الدمشقي وأمثاله مصدراً لأية محاولة للكتابة عن الإسلام مباشرة، وظل النصارى لعدة قرون يظهرون صورة من الجهل كمن وضع في سجن محكم الإغلاق لا يسمح فيه إلا للإشاعات عما يحدث خارجه،

---

(١) انظر: الإسلام والمسيحية ص٧١.

(٢) نفس المصدر ص٧٣

ويحاول هذا السجين أن يكوِّن صورة لما يسمع بمساعدة أفكاره السابقة[1].

لقد كان تشويه صورة الإسلام وبث الضلالات حوله هدفاً مرسوماً للإمبراطورية البيزنطية وأوروبا سواء على الصعيد العقدي أو الصعيد الدعائي من جانب المؤرخين الأوروبيين المدعومين بعلماء الدين المسيحي في البلاد الخاضعة لسيطرة المسلمين، وقد تبعهم في نفس المنهج قساوسة أوروبيون بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى يومنا هذا، وقد كانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكتاب لم يعدموا الجهل بالأحاديث التاريخية كما لم يحرموا موهبة تلفيق الأكاذيب[2].

وبشكل عام قد تكونت في وعي الأوروبيين في القرون الوسطى ملامح اللوحة التالية عن الإسلام:"أنه عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، أنها دين الجبر، والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الجنسية، أنها ديانة العنف والقسوة"[3].

وهناك أيضاً مشاريع قامت على تشويه صورة الإسلام ومنها اقتبس الفكر الغربي هذه الأفكار ومن أخطرها ما يسمى بالمشروع الكلوني الذي حدث سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م، والذي يعتبر المشروع الغربي لتشويه صورة الإسلام، وينسب هذا المشروع إلى دير كلوني في جنوب فرنسا الذي تأسس سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م وكان لهذا الدير دور بارز في تاريخ النصرانية فيما يعرف "بالإصلاح الكلوني" وعلى وجه الخصوص في تأجيج الروح الصليبية في حرب الاستعادة الإسبانية، ولكن الفترة التي تولى فيها الراهب بطرس المبجل -عندهم- كانت أوروبا مشغولة عنه بتمويل

(١) انظر: صراع الغرب الإسلام، آصف حسين ص٢٨

(٢) انظر: دفاع عن محمد، عبدالرحمن بدوي ص٣.

(٣) انظر: الإسلام والمسيحية، ص٧٥.

الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ضد منطقة شرق المتوسط، مما أدى إلى الانشغال عن الحروب الإسبانية ضد المسلمين، وهذا مما جعله يلجأ إلى أساليب التشويه والتضليل[1].

٢- إثارة الشبهات والمحاجة بالباطل:

بعد حوالي نصف قرن من الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين أدرك دهاقنة اللاهوت النصراني أن المسلمين يشكلون تهديداً لهم، وأن الصراع العسكري مع الإسلام لا يكفي وحده لإسقاطه وطمس معالمه، ومن هنا دعت الضرورة إلى معرفة مرتكزات الإسلام ومنطلقاته لهدمها وتشويهها وهكذا بدأ اللجوء إلى سلاح الفكر والثقافة لتشويه صور الإسلام، وهذا أمر تشهد به تواريخ الكنائس النصرانية والتي ترى أن إعادة الناس إلى فلك الكنيسة لن يكون إلا عن طريق الكلمة والإقناع والحجة والطعن والتشكيك في الإسلام[2].

يقول ريتشارد سودرن: "وقد أدرك ألد أعداء الإسلام بين الأوروبيين أن الصراع العسكري معه لا يكفي لإسقاطه، وأنه لابد من اشتغال أعمق بفهم مضامينه ومحاولة نقضها وكانت حجتهم في إقبالهم على دراسة الإسلام ضرب إرادة المقاومة عند الخصم عن طريق تشكيكه بصحة عقيدته"[3]

ومن أبرز من ناصر هذا الاتجاه ودعمه وقواه في هذا العصر الراهب الفرنسي بطرس المبجل أو الموقر[4] -كما يصفه النصارى- والذي ترأس دير كلوني وهو في سن

---

(١) انظر: تقويم تجربة الحوار بين المسلمين والنصارى وضوابط ذلك، د.أحمد القاضي، ص١١.

(٢) انظر: مقال بعنوان: ترجمة القرآن إلى اللاتينية انطلاقة لحركة الاستشراق، عباس أرحيلة.

(٣) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى،ريتشارد سودرن، ترجمة د. رضوان السيد، ص٨٦.

(٤) بيير موريس دي مونتيوسير (١٠٩٢-١١٥٦م) راهب فرنسي، ترأس دير كلوني، وترجم القرآن إلى اللاتينية، كما ساهم في الدعوة إلى الحملة الصليبية الثانية، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص١١٢.

الثلاثين من عمره، وقد عقد اتصالات سياسية بأفراد فرنسا وإسبانيا، وسعى إلى تسليح الكنيسة فكرياً لمواجهة الهرطقات- حسب تصوره- وكانت غايته تزويد النصارى بحجج سليمة لتثبت إيمانهم خوفاً عليهم من الدخول في الإسلام[1].

ويعتبر رئيس كهنة دير كلوني "بطرس" المعروف بالمبجل أول من مهد الطريق للمجادلة العقلية مع الإسلام.وقد استعان "بطرس" هذا بجملة من المستعربين في ترجمة بعض الأحاديث، وكتابة بعض المقالات والمحاورات المزعومة، كما وجه بنفسه خطاباً مفتوحاً إلى العرب أبناء إسماعيل الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً. كما صنف كتاباً أسماه "دحض العقيدة الإسلامية" ضُم لاحقاً إلى ترجمات أتباعه وعرفت المجموعة باسم "المجموعة الطليطلية" أو " فيلق كلوني" وهي المجموعة التي صارت بالنسبة للأوروبيين المصدر الرئيسي للمعلومات والمعطيات عن الدين الإسلامي على مدى خمسمائة عام تقريباً[2].

كان "بطرس" يرى في الإسلام "هرطقة مسيحية" هي آخر الهرطقات وأشدها ضرراً، واعتقد "بطرس" أن التحدي الإسلامي لم يجد إجابة مسيحية مناسبة حتى أيامه، ولهذا رأى أنه من الضروري مواجهة هذه الهرطقات التي شكلت -بزعمه- الأصل والمنبع لكل الهرطقات التي كانت تغزو المسيحية الأوروبية، فإذا كان الإسلام لا يشكل خطراً عسكرياً مباشراً فلا شك أنه شديد الخطورة فكرياً، لذا لابد من التعرف عليه لتمكن مكافحته[3].

وربما تلك المجادلات العقلية والطقوس التي قدمها بطرس لم تكن تجدي نفعاً في عصره لكنه يدرك خطورتها على الإسلام وأنها ستكون مرجعية للفكر الغربي فيما بعد فكان يقول: "إذا بدا أن العمل الذي أدعو له غير ضروري الآن لأن العدد لن

---

(١) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي، ص٣٨٦-٣٩٦.

(٢) الإسلام والمسيحية، ص٨٤.

(٣) انظر: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ص٨١

يتأثر بهذا السلاح، أجيب أن بعض الأعمال التي تجري في مجال سلطة الملك الأفخم إنما تتم من أجل ضرورات الدفاع، أما بعضها الآخر فليس له غير مهمة تزيينه، والباقي يجري للمستقبل لا الحاضر، فسليمان المحب للسلام كان يصنع سلاحاً لم يستغل في أيامه، وداود أمر بصنع زخارف للهيكل رغم عدم تبين معاصريه فائدة مثل هذا العمل...وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يمكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحين السذج الذين يمكن أن تغير هذه الصغائر عقيدتهم[(١)].

وقد أخذ هذا الاتجاه ينتشر في العصور الوسطى، وبرز بعض هؤلاء اللاهوتيين النصارى يؤلفون الكتب ضد دين الإسلام وعقيدته، ومنهم القس "توما الأكويني"[(٢)] والذي يعد أكبر مفكري الغرب في العصور الوسطى، والذي أصبح فكره بمثابة المذهب شبه الرسمي للكنيسة الكاثوليكية، وقد ألف كتاباً أسماه "جامع الحجج في جدال الكافرين" وقد قرر الأكويني حتمية عقد المناظرات والمحاورات الجدلية مع الوثنيين(بمن فيهم المسلمون حسب رأيه) بناء على البراهين العقلية، وليس وفق مفاهيم الكتاب المقدس وشهرته فقط[(٣)].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٨١-٨٢.

(٢) توما الأكويني: (١٢٢٥-١٢٧٤م) من فلاسفة القرن الثالث عشر، ولد في روكاسيكا بالقرب من نابولي، تلقى تعليمه في دير مونت كاسينو، ثم أنتقل إلى جامعة نابولي لدراسة الفنون العقلية، انضمّ إلى جماعة الوعاظ المعروفين بالرهبان الدومينكان، ثم درس اللاهوت في باريس، واشتغلت بمهنة التدريس في جامعة باريس. من كتبه: الخلاصة اللاهوتية، الخلاصة ضد الوثنيين.(انظر: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، يوسف كرم، ص١٣٥ وما بعدها، تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي بين القديس توما الأكويني والأب متى المسكين، د. عايدة أيوب، ص٢١وما بعدها).

(٣) انظر: الإسلام والمسيحية ص٨٥.

٣- الحروب الصليبية[(١)]:

من أعظم الأساليب التي تبين مدى تأصل الحقد النصراني على المسلمين - والصورة القاتمة التي حملتها هذه الحروب من اضطهاد ديني مروع ضد المسلمين - الحروب الهجومية التي قام بها النصارى خلال فترة العصور الوسطى واستمرت قرنين من الزمان(٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م- ٦٩١هـ/ ١٢٩١م) وقد أطلق عليها الحروب الصليبية أو حروب الفرنج كما سماها المؤرخون المسلمون الذين عاصروها[(٢)].

وقد أطلق الغربيون على هذه الحروب في تواريخهم أسماء عدة منها:

" الحج إلى الديار المقدسة " " الحرب في خدمة المسيح "، " أعمال المسيحيين وراء البحار "، " الحرب من أجل تحرير القبر المقدس "[(٣)].

إن مبدأ انطلاق الحروب الصليبية إلى بلاد المسلمين تشجعه وتسانده الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها في بث الحقد الصليبي بين رعاياها من العساكر والعامة حتى تولد عندهم دافع قوي في غزو بلاد المسلمين، فهذه الحركة الصليبية لم تكن لترى النور إلا بعد أن مهدت الكنيسة الكاثوليكية الأرضية المناسبة لها وذلك بصياغة أيدلوجية الحرب المقدسة. وقد ترسخ عند الكنيسة الكاثوليكية أن كافة أشكال الإيمان المخالفة لعقيدتها ينبغي سحقها، ومن هذا الخط بدأ التطور الذي أدى إلى وجود فكرة الحرب المقدسة ثم الصليبية داخل نطاق فكرة الحرب التي لم تكن تفرق بين الحرب الهجومية والدفاعية[(٤)].

---

(١) سميت بذلك لان الفرنجة كانوا يخيطون صلبان القماش على ستراتهم، وكان هذا عقب خطبة أوربان الثاني في كليرمون. (انظر: ماهية الحروب الصليبية، الأيدلوجية- الدوافع - النتائج، د. قاسم عبده قاسم، ص١٣-١٤).

(٢) مثل ابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير.

(٣) انظر: ماهية الحروب الصليبية ص١٤.

(٤) انظر: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم ص١٧.

وكان تأثير البابوات كبيراً في إضفاء الشرعية على الحرب من قبل الكنيسة، ففي ديسمبر سنة٨٥٣م طلب البابا ليو الرابع مساعدة الجيوش الإفرنجية ضد المسلمين الذين هاجموا روما، ووعدهم بأن من يموت في خضم الصراع سوف يجد مكافأة على ذلك في السماء وهو الخلاص.

ولا شك أن هذا يعتبر صياغة جديدة في أيدلوجية الحرب المقدسة، فالبابوية لم تكن قد باشرت في تنظيم الجيوش وتوجيهها للحرب حتى القرن التاسع.

وقد برزت هذه الفكرة بصورة أوضح على يد البابا يوحنا الثامن الذي طلب في سنة٨٧٦م مساعدة شارل الأصلع ضد المسلمين، بل انه ربط غفران الذنوب ونيل الخلود بأولئك الذين يموتون دفاعاً عن الكنيسة والديانة النصرانية(١).

وفي عهد اسكندر الثاني حيث منح المحاربين النصارى الغفران، وإعفاء من التوبة، واعتبر قتالهم للمسلمين بمثابة تكفير عن خطاياهم، وقد شجع الحرب ضد المسلمين في إسبانيا فنجده يستثني ذبح المسلمين من التحريم الكنسي العام للقتل، كما يكشف بوضوح تام عن مساندته للحرب الكاثوليكية ضد المسلمين في إسبانيا فنجده يقول: "بتأكيد بابوي نحث أولئك الذين قرروا الذهاب إلى إسبانيا على أن يولوا جل انتباههم لإنجاز مهمتهم بنصيحة مقدسة...فإننا بسلطة الحواريين المقدسيين، بطرس وبولس، نعفيهم من توبتهم ونمنحهم الغفران لخطاياهم على حين تصحبهم صلواتنا"(٢).

إن تلك الوعود التي كان يطلقها الباباوات للمحاربين النصارى بالحصول على الغفران العام وإسقاط كل الأوزار عنهم محفز للنصارى على القتال ولذلك ربطت الكنيسة غفران الذنوب وإسقاطها بمشاركة المقاتلين في تلك الحروب التي وجهتها

---

(١) المصدر السابق ص١٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٠-٢١

ضد المسلمين[١].

وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر بلغت الكنيسة مرحلة حاسمة في تاريخها وذلك في عهد البابا "جريجوري السابع[٢]"، أعظم بابوات العصور الوسطى وهو المبتكر الحقيقي لفكرة الحرب المقدسة في العصور الوسطى ضد المسلمين، بل أنه صمم عام ١٠٧٤م على أن يقود حملة نحو الشرق، لنجدة الإمبراطورية البيزنطية ضد هجمات السلاجقة المسلمين[٣]وكذلك من أجل التوسع تحت قناع زائف من الدعاوى الدينية.

وقد اعتبر جريجوري السابع داعية " لاهوت عمل مسلح " وبوصفه منشئ جيش القديس بطرس الرسول، وبوصفه البابا الذي آمن إيماناً راسخاً بأن من حقه أن يستخدم ليس فقط السيف الروحي وإنما أيضا السيف المادي إذا ما احتاجت إلى ذلك الكنيسة الرومانية[٤].

وكان ينادي بأعلى صوته قائلاً: "إن تعريض حياتي للخطر في سبيل تخليص الأماكن المقدسة لأفضل عندي من حكم العالم كله"[٥]وعلى الرغم من أن جريجوري السابع لم تسفر خططه عن شيء، لكن مشروعه بالتدخل العسكري في الشرق يعتبر

---

(١) انظر: ماهية الحروب الصليبية ص٤٤.

(٢) جريجوري السابع، (١٠٢٠- ١٠٨٥م). انتخب بابا عام ١٠٧٣م بإيطاليا. يعتبر أحد أبرز البابوات في القرون الوسطى. عزَّز سلطة الكرسي الرسولي الزمنية.نشب صراع بينه وبين الإمبراطور هنري الرابع حول تعيين الأساقفة. قام بتجديد العمل بالمراسيم البابوية التي حرمت زواج رجال الدين النصارى، كما حرمت السيمونية. (انظر: موسوعة المورد العربية ٣/ ٨٠٣).

(٣) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ص٦٥-٦٦، السلام الصليبي، توماس ماستناك، ص١٢٠.

(٤) انظر: السلام الصليبي توماس ماستناك، ترجمة بشير السباعي، ص١١٥.

(٥) قصة الحضارة ١٥/ ١٤.

خطوة هامة في سبيل تطوير الفكرة الصليبية، إذ كانت تلك هي المرة الأولى التي يتم فيها الإعلان عن مشروع لشن حرب مقدسة تحت البابوية، لقد كان مشروع جريجوري هو الرحم الذي ولدت فيه الفكرة الصليبية التي تجمع بين الحرب المقدسة والحج[(١)].

وهكذا في عهد أوربان الثاني كانت فكرة الحرب المقدسة قد رسخت تماماً في الفكر الكنسي، وقد كان أوربان الثاني متحفظاً وداعية وفاق بل ومسالماً عندما تتعلق بالنضالات والحروب داخل العالم النصراني، وينقلب للضد تماماً عندما يتعلق الأمر بالحروب خارج الجماعة النصرانية ضد المسلمين خاصة، فتتلاشى تحفظاته تماماً، فقد أصبح أوربان منظم الحملة الصليبية الأولى[(٢)].

ويمكن القول أن أوربان الثاني هو الذي وجه الدعوة إلى الحملة الصليبية، فقد استطاع أن يجمع عروض الأفكار المقبولة لدى الجماهير لتنبثق فكرة الحملة الصليبية[(٣)].

وتظهر خطورة هذا البابا أنه كان هو المحرك الحقيقي لتلك الحملات، وهو الذي بدأها "فأوربان الثاني قد رفع إلى أعال جديدة العداوة تجاه المسلمين والتي كانت حتى ذلك الحين نائمة في الغرب اللاتيني"[(٤)].

وسوف أتحدث عن هذا البابا ومشروعه الصليبي في الاضطهاد في أمور منها:

---

(١) انظر: الخلفية الأيدلوجية للحروب المقدسة ص٢٣، بتصرف، السلام الصليبي، توماس ماستناك ص١٢٠.

(٢) انظر: السلام الصليبي ص١١٦.

(٣) انظر: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية ص٢٤.

(٤) السلام الصليبي، توماس ماستناك ص١٦٦.

أولاً: الظروف التي ساعدته على هذا المشروع:

أ-بدأت في أوروبا حركة إحياء دينية مع مشرق شمس القرن الحادي عشر، وانبعثت من دير كلوني في برجنديا بفرنسا ودعت إلى نشر العفة والصلاح والنظام، وقد سرت موجة بالإحساس بالذنب والرغبة في التوبة وتعمق لدى الناس الشعور بالخطيئة وتوقعهم لمجيء يوم الدينونة، وانتشر الوعاظ الجوالون في أنحاء المغرب الأوروبي يحثون الناس على الزهد والتوبة والتشبه بحياة الفقر التي عاشها الحواريون، وفي غمرة هذا التدين العاطفي انبثقت عنه مشاعر الكراهية والتعصب ضد أتباع الديانات الأخرى بل وضد من يعتنقون مذهباً غير المذهب الكاثوليكي[(١)].

ب-أن أوربان الثاني قد شب وترعرع في وسط كانت فيه الحروب المسيحية المقدسة ضد المسلمين في غربي أوروبا تشغل مكاناً كبيراً، وتلقى علومه في أديرة كلوني التي كانت تقوم بدعاية واسعة لحث الغربيين على الذهاب إلى إسبانيا لمساعدة الدويلات النصرانية في الشمال ضد المسلمين في سبيل الاستيلاء على شبه الجزيرة الأيبيرية، ولذلك نراه يأخذ بهذه المبادئ الكلونية، ويتشبع بها، كذلك كان أوربان نفسه من رعايا مدينة شامبانيا شرقي فرنسا التي أسهم فرسانها بنصيب كبير في تلك الحملات الإسبانية، وفضلاً عن ذلك فقد كان من المقربين إلى البابا الراحل جريجوري السابع ومن كبار مستشاريه، ومن هنا يمكن القول أن أوربان لم يرث عن جريجوري كرسي البابوية فحسب، وإنما ورث معه أفكار البابا الراحل في مسألة الحرب المقدسة ضد المسلمين[(٢)].

ج-استغل أوربان الثاني الدعاية والحوادث القديمة من أجل توسيع تلك

---

(١) انظر: الخلفية الأيدلوجية ص٢٢-٢٤، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. أحمد الشامي ص٦٠، تاريخ الحروب الصليبية،د.محمود سعيد عمران ص١٤.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. جوزيف نسيم يوسف، ص٢٦- ٢٧ بتصرف

الحملات وقد ساعد على ذلك جهل المقاتلين والفرسان الصليبين بعدوهم الذي لم يعرفوا عنه سوى أنهم جماعة من الوثنيين، وأقنعهم أن الحرب التي اتجهوا إليها حرب مقدسة، كما استخدم البابا حادثة إحراق كنيسة القيامة قبل حوالي تسعين عاماً في إلهاب المشاعر، كما استعمل عبارات رنانة في إذكاء روح الكراهية ضد المسلمين، ومن هذه العبارات أنهم كانوا يختنون المسيحيين، ويهرقون دم الختان على المذبح في الكنائس ويشقون بطونهم ويخرجون أحشاءهم، ويصلبونهم وأنهم كذلك يغتصبون النساء[1].

يقول د. قاسم عبده قاسم: "كانت نفوس غالبية الفرسان تمور بالرغبة في قتال المسلمين الذين أشاع دعاة البابوية والمبشرون الجوالون أنهم يدمرون الكنائس ويقتلون المسيحيين في الشرق، وأنهم يسببون كثيراً من الضيق والأذى للحجاج المسيحيين المسافرين إلى الأراضي المقدسة. لقد لجأت البابوية إلى كل الحيل الدعائية في صياغة الأيدلوجية الصليبية، فعمدت إلى الكذب، وتزوير الوثائق، والمبالغة، وترويج قصص الأحلام المقدسة والرؤى الإعجازية"[2].

د-سيطرة الإقطاعية في الغرب، فكان فيه كثير من الأشراف والفرسان بلا إقطاعات ولا أراض، وكثير من عبيد الأرض والأقنان بلا مال ولا معاش، وكانوا كلهم يتحرقون شوقاً إلى القتال لتحقيق أهدافهم المادية، وأخذوا فعلاً ليقاتلوا في معارك دامية لا نهاية لها، وتناقل إلى مسامعهم أخبار الشرق من تفكك الدولة الإسلامية وضعفها، وكثرة الثروات وسعة الأراضي، وأن دولة الروم النصرانية في خطر عظيم، فهاجت العواطف وتحمست النفوس واستعد الناس للحملات الصليبية[3].

---

(١) انظر: دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وعلاقاتها بالشرق، د. محمد فوزي رحيل ص٢٢٣-٢٢٤، الخلفية الأيدلوجية ص٩٨.

(٢) الخلفية الأيدلوجية، ص٩٨-٩٩.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية المطران ميشيل يتيم، والاشمندريت إغناطيوس ديك ص٢٢٠. الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية ص٧٣، ص٨٨.

ثانياً: دعوة أوربان الثاني للحروب الصليبية:

أعلن أوربان عدة مجامع في أوربا من أجل الدعوة إلى هذه الحروب ومن تلك المجامع ما كان في مارس عام ١٠٩٥م بمدينة بيانزا في إيطاليا، ولكن هذا المجمع فشل في تكوين تحالف صليبي للحرب المقدسة، ومع هذا الإخفاق لم يثن ذلك البابا عن عقد مجمع آخر في شهر ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م في مدينة كلير مونت(١) بفرنسا، وهرع إليه آلاف الناس من مائة صقع وصقع لم يقف في سبيلهم برد نوفمبر القارس، ولم تتسع لهم المدينة حتى نصب القادمون خيامهم في الأراضي المكشوفة، وعقدوا اجتماعاً كبيراً لا يتسع له بهو، وامتلأت قلوبهم حماسة حين وقف على منصته وألقى عليهم باللغة الفرنسية أقوى الخطب وأعظمها أثراً في تاريخ العصور الوسطى(٢)، ولخطورة هذا المجمع وما يترتب عليه من حروب ضد المسلمين سنتناول الحديث عنه في العناصر التالية:

١- دواعي نجاح هذا المجمع:

نجد أن أوربان أخذ كل الاحتياطات من أجل إنجاح هذا المجمع فقد قام بعدة جولات في كل فرنسا، وذلك لدعوة الأساقفة ورؤساء الكنائس بالإضافة إلى ملوك وأمراء أوروبا لحضور هذا المجمع، فلم يكتف بتوجيه الرسائل المكتوبة بل اعتمد على اللقاء بهم وتحميسهم والتشاور معهم في تحديد الزمان والمكان، بالإضافة إلى أنه زار دير كلوني وتحدث مع أناس اهتموا بمسيرة الحجاج إلى بيت المقدس ووقف منهم على ما تعرض له الحجاج وقتذاك من متاعب وهم في طريقهم إلى فلسطين، وما أصاب سلطة الأتراك من وهن وتفكك، وكذلك جلس مع أسقف كلير مونت وصحبه

---

(١) كلير مونت: مدينة في فرنسا قاعدة محافظة بوي دودوم، (انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٤٦٦).

(٢) انظر: قصة الحضارة ١٥/ ١٤، العلاقات السياسية والكنسية، د. عادل زيتون ص٨٤، مختصر تاريخ الكنيسة، اندروملر، ص٢٥٩.

إلى مقر أسقفته استعداداً للمجمع[1].

الأمر الآخر أن أوربان كان في اختياره لهذه المدينة عناية فائقة فقد اتجه إلى بلاده الأصلية فرنسا من أجل معاونته على نجاح مشروعه المرتقب، وخاصة أن فرنسا كانت بمثابة منطقة تماس مع الحرب التي شنها الإسبان ضد المسلمين في إسبانيا، بالإضافة إلى أن مجرد طرح الفكرة على الأرض الفرنسية كان من الممكن أن يحقق نجاحاً فورياً من خلال أنها الموطن الأصلي للبابا وهو أدرى بشعابها، خاصة وأنها -في نفس الوقت- ذات تاريخ خاص مع الإسلام خلال معركة بواتيه -بلاط الشهداء- والتي فيها هزم المسلمون وتم وقف المد الإسلامي وإعاقته عن الامتداد فيما وراء جبال البرانس[2].

وأمر ثالث أن أوربان الثاني تحدث إلى الشعب الفرنسي باللغة الفرنسية ولم يستخدم اللغة اللاتينية، حتى يكون كلامه مفهوماً واضحاً ولا يترك مجالاً للشك في جدية ما يقول[3].

٢- الخطبة التي ألقاها أوربان في المجمع:

لقد اشتهر خطاب أوربان في هذا المجمع اشتهاراً كبيراً، وكان له أثر بالغ في نفوس النصارى المجتمعين حتى قال أحد المؤرخين في وصف هذه الخطبة: "ربما لم يحدث في التاريخ مطلقاً أن خطبة إنسان عملت ما عملته خطبة أوربان الثاني في مجتمع كلير مونت، وأنتجت ما أنتجته من الآثار الثابتة بعيدة المدى"[4].

وقد يكون في هذا الكلام كثير من المبالغة لكن لا شك أن هذه الخطبة كانت

---

(١) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د. محمد صالح منصور ص١٨٩-١٩٠ بتصرف.

(٢) انظر: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، د. محمد مؤنس ص٦٦.

(٣) انظر: العلاقات بين الشرق والغرب، عزيز سوريال عطية. ص١٠.

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة ملر ص٢٥٩.

شرارة تلك الحرب وذلك الإعلان.

وقد نادى أوربان في هذه الخطبة جموع النصارى قائلاً: "يا شعب الفرنجة! شعب الله المحبوب المختار!... لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية، أنباء محزنة تعلن أن جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين، وخربها بما نشره فيها من أعمال السلب وبالحرائق؛ ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم وقتلوا الآخر بعد أن عذبوهم أشنع التعذيب. وهم يهدمون المذابح في الكنائس، بعد أن يدنسوها برجسهم، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع عليكم أنتم- أنتم يا من حباكم الله أكثر قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوى قلوبكم- أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم- فليثر هممكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا، الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست.. لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شئون أسركم. ذلك بأن هذا الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيهم من الطعام، ومن اجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً، وتتحاربون، ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث، وتملكوها أنتم. إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج. إن

المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السموات"[1].

لقد كان لهذه الخطبة أثرها الكبير في نفوس المجتمعين، فبعد أن أنهى أوربان خطبته صرخ المجتمعون صرخة صارت فيما بعد شعار الصليبيين وأنشودة هتافهم في الحرب " هذه مشيئة الله، هذه مشيئة الله"[2].

وذكر ديورانت نقلاً عن وليم مالمزبري قوله " وتقدم بعض النبلاء من فورهم وخروا راكعين بين يدي البابا، ووهبوا أنفسهم وأموالهم لله"[3].

وقد حذا حذوهم آلاف من عامة الشعب، وخرج الرهبان والنساك من صوامعهم ليكونوا جنود المسيح بالمعنى الحرفي[4].

ومن خلال تلك الخطبة في ذلك المجمع سوف أناقش بعض الأمور منها:

أ-ركائز خطاب أوربان الثاني:

من خلال النصوص التي وردت عن خطبة أوربان يمكن تحديد هذه الركائز بما يلي:

الأولى: الدعوة إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين، اعتماداً على نصوص وردت في الأناجيل وأهمها نص من إنجيل لوقا يقول: "ومن لم يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"[5].

الثانية: أنه يدعو إلى هذه الحملة المقدسة باسم الرب بوصفه نائباً عنه في الأرض.

---

(١) قصة الحضارة ١٥/ ١٥، وانظر: وثائق الحروب الصليبية ص٩٩-١٠٠.

(٢) المرجع السابق ١٥/ ١٦.

(٣) المرجع السابق ١٥/ ١٦.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) لوقا ١٤/ ٢٧.

الثالثة: امتدح البابا شجاعة الفرنج كما امتدح قدراتهم القتالية، وذكرهم بأسلافهم وأمجادهم، وأدان حروب بعضهم ضد بعض، واقتتالهم المستمر وحثهم على نبذ المنازعات والخلافات فيما بينهم وتوجيه حروبهم ضد المسلمين، كما طرح أمام مستمعيه إمكانية إقامة ممالك في فلسطين، الأرض التي تفيض باللبن والعسل، ووعد ببسط الحماية البابوية على أملاك وعائلة كل من يشارك في الحملة الصليبية.

الرابعة: أنه باعتباره من يحفظ مفاتيح ملكوت السماء وعد من يشاركون في الحملة بغفران خطاياهم سواء مات في الطريق إلى الأرض المقدسة أو قتل في الحرب ضد المسلمين.[1]

ب- دعاوى أوربان الثاني لتوجيه الحملات الصليبية ضد المسلمين:

أخذ أوربان الثاني يكيل الدعاوى الكاذبة والأخبار المزيفة من أجل بث الدعاية المغلوطة لكي يستثير الرهبان والقسس والأمراء وعامة النصارى من أجل بلورة فكرة الحروب الصليبية وانفاذ تلك الحملات، ومن تلك الدعاوى:

١- ادعى البابا أوربان الثاني أن النصارى الذي يحجون إلى الأماكن المقدسة يجدون عنتاً شديداً وقاسياً واضطهاداً من المسلمين، وأن الطريق إلى بيت المقدس غدا موصداً في وجه الحجاج النصارى.

ولا شك أن مثل هذه الدعاوى عارية تماماً عن الصحة وهي من المبالغات والحرب الدعائية التي استخدمتها البابوية من أجل إقناع عامة النصارى بتلك الحملات، وإلا فإن الحج لم يتوقف طوال العصور الإسلامية.

ولما كان الإسلام قد أوصى بأهل الذمة خيراً وترك لهم الحرية الدينية قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠].

(١) انظر: ماهية الحروب الصليبية ص١٠٥-١٠٦، التاريخ الوسيط ص٤٠٠.

وأن النصارى زمن الحكم الإسلامي سواء كانوا حجاجاً أو غير حجاج، تمتعوا بحرية كاملة في أداء شعائرهم، ولا ينتقص من الحقيقة تصرف مؤقت من أحد من الحكام مثل الحاكم العبيدي الحاكم بأمر الله[(١)] الذي عرف بشذوذه؛ لأن مثل هذا التصرف يعتبر ظاهرة عابرة تعود الأمور بعدها إلى ما كانت عليه من صفاء وتسامح[(٢)].

من ناحية أخرى كان الحج من مصادر الدخل الهامة لحكام هذه المناطق، لاسيما بعد ازدياد رحلات الحج وأعداد الحجاج؛ إذ كان الحجاج يدفعون رسوماً، وينفقون أموالاً على الإقامة والغذاء وغير ذلك، ومن ثم لم يكن هناك ما يدعو لوقف رحلات الحج.[(٣)]

أما إذا حدثت بعض الأمور التي يذكرها الغربيون فهي من باب شحن النفوس ضد المسلمين ليخلصوا من هذه الضريبة التي يدفعونها، وتصبح لهم الأماكن المقدسة ملكاً خالصاً، كذلك لا يمكن أن ننكر إمكانية حدوث بعض النهبات نتيجة الحالة الحربية التي شهدتها الشام خلال تلك الفترة فكان لابد أن تقع مثلها نتيجة الفوضى وعدم النظام وهي على أي حال حالات فردية لا يمكن من خلالها جعلها حكماً عاماً

---

(١) منصور بن العزيز بن المعز، الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية، ولد سنة٣٧٥هـ، قال الذهبي عنه: "كان شيطانا مريدا جبارا عنيدا، كثير التلون، سفاكا للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر جواداً ممدحاً، له شأن عجيب، ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاما يلزم الرعية بها" أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم وأمر عماله بالسب وقتل الكلاب وابطل الفقاع والملوخية وحرم السمك الذي لا فلوس عليه، وحرم بيع الرطب ومنع بيع العنب والكرم، وأمر النصارى بتعليق صليب في رقابهم زنته رطل وربع بالدمشقي وهدم كنيسة القيامة في القدس.اغتيل واختفى أثره سنة ٤١١هـ.(انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٣ وما بعدها).

(٢) الحروب الصليبية الأولى، د. حسن حبشي، ص١٩، الحركة الصليبية سعيد عاشور ١/ ٣٠-٣١، الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، ص٩٢.

(٣) انظر: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، ص٩٣.

ضد النصارى.[(١)]، ولا تصل -مهما بلغ الأمر- إلى مبالغات النصارى الذي الذين أخذوا يهولون الأمر في أوروبا ويصفون المسلمين بالتعصب واضطهاد وانتهاك حرمة أماكنهم المقدسة[(٢)].

٢- ادعى أوربان الثاني كذلك أن نصارى المشرق يحصل لهم اضطهاد كبير من المسلمين وأنهم ذبحوهم وحولوا كنائسهم إلى إسطبلات لخيولهم، وأن دماء النصارى تنادي بني جلدتهم من أجل إنقاذهم من براثن أعدائهم الكفار، وقد انتحلوا بعض الوثائق الكاذبة؛ فهذا " الكونت ديان" يحاول أن يثبت أن اضطهاد النصارى في المشرق كان من أهم أسباب حركة البابوية، اعتماداً على ما اعتقد أنه رسالة من بطريرك بيت المقدس والنصارى إلى أوربان الثاني وجميع أمراء الغرب[(٣)].

ومثل هذا الكلام وهذه الدعاوى ليس لها شيء من الصحة أو الواقع إذ أنه لا توجد وثيقة واحدة تسجل أن نصارى الشرق قد استعانوا بالبابوية أو بالغرب وما ذكره الكونت ديان من رسالة بطريرك بيت المقدس فهذا الرأي لا يلقى قبولاً بين المؤرخين المحدثين، وهناك أمر آخر يرد مثل هذا الادعاء وهو أن النصارى الذين كانوا يعيشون في ديار الإسلام من أتباع الكنائس الشرقية مثل النساطرة واليعاقبة، الذين يخالفون الكنيسة البيزنطية في عقيدتها[(٤)] وبينهم خلافات وانشقاقات كبيرة ومع ذلك نجدهم ينعمون في بلاد المسلمين بوافر حقوقهم وعاشوا قروناً طويلة في بلاد الشام وغيرها دون أن يكون لهم اضطهاد أو تعذيب، كما لا تتوافر لدينا أية معلومات عن حادثة واحدة ارتكبها الأتراك المسلمون في حق النصارى الشرقيين[(٥)] بل إن ما

---

(١) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ص١٨٥.

(٢) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، د. محمد العروسي المطوي ص٣٤.

(٣) انظر: الخلفية الأيدلوجية ص٩٣.

(٤) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

ثبت هو العكس تماماً فهذا بطريرك بيت المقدس في القرن التاسع يكتب رسالة خاصة سرية إلى زميله بطريرك القسطنطينية، وجاء في الرسالة بالنص القطعي: "إن المسلمين قوم عادلون، ونحن لا نلقى منهم أي أذى أو أي تعنت"(١) ويعلق أحد الكتاب الغربيين المحدثين على ذلك بقوله: "إن الحق يتطلب منا أن نعترف بأن المسيحيين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية أسعد حالاً بكثير مما كانت عليه بعض الطوائف المسيحية التي عاشت في كنف الدولة البيزنطية ذاتها"(٢).

ومع هذه الحقائق التي تثبت احترام الإسلام لأصحاب العقائد المخالفة، خاصة أولئك الذين استظلوا بحماية الإسلام واستقروا تحت نفوذه إلا أن مثل تلك الادعاءات كانت تثير عند الغرب الصليبي الحاقد على الإسلام مبرراً للهجوم عليه ومحاولة تدميره وهذا أحد الغربيين يعلنها صراحة قائلاً: "والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام"(٣).

وبالاضافة إلى وجود التعبئة الدينية من البابوات لهذه الحملات كانت هناك أهدافاً آخرى؛ فقد وجدت طبقة النبلاء في الحملات الصليبية فرصة للحصول على أراضٍ في الشرق، كما وجد آخرون فيها مجالاً لزيادة الأملاك، وحتى الفقراء فقد شكلت لهم الحملات الصليبية أملاً بحياة جديدة أفضل ووسيلة لتخلصهم من العبودية التي كانوا يعيشونها في ظل نظام الإقطاع السائد في ذلك الحين. هذا إضافة إلى رغبة المدن الساحلية الأوروبية في تحقيق مكاسب تجارية من خلال نقل المحاربين على سفنها(٤).

---

(١) أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ص١٨١.

(٢) أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص١٧.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، د.عمر فروخ ص١١٥.

(٤) انظر: من الدين إلى الطائفة في ضرورة الدولة المدنية، خالد غزال،ص ١٠٤، النصرانية بين الحقيقة والخرافة، أ.د عبدالله سمك،١/ ٣٢٠-٣٢٠.

ثالثاً: الآثار التي لحقت المسلمين وبلادهم من الحروب الصليبية:

من المهم جداً أن نبين أن لتلك الكلمات التي ألقاها البابا أوربان الثاني في ذلك المجمع الأثر الكبير في شحن النصارى للخروج لمحاربة المسلمين ومقاتلتهم، فقد خرجت حملات كثيرة لكن من أخطرها الحملة الصليبية الأولى والتي بدأت في عام ١٠٩٦م وانتهت في عام ١٠٩٩م، وقد تكونت على إثرها إمارات صليبية في بلاد الشام وسقوط بيت المقدس في أيديهم، وقد سجل لنا التاريخ فظاعة وبشاعة تلك الصورة السوداء القاتمة التي خلفها ذلك العدوان الصليبي الظالم على بلاد المسلمين، وما قاموا به من مجازر ومذابح نفذت بوحشية بالغة ضد الأطفال والنساء والعجزة فلم يرحموا كبيراً ولا صغيراً، وسوف أذكر بعض تلك الأحداث التي تبين مدى بشاعة وظلم واضطهاد النصارى للمسلمين.

لقد نقل لنا المؤرخون سواء من المسلمين أو من الفرنجة الذين شاهدوا بأنفسهم تلك الوقائع أو من جاء بعدهم من الغربيين، فقد ذكر ابن الأثير أن الصليبيين قتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم.[(١)(٢)]

وقال المؤرخ الصليبي "فوشيه الشارتري"[(٣)] ما نصه: "وهرب بعض هؤلاء

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨/ ٤٠٥.

(٢) وممن نقل تلك المجازر من المؤرخين المسلمين: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٥٦،وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم٢/ ١٤٧، واتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي٣/ ٢٣، وأخبار مصر لابن ميسر٣٩، وتاريخ ابن خلدون٥/ ٢١ وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي١٣٧، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين للحريري، ضمن الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، تحقيق، د. سهيل زكار، ص٣١٨-٣٢١.

(٣) فوشيه دي شارتر (١٠٥٨-١١٢٨) مؤرخ فرنسي ورجل دين، حضر مجمع كلير مونت، وشارك في الحملة الصليبية الأولى، كان القس الخاص لبلدوين الأول حاكم الرها. ألف ما يعرف بتاريخ أورشليم. (انظر: المنجد، ص٤٢٠).

العرب إلى برج داود، وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الرب، ومعبد سليمان، وتم شن هجوم وحشي على المسلمين في فناء هذين المعبدين، ولم يكن هناك مكان يمكن أن ينجيهم من سيوف رجالنا.وكثير من المسلمين الذين كانوا قد تسلقوا قمة معبد سليمان هاربين أصابتهم السهام في مقتل فسقطوا من فوق السقف، وتم ذبح حوالي عشرة آلاف في المعبد، ولو أنك كنت موجوداً هناك لغاصت قدماك حتى العقبين في دماء المذبوحين، ترى ماذا أقول؟ لم نترك منهم أحداً على قيد الحياة، ولم ينج حتى النساء والأطفال.

كم سيكون المنظر مدهشاً لو أنك رأيت فرساننا، ومشاتنا، بعد أن اكتشفوا خداع المسلمين، فشقوا بطون الذين ذبحوهم؛ لكي يستخرجوا من المعدة، والأمعاء العملات الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء، ولنفس السبب قام رجالنا بعد أيام قلائل بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رماداً حتى يمكنهم أن يجدوا بسهولة الذهب الذي ذكرنا خبره.عندما جرى رجالنا وسيوفهم مشرعة عبر أرجاء المدينة، ولم يبقوا على أحد حتى أولئك الذين كانوا يرجون الرحمة، سقط الجميع كما تسقط التفاحات العفنة جميعاً من الأغصان المهزوزة، وكما تسقط جوزة البلوط من الأشجار المتمايلة"(١).

وقال المؤرخ الصليبي ريمون الأجويلري وهو ممن حضر مجازر بيت المقدس ما نصه: "ما إن استولى رجالنا على السور والأبراج تجلت علامات الدهشة، فبعض رجالنا وكانت هذه رحمة بالغة أطاحوا برؤوس أعدائهم، بينما رشقهم البعض الآخر بالسهام، بحيث سقطوا من الأبراج، على حين عذبهم البعض فترة طويلة بأن قذفوهم في النار أحياء، وكانت أكوام الرؤوس، والأيدي، والأرجل، تسترعي النظر في شوارع المدينة، وكان المرء يشق طريقه بصعوبة بين جثث الرجال، والخيول، ولكن هذه كانت أموراً صغيرة إذا ما قورنت بما جرى في معبد سليمان، وهو مكان تتم فيه عادة الخدمة

---

(١) الحروب الصليبية نصوص ووثائق، اختيار وترجمة د.قاسم عبده قاسم ص٢٥٤-٢٥٥.

الدينية، ترى ما الذي حدث هناك؟!إذا ذكرت الحقيقة فإنها ستتعدى قدرتكم على التصديق؛ ولذا يكفي أن أقول: إنه في معبد سليمان كان الرجال يخوضون في الدماء حتى ركبهم، وحزام ركابهم، والواقع أنه كان حكماً عادلاً، ومحترماً من الرب أن يمتلئ هذا المكان بدماء الكفار لأن هذا المكان طالما عانى من دنسهم، وامتلأت المدينة بالجثث والدماء... والآن تم الاستيلاء على المدينة، وهي جديرة بكل أعمالنا السابقة، والمصاعب التي واجهناها لترى إخلاص الحجاج في الضريح المقدس"[1].

ويصف الأسقف وليم الصوري[2] هذه المذبحة وصفاً تقشعر له الأبدان، إذ يقول: "بات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، كانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فصلت الرؤوس عنها، والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات، هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم..ويروى أنه هلك داخل حرم الهيكل فقط، قرابة عشرة آلاف من الكفرة بالإضافة إلى القتلى المطروحين في كل مكان من المدينة، في الشوارع والساحات، حيث قدّر عددهم أنه كان مساوياً لعدد القتلى داخل حرم الهيكل، وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثاً عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكنهم أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام، وتشكل البعض في زمر واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وقتلت هذه الضحايا أو قذفت من مكان

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) وليم الصوري (١١٣٠- قبل ١١٨٥م) مؤرخ ورئيس أساقفة صور. ولد في القدس. أكمل دراسته في أوروبا، ثم عاد وتولى ديوان الرسائل في مملكة القدس الصليبية، حضر مجمع لاتيران في روما ١١٧٩م. له العديد من المؤلفات حول تاريخ الحملات الصليبية.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٩٦٧).

مرتفع حيث هلكت بشكل مأساوي"[١].

وهذا قسيس صليبي وهو القس ريمند يروي بما شاهده بعينه تلك الأحداث الموجعة بقوله: "وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج، وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام، ثم أحرقوا في النار. وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل"[٢].

ويروي غيره من المعاصرين تفاصيل أدق من هذه وأوفى، يقولون: إن النساء كن يقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة[٣].

واستخدم الفرنجة الأسرى من سكان المدينة في تنظيف شوارعها وطرقها وساحة الحرم الشريف من عشرات الآلاف من جثث القتلى التي إما جمعت على شكل أكوام ثم أحرقت أو رميت من فوق الأسوار إلى الخارج، وعندما زار المؤرخ فولشر مدينة القدس مع الأمير بلدوين الأول صاحب الرها بعد ذلك بعدة أشهر، كانت رائحة الجثث البشرية المتعفنة لا تزال تملأ جو المدينة. يقول فولشر: "يا لها من رائحة كريهة جداً كانت حول أسوار المدينة من الداخل والخارج التي كانت تنبعث من الأجسام البشرية المتعفنة للمسلمين الذين قتلهم رفاقنا في وقت استيلائهم على المدينة، والملقاة في الأماكن التي اصطادوهم بها"[٤].

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٢٠٥

(٢) قصة الحضارة ١٥/ ٢٥.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الحملة، فولشر، ص١٣٢،عن القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مصطفى الحياري.

ويقول رنسيمان في تأثير تلك المجازر: "وتركت مذبحة بيت المقدس أثراً عميقاً في جميع العالم، ليس معروفاً بالضبط عدد ضحاياها غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود"[(١)].

وهذه المجازر والاضطهاد الصليبي الكبير الذي لقيه المسلمون كان دافعه الانتقام والحقد وهي نتيجة لما زرعه البابوات من تأليب ضد المسلمين، وكما يقول ألبير بابيه: "لقد صفق الجميع: نبلاء ورجال دين وأفراد شعب للحروب الصليبية التي شُنت عليهم [أي على المسلمين] ولقد بلغ بُغض الصليبيين حداً لم يترددوا معه في تذبيح النساء والأطفال وتعذيب الجرحى والقضاء عليهم"[(٢)].

وهكذا نجد أن هذه الاضطهادات التي راح ضحيتها آلاف المسلمين نقدها حتى من كتب في تاريخ الكنيسة، فهذا جون لوريمر يقول: "فلقد جاء الصليبيون استجابة لنداء المعونة من الكنائس الشرقية[(٣)].لكنهم في حربهم المقدسة ضد الإسلام سرعان ما تحولوا إلى السلب والنهب واستغلال الطوائف المسيحية. فسطروا صفحة حزينة في تاريخ العالم المسيحي الغربي"[(٤)].

لقد كانت تلك الحقبة من التاريخ مؤلمة وموجعة على البلاد الإسلامية لكنها ما لبثت أن عادت جذوة الإسلام من جديد تتوهج وانكفت البابوية وجيوشها الظالمة إلى أوربا تتجرع مرارة الهزيمة والخسارة، ومع هذا فإن العالم النصراني الصليبي لم تخمد جذوة الحقد في نفسه نحو المسلمين، بل ظلت نار الحقد والكراهية تأكل قلوب

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، ١/ ٤٠٤- ٤٠٥.

(٢) تاريخ إعلان حقوق الإنسان، ألبير بابيه، ص٥٠.

(٣) وهذه مغالطة من هذا القس في كونه يدعي أن مجيء تلك الحملات الصليبية طلباً ونجدةً للطوائف النصرانية التي تعيش في الشرق، وسبق أن بين أن هذا ادعاء باطل، وأن تلك الطوائف تعيش وتنعم بين المسلمين بحياة هادئة لم ينغص كدرها شيء.

(٤) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٤/ ٢٠.

الصليبيين في الغرب والشرق ينتظرون الفرصة السانحة للثأر والانتقام وضرب الأمة الإسلامية، حتى وإن خف تأثير الدين في نفوسهم وظهرت تلك المذاهب والتيارات الإلحادية التي تعادي الدين وتنبذه تماماً من حياتهم إلا أن الحقد الصليبي والكره للمسلمين ولدينهم لم ينته ولم يتبدل مهما تغنوا وأظهروا من مبادئ وحقوق إنسان وغيرها، فإن هذه الشعارات كلها تذهب إذا كان الخصم هم المسلمين.

ولذلك نقول بكل وضوح أن الحروب الصليبية لم تنته ولا زالت مستمرة وبصورة تكاد تكون أبشع وأشد اضطهاداً، ويبدو أن الغرب الصليبي لم يشبع من تلك الحملات والحروب التي خاضها خلال القرون الوسطى، وما خلفه الاستعمار من نكبات وويلات لا زالت أمة الإسلام إلى وقتنا الحاضر تتجرع تلك المرارات.

ولا يخفى أن تلك الحروب التي قاموا بها ضد المسلمين التي كانت على مسمع ومرأى من العالم المتحضر. إنما هي مكملة لتلك الحملات الصليبية، وهذا بصريح عباراتهم والفاظهم ففي الحروب الصربية الأخيرة ضد مسلمي البلقان صرح وزير اعلامهم بالحرف الواحد "إن الصرب في معاركهم في البلقان، إنما يمثلون طليعة الحرب الصليبية الأخيرة لاستئصال شأفة الإسلام"(1).

لقد تكالبت الأحقاد الصليبية وتعاونت على تمزيق شعب مسلم، وإجهاض دولة شرعية اعترفت بها الأمم المتحدة: تكالبت أحقاد الصرب الأرثوذكس وحلفائهم من نفس المذهب، من الروس واليونان ومن شايعهم. وأحقاد الكاثوليك من الكروات وحلفائهم من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ومن سايرهم. لقد كانت مذبحة صليبية لأهل البوسنة والهرسك، والشواهد على ذلك كثيرة من فعل عصابات الصرب. فقد قاموا بذبح المسلمين ورسموا الصليب على أجسادهم(2).

---

(1) مقال: بعنوان الحروب الصليبية بعد ٩٠٠عام هل انتهت؟ د. عبدالعزيز كامل، ص٨٠، مجلةالبيان، العدد: ٩٧ ١٤١٦هـ.

(2) انظر: حول الاضطهاد الصليبي الحديث: بدع الاعتقاد، محمد الناصر ص١١١ وما بعدها.

وهكـذا لا يـزال النـصارى في مواجهـة وحـروب ضـد المـسلمين، وكيـدهم واضطهادهم متواصل فهم يكيدون للإسلام والمسلمين في كل وقت وحين.

٤- محاكم التفتيش:

حكـم الإسـلام الأنـدلس أكثـر مـن ثمانيـة قـرون، استـضاء فيهـا النـاس بعـدل الإسـلام وسـماحته وتعاليمـه، ودخـل النـاس في ديـن الله أفواجـاً، وأصـبحت بـلاد الأندلس حاضرة إسلامية تعاقبت عليها دول وممالك، ولما خالفـت أمـر الله ﷻ سـلط عليهـا أعـداءها مـن النـصارى الحاقـدين، الـذين كـانوا يتربـصون بالإسـلام وأهلـه منذ دخوله بلاد الأندلس، وأخذت الحـروب والمعـارك معهـم سـنوات طويلـة مـا بـين كرٍ وفرٍ، ونصر وهزيمة، انتهى الأمـر بهزيمـة المـسلمين واسـترداد النـصارى لإسـبانيا، وكـان مـن آخـر معاقـل المسلمين سـقوطاً غرناطـة وقـد كتبـت معاهـدة تحفـظ فيهـا حقـــوق المـــسلمين بـــين ابـــن الأحمـــر[١] والملكـــين الكـــاثوليكيين فرنانـــدوا[٢]

---

(١) بنو الأحمر: آخر دول ملوك الطوائف الإسلامية الحاكمة في الأندلس، وتسمى أيضاً مملكة غرناطة، ومؤسس الدولة هو محمد بن يوسف بن نصر، وكان قائداً شجاعاً،عاش فترة سقوط الحواضر الأندلسية الكبرى بعد هزيمة المسلمين في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ. وقد صمدت دولة غرناطة أمام الأسبان النصارى قرنيين ونصف القرن وقد تراوحت علاقاتهم بجيرانهم من سلاطين بني مرين بالمغرب وملوك قشتالة وأرغون النصرانيتين بين المواجهة والمحالفة حتى سلمت غرناطة للنصارى سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م. (انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة،ص ٩٢، الموسوعة العربية العالمية، دولة بنو الأحمر، المكتبة الشاملة).

(٢) فرناندوا ابن الملك خوان الثاني ولد سنة ١٤٥٢م، وأصبح ملكاً لقشتالة منذ سنة ١٤٧٤م، قاد حرباً ضد مسلمي مملكة غرناطة حتى سقوطها سنة ١٤٩٢م، يقول عنه ثوريتا من أكابر المؤرخين الإسبان في القرن السادس عشر في وصفه " وكان مشهوراً لا بين الأجانب فقط، ولكن بين مواطنيه أيضاً، بأنه لا يحافظ على الصدق، ولا يرعى عهداً قطعه، وأنه كان يفضل دائماً تحقيق صالحه الخاص، على كل ما هو عدل وحق " توفي سنة ١٥١٦. (انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان ٤/ ٣٥٠. هامش ١، محاكم التفتيش الإسبانية، ص٤٤، هامش ١٨).

وإيزابيلا[1] عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، تضمنت هذه المعاهدة سبعة وستين شرطاً تضمن عدم إكراه الناس على ترك دينهم، الإبقاء على المساجد، إقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم أحد عليهم إلاّ بشريعتهم... إلخ[2].

ولكن كانت هذه المعاهدة حبراً على ورق؛ إذ أنها نقضت من أول دخول النصارى غرناطة، وتعرض المسلمون لمعاملة قاسية، وأهينوا وعذبوا وصودرت أموالهم واغتصبت ممتلكاتهم وأهدرت حقوقهم، وهذا كله بتحريض من الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تطالب فرناندوا بإلحاح على سحق طائفة محمد ﷺ من إسبانيا، وأن يطلب من المسلمين إما التنصير أو التهجير، فبدأت دعوة المسلمين إلى التنصر بطريق الوعظ والاختيار. ثم كانت الطامة الكبرى عام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م عندما صدر قانون بتنصير المسلمين جبراً وتحريم إقامة شعائر دينهم، وإغلاق المساجد[3].

وقد أخذت الكنيسة على عاتقها القضاء على المسلمين، بل على كل ماله صلة بالإسلام واتخذت في سبيل ذلك كل الوسائل والطرق، ولعل من أبشع تلك الوسائل ما عرف بمحاكم التفتيش والتي كانت مهمتها حماية الدين "الكثلكة" ومطاردة الكفر والزيغ بكل ما وسعت، وكان جل ضحاياها في البداية من المسلمين واليهود، ثم الموريسكيين وتعني العرب المتنصرين ظاهراً[4].

---

(١) إيزابيلا: (١٤٥١- ١٥٠٤م) ملكة قشتالة، تزوجت بفرناندوا ملك أراغون فوحّد الدولة الإسبانية واحتلا غرناطة ١٤٩٢م، مدت كولمبس بالسفن لاكتشاف أمريكا. (المنجد، ص٩٢).

(٢) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق، د. إحسان عباس، ٤/ ٥٢٥، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد المطوي، ص٢٥٠، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي ٩٢هـ حتى سقوط غرناطة ٨٩٧هـ دراسة عقدية، د. خالد الغامدي، ص٥١٣.

(٣) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد المطوي، ص٢٥١،دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان٤/ ٣١٣.

(٤) انظر: دائرة المعارف، بطرس البستاني، ٤/ ٤٨٦، بتصرف.

عندما استنفدت الكنيسة جهدها في إقناع المسلمين المقيمين في أسبانيا، كي يرتدوا عن دينهم ويعتنقوا النصرانية ديناً، وتبين للكنيسة أن كل أعمال (الكثلكة) لم تؤت نفعًا، فقد تكثلك المسلمون ظاهرًا، ولكنهم فعليًا يمارسون الشعائر الإسلامية فيما بينهم سرًا، ويتزوجون على الطريقة الإسلامية، ويرفضون شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ويتلون القرآن في مجالسهم الخاصة ويقومون بنسخه وتداوله فيما بينهم.

فاستجمعت محكمة التفتيش كل قواها، واعتصمت بالجرأة والتعصب، وصبت عذابها على المسلمين من غير رفق ولا عدالة ولتبدأ أكثر الفصول وحشية ودموية في التاريخ الكنسي الغربي، إذ بدأت هذه المحاكم تبحث بشكل مهووس عن كل مسلم لتحاكمه من دون استثناء، وكذلك جميع المسيحيين الذين يُشك بأنهم قد دخلوا الإسلام أو تأثروا به بشكل يخالف معتقدات الكنيسة الكاثوليكية[1].

وفكرة محاكم التفتيش نبته بابوية، وكذلك تنفيذها، وأهم ركن استند إليه المفتشون والمحققون تنفيذ أوامر البابا المعصوم من الخطأ - بزعمهم- وبالتالي هؤلاء المفتشون معصومون من الخطأ، وكان كل شيء عندهم مباح فهم كانوا الجناة والقضاة في نفس الوقت[2].

بداية محاكم التفتيش:

بدأت محاكم التفتيش الإسبانية في نهاية القرن الخامس عشر عام ١٤٧٨م، وهي مأخوذة من المحاكم التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية في عهد البابا جريجوري التاسع سنة ١٢٢٧م،وكان عملها منحصر في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا، والتي كانت مهمتها التفتيش والبحث عن الهرطقات الدينية النصرانية التي تخالف عقيدة

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل، ص٨١.

(٢) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة، القس: دي روزا، ص١١٧، بتصرف.

الكاثوليك بعد أن قامت باقتلاع تلك الفرق المخالفة واضطهادها بكل وحشية[(١)].

ومن حقد الرهبان والأحبار على المسلمين نصح راهب دومنيكي وهو توركويمادا[(٢)] لملك إسبانيا فرناندوا وزوجته إيزابيلا الكاثوليكيين بإنشاء محاكم تفتيش في إسبانيا على غرار ما في جنوب فرنسا واستجاب الملكان لهذا رأي والتمسا من البابا "سكستوس الرابع"[(٣)] إصدار مرسوم لإنشاء المحاكم الذي كان الغرض منها التأكد من إيمان مواطني إسبانيا المسلمين واليهود الذين اعتنقوا عقيدة الدولة الكاثوليكية، وهذه المحاكم كانت قومية تابعة للدولة الإسبانية رغم أنها صدرت بمرسوم وبمباركة من الكنيسة الكاثوليكية[(٤)].

يقول ربيوني: "لقد تم توحيد إسبانيا بعد زواج الملك فرناندوا من إيزابيلا، وكانت إسبانيا تعرف في ذلك بمعاداتها الشديدة للمسلمين، الذين كانوا ومازالوا يسيطرون على جنوب شبه الجزيرة الإسبانية، ولكي تتم محاربة هؤلاء الهراطقة بفاعلية، حصل الملك فرناندوا والملكة إيزابيلا على موافقة البابا سكست الرابع على سلطة تعيين رؤساء محاكم التفتيش في أراجوان، وكان لهذا القرار سبب مالي غير

---

(١) انظر: قصة الحضارة ١٦/ ٩٦، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، محمد علي قطب، ص٧٥.

(٢) توماس توركيمادا: وهو راهب دومينيكي أبرز أعضاء محكمة التفتيش، وكان شديد التعصب، ولد سنة ١٤٢٥م وعين مفتشاً عاماً في أسبانيا سنة ١٤٨٣م، وقد أجرى العديد من المحاكمات في مدن مختلفة، وكانت وسائله تتميز بالوحشية وتنطوي على أنواع من التعذيب الجسدي توفي سنة ١٤٩٨م. (انظر: محاكم التفتيش الإسبانية، ص٤٢،هامش ١٤، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عصر النهاية، عنان، ٤/ ٣٣٢).

(٣) سكستوس الرابع: هو فرنشيسكو دلَّلا روفيري، ولد في سافوني، كان أستاذاً في جامعات بولونيا وفلورنسا، ولاهوتياً مشهوراً، أعاد تنظيم المكتبة الفاتيكانية، بلغت الكنيسة في عهده قعر الذل إذ سيطرت الحفيدية، والسيمونية.(انظر: معجم الباباوات، خوان داثيو، نقله إلى العربية: أنطوان سعيد خاطر، ص١٧٨-١٨٠).

(٤) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٨١، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. المسيري، ٣/ ٢٤٩.

معلن؛ لأن المحاكم كانت تصادر أموال المحكوم عليهم، لكن البابا وافق على منحهما هذه السلطة بعد أن حصل على وعد منهما باستخدام هذه الأموال لتمويل الحروب الصليبية ضد المسلمين"[١].

وقد أشار الراهب الدومينكي بليدا[٢] بضرب رقاب من تنصر من المسلمين، ومن بقي منهم على دينه؛ لأنه من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من المسلمين[٣].

وكان من أشهر المفتشين في أسبانيا "توماس تور كويمارا" الذي استمر في منصبه لمدة خمسة عشرة عاماً، وكان له ١١٤٠٠٠ ضحية تم إحراق ١٠٢٢٠ منها، ومعظم الباقين سجنوا مدى الحياة[٤].

وإذا كانت هذه ضحايا شخص واحد من المفتشين خلال فترة زمنية قصيرة، وفي مكان واحد فكم يا ترى كان العدد في إسبانيا كلها والتي كانت تضطهد المسلمين على مدى ثلاث مئة سنة؟!

ولعل أوضح وصف لحقيقة تلك المحاكم الكاثوليكية الإسبانية والآثار السيئة التي خلفتها ما ذكره المستشرق الفرنسي "غوستاف لوبان"[٥] حيث قال: "وكان

---

(١) انظر: الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، أ.د زينب عبدالعزيز، ص٨٨

(٢) خايمى بليدا، راهب دومينيكي وهو من أشد أعداء الموريسكيين، كرس حياته في إلى إصدار قرار طرد الموريسكيين من اسبانيا.(انظر: الموريسكيون في الفكر التاريخي، ميغيل إيبارا، ترجمة وسام جزر، ص٤٥).

(٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، ص٦١.

(٤) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة، القس دي روزا، ص١٢٠.

(٥) غوستاف لوبون: (١٨٤١ - ١٩٣١م) مستشرق فرنسي، وفيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقاً، وقد جاءت كتبه وبحوثه متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية؛ مما دفع الغربيين إلى اهماله وعدم تقديره. من كتبه حضارة العرب، فلسفة التاريخ، سر تقدم الأمم. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ٦٩٩).

تعميدُ العربِ كُرْهًا فاتحةَ ذلك الدَّوْر، ثم صارت محاكمُ التفتيش تأمرُ بحَرقِ الكثيرين، ولم تَتِمَ عمليةُ "التطهير بالنار" إلاَّ بالتدريج لتعذُرِ حَرقِ الملايين من العربِ دَفعةً واحدة، ونَصَح كاردينال "طليطلة" التَّقيُّ (!!!) بقَطع رؤوسِ جَميع مَن لم يتنصَّرْ من العرب رجالاً ونساءً وشيوخًا وولدانًا.. وقَرَّرت أسبانيا تهجيرَ العرب عن أسبانيا، فقُتِل أكثرُ مُهاجري العرب في الطريق، فأبدَى ذلك الراهبُ "بيلدا"ارتياحَه لقتل ثلاثةِ أرباع أولئك المهاجرين في أثناءِ هِجرتهم، وهو الذي قَتَل مئةَ ألفِ مهاجرٍ قافلةٍ واحدة كانت مؤلَّفةً من مئةٍ وأربعين ألفَ مهاجر مسلم (١٤٠.٠٠٠)، حينما كانت مُتَّجِهةً إلى أفريقيا، وخَسِرت إسبانيا بذلك مليونَ مسلمٍ من رعاياها في بضعةِ أشهر، ويُقدِّرُ كثير من العلماء -ومنهم "سيديو"- عددَ المسلمين الذي خَسِرتهم إسبانيا منذ أن فَتح "فرديناندُ" "غرناطة" حتى إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين، ولا نَعُدُّ ملحمةَ "سان بارتلمي"[(١)] إزاء تلك المذابح سوى حادثٍ تافهٍ لا يُؤبَهُ له، ولا يَسَعُنا سوى الاعترافِ بأننا لم نَجِدْ بين وحوشِ الفاتِحين مَن يُؤاخَذُ على اقترافِه مظالمَ قَتل كتلك التي اقتُرِفت ضدَّ المسلمين"[(٢)].

وهذا مؤرخ آخر غربي يصور لنا مآسي تلك المحاكم، يقول لورنتي[(٣)]: "إن المحكمة وحدها قد قدمت إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفاً عقوبات أخرى تلي الإعدام صرامتها"[(٤)].

ولم تنته الكنيسة من متابعة المسلمين حتى المتنصرين ظاهرياً بل ضيقت عليهم وتم اضطهادهم بشكل دائم ومستمر، فكانوا موضع البغض والريب، وأبت الكنيسة

---

(١) مذبحة جرت في فرنسا، عام ١٥٧٢م في باريس وضواحيها، قتل فيها الكاثوليك أكثر من عشرين الف بروتستانتي، وقد بارك هذه المجزرة البابا جريجوري الثالث.

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص٢٧٢.

(٣) مؤرخ أسباني، حبر خدم ديوان التحقيق أعواماً طويلة، وكان في آخر حياته يشغل فيه السكرتير العام.

(٤) قصة الاضطهاد الديني، ص٨٧.

الإسبانية أن تؤمن بإخلاصهم لدينهم الجديد، ولبثت تتوجس من رجعتهم وحنانهم لدينهم القديم، وترى فيهم دائماً مارقين، ولذا كانت تهدف الكنيسة إلى إبادتهم، ومحو أثارهم ودينهم وحضارتهم، وكل ذكرياتهم.

وكانت محاكم التفتيش شديدة الوطأة على الموريسكيين، وترقب كل حركاتهم وسكناتهم، ويغمرهم بشكوكه وريبته، ويتخذ من أقل الأمور والمصادفات ذرائع لاتهامهم بالكفر والزيغ، ومعاقبتهم بأشد العقوبة قسوة، وقد نقل لورنتي مؤرخ ديوان التحقيق الأسباني وثيقة تتضمن عدد من الأمور والقواعد إذا فعل شيئاً منها المتنصر ظاهرياً يتهم مباشرة بالكفر والزندقة، ومن تلك الأمور إذا امتدح دين محمد، أو قال أن يسوع المسيح ليس إلهاً، وليس إلا رسولاً، أو أن يأكل اللحم أو يرتدي ثياباً أنظف من ثيابه العادية في يوم الجمعة، أو أن يصوم رمضان ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب أو يتناول الطعام قبل الفجر أو أن يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية... الخ[1].

ومع كل هذا الاضطهاد والقمع الذي شنته الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الحاكمة في إسبانيا إلا أنها قررت طرد الموريسكيين نهائياً من اسبانيا وكان ذلك في عام ١٦٠٩م ونفذت قرارات النفي في كل مكان بصرامة ووحشية واستمرت السفن شهوراً بل أعواماً، تحمل أكداساً من الكتل البشرية المعذّبة، فتلقي بها هنا وهناك، في مختلف الثغور الإفريقية، في جو من المناظر المروّعة المفجعة، وقدر بعض الباحثين عددهم بمليون شخص والبعض الآخر بستمائة ألف[2].

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، ٤/ ٣٤١- ٣٤٥، بتصرف.

(٢) انظر: قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب، ٢/ ٣٨٩.

٥- الاستعمار الغربي:

ولما انفرط عقد الخلافة العثمانية وأصبحت كما أطلق عليها الرجل المريض، بعد أن حاك لها الغرب الصليبي المؤامرات والدسائس من أجل تفتيت الوحدة الإسلامية.عندها عاش المسلمون نازلة جديدة من نوازل وفجائع العصر الحديث ألا وهي الاستعمار الذي ألبسه الغزاة لباس التحضر والمدنية بتسميتها حروب الاستعمار، وفي الواقع إنما هو تدمير وتخريب.

فقد تميز الاستعمار الحديث باحتلال بلاد المسلمين المباشر، وسرقة ثرواتها، ونهب خيراتها مع وضع خطة محكمة للتأثير على هذه البلاد لتبقى تحت السيطرة الدائمة فقد " أعطى الغرب الاستعماري، منذ خمسة قرون مثال التطرف الأكثر فتكاً، وهو الادعاء بامتلاك الثقافة الوحيدة الحقيقية، الدين العالمي الوحيد، نموذج التنمية الوحيد، مع نفي أو تدمير الثقافات الأخرى... برر الغرب تسلطه على العالم، ونهبه لثرواته، وقمعه لحرياته باختلاقات كثيرة منها ما كان باسم رسالته في قيادة العالم، ومسئوليته في نشر الحضارة، بل في بعض الأحيان نشر المسيحية"(١).

لقد كانت دعوى الاستعمار الغربي في احتلال العالم الإسلامي، هي دعوى التمدن ونقل الشعوب المتنافرة إلى مجال الحرية والواقع أن الدول الاستعمارية لم تفد إلى العالم الإسلامي لتمدنه بل لتستنزفه، ولتستعبد أهله.ولقد كانت نظرة الاستعمار إلى العالم الإسلامي هي نظرتهم إلى عناصر أقل درجة من الجنس الأبيض حامل الحضارة، وكانت ترى أن الشعوب الأخرى ليست أهلاً للحرية والرفاهية(٢).

وبهذا تتضح أن سياسة الاستعمار في بلاد المسلمين، تقوم على إضعاف المسلمين في إسلامهم و" أن الباعث الصليبى كان هو الباعث الأول الذي حرك أوربا إلى الاستيلاء على العالم الإسلامي، كما هو ظاهر من رحلتي فاسكو داجاما وماجلان،

---

(١) حفارو القبور، روجيه جارودي، ص٢٢-٢٣.

(٢) انظر: الاستعمار والإسلام، أنور الجندي، ص٧.

والرحلات الاستكشافية الأخرى في أفريقيا خاصة - التي حملت المبشرين بكميات هائلة إلى أماكن لم يكن الاستغلال الاقتصادي فيها محدد المعالم أول الأمر، وإن كان قد حدث على نطاق واسع فيما بعد، حين اكتشف المحتلون مصادر الثروة وأخذوا في استغلالها"[1].

وقد ارتبط الاستعمار الغربي منذ اليوم الأول بقوتين أساسيتين هما: التبشير (التخريب) والاستشراق وكان الهدف هو دعم الوجود الاستعماري بخلق عقلية موالية للغرب، منحرفة عن أصالة الإسلام الذي يعطيها دائماً القدرة على المقاومة والجهاد والمواجهة[2].

واتخذ الاستعمار الحديث أشكالاً متعددة، ولبس لبوساً متنوعة منها: الاحتلال العسكري، والاستعمار الاقتصادي عن طريق الشركات، وربط العملات المحلية بعملات الدولة المستعمرة، والقروض والمساعدات وإقامة المشاريع، والمعاهدات الغير المتكافئة بين الدولة المستعمرة القوية والدولة المستَعمرة الضعيفة هذه المعاهدات في صالح الدولة الغالبة، وكذلك ما يسمى بـــ "الانتداب" و" الوصاية" و"الحماية"[3].

لقد سالت جيوش الصليبيين الجدد على مدار قرنين من الزمان، فأوغلت الدول الأوربية في استعمار العالم الإسلامي، وعلى الأخص بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، وأصبح العالم الإسلامي في قبضة هؤلاء المستعمرين - سوى حرم الإسلام، قلب جزيرة العرب- الذين لم يرقبوا في مؤمن إلا ولا ذمة.

وفي ظل حكم الاستعمار ذاق المسلمون النكبات، وجنوا الويلات، واكتووا فيه بناره وعانوا من ظلمه وجبروته، فما دخلوا بلداً من بلاد المسلمين إلا وطغت تلك

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص١٦١.

(٢) انظر: الاستعمار والإسلام ص١٢

(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د.جميل المصري ص٨٩.

الهمجية والوحشية التي طبع عليها هؤلاء المستعمرون في معاملة المسلمين والتي لم تخل بلدة من جرائمهم ومذابحهم واعتداءاتهم، فقد أظهر المستعمر الغربي صوراً قاتمة كالحة ملؤها الظلم والقهر والاستغلال.

فعلى الصعيد الإنساني ارتكب المستعمرون مجازر بحق الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وخيراتها، فقد بلغت أعداد قتلى المسلمين في الهند حتى عام ١٨٨٠م مليون مسلم سقطوا على يد الإنجليز، ومثله كانت الجزائر بلد المليون شهيد.

وكان البرتغاليون قد أحدثوا مجازر عند سيطرتهم على الشواطئ الهندية، ويسجل القائد البرتغالي البوكيرك بفخر بعضاً منها وهو يخاطب ملك البرتغال مهنئاً إياه بالسيطرة على مقاطعة جوا الهندية فيقول: "وبعد ذلك أحرقت المدينة، وأعملت السيف في كل الرقاب، وأخذت دماء الناس تراق أياماً عدة.... وحيثما وجدنا المسلمين لم نوقر معهم نفساً، فكنا نملأ بهم مساجدهم، ونشعل فيها النار، حتى أحصينا ستة آلاف روح هلكت، وقد كان ذلك يا سيدي عملاً عظيماً رائعاً أجدنا بدايته وأحسنا نهايته"[(١)(٢)].

إن رغبة الغرب الصليبي الجامحة في السيطرة على المسلمين ونهب ثرواتهم وخيراتهم جعلتهم يستبسلون في استخدام شتى الوسائل من أجل أن تكون لهم القوة والسيطرة، فهم دائماً من يختلقون الصراعات والاحداث لكي تكون لهم الغلبة والظهور على الآخر، بل إنهم يشنون هذه الحرب من خلال عقيدتهم ونظريتهم في ذلك وهو ما يسمى بـ" الحرب العادلة "التي أعطت لهم الحق في القيام بتلك الممارسات حيث لا يقدم عليها إلا من انتزعت الرحمة من قلبه، واصبحت عقيدة الانتقام واضطهاد الآخر هي المسيطرة والمترسخة في عقله الباطن.

---

(١) الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، د. منقذ السقار، ص٩.

(٢) لمزيد من فضائع واضطهاد الاستعمار الغربي للمسلمين ينظر: أجنحة المكر الثلاثة، عبدالرحمن حبنكة، ص١٧٥، الاستعمار أطماع وأحقاد، محمد الغزالي، ص٣٤، ٣٩-٥٧، ١٥٠- ١٥٤.



الفصل الرابع

الفصل الرابع

صور وآثار الاضطهاد الديني عند النصارى

وفيه مبحثـــــان :

- **المبحث الأول : صور الاضطهاد الديني في النصرانية .**
- **المبحث الثاني : آثار الاضطهاد الديني في النصرانية .**

المبحث الأول

صور الاضطهاد الديني في النصرانية

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: السلطة الكنسية.
- المطلب الثاني: المجامع النصرانية.
- المطلب الثالث: محاكم التفتيش.
- المطلب الرابع: الحروب الدينية.

* * * ** * * *

المطلب الأول
السلطة الكنسية

إن بدايات تشكل الكنيسة وتنظيماتها السلطوية لا تعود إلى عيسى عليه السلام أو حتى تلاميذه من بعده، فقد كان المسيح عليه السلام يؤدي عبادته هو وأتباعه من المؤمنين في المعبد المكرس للعبادة حسب شريعة التوراة.[1]

وتميزت دعوة المسيح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى أمة بني إسرائيل بالبساطة واليسر بحيث لم تكن تحتاج إلى مثل هذا التنظيم الكنسي الذي فرضته النصرانية المحرفة، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يبن كنيسة أو ينشؤها، واستمر تلاميذه من بعده على ذلك[2].

وعندما تم إنشاء الكنائس وازدادت قوتها شيئاً فشيئاً؛ تهيأ لها في العصور الوسطى سلطان واسع، وأضفت على نفسها صفة القداسة، وشكلت خلالها روح الإنسان النصراني، وكيفت المجتمع وفقاً لهواها، فكل السلطات كانت بيدها، وكل التشريعات كانت تصدر عنها، وكل أنواع العقاب والتعذيب هي التي كانت تتقنه فيها[3].

لقد كرست الكنيسة نفسها في أن تكون حاكمة ومتحكمة في عقول الناس وأبدانهم فأبت أن تصل قلوب المؤمنين بربهم مباشرة بلا وسيط، وأصرت أن تكون هي وحدها - لا سواها - الواسطة التي تتصل عن طريقها بالله[4].

---

(١) انظر: الكنيسة وأسرارها السبعة، جمال الدين شرقاوي، ص٢٣، اللاهوت المسيحي نشأته -طبيعته، د. أنهار أحمد محمد ص١٦٦.

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطوراتها، جينيبر، ترجمة د. عبدالحليم محمود ص١٦٦، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج ص١٦٤.

(٣) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، د.توفيق الطويل ص١٠.

(٤) انظر: مذاهب فكرية، محمد قطب ص٢٥.

وبمضي الوقت أخذت كنيسة روما تتفوق على باقي الكنائس النصرانية، كما أصبح لأسقفها مركز الصدارة بين أقرانه، وأخذ هذا الأسقف يتجه تدريجياً على فكرة زعامة الغرب دينياً ودنيوياً، وأخذت أسقفية روما في النمو، ولم يمض وقت طويل حتى تحولت إلى بابوية لها هيبتها ومكانتها[١].

ومن هنا نشط الباباوات في تدعيم قوة سلطة الكنيسة وفرضها على تلك المجتمعات وتسويغها وأصبح واقعاً تعيشه أوروبا، وقد اعترف بذلك الأب "متى المسكين"[٢] قائلا: "الكنيسة لم تدرك أنها هي التي زرعت روح العداوة والانقسام في العالم، تلك الروح التي سرت بين الأمم والشعوب والأفراد فصارت هي منهج الحكومات والدول والتكتلات"[٣].

ما وصل إليه الجهاز الكنسي البابوي في الغرب من القوة والهيمنة كان نتيجة طبيعية لتلك الاضطهادات الكنسية التي كانت تستخدمها ضد معارضيها والخارجين عليها وهو ما سوف نبينه في المسائل التالية:

۞ المسألة الأولى: السلطة البابوية:

يعد البابا من الوجهة الرسمية أهم فرد في الكنيسة، والبابوية نظام كنسي ركز السلطة العليا باسم الله في يد البابا، وقصر حق تفسير الكتاب المقدس على البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى، وسوى في الاعتبار بين نص الكتاب

(١) انظر: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، د. جوزيف نسيم يوسف ص١٨٢.

(٢) متى المسكين: يوسف اسكندر المعروف بمتى المسكين، رجل دين نصراني قبطي، ولد في بنها بمحافظة القليوبية، سنة ١٩١٩م، تخرج من كلية الصيدلة عام١٩٤٣م، وكان من عائلة غنية، لكنه في عام ١٩٤٨م باع كل ما يملك وترهبن في دير الأنبا صموئيل العامر بجبل القلمون، ثم أنتقل إلى دير الأنبا مقار. توفي سنة ٢٠٠٦م، من كتبه: حياة الصلاة الارثوذكسية،.(انظر: موقع الاب متى المسكين).

(٣) الوحدة الحقيقية ستكون إلهاما للعالم، متى المسكين، ص١٨.

المقدس ومفاهيم الكنيسة الكاثوليكية.[1]، وقد اعتبر عصيان أوامر بابا روما خطيئة تقضي على النفس، بل وجريمة لا تغتفر، حتى كان باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة، وأن يخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره، وأن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم، ولا يستجيبون لأوامر الخلع البابوية[2].

ونجد أن هناك عوامل ساعدت البابوية على فرض سيطرتها وقوتها ونمو سلطتها على المجتمعات النصرانية ومنها:

١-استندت البابوية في فرض سيطرتها وسلطتها على العالم أجمع بالأيدلوجية البطرسية باعتبار بطرس أمير الرسل، وصاحب الربط والحل في السماء وعلى الأرض، فهو الصخرة أو الأساس الذي قامت عليه الكنيسة، ولذا يجب أن يتمتع بسلطان مطلق على العقيدة والأخلاق بوصفه نائب المسيح على الأرض، وهكذا يكون أسقف روما، وهو الراعي الأول لشعب المسيح[3].

٢- أخذت البابوية في فرض قوتها بنظرية السيفين وخلاصتها: أن الله ﷻ له ملك الدين والدنيا، وبيده سيفان مسلولان، أحدهما يمثل سلطانه على الأرواح، والآخر يمثل سلطانه على الأبدان، بمعنى أن الواحد منها قائم على الحكومة الدينية والآخر يقوم على الحكومة الزمنية أو العالمية، وتقول النظرية أنه بعد انتشار المسيحية في روما على يد بطرس، سلمه الله كلا هذين السيفين، فأعطى بطرس سيف الأرواح للبابا وسيف الأبدان للإمبراطور، ولما كان الأول يتفوق على الثاني فقد ترتب على

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.محمد البهي، ص٢٤٩.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ص٤٤، قصة الديانات، سليمان مظهر،ص٤٣١، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبدالرحمن حسن حبنكة،ص٥٠.

(٣) انظر: الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، د.رأفت عبدالحميد ص٣٣، التاريخ الوسيط، كانتور ص٨٦.

ذلك تفوق البابوية على الإمبراطورية[١].

٣- عملت البابوية على التزييف والتزوير لاختلاق سوابق من أجل تأكيد سيادتها على الملوك وعلى رجال الكنيسة، ومن هنا فقد زورت بعض الوثائق لتحقيق أغراضها وفرض سيطرتها، منها وثيقة هبة قسطنطين وهو عبارة عن مرسوم أصدره الإمبراطور قسطنطين يثبت فيه تنازله عن أراضي الإمبراطورية الغربية بما في ذلك روما، وهذا عندما نقل العاصمة إلى القسطنطينية. وقد استمرت البابوية تعتمد على هذه الوثيقة المزورة وتتخذها أساسا لسلطانها الزمني حتى كشف عن تزويرها حوالي سنة ١٤٣٩م[٢].

٤- نقل العاصمة الإمبراطورية من الغرب إلى الشرق، وذلك عندما تم إنشاء عاصمة جديدة وهي القسطنطينية، فقد أحدث هذا الانتقال فراغا سياسياً، مما جعل بابا روما يقوم مقام الإمبراطور ويرث مركزه كحاكم مطلق ومصدر للتشريع الذي أكسبه كثيراً من الشهرة والمكانة[٣].

٥- ومن الأحداث التي برز بها دور الكنيسة أنه لما سقط القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية بيد الجرمان في أواخر القرن الخامس للميلاد تولت الكنيسة مفاوضتهم كمسؤولين عن القسم الغربي، مما أعطاهم زخماً قوياً في رفع مكانتهم[٤].

وبهذه العوامل وغيرها استطاعت البابوية أن تهيمن على الشعوب النصرانية بل حتى على الأباطرة والمماليك وتحولت إلى قوة سياسية متحكمة تمارس كل ما يمارسه

(١) انظر: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ص١٩٠-١٩١، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ص٧٠-٧١.

(٢) انظر: أوروبا العصور الوسطى، أ.د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ١/ ١٢٣بتصرف.

(٣) انظر: العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، د.عادل زيتون ص٩٩ بتصرف.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٩٩-١٠٠ بتصرف.

الحكام الظلمة وذلك بعد صراع مرير مع ملوك وأباطرة أوروبا.

إن قيام البابوية بهذه المواجهة مع الأباطرة والملوك وفرض سلطانها الطاغي عليهم لم يكن من أجل تطبيق شريعة الله وفرضها على الناس، إنما لأجل دواعي شخصية بحتة وهو أن يطأطئ الملوك والأباطرة لها الرؤوس وأن يعلنوا أنهم خاضعون لسلطانها[1].

إن الكنيسة الغربية وبابواتها قد استخدمت سلطانها الذي حاربت من أجل الحصول عليه وأراقت الدماء في إخضاع الناس جميعاً، ملوكهم ورعاعهم، لهواها هي، وجبروتها هي، فجعلت من رجالها أربابا من دون الله، وعبدت الناس لهم من دون الله حتى حق عليهم قول الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١][2].

لم يكن هدف البابوية يوماً ما الإصلاح، بل كل طموحها كان منصباً على إرغام الملوك لها ولجبروتها، ولا شك أن مثل هذه الوصاية المستحكمة بكل أمور الحياة لم تكن تعجب أولئك الملوك مما اضطرهم إلى إعلان رفض مثل تلك الوصاية والمطالبة بحقهم الذي فقدوه نتيجة تسلط البابوية لكنهم كانوا يلجؤون في كثير من الأحيان إلى الامتثال خوفاً من بطش الكنيسة وسلاحها الشهير الحرم البابوي[3]، وكان من أقوى تلك البابوات "جريجوري السابع" الذي اهتم كثيرا بتدعيم سلطة البابوية إلى أبعد الحدود، وقد نسب إليه مرسوماً يحدد أبعاد السلطة البابوية يتكون من ست وعشرين نقطة تدور كلها حول مفهوم سمو البابوية على الدولة، وقد عرفت هذه الوثيقة (بالإملاء البابوي)[4].

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٤٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: البابوية عند النصارى دراسة عقدية مقارنة، موسى بن عقيلي الشيخي، ص٥١.

(٤) انظر: ماهية الحروب الصليبية، ص٨٢.

أدت هذه الإملاءات وغيرها على حدوث الصدام بين البابوية والسلطة الزمنية، وكانت الغلبة في هذه الفترة لسلطان البابوية؛ إذ كانت تعلن الحرب عليه وعلى أمته، ولعل من أبلغ الأحداث ما وقع بين الإمبراطور الألماني "هنري الرابع"(١) والبابا "جريجوري السابع" حول مسالة التعيينات أو ما يسمى التقليد العلماني الذي كان يتيح للإمبراطور التحكم في تعيين كبار رجال الكنيسة، والذي أمر "جريجوري السابع" بمنعه وجعله من سلطات البابا وحده وهو القرار الذي امتنع هنري الرابع من تنفيذه، وعين أسقفا جديدا لميلان "هوتدالد" سنة ١٠٧٥م. الأمر الذي دفع "جريجوري السابع"إلى تهديد الإمبراطور بإخراجه من التبعية للكنيسة وبالخلع؛ فرد الإمبراطور على ذلك بجمع مجلس الأساقفة في (ورمز) وهناك أعلن الأساقفة خروجهم على الولاء للبابا، وكتبوا خطاباً يتهمونه فيه بالزنا والحنث في اليمين، وبما هو شر من هذا وذاك وهو سوء معاملته للأساقفة، وأعلن الإمبراطور وأساقفته خلع البابا؛ فقرر البابا إخراج الإمبراطور وأساقفته من التبعية للكنيسة، وأعلن أنهم أصبحوا مخلوعين عن مناصبهم(٢).

لقد أعطى قرار البابا ذريعة للأمراء في الأقاليم لإشعال نار التمرد من جديد بعد أن تصالحوا معه، وتحالف الأساقفة الألمان مع "جريجوري"، فعقد الأمراء مجمعا قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة من البابا، فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد، فوجد الإمبراطور نفسه كالأجرب بين رعيته، ولم يكن في وسعه أن ينتظر وصول البابا لحضور انتخاب النبلاء الألمان لإمبراطور جديد، فضرب بكبريائه عرض الحائط واستجمع شجاعته وسافر مجتازاً جبال الألب والشتاء على أشده، يبتغي المثول

---

(١) هنري الرابع: (١٠٥٠-١١٠٦م) ملك ألمانيا ورأس الأمبراطورية الرومانية المقدسة (١٠٥٦-١١٠٦م) ابن الأمبراطور الثالث. (انظر: موسوعة المورد ٤/ ١٢٧٢).

(٢) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٩١٠، قصة الحضارة ١٥/ ١٩٧، تاريخ الفلسفة الغربية، رسل ٢/ ١٧٤، ماهية الحروب الصليبية، ص٨٢، العلمانية د.سفر الحوالي ص١٣٦.

بين يدي البابا بمرتفعات كانوسا في تسكانيا، وظل واقفاً في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام وهو في لباس الرهبان متدثراً بالخيش حافي القدمين عاري الرأس يحمل عكازه مظهراً كل علامات الندم وأمارات التوبة حتى تمكن من الظفر بالمغفرة والحصول على رضا البابا[1].

ولكن القوة ما لبثت أن ضعفت، وأخذ الملوك والأباطرة يعلنون أنهم هم الحكام في الأرض بمقتضى (الحق الإلهي المقدس) وأنه ليس للبابوات عليهم سلطان إلا السلطان الروحي، وهو ما أخذت البابوية تدعمه وترعاه من أجل الاستمرار في فرض سيطرتها على الشعوب.

۞ المسألة الثانية: الاضطهاد الكنسي:

لقد كانت الكنيسة هي الحاكم المطلق للعالم النصراني بلا أي رادع ولا أية حدود، وهو ما شجعها على إطلاق يدها في كل الاتجاهات من أجل المحافظة على هذه السلطة التي جعلتها تسرف إسرافاً كبيراً في عدة مجالات، منها:

١-الاضطهاد الكهنوتي: وضعت الكنيسة لنفسها بدعاً محدثة جعلت الناس يرتبطون بها، ويجددون دوماً الولاء لها والطاعة، ومن ذلك ما يعرف بالسلطة الكهنوتية التي تعتبر الكنيسة هي الناطق الرسمي باسم الدين، والمكملة له، والمعصومة في قراراتها، وأقوال رهبانها.[2] فنجد أن النصرانية تضفي على كهنتها ألواناً من القداسة والتعظيم، فهم يصرحون بأنهم أولياء الله، ويزعمون أن لهم سلطاناً واسعاً فما يحلونه فهو الحلال وما يربطونه أو يحرمونه هو الحرام وهو الذي يسمونه

---

(١) انظر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، فشر، ١/ ٢٦٠، أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور ١/ ٣٤٠.

(٢) انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د.عبدالرحيم السلمي، ص٢٧.

سلطان (الحل والربط) ويدخل فيه مغفرة الذنوب[1].

يقول ويلز: "إن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين، وإن احتفظت بتعاليم يسوع في الأناجيل كنواة لها، كانت في صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل آلاف السنين، وكان المذبح مركز طقوسها المنمقة، والعمل الجوهري في العبادة فيها هو القربان الذي يقربه قسيس متكرس للقداس، ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من الشمامسة والقساوسة والأساقفة"[2].

لقد مارست الكنيسة كهنوتاً مقنناً يبدأ مع أول مراحل الإنسان، فالطفل لا يعد نصرانياً حتى يعمد، والتعميد لا يتم إلا على يد كاهن.

ومن ثم تبدأ حياة النصراني في تلك الوساطة الكهنوتية التي تدخله - ابتداءً - في الدين. ثم يظل حياته كلها مرتبطاً بالكاهن. فهو الذي يزوجه، وهو الذي يصلي به صلاة الأحد في الكنسية، وهو الذي يتقبل اعترافه ويتقبل توبته.

ثم هو الذي يصلي عليه حين يموت، فهو من مولده إلى مماته مرتبط بالكاهن ذلك الرباط الذي يمثل في حسه النافذ على عالم الغيب والصلة التي تصل قلبه بالله، ولا يستطيع أن يعقد صلة مباشرة بالله بعيدة عن سلطان الكاهن[3].

يقول "القرافي"[4]: "رهبان النصارى وقساوستهم يرون أن من أراد التوبة

---

(١) انظر: التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة، ص١١١.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٧٢٠.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٣٠-٣١ بتصرف يسير.

(٤) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، وهو مصري المولد والنشأة والوفاة، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، توفي سنة ٦٨٤هـ. من كتبه: الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، الذخيرة، شرح تنقيح الفصول، الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة.(انظر: الإعلام للزركلي، ١/ ٩٤).

يعترف لهم بمخازيه وذنوبه وإلا فلا تقبل له توبة فإذا اعترف للبترك أو القس غفر له ذنبه كأنه ربه أو خالقه"(١).

وصورة استعمال هذا الاعتراف الكهنوتي، أن الكاهن يجلس على كرسي مرتفع في الكنيسة، ثم يأتي من يريد الاعتراف ويركع على الأرض مكشوف الرأس ويقول: (أنا أعترف لله القادر على كل شيء وللقديسة المباركة مريم العذراء الدايمة البتولية والقديس مار مخائيل ورئيس الملكية والقديس مار يوحنا المعمدان والقديسين الرسوليين بطرس وبولس ولك يا أبانا لقد أخطأت بالفكر والقول والفعل، اقبل اعترافي وسامحني)، وبهذا الكلام يفهم أن الاعتراف ليس لله وحده بل للقديسة المباركة مريم العذراء ولجملة من القديسين والمليكة وللكاهن القائم وكيلاً عنهم. فالظاهر أن هذه الكنيسة تعتقد أن هؤلاء شركاء الباري تعالى في حقوقه(٢).

قد أحاطت النصرانية عقائدها بكثير من الأسرار والأساطير مثل أسطورة الأب الذي صلب ولده فداء لخطيئة آدم، وأسطورة العشاء وسر التثليث، وهذه العقائد وغيرها تعتبرها الكنيسة مخرجاً لها من الأسئلة الحائرة وتدعي أنها فقط من تملك مفتاح الجواب وأرغمت الناس ودفعتهم إلى الإيمان بمثل هذه العقائد دون نقاش، أو سؤال ومن يناقش أو يسأل يعتبر زائغ العقيدة، وتحل عليه اللعنة(٣).

وقد انتقد هذا الاعتراف الكهنوتي من قبل النصارى أنفسهم فيقولون: إن الكتب المقدسة لم تعلمنا قط أن المسيحي يلتزم بالاعتراف عن خطاياه للكاهن بل هذا اختراع الرؤساء لأجل تقوية شوكة حكمهم على الرعايا، فهم بذلك يعرفون ضمائر الشعب ومن ثم يتوصلون إلى التدابير التي تمكن قوة سلطانهم وتجعلهم غير مغلوبين في شيء.

---

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص٣٣٢.

(٢) انظر: الدليل إلى طاعة الإنجيل، المعلم ميخايل مشاقة، ص٤٨.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص٣٢، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها،ص٢٨

كذلك لم يوجد في الكتب المقدسة عبارة تتضمن الأمر للنصارى أن يعترفوا بخطاياهم للكهنة، ولا أن الرسل فعلوا ذلك، ولو كان الاعتراف حسب زعم كنيسة رومية وغيرها سراً إلهياً كسر المعمودية والافخارستيا فيلزم أن يكون منصوصا عليه صريحا في الكتب المقدسة بصيغة الأمر كالسرين المذكورين.

كذلك أن المجامع المسكونية لم تحدده، فكيف يجعلونه سراً إلهياً وهو لم يحدد إلا في المجمع اللاتراني الملتئم بعد المسيح بأكثر من ألف ومائتي عام، فمن ذات حديده في هذا المجمع دون المجامع المسكونية السالفة يتبرهن حدوث وضعه.[1]

إن الرسل أنفسهم لم ينصبوا كرسي اعتراف في الكنائس، ولا استدعوا أحدا من المذنبين لكي يعترف بخطاياه، ولا قالوا لأحد مغفور لك خطاياك بل كانوا يعظون الخطائين لكي يتوبوا إلى الله لعله يغفر لهم.

ويرد عليهم سؤال وهو:

إذا مات إنسان تائب عن خطاياه ولم يوجد كاهن ليمنحه المغفرة؛ فهل يذهب هذا التائب إلى نار جهنم خالداً فيها بسبب عدم نواله المغفرة من ذاك الكاهن، أم بالأحرى أن الله تعالى يقبل توبته ويغفر له ولا يضره شيء؟[2].

ولا شك أن مثل هذه الإلزامات والحجج على الكنائس التي تتسلط على الناس بحجة غفران الذنوب دليل على ابتداعها لمثل هذه العقائد من أجل استيلائهم على ضمائر الناس وجعلهم تحت وصايتهم ورحمتهم.

ومن تلك البدع المحدثة التي فرضتها الكنيسة ما يسمى بصكوك الغفران، وهي قمة المهازل التي لم يعرف لها مثيل في تاريخ الأديان وقد نشأت هذه الصكوك عن فكرة دينية روج لها رجال الكنيسة، مؤداها أن الإنسان إذا ارتكب خطيئة ثم ندم على

---

(١) انظر: الدليل إلى طاعة الإنجيل، المعلم ميخايل مشاقة، ص٤٨-٤٩. بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٥٣-٥٤، بتصرف.

ارتكابها وتاب منها ثم اعترف بها أمام القسيس فإن مثل هذا الإنسان لا يدخل الجنة مباشرة بل يظل فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر في المطهر يلقى فيها نوعا من العذاب حتى يتطهر تماماً من الذنوب التي اقترفها[1].

تقول "كارين آرمسترونج": "الغفران عرف كاثوليكي معقد اتسم ببالغ الأهمية أثناء الحملات الصليبية، فعن طريق بعض الإجراءات المعينة كان الباباوات يمنون على الكاثوليك بوسيلة للتخفيف من العقوبة المؤقتة التي ستنزل بهم نتيجة الذنوب والخطايا التي ارتكبوها في الحياة الدنيا، وكذلك في المطهر حيث يطهرون أنفسهم من الآثام قبل دخولهم الجنة. كان الحج إلى القدس اوكومبوستيلا (قبر القديس يعقوب في كومبوستيلابأسبانيا)، وفيما بعد الاشتراك في الحملات الصليبية يضمن للمسيحي إعفاؤه من كل العقاب الذي ينتظره، وفي حال ما إذا مات خلاله فهو يذهب رأساً إلى الجنة ".[2] ومن هنا اخترعت البابوية هذه الصكوك، والتي من خلالها يستطيع أن يختصر الإنسان على نفسه الذهاب إلى الحج والمشاركة في الحملات الصليبية بمال يدفعه إلى رجال الكنيسة والذين بدورهم يهبونه صكاً باسمه تتعهد فيه الكنيسة بأن يضمن للمشتري غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبراءاته من كل جرم وخطيئة سابقة ولاحقة، وأخذت البابوية ترسل أشخاصاً يروجون لهذه الصكوك من أجل بيعها على الناس في أماكنهم، بل إنها ادعت امتداد أثر هذه الصكوك حتى للأموات، فقررت أن في استطاعة كل إنسان حي له عزيز احتواه القبر أن يشتري له نيابة عنه صكوك الغفران، وعند ذلك يغفر الله لهذا الميت كل ذنوبه. وزاد في مهزلة بيع صكوك الغفران أن الباباوات كانوا يعهدون إلى بعض المصارف المالية في ألمانيا بيع صكوك الغفران إلى عملاء البنك فانتقلت المسألة من عملية دينية بحتة إلى عملية مصرفية[3].

---

(١) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، أ.د.عبدالعزيز الشناوي، ص٢٧٦.

(٢) الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ص٦٨٩.

(٣) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ص٢٧٧، العلمانية، د.سفر الحوالي ص١١٠.

وقد زادت هذه الصكوك من انغماس الناس في الخطايا والآثام طالما أن مرتكبها سيكون بمنجاة من عذاب الآخرة، وكان هذا لسان حال المذنبين (لست أبالي كم ارتكب من الذنوب أمام الله لأن من السهل علي أن أتخلص من كل ذنوبي، ومما يترتب عليها من العقاب بالمغفرة وصكوك الغفران يمنحني إياها البابات الذي أبتاعها مستورة نظير أربع بنسات ادست كأني أكسبها في لعبة تنس مع من في مقدرته أن يمنح هذا الغفران)(١).

فقد بلغ من مهازل هذه الصكوك أن بائعيها كانوا يطوفون البلاد ويفرقون خطابات بالمغفرة نظير بنسين ونظير جرعة من خمر أو الجعة تارة أخرى بل إنهم يعطونها نظير استئجار عاهر أو نظير الحب الدنس(٢).

ولا شك أن مثل هذا الكهنوت أكبر دليل على فساد الديانة النصرانية وانحرافها واستغلال الباباوات لمثل هذه البدع في فرض سيطرتهم واضطهادهم للمجتمعات النصرانية، فمع ما فيها من أكل أموال الناس بالباطل فهي كذلك افتراء على الله، وتعد عليه في بعض خصائص الرب تبارك وتعالى وهي غفران الذنوب وسترها.

والإنسان مهما بلغ صلاحه وتقواه إلا إنه لا يستطيع أن يقوم بها الفعل، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]، فضلاً عن أولئك الباباوات الذين ارتكبوا أعظم الظلم والجور، وظلموا أنفسهم بأن جعلوا لله سبحانه تبارك وتعالى شركاء فجعلوه ثالث ثلاثة، وتارة جعلوا المسيح هو الإله، وأخرى ابن الإله، فإذا كانت هذه عقيدتهم الضالة الشركية فماذا تتوقع منهم في حياتهم وشؤونهم إذا وصفوا أنفسهم بالعصمة والسلطة المطلقة.

---

(١) قصة الحضارة، ٢٢/ ٥٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٢/ ٥٠.

۞ المسألة الثالثة: الاضطهاد العقلي والفكري:

لقد وهب الله سبحانه وتعالى الإنسان العقل، وخص بتلك المزية عن غيره من المخلوقات، وكرم العقل وجعله مناط التكليف، وامتدح سبحانه وتعالى أصحاب العقول التي تتفكر في خلقه تبارك وتعالى، وعندما تأتي دعوة تخالف ذلك الأمر، فإنه يكون ضد الفطرة ووأداً لتلك الميزة العظيمة، وهو ما فعلته الكنيسة بجبروتها وغطرستها من تحجيم دور العقل ووضعت كهنوتاً فكرياً جعلت العقل خاضعاً لها ومسلماً لكل القضايا التي تضع الكنيسة في مأزق وحرج عند مناقشتها أو إثارة أي تساؤل حولها، ولذلك كانت تستخدم سلطانها الطاغي لمنع المناقشة في هذه الأمور. وقد اعتبرت النصرانية أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما هو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به[1].

ووقر في نفوسهم أن السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم[2].

وفي حالة وجود صراع بين العقل والإيمان فمعنى ذلك أنه قد تهيأت ظروف جعلت وجود هذا النزاع أمراً حتمياً، يمكن بيانها فيما يلي:

١ - أن تتهيأ لرجال الدين سلطة تمكنهم من اضطهاد العقل وإيذاء رواده[3].
وقد استندت هذه السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على المرؤوسين في عقائدهم وما تكنه ضمائرهم ما جاء في إنجيل متى " أعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل مما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات"[4].

---

(١) انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، ص٣٦.

(٢) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د. أحمد عجيبة ص١١.

(٣) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل ص٢١.

(٤) إنجيل متى ١٦/ ١٩

٢- أن يوجد عقل يقوى على اقتحام " منطقة الحرام " وارتياد آفاقها، والانتهاء منها إلى اكتشاف مجهول أو إنكار مألوف، وعندئذ يصبح بفضل جرأته ويقظته أهلا للاضطهاد من خصومه[١].

عندما ظهرت النصرانية خلال القرون الأولى من نشأتها لم يحدث صراع بين العقل والإيمان النصراني أو أنها قامت باضطهاد أحد من أتباعها نتيجة تساؤل أو انتقاد لكون الكنيسة ما زالت في ضعف ولا تمتلك سلطة زمنية تحول لها معاقبة أي أحد بالإضافة إلى أن العقل كان مسالماً غير قادر على مواجهة السلطة الكنسية، واستمر على هذا الحال حتى الفترة الأولى من العصور الوسطى. وعندما أقبل القرن الثاني عشر، أفاقت أوروبا المستغرقة في سباتها الآمن على دعوة جديدة لا تساير روح العصر، نادى بها "أبيلارد" وطالب فيها بتحرير العقل من كل قيمة واعتباره الحكم الذي يفصل في كل رأي، ويعرض بالمناقشة الحرة حتى لحقائق الوحي المنزل، وتعاليم الكنيسة المقدسة.

لقد أحدث أبيلارد بتلك الكتابات والاعتراضات التي وجهها ضد النصرانية اضطراباً شديداً، وقد انتشرت بعض كتبه انتشاراً واسعاً، وكان يركز أبيلارد على طلابه والإجابة عن تساؤلاتهم العقلية والجدلية[٢].

كان الذي أزعج الكنيسة من أبيلارد هو افتراضه أن لا أسرار في الدين، وأن العقائد كلها يجب أن تكون قابلة للتفسير القائم على العقل، وأقام البحث اللاهوتي على أساس من منطق العقل، ورفضه كل ما لا يتمشى مع منطق دعوته، وعرض الى عقيدة التثليث في الأقانيم فأولها تأويلاً يساير منطق العقل، وهال رجال الدين ما رأوه من كلف الناس بدعوته وتهافتهم على الاستماع لمحاضراته فتصدوا لمقاومته ومقاومة

---

(١) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢١، ص٨٨.

(٢) انظر: قصة الحضارة ١٧/ ٧٦

النزعة الجديدة التي ينادي بها، واتهم بالهرطقة[١].

لقد تم عقد مجمع تواسون لمحاكمة أبيلارد عام ١١٢١م، وأدان المجمع رأيه، من غير أن يستمع إليه أو يتم مناقشته، وقرر إحراق كتابه الذي تناول فيه عقيدة التثليث، وأستدعى أبيلارد وأكره على إلقائه في النار بيده، ثم سجن في أحد أديرة سواسون، ولكنه عاد إلى مواصلة بحثه في حدود منهجه العقلي، واستطاع "برنارد" في عقد مجلس لمحاكمته في سان عام١١٤١م، فارتحل أبيلارد إلى روما مستنجداً بالبابا، ولكن خصمه قد كشف عما تتضمنه آراؤه من بدع، وتمكن _ في العام التالي- من استصدار قرار بإدانته، ووافق البابا على حرمانه من التعليم، وفرض الصمت الدائم على أبيلارد وأمر بحجزه في أحد الأديره حتى مات سنة ١١٤٢م[٢].

ويرى بعض المستشرقين أن كتابات ابن رشد حررت الغرب من سيطرة الكنيسة، فبدأ يراجع مسلماته التي ظلت طيلة ألف عام فوق العقل، ولا يجرؤ أحد على المجاهرة بما يناقض المسلمات الكنسية، وقد تم ذلك على يد " مشيل سكوت" فهو أول من أدخل ابن رشد إلى اللاتين في القرن الثالث عشر، وجميع كتابات ابن رشد المهمة تقريبا ترجمت من العربية إلى اللاتينية في أواسط القرن الثالث عشر[٣].

والكنيسة لم تكن قيودها على العقل والفكر فقط، بل حظرت على الناس البحث في الذات الإنسانية بما لا يتفق مع تعاليمها، واتخذت من نفسها رقيباً على ضمائرهم، فقد عز عليها أن تجدهم يعكفون على أنفسهم؛ لأنها خشيت أن تؤدي معرفة الذات إلى تحررهم الروحي تمهد السبيل لقبولهم مفهوماً جديداً عن العالم يختلف عن المفهوم الديني الذي تتبناه الكنيسة[٤].

---

(١) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص٩٩، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي ص٣٢.

(٢) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص٩٩.

(٣) انظر: ابن رشد والرشدية، إرنست رينان، ص٢١٨.

(٤) انظر: الفلسفة الحديثة، عرض نقدي، د. متى كريم ص١٢ بتصرف.

إذاً الكنيسة في اضطهادها العقلي والفكري لم تتوان في استخدام شتى الوسائل من أجل المحافظة على كهنوتها العقائدي، فنادت بالقضاء على المهرطقين، وعدت الهرطقة العقلية مرضاً يجب استئصاله بكل قوة وحزم.

ومما يبين هذا الأمر ويزيده إيضاحاً إصرار الكنيسة على الحجر الفكري، ومنع أي رأي يخالف كهنوتها العقيدي والتعليمي ما قامت به من إعداد ما يسمى بالفهرس " وهو عبارة عن سجل يحوي أسماء الكتب والرسائل والمنشورات التي تعتبرها البابوية خروجاً على المذهب الكاثوليكي، ولم تقنع البابوية بتحريم تداولها بين الجماهير بل عملت على إحراقها"[(١)].

وقد أطلقت عليها الكنيسة الكاثوليكية الكتب المهرطقة أي الكتب التي تحمل بين طياتها كفراً وزندقة[(٢)].

وبدأت هذه الحملة من وقت مبكر لكن في عهد البابا الاسكندر السادس ذهب بهذا القرار إلى مداه مجلس لاتيرن عندما قرر معاقبة كل ناشر يقدم على طبع كتاب من غير ترخيص من هيئة دينية خاصة بذلك، وكانت العقوبات التي أقرها تتراوح بين الحرمان ودفع الغرامة، ومصادرة الأملاك وإعدام الكتب[(٣)].

وقد اهتم البابوات أنفسهم بمتابعة هذا الفهرس وتجديده في كل وقت، حتى أن البابا بولص الرابع وضع عشر قواعد لهذا الفهرس من أجل الاستعانة بها عند تحريم تداول الكتب المهرطقة، وقد سار البابا بايس الخامس على طريقته فأمر بتشكيل لجنة من الكرادلة سميت جمعية الفهرس وعهد إليها بإضافة أسماء الكتب التي تظهر تباعا وتتعارض مع المذهب الكاثوليكي[(٤)].

---

(١) دراسات التاريخ الأورو والأمريكي ا ديث ، أ.د . عمر عبدالعزيز ، ص ١٩٣.

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ص٤٣٩.

(٣) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص١٨٣.

(٤) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ص٤٤.

إن مثل هذا الحجر الفكري من السلطة الكنسية الكاثوليكية أمر واقع في كل وقت وعصر، ففي الولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر بين أحد الكتاب هذه الحقيقة بقوله: "ما من صحيفة مؤثرة على الكنيسة الكاثوليكية يسمح لها أن تطبع حتى تعرض على الكاروينال للنقد"(١).

ومما ينبغي أن نذكره هنا أن هذا الاضطهاد العقلي لم يكن فقط من فعل الكنيسة الكاثوليكية بل نجد حتى أن البروتستانت لما أصبحت لهم سلطة تحميهم وتنشر مذهبهم؛ أخذوا يمارسون ذلك الاضطهاد، فإن لوثر قد احتج على كبح الآراء وإحراق الملحدين، فقد كان يخشى أن تكون جماعته ضحية هذا الاضطهاد الكنسي الدامي، فلما أمن شر الخصومة وقوي مركزه وتوطد نفوذه أعلن رأيه الصحيح، فأوجب على الدولة أن تفرض ما يبدو لها رأياً سليماً، وأن تستأصل الهرطقة؛ لأنها رجس من عمل الشيطان، وصرح بأن غاية الدولة حماية الدين من المارقين، وكذلك كلفن فقد كان أشد تعقباً لآرائه وضيقاً بمخالفيه، وقد أنشأ حكومة في جنيف، فجمع بين السلطتين الروحية والزمنية وتمكن بهذا من أن يسحق حرية النظر العقلي، وينكل بخصومه سجناً وحرقاً وإعداماً.(٢)

يقول لوثر: "أنت لا تستطيع أن تقبل كلاً من الإنجيل والعقل فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر"(٣) ويقول كذلك: "إن العقل أكبر عدو للدين"(٤).

يقول محمد قطب - رحمه الله - منتقداً هذا الأسلوب الذي تمارسه الكنيسة -: "إن ادعاء الكنيسة أن العقل لا ينبغي له أن يسأل وأن يناقش في أمر العقيدة، وإنما

---

(١) قراءات في عقائد الغرب، فيصل الكاملي، ص٨٧.

(٢) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص٥٦-٥٧ بتصرف.

(٣) قصة الحضارة ٢٤/ ٥٦.

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ٦٢٣.

عليه أن يسلم تسليماً أعمى ويترك الأمر للوجدان،هو ادعاء ليس من طبيعة (الدين) كما أنزله الله. وإنما كان هذا من مستلزمات الأديان الوثنية التي تحوى أوهاماً لا يمكن أن يسيغها العقل لو فكر فيها، فتسكت صوت العقل وتمنعه من التفكير، بالسحر تارة، وبالتهديد بغضب الالهة المدعاة تارات ! وإذا كان هذا الأمر -وهو إسكات صوت العقل ومنعه من التفكير- غير مستساغ حتى في بداوة الإنسان أو ضلالة البشرية. فهو من باب أولى غير مستساغ في دين تزعم الكنيسة أنه هو الدين المنزل من عند الله، وأنه يمثل مرحلة راشدة في تاريخ البشرية!"[١].

لقد نصبت الكنيسة نفسها مالكة للحقيقة التي لا يمكن أن توجد إلا في داخلها فهي تحظر كل أمر فيه دعوة للفكر أو للبحث العقلي، يقول أحد الباحثين الغربيين واصفاً هذه الحالة: "طفقت الكنيسة تعي مهمتها، فكانت حارسة الفكر، ومرشدة الأذهان؛ فبوسعها لوحدها أن تحدد الحقيقة والخطأ، وما بمقدور البشر أن يفعلوا وما يترتب عليهم أن يعرفوا. فراحت تتحرك طبقا لما كانت تعتقده، مع نتائج تكتب بأحرف كبيرة إزاء التاريخ. وقد رد الطلاب الرهبان الجدد كنيستهم من الكاثوليكية التي كانت تشجع النهضة إلى المذهب الروماني الذي كان يحذف فكرة هذه النهضة"[٢].

(١) مذاهب فكرية ٣٩.

(٢) انظر: الكنيسة والعلم تاريخ الصراع، جورج منيو، ص٤٨.

۞ المسألة الرابعة: الاضطهاد العلمي:

سلكت الكنيسة أول أمرها الاضطهاد العقلي والفكري وحجرت على أتباعها أن يناقشوا ويطلبوا تفسيراً أو إيضاحاً حول عقيدة من عقائدها أو حتى نصاً من نصوص كتابهم المقدس؛ وتذرعت بحجة أن ذلك سراً من الأسرار الإلهية المقدسة. وزادت على اضطهادها هذا نوعاً آخر وهو الاضطهاد العلمي والذي يختلف عن سابقه بأن " حجر رجال الدين على العلماء التفكير بما تقتضيه المشاهدات العلمية إذا خالف التفسيرات الكنسية لما جاء من إشارات علمية في الكتاب المقدس عن شكل الأرض، وغير ذلك من الحقائق العلمية"[1].

لم يتوقف خطأ الكنيسة في حجرها على التفكير العلمي وعلى منعها العلماء من مزاولة نشاطهم العلمي بل أخذت تجتهد في إحباط أي رأي مخالف لتعاليمها وأفكارها، ولم تتوان لحظة واحدة في استخدام وسائلها القمعية الخبيثة الهمجية لإسكات العلماء والمفكرين.

إن الكنيسة تقوم على أساس من الأفكار التي تجعلها تتعامل مع العلماء بهذا السلوك المشين، فهي نتيجة حتمية لما تتلبس به الكنيسة من خرافات وثنية ومعلومات بشرية خاطئة نضمتها في سياق عقيدتها، ولم تكتف بذلك بل جندت نفسها لحماية تلك الآراء المنحرفة، ورمت كل من يكفرها بالهرطقة والحرمان، أضف إلى ذلك ضيق أفق الكنيسة وزعمها امتلاكها للحقيقة الكاملة المطلقة مما جعلها تنظر إلى كل اكتشاف وكل حقيقة علمية بعين الاستصغار والاحتقار.

بالإضافة إلى أن هناك أسباباً أدت إلى حصول هذا الصراع المرير بين الكنيسة والعلم ورجاله وهي:

١- اعتقاد الكنيسة في كتابها المقدس العصمة وأنه محال الخطأ والتحريف، يقول

---

(١) المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، د.عيسى بن عبدالله السعدي ص١٢

توفيق الطويل: "لو كان جميع رجال الكنيسة مستنيرين، أو كانت تعاليمهم مسايرة للتفكير الناضج؛ لهان خطب تعصبهم الذميم بعض الهون، ولكنهم كانوا يمثلون دورا من أدوار البربرية القديمة المظلمة قد تختلف مع الزمن، ووجد فيهم خير حماة، وبذلك أوقفوا تقدم المعرفة، وأوصدوا أبواب العلم، وحاولوا الحيلولة دون تقدمه حتى النصف الأخير من القرن الغابر، وقد هيمنت الكنيسة على كل ميادين البحث العلمي، وفرضت عليها ما تراه حقاً، مستندة في ذلك إلى سلطة الكتاب المقدس المعصوم من كل خطأ"[1].

٢- أن رجال دين النصارى يرون في العلوم التجريبية خصماً لهم من ناحيتين:

أولهما: أن هذه العلوم العقلية تستبعد الخوارق، وترفض تدخل قوى غير طبيعية في مجرى الأحداث في هذا العالم، وتقرر أن الله فاعل كل شيء[2].

وقد وصف محمد عبده خوارق العادات أنها من أركان وأصول الدين النصراني، وهذا يضاد القول بأن للكون شرائع ثابتة، وأن للعلل والشرائط أو الأسباب أو الدوافع أحكاماً في معلولاتها أو ما شرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها، وقد كان كل علم من علوم الأكوان لا بد فيه من هذا البحث، فكل علم مضاد لهذا الأصل، ثم إن صاحب الاعتقاد في الخوارق في غنى عن العلم الذي يبحث في الأسباب والمسببات[3].

ثانيهما: اعتقاد رجال الدين النصراني أن العلوم العقلية والتجريبية تقلل من دور الدين في التأثير على الناس، وتجعل هؤلاء ينصرفون عن طلب النجاة في الآخرة إلى

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص٣٤.

(٢) انظر: موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٣١٥.

(٣) انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، ص٣١-٣٢ بتصرف.

طلب السعادة في الحياة الدنيا، فلا يعود لرجل الدين أي دور[١].

٣- اعتماد رجال الدين النصارى على معلومات بشرية قديمة، وجعلها حقائق ومسلمات لا يمكن تغييرها بأي حال من الأحوال. يقول أبو الحسن الندوي: "إن رجال الدين النصارى دسوا في كتبهم المقدسة معلومات بشرية، ومسلمات علمية عصرية تتصل بالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، ربما كانت أقصى ما وصل اليه العلم في ذلك الوقت، وربما كانت حقائق لا شك فيها بالنسبة لرجال ذلك العصر، ولكنها ليست أقصى ما وصل إليه العلم الإنساني، وإذا كان ذلك غاية ما وصل إليه علم البشر في عصر من العصور؛فإنه لا يؤمن عليه التغير والتحول، فإن العلم الإنساني متدرج مترق، لا يقف عند حد معين، ولا يثبت على حال واحدة، فمن بنى عليه دينه فقد بناه على كثيب من الرمال "[٢].

٤- فرض الوصاية الطاغية من قبل الكنيسة على ما ليس داخلا في دائرة اختصاصها، حيث توهمت أن في قدرتها امتلاك الحقيقة العلمية دون اعتبار للتجربة المحسوبة أو النظر العقلي السليم إذا لم تكن التعاليم الكنسية قد جاءت به[٣].

إن اضطهاد الكنيسة للعلماء بدأ في وقت مبكر، ففي عام ٤١٥ م قامت كنيسة الإسكندرية للأقباط الأرثوذكسي بقتل هيباتيا[٤] عالمة الرياضيات والفلسفة في مدرسة الإسكندرية، وقد قتلها شرذمة من الرهبان بتوجيه من سيريل أسقف الإسكندرية، وحجة النصارى في قتلها أنها تشتغل بالعلوم والفلسفة، ويجتمع إليها

---

(١) انظر: موسوعة المستشرقين، ص٣١٦.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص١٥٦

(٣) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي ص١٤٧.

(٤) هيباتيا (٣٧٠-٤١٥م) يونانية من الإسكندرية، فيها ولدت وماتت وتعلمت، افتتحت مدرسة لتعليم الفلسفة، وكان مذهبها الأفلاطونية المحدثة.(انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبدالمنعم الحفني ٢/ ١٤٩٥- ١٤٩٦).

كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية، وكان لا يخلو مجلسها من البحث في بعض المسائل: من أنا؟ وإلى أين أذهب؟، وماذا يمكنني أن أعلم؟ فلم يحتمل سيريل هذه العالمة وأخذ يثير الرهبان والشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق وهي سائرة إلى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها إلى الكنيسة، وقتلوها هناك، ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقي في النار[1].

ونتيجة اختلاط المسلمين بالغرب أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد أوروبا، وكذلك ما قام به الغرب الصليبي من حروب صليبية لبلاد المسلمين، وقد أسهم هذان الأمران في التحرر من الاحتكار الكنسي للعلم والثقافة، وحصل عند الغرب إعجاب كبير بتلك الحضارة، حتى عبر أحدهم عن ذلك بقوله: أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب، بعدما أفاء الله علينا وبدل الغرب إلى الشرق[2].

كل هذا أدى إلى استفادة الغرب من تلك العلوم والمنجزات، فتفتحت عقولهم واتسعت مجالات البحث العلمي، فظهرت حقائق علمية تتصادم مع تلك المسلمات التي ورثتها الكنيسة، وأصبحت مقدسة لا تقبل الجدال والنقاش، وأخذت الكنيسة تدافع عن تلك المسلمات، وتصف كل من جاء ينازعها في هذا الأمر بالهرطقة؛ "فكان لابد أن يحصل الصدام بين رغبة متفجرة في المعرفة والبحث عن الحقيقة وبين مقررات دينية متناقضة ومجافية للعقل والمنطق، وموقف كنائسي متصلب ومتعجرف وفساد بابوي بلغت رذائله حداً من البشاعة يفوق تصور البشر"[3].

ونسوق هنا بعض تلك النظريات والاكتشافات العلمية التي واجهتها الكنيسة:

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية١/ ٢٧٤، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٤٢.

(٢) الله ليس كذلك، زيغريد هونكه، ص٤٣.

(٣) الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، محمد مبروك، ص١٤٣.

١- كوبرنيقوس[1]: صاحب نظرية دوران الأرض، توصل في مطلع حياته إلى نظرية مفادها أن الشمس هي مركز الكون، وأن الأرض تدور حولها.[2] وهو ما رفضته الكنيسة الكاثوليكية؛ لأن فيه انتقاصا من قدر المسيح وتهوينا لشأنه، وهو ما يعتبر هرطقة تستحق الموت[3].

كان "كوبرنيقس" أستاذاً في روما، وكان يدرك خطورة مثل هذه الآراء التي تعارضها الكنيسة الكاثوليكية، فأعلن عن فكرته باعتبارها فرضاً متناقضاً في ظاهره، أكثر منها مذهباً علمياً في الطبيعة، وبعد ثلاثين عاماً تولى أحد تلامذته (ودمانستان) بشرح هذه النظرية للبابا " كليمان السابع " باعتبارها مجرد فرض يدفع إليه حب الاستطلاع، وبعد أن أتم "كوبرنيقوس" دراستها حتى أصبحت عنده حقيقة لا تقبل شكاً، أدرك أن إعلانها في روما ينذر بسوء المصير، ولهذا رجع إلى وطنه بولنده بائساً ووضع كتابه «حركات الأجرام السماوية» وأهداه إلى البابا ولكنه تردد في نشر الكتاب ثلاثة عشر عاماً، ولما عزم طبعه تردد في مكان طبعه؛ لأن روما مقر الكثلكة، وتنبرج مهد البروتستانتية، فهما معقل أعداء كل جديد، فلجأ إلى نورمبرج وعهد بكتابه إلى أوسباندر، ولم يجرؤ هذا الناشر إذاعة هذا الكتاب من غير مقدمة، تنكر فيها على صاحب الكتاب اكتشافه العلمي وقال: إن كوبرنتوس لم يحاول نشر هذا المذهب على أنه الحقيقة، بل على أنه مجرد نظرية تحليلية لا غير. وقد تلقى كوبرنيكوس أول نسخة من كتابه وهوطريح الفراش يعاني متاعب الشيخوخة في السبعين من عمره وقد مات في مرضه هذا[4].

---

(١) نيقولا كوبرنيقوس: (١٤٧٣-١٥٣٤م)، عالم فلكي بولندي، درس الإنسانيات والرياضيات والفلك في جامعة كراكو، يعد مؤسس النظرية الفلكية الحديثة في الكون (انظر: المنجد في الإعلام ص٤٧١)

(٢) انظر: الإلحاد في الغرب، د. رمسيس عوض، ص٤٥-٤٦. بتصرف

(٣) انظر: العلم في منظوره الجديد، ص٨، تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ص٤٨

(٤) انظر قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص١٧٧ - ١٧٨، بين الدين والعلم، ص٣٤-٣٥ بتصرف.

وتعد نظرية كوبرنيقوس هي النظرية التي هزت الكنيسة لأول مرة، وقبلها كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة[1].

لقد كان لنظرية كوبرنيقوس أثر مدمر على اللاهوت النصراني، وشكلت صدمة قوية للكنيسة مهدت لانفصال العلم عن الدين في الغرب، وذلك بسبب التصادم الذي حصل بين النظريات العلمية المطروحة ونصوص الكتاب المقدس[2].

وتوافق رأي الكنيسة البروتستانتية مع الكاثوليك في رفض نظرية كوبرنيقوس، ووصفت صاحبها بأقذع الأوصاف، يقول رسل: "ولقد استقبلت النظرية الكوبرنيقية بعداء شديد من جانب اللوثريين فضلاً عن الكاثوليك، ذلك لأنهم شعروا عن حق، بأن هذه بداية حركة جديدة مضادة للجمود العقائدي، من شأنها إن لم تهدم عقيدتهم ذاتها، أن تهدم على الأقل تلك المبادئ السلطوية التي كانت تعتمد عليها مؤسساتهم الدينية[3].

وقد اعتبر لوثر أن كوبرنيقس منجم مدع، حيث قال عنه: يصغي الناس إلى منجم مأفون يحاول أن يثبت أن الأرض تدور، وليس كذلك السموات والأفلاك والشمس والقمر.

لا جرم أن كل من يريد أن يحوز شهرة اللباقة والنهى يحاول أن يثبت مذهباً جديداً زاعماً أنه أصح المذاهب وأصدق الحقائق، غير أن هذا الممسوس يريد اليوم أن يقلب قواعد علم الفلك رأساً على عقب في حين أن نصوص الكتاب المقدس تدل على أن يوشع قد أمر الشمس أن تقف ولكنه لم يأمر الأرض[4].

---

(١) انظر: العلمانية، د.سفر الحوالي، ص١٥٠.

(٢) انظر: الإلحاد في ص٤٦، تكوين العقل الحديث، جون هرمان، ص٣٦٨.

(٣) حكمة الغرب، برتراند رسل، ٢/ ٥١

(٤) بين الدين والعلم، ص٣٨

ويرى كالفن نفس الرأي حيث قال: "العالم ثابت لا يمكن تحريكه، من يجرؤ على أن يضع سلطة كوبرينقوس فوق سلطة الكتاب المقدس"[1].

وقد عرفنا من قبل كيف أن كوبرينقوس لم يستطع أن يعلن عن نظريته هذه بكل صراحة، فحتى كتابه الذي طبعه خرج بصورة مشوهة، ومع ذلك لم ينج كوبرينفوس من اضطهاد الكنيسة لأنه كان قسيساً، بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل، فلم تعط المحكمة فرصة لعقوبته، إلا أن الكنيسة حرمت كتابه «حركات الأجرام السماوية» ومنعت تداوله، وقالت: أن ما فيه هو وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل[2].

٢- جيوردانو برونو[3]: لقد تبنى برونو الفلك الكوبرنيقي، وأثار ضجة قوية عندما بدأ يجاهر به في كل مكان، وذلك لتعزيز نظريته في الكون اللامتناهي، هذه النظرية التي تحل برأيه محل النصرانية بوصفها السبيل الأوحد للخلاص والسعادة[4].

وأدانت الكنيسة برونو على تلك الآراء، ولهذا حوصر في مدينة البندقية وقبض عليه وألقي في أعمق سجون محكمة التفتيش في روما ستة أعوام، ثم أحرق حياً، وذريت مع الريح بقاياه الترابية[5].

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية، رسل، ص٦٢.

(٢) انظر العلمانية، د.سفر الحوالي، ص١٥٠.

(٣) جيوردانو برونو (١٥٤٨- ١٦٠٠م) فيلسوف إيطالي، كان راهبا ثم عكف على دراسة الفلك وكتب أربعة كتب علمية فلكية، أشهرها حول الكون اللانهائي وعوالمه، اتهمته الكنيسة بالهرطقة ومحاربة الدين فأعدمته حرقا. (انظر: الكنيسة والعلم تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، جورج منيوا، ترجمة موريس حلال، ص٤٤١-٤٤٢)

(٤) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كوليز، ترجمة فؤاد كامل ص٤٦.

(٥) انظر: بين الدين والعلم، ص٤٢، الإلحاد في الغرب، ص٤٧، مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد، أ.د.محمود مزروعة، ص٧٦، العلمانيون والقرآن الكريم، ص٥٠، العلمانية، سفر الحوالي، ص١٥٠

٣- جاليلو[1]: جاء بعد برونو عالم إيطالي آخر وهو (جاليليو)، وكان يؤيد نظرية كوبرنيقوس، واهتدى إلى غيرها من الآراء التي لا تجري على النسق التي ترتضيه الكنيسة، وقد اخترع جاليليو التلسكوب الذي يدني البعيد فتراه وكأنه على كثب منك، وبه كشف أقمار المشتري عام ١٦١٠م، فرفض خصومه النظر إليه بحجة أن استخدامه يوقع في الكفر، وأن ما يبدو خلاله ليس إلا أوهاماً يوسوس بها الشيطان الخناس[2].

لقد أدركت الكنيسة خطورة آراء واكتشافات جاليليو، فقامت باضطهاده، وكان ذلك عندما اتفق البابا بولس الخامس مع رئيس أساقفة يبزا على الانتقام من هذا الملحد الضال، وحاول هذا الأسقف أن يستخدم الحيل الخبيثة في الاستيلاء على خطابين قد كتبهما جاليليو ليؤيد فيهما مباحثه الطبيعية بنصوص من الكتاب المقدس، وأنه قام بتأويلها تأويلاً لا ترتضيه الكنيسة ولا تحتمله، فلما أخفق في محاولاته المستورة أبدى خصومة سافرة، وسرعان ما استدعى جاليليو عام ١٦١٥ م للدفاع عن نفسه أمام محكمة التفتيش، وحضر جاليليو أمام البابا بولس الخامس[3] وطالبه بالتخلي عن رأيه، وأمره باسم قداسة البابا، وباسم مجامع الديوان المقدس، أن يتخلى عن الرأي القائل بأن الشمس مركز الكون، وأنها لا تدور حول الأرض، وأن الأرض تدور، وأن يتعهد بألا يعلم هذا الرأي لأحد من الناس، أو يدافع عنه كتابة أو مشافهة،

---

(١) جاليلو جاليلي (١٥٦٤-١٦٤٢م)، عالم إيطالي، ويعتبر من أشهر العلماء في عصر النهضة، اخترع التلسكوب الذي اكتشف بواسطة توابع المشتري، من أهم كتبه (أبحاث في علمين جديدين) الذي طبع في هولندا سنة ١٦٣٨م خشية من الرقيب (انظر: الفلسفة الحديثة عرض نقدي، د.كريم متى، ص٣٥، الإلحاد في الغرب، ص٤٦-٤٧.

(٢) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢١٥، بين الدين والعلم، ص٤٣.

(٣) بولس الخامس (١٥٥٢-١٦٢١م)، عين بابا رومة (١٦٠٥-١٦٢١م). حاول تنظيم حملة صليبية على الأتراك العثمانيين، ولكن على غير طائل. شجع الإرساليات الكاثوليكية، أتهم بمحاباة أنسبائه وأقاربه. (انظر: موسوعة المورد العربية ١/ ٢٦٥).

وأذعن جاليليو لهذا كارهاً[1].

ونتيجة لمضايقة واضطهاد السلطات الكنيسية في روما ارتحل إلى فلورنسا وظل قابعاً في بيته لا يخالط الناس، حتى اعتلى عرش البابوية أوربان الثامن[2]، وكان يتظاهر بحرية الرأي والإخلاص لجاليليو، ورجع جاليليو إلى روما وأخذ يعلن عن آرائه والترويج لها بين الناس، فتحركت الخصومة من جديد، وفقد مُرَتَّبَه كأستاذ في جامعة بيزا، وأعلن الأب ملشوارإنخوفر أن القول بحركة الأرض أسف كل ضروب الهرطقة وأكبرها إثماً، وأشدها في الدين قدحاً، وأقذعها قذفاً، وإن ثبات الأرض أمر مقدس ثلاثاً، وإن البرهنة على فناء النفس وإنكار الله وعدم تجسده، أشياء يمكن أن يتسامح فيها قبل أن يتسامح في البرهنة على أن الأرض تتحرك. وفي عام ١٦٣٢م نشر جاليليو كتابه المشهور (حوار) ناقش فيه خلال أربعة أيام متتالية أهم نظرتين في العالم، فكلف البابا لجنة تتولى فحص الكتاب، واستدعاه ديوان التفتيش للمثول أمامه فاعتذر باعتلال صحته. وعندما مثل جاليليو أمام المحققين في روما بعد انقضاء خمسة أشهر، وسأله هؤلاء المحققون إذا كان يؤمن بالفلك البطليموسي الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية قرر كذبا أنه يؤمن به. ويبدو أن المحققين استشعروا كذبه فطلبوا إليه أن يوقع على وثيقة ينكر فيها قوله بدوران الأرض، ولم يتردد جاليليو في الإنكار ووقع على صياغتها وهو جاث على ركبتيه قائلاً: أنا جاليليو وقد بلغت السبعين من عمري، سجين راكع أمام فخامتك، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول الخاطئ الإلحادي بدوران الأرض[3].

---

(١) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢١٦-٢١٧.

(٢) أوربان الثامن: مايو بربر مني، تولى البابوية (١٦٢٣-١٦٢١م) تزامنت بابويته مع ترسيخ الملكية المطلقة في فرنسا، له ميول معمارية. (انظر: معجم الباباوات، ص٢٥٢).

(٣) انظر: بين الدين والعلم، ص٥٣-٥٥، تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم، ص٢١، الإلحاد في الغرب، ص٤٧، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢١٧-٢١٨.

لقد استمر اضطهاد جاليليو كل أيام حياته، فقد بقي في منفاه مريض النفس والجسم معا، ولبث في سجنه حتى كف بصره، وازداد حزنه عندما ترامت إليه أنباء الاضطهادات التي نزلت بأصدقائه وأتباع مذهبه، وتزامن مع ذلك أمر المجمع المقدس بإرسال الحكم على جاليليو ورجوعه إلى المعسكرات الدينية في أنحاء العالم الأوربي، ثم تقدم رجال الكنيسة خطوة أخرى، فقد صدرت الأوامر لأعضاء محكمة التفتيش بأن لا يسمحوا بإعادة طبع شيء من كتب جاليليو أو ما يشابهها من الكتب، وتوج الفهرست هذه الجهود تحريم كل كتاب يؤيد دوران الأرض(١).

٤- ديكارت(٢): آمن ديكارت بصحة آراء جاليليو الفلكية وألف كتابا بعنوان "العالم" ضمنه آراء جاليليو الخاصة بدوران الأرض، ولا نهائية الكون. ولكنه خشي على نفسه من اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا، وقد قال ديكارت حينما سمع بما حدث لجاليليو: "لقد كان لهذا النبأ أعمق الأثر في نفسي حتى كدت أقدم العزم على أن أحرق كل مخطوطاتي أو على الأقل أخفيها عن الأنظار، وإذا كانت حركة الأرض غير صحيحة فإن كل مبادئ الفلسفة عن ميكانيكية العالم خاطئة، لأنها كلها مترابطة يؤيد بعضها بعضاً، ولكني على أي حال لن أنشر شيئاً يتضمن كلمة واحدة تغضب الكنيسة"(٣).

ولذلك كان يجامل رجال الدين دائماً بخاصة الجزويت(٤)، وهناك بعض

---

(١) انظر: بين الدين والعلم، ص٥٥-٥٧، الصراع بين الدين والفلسفة، ص٢١٩.

(٢) رينيه ديكارت: (١٥٩٦-١٦٥٠م) فيلسوف فرنسي، يطلق عليه أبو الفلسفة الحديثة، ولد في بلاهي من فرنسا، تلقى علومه الأولى في مدرسة لافليش اليسوعية، من كتبه: مقال في المنهج، مبادئ الفلسفة، التأملات. (انظر: الفلسفة الحديثة، يوسف كرم ص٥٨).

(٣) قصة الحضارة ٣٠/ ٢٣٢.

(٤) الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وهي جمعية دينية متعصبة تهدف حالياً إلى القضاء على الدين الإسلامي (انظر: الموسوعة الميسرة =

المؤرخين اتهمه بالنفاق والرياء[1].

ويبدو أن الكنيسة شعرت بهذا، ولذلك وضعت مؤلفاته في قائمة الكتب الممنوعة سنة ١٦٣٣م في روما وحرم تدريس فلسفته في الجامعات الفرنسية[2].

وقد انتقل نتيجة مضايقة الكنيسة الكاثوليكية إلى هولندا والتي كانت تدين بالمذهب البروتستانتي إلا أنه تعرض كذلك للمضايقات من البروتستانت في هولندا بدعوى أن أراءه تؤدي إلى الإلحاد. وكاد أن يتعرض للمحاكمة، لولا تدخل السفير الفرنسي في هولندا.[3]

والأمثلة كثيرة على اضطهاد الكنيسة وجبروتها ضد المخالفين لها.[4] حتى في بعض الأمور التي لا تؤثر على دين الكنيسة في شيء إنما هو مجرد اكتشاف علمي قد ينفع ولا يضر، فمثلاً: قاومت الكنيسة الحقن تحت الجلد، كما قاومت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها[5].

وهكذا قطعت الكنيسة صلاتها بالعلم بأن اتخذت اتجاهاً مضاداً له، وأجبرت الكاثوليك إما أن يكونوا صالحين أو علماء، أما الجمع بينهما فكان مستحيلاً كما بينته قصة جاليليو[6].

= في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ٦٣٢).

(١) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص١٩٤، العلمانيون والقرآن الكريم، ص٦٣.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ص١٠١، قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص١٩٦.

(٣) انظر: الإلحاد في الغرب، ص٦٠.

(٤) مثل دي رومنيس الذي قال: إن قوس قزح ليست قوسا حربية، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء، فحكمت عليه الكنيسة بالسجن حتى مات، ثم حوكمت جثته، وكتبه، فحكم عليها وألقيت في النار. (انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده ص)٤٥.

(٥) انظر: الإسلام والنصرانية، ص٥١.

(٦) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة ص١٤٨.

وهكذا أصبحت الكنيسة تتدخل في شتى المجالات، حتى ولّد عند الناس كرهاً لها ولممارستها القمعية، وانعكس ذلك على موقف الناس من الدين عموماً، وتحولت أوروبا من عصر الحجر على العقول وتكميم الأفواه إلى عصر الإلحاد والإيغال في الماديات، والانحلال في شتى الاتجاهات، وظهر بالتالي كثير من الأفكار والنظريات التي غزت العالم كله.

المطلب الثاني
المجامع النصرانية

اعتادت الديانة النصرانية إحداث مثل هذه المجامع لمناقشة جميع القضايا العقدية وكذلك التنظيمات الكنسية وإدارتها، فهي بمثابة مجالس تشريعية.

وتكمن أهمية المجامع عند النصارى في كونها فرضت سيطرتها على عقول النصارى حين قررت أن التعاليم النصرانية من عقائد وشرائع ونظم وعبادات لا يتلقاها الناس من الكتب النصرانية بل لابد من تلقيها من المجامع المؤلفة من الأساقفة بدعوة من الأباطرة(١).

يقول أبو زهرة: "إن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية رأساً بل لابد أن تلقيها من أحسن أولئك العلماء ورجال الكهنوت وأن أقوالهم ذاتها صحيحة سواء أخالفت النصوص أم وافقت وسواء أكانت الصواب أم خالفت الحق"(٢).

كما نجد أن هذه المجامع من خلالها تقررت كثير من العقائد المنحرفة، فما من عقيدة تؤمن بها النصارى اليوم إلا كانت نتاج تلك المجامع النصرانية، وكان من أخطرها مجمع نيقيه أول مجمع مسكوني والذي وضعت فيها النصارى قانون الإيمان أو ما يسمى بالأمانة(٣).

---

(١) انظر: تأثير المسيحية بالأديان الوضعية، ص٣٠٠.

(٢) محاضرات في النصرانية ص١٥٢-١٥٣.

(٣) ويسمى كذلك قانون الإيمان النيقوي وقد مر بعدة تطورات فكانت بدايته في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وفي مجمع القسطنطينية ٣٨١م تم تأليه روح القدس، وفي مجمع أفسس ٤٣١م وضعت مقدمة هذا القانون.ونص قانون مجمع نيقية الأول:" "نؤمن بإله واحد الله الآب كلي القدرة، خالق كل الأشياء، = ⇦

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح، كما وضع لهم الثلاثمائة وثمانية عشر الذين كانوا في زمن قسطنطين الملك الأمانة التي اتفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الآريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتابا، بل تخالف ما أنزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح"[1].

هذا إلى جانب أن هذه المجامع لا تعطي وصف العالمية إلا إذا قبل جميع الأطراف المشتركة والممثلة لجميع الاتجاهات، بالقرارات الصادرة عنها، إقراراً لصحتها واعترافاً بشريعتها والتزاماً بتعاليمها[2].

يقول "كيرلس": "لعصر المجامع في تأريخ الكنيسة المسيحية من المميزات الكثيرة، ما يجعل له أهمية كبيرة، فهو أول تطور واضح فصل بين عهدين، بل هو أول سلسلة مترابطة الحلقات صاغت الكنيسة قوانين إيمانها ووضعت لها من النظم والقرارات ما يكفل لها السير"[3].

ويمكن تلخيص المجامع على مر العصور في الديانة النصرانية على النحو التالي:

= ما يرى وما لا يرى ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود، غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الآب، به خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس، الذي تألم وفي اليوم الثالث قام، وصعد إلى السموات، ويأتي ليدين الأحياء والأموات" (انظر: مجموعة الشرع الكنسي ص٤٣، الفكر المسيحي ١/ ٦٣١، تاريخ الكنيسة المسيحية ١/ ٤٨، دائرة المعارف الكتابية ٤/ ١٠٨).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل الدين الصحيح ١/ ٣٤١.

(٢) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، د. عرفان عبدالحميد ص٨٢، موقف الغرب من الإسلام محاصرة وابادة د. زينب عبدالعزيز ص٧٨.

(٣) عصر المجامع، القمص كيرلس الأنطواني، ص١٨.

أولاً: المجامع المحلية أو الإقليمية:

اجتمعت هذه المجامع في منتصف القرن الثاني لمواجهة تشعبات علم اللاهوت، الذي كان يحول الإيمان إلى نوع من التأمل وفقاً للنمط اليوناني، ولمواجهة المذاهب الانشقاقية ومنها اتباع مونتانوس[١].

وقد شهدت فريجيا[٢] مجمعاً عام ١٧٥م حيث حرمت المونتانية، وكذلك في قرطاجة عام٢٢٠م حيث تمت معالجة أمور تتعلق بالذين جحدوا إيمانهم او لدراسة صحة المعمودية التي يمنحها الهراطقة[٣].

ثانياً: المجامع المسكونية[٤]:

وهذه المجامع يشارك عادة فيها ممثلون عن مختلف الكنائس والطوائف، وكان الإمبراطور هو الذي يدعو للاجتماع، ورغم أنه لم يكن يشارك في مداولة القرارات شخصياً، إلا أنه كان يوقع عليها كقوانين للإمبراطور[٥].

والسبب الأساسي لعقدها - لدى النصارى - هو ظهور آراء دينية غريبة رأى من الضروري فحصها في هذا المجمع، وإصدار قرارات في شأنها وشأن مبتدعيها[٦].

---

(١) انظر: موقف الغرب من الإسلام محاصرة وإبادة ص٧٩

(٢) فريجيا: مدينة قديمة في وسط آسيا الصغرى تقع بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وتسمى الآن تركيا الوسطى. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة فريجيا "المكتبة الشاملة").

(٣) انظر: الكنيسة في التاريخ، الخوري ناصر الجميل١/ ٤٧٣

(٤) سبق تعريف المجامع المسكونية، ص١٨٤.

(٥) انظر: النصرانية، د. عرفان عبدالحميد ص٨٢، موقف الغرب من الاسلام ص٨٠،المسيحية والاسلام د. لينة الحمصي ص٢١٢.

(٦) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة١/ ١٧١

وهناك سبعة مجامع مسكونية تتفق الكنائس الشرقيه[1] والغربية عليها هي:

١-المجمع المسكوني الأول" مجمع نيقيه الأول" عام٣٢٥م.

٢-المجمع المسكوني الثاني" القسطنطيني الأول" عام٣٨١م.

٣-المجمع المسكوني الثالث" مجمع أفسس" عام٤٣١م.

٤-المجمع المسكوني الرابع" مجمع خلقدونية" عام٤٥١م.

٥-المجمع المسكوني الخامس" القسطنطيني الثاني" عام ٥٥٣م.

٦-المجمع المسكوني السادس" القسطنطيني الثالث" عام ٦٨٠و٦٨١م.

٧-المجمع المسكوني السابع" مجمع نيقيه الثاني" عام٧٨٧م.[2]

ثالثاً: المجامع القومية في القرون الوسطى:

وهذه قد تكون أشبه بالمجامع المكانية، فقد أدى سقوط الإمبراطورية الرومانية وانتقال العاصمة إلى القسطنطينية في بيزنطية وفرض النصرانية على الشعوب الأخرى إلى ازدهار المجامع، وتزايدها لمواجهة التوسعات وملاحقتها من جهة، ومواجهة

---

(١) هناك خلاف في مسكونية بعض المجامع فهناك بعض الكنائس الشرقية تلقب "باللاخلقيدونية "حيث تعتبر المجامع الثلاثة الأولى هي فقط المجامع المسكونية.

(٢) لمزيد من أسباب انعقاد هذه المجامع وقراراتها وأحوالها انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف ص٢٢١-٢٨٨، تاريخ الانشقاق، جراسميوس مسرة١/ ١١١،الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ١/ ٢٨٨-٣٣٠، ١ / ٤٨٣، ٤٩١، ١/ ٤٩٨-٥١١، كنيسة مدينة الله١/ ١٩٣-٢٣٠، ١/ ٢٠٧-٢٤٦، ١/ ٣٣٣-٣٤٤ مجموعة الشرع الكنيسي ص٣٨٦، الكنيسة في التاريخ١/ ٤٧٥-٥٨٠،عصر المجامع كيرلس الأنطواني ص٣٦٠-٣٧٠،تأثير المسيحية بالأديان الوضعية د. أحمد عجيبة ص٢٦٦-٢٩٧،مصادر النصرانية دراسة ونقداً، ٢/ ٧٣٣-٨١٨ المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى ص٢١٧-٢٤٩، النصرانية،د. عرفان عبدالحميد ص٨٣-٩٧.

الانقسامات الفرعية أو العقيدية من جهة أخرى[1].

ويشير المؤرخ الكنسي "موسهيم" إلى هذا النوع من المجامع، فيقول: "والأساقفة كل واحد في أبروشيتة الخصوصية أو مدينته كانوا يدبرون ويرتبون كل أمور الكنيسة، ويجتمعون مع قسسهم للمشورة، ثم يعرضون ما يقرونه على الشعب للعمل به"[2].

رابعاً: المجامع البابوية في القرون الوسطى:

لقد اختفت معالم السلطة الإمبراطورية في القسم الغربي، وذلك عندما سقطت روما بيد البرابرة والجرمان، وأصبح البابا هو الشخصية الوحيدة التي بقيت في موقعها تفاوض الزعماء الجرمان وتدير شؤون المدن. كما سبق بيان ذلك.

وبهذا زاد النفوذ البابوي، وأخذ أسقف روما يشن طريقه، ليحتل مكان الإمبراطور في القسم الغربي من الإمبراطورية، وليصبح حاكماً مطلقاً ومصدراً رئيسياً للتشريع[3].

وبذلك لم يعد البابا في القرون الوسطى مجرد أسقف روما المسؤول عن بقية أبرشيات الكنيسة فحسب، وإنما أصبح بالفعل البابا مصدر جميع السلطات السياسية والدينية[4].

وقد عقدت مجامع مسكونية عديدة في هذه الفترة، وكان يدعو إليها البابا، ويحدد من خلالها معالم السياسة الكنسية والمدنية، فقد عقد البابا نيقولا الثاني مجمعاً دينياً في روما سنة ١٠٥٩م لوضع القواعد اللازمة لاختيار الباباوات، وكذلك مثل مجمع لتران

(١) انظر: موقف الغرب من الإسلام، ص٨٠.

(٢) تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، موسيهيم، ص٢٣٤.

(٣) انظر: العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ص٣٢٣.

(٤) انظر: موقف الغرب من الإسلام ص٨٠، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ص٦٥.

المنعقد عام ١٢١٥م والذي قسم أربعمائة وأثني عشر أسقفاً وأكثر من ثمانمائة من رجال اللاهوت وضح عند هذا المجمع قرارين لا سابق لهما في تاريخ الكنيسة وهما ضرورة استمرار الحروب الصليبية، ومواجهة حركة الإصلاح الكنسي.[(١)]

خامساً: مجامع الإصلاح في أواخر القرون الوسطى:

وهذه المجامع تأتي امتداداً للمجامع السابقة، إذ كانت تتكون من ممثلين لرجال اللاهوت ومن وفود اجتماعية، وأصبحت سلطة البابا تتمثل في الديني والسياسي، وساد في هذا العصر فكرة توحيد الكنائس خاصة في القرن الخامس عشر خاصة عندما فشلت المجامع السابقة في تحقيق أهدافها الرئيسية وهي الحروب الصليبية وإصلاح الكنيسة.[(٢)]

سادساً: المجامع الحديثة الكبرى:

وتمثل أكبر المجامع التي عقدتها الكنيسة الكاثوليكية بعد عصر الإصلاح فبعد أن استقر الفكر اللاهوتي الكاثوليكي قروناً طويلة على أن (الكنيسة الكاثوليكية تمتلك وحدها الحقيقة)، جاء المجمع الفاتيكاني الثاني عام١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م في رأي الغرب بما يشبه ثورة كوبرتيكس.[(٣)]

وهناك فرق بين المجامع السابقة وهذا المجمع وهو أن كافة المجامع السابقة تُدعى للانعقاد بسبب الأخطار التي كانت تتعرض لها الكنيسة والمتعلقة بعقيدة الإيمان والانشقاقات التي كان يتعين التصدي لها أو إيجاد حلول بمعنى أن تلك المجامع كانت بمثابة ملجأ للكنيسة في مواجهة أخطار تواجهها من الخارج ومن الداخل، أما هذا المجمع فأهم ما ركز عليه هو كيفية توصيل الإنجيل وغرسه

---

(١) انظر: أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية ص٦٤، موقف الغرب من السلام ص٨١.

(٢) انظر: موقف الغرب من الإسلام ص٨١ بتصرف.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي ص٣٥٧.

في عالم اليوم[١].

وقد تبنت الكنيسة الكاثوليكية الخيار التقدمي بعد صراع ونزاع مع التيار المحافظ ورأت أن الانفتاح على الآخرين هو المناسب في هذه الفترة، مما يعد تطوراً ونهجاً جديداً في التفكير اللاهوتي والعمل الراعوي[٢] داخل الكنيسة.

وبذلك يمثل مجمع الفاتيكان الثاني خطوة حاسمة لا رجعة فيها بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية في روما في خطة توحيد الكنائس وتنصير العالم من خلال الحوار ومشاريع أخرى...فلم تعد الكنائس المنشقة تسمى "بالهراطقة" كما اعتادت روما أن تطلق عليها، وإنما أصبح اسمهم " الأخوة المتفرقة " ولم يعد اسم أتباع الديانات الأخرى غير النصرانية، ومنهم المسلمون بالطبع "الكفرة" وإنما "الذين لم يدخلوا بعد في عقيدة الإيمان المسيحي " أي تنصير العالم برمته قد تم اتخاذه بالإجماع الكنيسي الفاتيكاني في عام ١٩٦٥م[٣].

إذاً هذا التغير العقدي في هذا المجمع بنيت عليه طريقة عمل جديدة من التنصير والحوار والتقارب بين الكنيسة والأديان الأخرى، وقاعدة عريضة استند عليها دعاة ما يسمى بالتقارب بين الأديان[٤].

ونأتي الآن إلى مسألة مهمة وهي دلائل الاضطهاد الديني في هذه المجامع الكنسية. علماً أنه سبق الكلام عن بعض تلك الملامح أثناء الحديث عن الاضطهاد

---

(١) انظر: حرب صليبية بكل المقاييس، زينب عبدالعزيز ص٣١.

(٢) الرعوي: رعى الشئ أي حفظه وتولى مسؤوليته. والراعي هو من يحفظ قطيعه ويرعاه، ويذود عنه، ويقوده إلى المراعي الجيدة. وتستخدم كلمة راع في الكتاب المقدس للدلالة على الرعاية الروحية أو الرعاية في الأمور الزمنية. ومعنى الراعي هو الأسقف الذي يُقام على الكنيسة. (انظر: معجم المصطلحات الكنسية، ٢/ ١٠٣-١٠٦).

(٣) انظر: حرب صليبيه بكل المقاييس ص٣١.

(٤) انظر: دعوه التقريب بين الاديان ص٤١٣

بين الطوائف النصرانية القديمة ومنها:

١-أن هذه المجامع لم تكن يوماً من الأيام كما يصورها النصارى هيئات شورية يتبادل فيها المجتمعون الآراء بكل حرية وبدون تسلط أو فرض من أحد، بل كانت بمثابة أداة للضرب والقمع بأيدي رجال الكنيسة والسلاطين ضد الحركات التصحيحية في النصرانية على مر العصور.

٢-تدخل الولاة والسلاطين في المجامع من جميع الجوانب من حيث السماح بعقدها، واختيار مكان انعقادها وإعطاء الإذن لمن يحضرها، وإجبار من يمتنع عن ذلك، والتأثير على سير الاجتماعات والمناقشات بفرض آراء جديدة توافق مبتغاه، واستخدام السلطة العسكرية في فرض رأيه على الحاضرين، والمصادقة على تلك القرارات وتنفيذها وهذا يعني أن المجتمعين القساوسة والأساقفة لا يملكون الحرية الكاملة في التصويت والمناقشة.

يقول القرافي: "أكثر هذه المجامع قد انعقد بمشاركة الملوك أو بإيعاز منهم،... والملوك لا ينظرون إلا من خلال مصلحة مملكتهم وما يثبت دعائم سلطتهم ولم يكن ليهمهم البحث عن تعاليم المسيح الصحيحة، ولعل هذا ما حدا بالنصرانية إلى التطعيم بمبادئ وسموم الفلسفة لاسيما في عهد قسطنطين الذي كاد الاضطراب الواقع بين النصارى والفلاسفة، يقضي على ملكه ويتهدد عرشه بالزوال، فعقد مجمعاً كانت الغلبة فيه للمتفلسفة من النصارى الذين خلطوا بين الفلسفة والنصرانية على الذين كانوا يدعون إلى بشرية المسيح وتوحيد الله تعالى"[1].

يقول الأستاذ زكي شنودة: "إن هذه المجامع كانت في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي[2]، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور لتنفيذ

(١) الأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، القرافي، تحقيق، عبدالرحمن محمد ص٣٧.

(٢) ولا شك أن هذا ادعاء باطل، فإن المجامع النصرانية من بدايتها إلى وقتنا الحاضر تعتبر معول من معاول الانحراف والتحريف في رسالة المسيح علية السلام، فيكفي أن العقائد العظام مثل التثليث وطبيعة =

أغراضه، مستغلاً في ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان، وهكذا أصبحت المجامع أداه هدم بعد أن كانت بناء، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصومة والنقاش بين المسيحيين في البلاد المختلفة"(١).

٣-أن المجامع فرضت سيطرتها على عقول النصارى عندما ادعت أن العقائد والشرائع لا يمكن تلقيها إلا عن طريق المجامع المسكونية التي تتألف من الأساقفة بتدبير ودعوة من الأباطرة، بل وزعمت الكنيسة أن هذه المجامع التي يحضرها جميع الأساقفة، لها حسنة العصمة بدعوى أن روح القدس يرعى قرارات المجمع ويدرسها(٢).

يقول حنايا كساب: "إن المجامع المسكونية تنسب إلى ذاتها الحصانة من الخطأ في تعاليمها وفي العقائد والآداب، اعتماداً على الوعد بحلول الروح القدس على المجتمعين وإلهامه لهم"(٣).

ويقول الأب تيموثي وير(٤): "تقر الأرثوذكسية بأن المجامع انعقدت على أيدي أناس خاطئين ولكنها تؤمن بأنهم كانوا ملهَمين من الروح القدس"(٥).

٤-كان التهديد والترهيب حاضراً في المجامع سواء كان من الإمبراطور الذي كان له تأثير قوي في مجرى الأحداث أو من البابا الذي يترأس هذه المجامع، فقد هدد

= المسيح وانبثاق الروح القدس من الأب أو الأب والابن معاً أقرت في تلك المجامع.

(١) موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة ١/ ١٨٠

(٢) انظر: تأثير المسيحة بالأديان الوضعية، ص٣٠٠.

(٣) مجموعة الشرع الكنسي، ص١٠.

(٤) تيموثي وير: ولد سنة ١٩٣٤م في باث، سومرست، إنكلترا، وتلقى تعليمه في مدرسة وستمنستر عين أسقف الانجليزية داخل الكنيسة الارثوذكسية الشرقية، كان محاضر للدراسات الارثوذكسية الشرقية في جامعة أكسفورد. من كتبه الكنيسة الارثوذكسية ايمان وعقيدة.(انظر: الموسوعة الحرة)

(٥) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص٥١.

غرنعوريس الكبير في مجمع حضره أن يكفر كل من يرفض قبول الحرمانات التي أعلنها ذلك المجمع وقال: إن المجامع تعبر عن إجماع الكنيسة(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن هذه المجامع لم تقتصر على تقرير عقائدها تلك، وإقرارها على الناس، وإرغامهم على تبدلها، بل إنها لجأت إلى الجبروت فنفت وطردت وعذبت كل من خرج وسيخرج عن قرارتها"(٢).

٥-أن قرارات هذه المجامع كانت في بعض الأحيان سبباً في قيام حروب دينية بين الطوائف النصرانية نتيجة ما تصدره هذه المجامع من قرارات اللعن والحرمان وكذلك الحرب كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية بعقد المجمع المسكوني عام١٤١٥م وقد حكم المجمع على (وكلف) بالهرطقة وعلى مؤلفاته وعظامه بالحرق وكذلك يوحنا هوس أحد تلامذته حكم عليه بالهرطقة وأماته المجمع حرقاً وكذلك "جروم البراغي" حكم عليه بالهرطقة في الجلسة الحادي والعشرين من هذا المجمع وكانت نهايته الحكم عليه بالموت حرقاً سنه١٤٢٦م(٣)

٦-أن هذه المجامع كانت تفرض أحكاماً متناقضة دون أن يكون عليها اتفاق من الجميع، وعندما يرفض أحد الأعضاء التصويت على ذلك الحكم، يناله الطرد والإهانة والضرب وخير مثال على ذلك ما حدث في مجمع خلقيدونية عندما حمل "ديوسفورس" المجمع على إصدار حكم تبرئة افتيشسيوس، وآخر يقطع فلافيانوس وامسابيوس ورفقاءهما من الشركة، وما إن اعترض البعض على هذا الحكم حتى خرج دستورس طالباً القواد فدخلوا مع الجنود وبإشارة من ديوستورس ضربوا فلافيانوس وجروه إلى الخارج مهاناً مهمشاً ولم يطل عليه الوقت حتى مات(٤).

---

(١) انظر: روما نظرة أخرى، ص٤٤.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل الدين الصحيح، ٣/ ٣٧.

(٣) انظر: تاريخ الانشقاق ص١٠١.

(٤) انظر: مجموعة الشرع الكنيسي ص٣٧٥.

يقول الكاتب موسى مخّول: "ونظراً لتعارض القرارات التي اتخذتها هذه المجامع في شتى الأوقات، وتحت مختلف المؤثرات تأثيراً شديداً، فقد كان من الطبيعي، أن يعترض المخالفون لهذه القرارات على سلطة هذه المجامع، التي لم تكن على أي حال تستند إلى تقليد غريب من تقاليد الكنيسة"(١).

٧-هذه المجامع زادت من انحراف النصرانية عما جاءت عليه وذلك فيما يصدر عنها من قرارات توافق ما انتهى إليه من عقيدة في ذلك المجمع ومن ذلك ما قامت به من اعتماد كتب توافق ما تم عليه الاتفاق في المجامع من عقيدة محرفة والأمر بحرب كل ما خالف ذلك الاتفاق، ومنع الناس من تداولها وقراءتها وهو بهذا يمنع وصول أي حق يأتي عن طريق آخر غير هذه المجامع.

لقد كانت هناك أناجيل كثيرة موجودة قبل القرن الرابع الميلادي ولما عقد مجمع نيقيه لم يبق منها إلا هذه الأناجيل الأربعة والتي سمح بتداولها وكان سبيل البقية الباقية الحرمان.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "لعل المجمع مخطئ في ذلك التحريم، وآثم في ذلك التحريق، بل إن المجامع العامة من بعد قد خطأته، فأعادت إلي حظيرة التقديس كتباً حرمها، وأخرجت من البلى كتباً حرمها، وقد حرم كتباً من العهد القديم، ولم يعترف بها فاعترفت بها المجامع المسيحية من بعده"(٢).



(١) حرب المذاهب، تاريخ العالم، ولترألسون فيليبس، ص٣٧٨.

(٢) محاضرات في النصرانية، ص١٢٠.

المطلب الثالث
محاكم التفتيش

سعت الكنيسة الكاثوليكية منذ بداية العصور الوسطى الى فرض سيطرتها الروحية، مهيمنة على الحياة السياسية والاجتماعية في أوروبا الغربية، ولذا كانت تستخدم شتى الوسائل من أجل تلك الغاية.

ومن تلك الوسائل محاكم التفتيش التي تمثل أشد صور الاضطهاد الديني بشاعة وظلماً حيث إنه "لم يكن هناك جهدٌ منظمٌ من قبل أي ديانة للتحكم بالناس، ولاحتواء روحانيتهم أقوى من محاكم التفتيش المسيحية"[(١)].

وقد وصفها المؤرخ "ول ديورانت" بقوله " وإذا وازنا بين اضطهاد المسيحيين للضالين[(٢)] في أوروبا من ١٢٢٧م إلى ١٤٩٢م، وبين اضطهاد الرومان للمسيحيين في الثلاثة القرون الأولى، بعد المسيح حكمنا من فورنا بأن هذا [أي حكم الرومان] أخف وطأة وأكثر رحمة من ذلك... فلابد لنا أن نضع محاكم التحقيق في مستوى حروب هذه الأيام واضطهاداتها، ونحكم عليها جميعاً بأنها أشنع الوصمات في سجل البشرية كله، وبأنها تكشف عن وحشية لا نعرف لها نظيراً عن أي وحش من الوحوش"[(٣)].

وحتى تتضح الصورة أكثر فيما قامت بها محاكم التفتيش من جرائم بشعة واضطهادات تجاوزت به كل القوانين والأعراف أبيّن ذلك فيما يلي من مسائل:

---

(١) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليربي، ترجمه د. سهيل زكار ص٩١.

(٢) كانت الكنيسة تصف كل من خرج عن تعاليمها أو خالف امراً من أوامرها، او حتى عقيدة من عقائده المخرفة كالتثليث والصلب وغيرها من الطقوس، أو توصل إلى نظرية علمية تخالف ما عند الكنيسة من خرافات أو أضاليل مثل هذه تعده من الضلال والهرطقة والإلحاد وغير ذلك من الأوصاف القبيحة.

(٣) قصة الحضارة ١٦/ ١٠٦.

۞ المسألة الأولى: مبررات الكنيسة الكاثوليكية في إنشاء محاكم التفتيش:

لقد كان من المبادئ العامة لدى النصارى أن الكنيسة قد أقامها ابن الله وتبعاً لهذا المبدأ كان كل هجوم على المذهب الكاثوليكي جريمة موجهة إلى الله نفسه وكانت النظرة التي ينظر بها إلى الضال العاصي هي أنه أداة للشيطان أرسل للقضاء على عمل المسيح، فكانت تنظر إلى الضلال كما تنظر الدولة إلى الخيانة: أي أنه عمل يراد به تقويض أسس النظام الاجتماعي[(١)].

وكانت الكنيسة قبل محاكم التفتيش تعتمد على وسائل الإرهاب الروحي فكان الحرمان الأصغر وهو أن يمنع النصارى- التي تدعي الكنيسة أنهم مهرطقون- من الاشتراك في العشاء الرباني وفي طقوس الكنيسة، وكان من حق كل رجال الكنيسة أن يصدر هذه العقوبة.

أما الحرمان الأكبر فيصدره مجلس ديني أو مطارنة أعلى رتبة من القساوسة، وينتج عنه حرمانه من كل اتصال قانوني أو روحي بالمجتمع النصراني: فلا يستطيع أن يقاضي أو يرث أو يعقد عقداً صحيحاً من الوجهة القانونية ويحرم على أي نصراني أن يؤاكله أو يكلمه[(٢)].

كان هذا النوع من المحاكم موجوداً في العصور الوسطى، واستخدمتها الكنيسة ضد الحركات الدينية التي خرجت على تعاليم كنيسة روما، وأي فكر حر قد يظهر.

وقد كانت السلطات المحلية من مدنية وكنيسة حتى نهاية القرن الثاني عشر هي التي تتولى معاقبة هؤلاء المخالفين، ولم يتم التوصل إلى وضع تشريع عام ينظم عمليات التنفيذ إلا بعد اتفاق البابا لوقيوس الثالث والإمبراطور فريديك بربروس في فيرونا عام ١١٨٤م على القضاء على الحركات الداخلية، وفي عهد البابا جريجوري

(١) انظر: المصدر السابق، ١٦/ ٩٢ بتصرف.

(٢) انظر: قصة محاكم التفتيش د. بسام اسخيطة، ص١٨.

التاسع حيث حول محكمة التفتيش إلى جهاز عام ودائم وعهد به إلى جماعة من رجال الدين الدومينيكان والفرنسيكان، نظراً إلى ارتباطهما المباشر بالكرسي الرسولي، وهكذا أصبحت الكنيسة تتعامل مع الخارجين عن تعاليمها كما لو كانوا أكبر المجرمين فقد أصبح الهرطوقي خارجاً عن العدالة[(١)].

وقد أعلن البابا نوسنت الثالث: "إن أي إنسان سوف يحاول بناء رأي شخصي عن الرب يتعارض مع عقيدة الكنيسة، ينبغي حرقة من دون شفقة"[(٢)].

ومع هذا كله وجد عددٌ من آباء الكنيسة حتى القرن الثاني عشر يذكّر بتعاليم الكنيسة القديمة في وجه المبادرات الشرسة التي غالباً ما كانت السلطات المدنية والكنيسة تتخذها هنا وهناك ومن بينها صوت "فازون" أسقف لييج عندما ثار ضد الإجراءات الهمجية المطبقة في فرنسا بحق بعض الهراطقة، سواء كانوا هم الفاعلين أم متهمين ظلماً بالهرطقة، ولما استشاره أحد الأساقفة بشأن الموقف الذي يتخذه من الهراطقة لمعرفة ما إذا كان ينبغي بنوع خاص، استخدم "سيف السلطة الزمنية" ضدهم أجاب بالنفي القاطع متمثلاً بالمسيح الذي لم يأت "ليصيح ويُسمع صوته في الساحات"[(٣)].

وهناك لاهوتيون ورهبان في هذا القرن يرون إمكان معاقبة الهراطقة وسجنهم دون تسليمهم للموت[(٤)].

إذاً كان إهراق الدماء موضع نفور ملحوظ من بعض آباء الكنيسة، وأنهم ناهضوا النزوع إلى إعدام الملحدين وصبوا لعناتهم على من زاوله، في نفس الوقت

---

(١) انظر: تاريخ التسامح في عهد الإصلاح، جوزيف لوكلير، ترجمه د. جورج سليمان ص١١٨-١١٩ بتصرف.

(٢) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ص٩٢.

(٣) إنجيل متى :١٢/ ١٩.

(٤) انظر: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح ص١٢١-١٢٢.

عملوا على مقاومة الإلحاد في كل صوره، ولكن هذا الشعور قد تلاشى في أواخر العصر الوسيط، وتغيرت الصورة تماماً[1]، فما هي المؤثرات التي حصل في ظلها هذا التغيير؟

١-أثر نصوص من العهد القديم في هذا المجال بأن الشريعة القديمة كانت تعاقب عبدة الأصنام والمجرمين بالموت، وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الأثر[2].

٢-تأثر الكنيسة الكاثوليكية بالقوانين الرومانية، وما فيها من الحكم بالإعدام على من يتطاول على الإمبراطور بالذم أو القدح فرأى الباباوات وفلاسفتهم أن الهرطقة أولى بهذا الحكم[3].

يقول توما الأكويني - الذي يعد من أعظم فلاسفة الكاثوليكية -: "يجوز معاقبة الهراطقة بصرامة تفوق تلك التي يستحقها المذنبون بجريمة القدح والذم الملكيين أو الذين يزورون النقود، لذا كان من العدل أن يُحكم عليهم بالموت"[4].

٣-المطالبة الشعبية من الغوغاء في البلاد الغربية النصرانية بإنزال التنكيل بالهراطقة، حتى أنهم كانوا يتذمرون من تهاون الكنيسة مع الضالين، وفي كثير من الأحيان كان هؤلاء الغوغاء يقضون على الهراطقة بأنفسهم.

٤-كانت تسود الكنيسة ومحاكم التفتيش في العصور الوسطى عقيدة راسخة يقول: إن التعذيب البشري تطهير للحياة البشرية من خطيئة آدم وحواء الأولى، وأن تعذيب الجسد تطهير للروح من خطايا الجسد وأنه في النهاية ضرب من ضروب الرحمة التي تلحق بالهرطقيين وتطهره من أدران الهرطقة[5].

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني ص٨٩.

(٢) انظر في البحث ص١٧٧.

(٣) انظر: تاريخ التسامح في عهد الإصلاح ص١٢٤.

(٤) تاريخ التسامح في عهد الإصلاح ص١٢٥.

(٥) انظر: قصة محاكم التفتيش ص٧٧

۞ المسألة الثانية: إجراءات محكمة التحقيق:

كان المفتشون يقدمون إلى الأقاليم للتحقق من صحة المعلومات والوشايات الواردة عند قيام هرطقة أو مذهب ديني جديد أو انتشار فكر إلحادي ويقوم كبير المفتشين بإبلاغ الأسقف المحلي بتاريخ وصول المفتشين إلى الإقليم أو المنطقة من أجل استقبالهم وتقديم كافة وسائل الراحة لهم، كما يتفق مع الأسقف على اجتماع أبرشي توزع فيه صكوك الغفران على شرف قضاة التفتيش وأعضاء محكمتها، بعدها يعلن رجال الدين في الأسقفية الإعلان عن قرب قدوم محكمة التفتيش وتحقيق الرأي العام للإبلاغ عن المهرطقين وإغرائهم بالمنافع الأخروية التي سينالونها ويستمر هذا لأمر من ستة أيام إلى عشرة قبل وصول المفتشين[1]، وعندما يصل المفتشون يطلبون من القائمين عليها مصافحتهم، ثم يلقون في اليوم التالي موعظة في الكنيسة -حيث يكون جميع أهالي المدينة قد تجمعوا -عن الشعوذة وعدم جدواها وعقاب الرب لها، وعدم جدوى التستر على ممارسيها، كما كانوا يعدون من يعترف من تلقاء نفسه بعقوبة بسيطة أو العفو عنه، ثم ينتظرون في مقرهم، وأحياناً كان لا يأتيهم أحد على الإطلاق أما في أحيان أخرى فكانت الجموع تصل إلى عشرة آلاف شخص كما حدث في طولون بفرنسا[2].

عندما كان يشتبه في أي إنسان أنه هرطقي كانت الجواسيس تسلط عليه في الحال، يتبعون حركاته ويعدون عليه أنفاسه، لعلهم يصلون في وقت ما إلى علة مهما كانت بسيطة يستندون في القبض عليه وتسليمه لهيئة المحكمة المقدسة.

ويصور لنا "أندرو ميلر" وهو مؤرخ نصراني ذلك الرعب الهلع الذي تحدثه مثل تلك المحاكم، فيقول: "في منتصف الليل البهيم كان الباب يقرع، والأمر يصدر

---

(١) انظر: قصة محاكم التفتيش في العالم ص٦٣

(٢) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة، دي روزا، ترجمة آسر حطيبة ص١١٩

للرجل المشبوه بأن يرافق رسل المحكمة المقدسة، وكانت الزوجة وجميع أفراد العائلة يعرفون المعنى المقصود من ذلك، ففي الحال يتولاهم الرعب، ويعظم كربهم وحزنهم ويودعون الزوج أو الأب الوداع الأخير، وليس من يجرؤ على أن يلفظ بكلمة واحدة من كلمات الاستعطاف أو الاحتجاج...فالإرهاب كان المبدأ الرئيس الذي اصطبغت به أعمال محكمة التفتيش وسلطانها. ولم يكن رجل من الملك إلى العبد يعلم الساعة التي فيها قد يقرعون بابه، فالسرية العميقة التي لا يمكن النفاذ إليها كانت الطابع الذي تميزت به جميع إجراءات هذه المحكمة، هذا الشعور بعدم الأمن والطمأنينة، مضافاً إليه الأراجيف والتخيلات، زاد في رهبة تلك الأعمال وفظاعتها بحيث لم يستطع مخلوق في كل العصور والأجيال أن يقدم كلمة دفاع عن جاسوسية محكمة التفتيش اللعينة وقسوتها التي لا تعرف الرحمة"[(١)].

ثم تأتي عملية الاستجواب أو الاستنطاق والغاية منه الحصول على اعتراف المتهم بجرم الهرطقة المسند إليه أو توبته منه والتصالح مع الكنيسة[(٢)].

وكان أعضاء المحكمة يتكونون من أربعة أشخاص وهم: قاضي التحقيق، وكاتب الضبط، واثنان من رجال الدين، وكانوا جميعهم يلبسون أقنعة سوداء من أجل التنكر وبث الرهبة والرعب في قلوب المتهمين، وكانت الجملة الوحيدة على لسان المفتش هي "قل الحقيقة".

وقد تنوعت الأسئلة فهناك أسئلة عامة وخاصة معدة جاهزة عند المفتش تضع المتهم في زاوية حرجة لا يستطيع مهما حاول أن ينفي التهمة عنه[(٣)].

كان على المتهم أن يحلف عند بدء الاستنطاق يميناً مقدسة، على براءته من

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ميلر ص٣٤٧.

(٢) انظر: قصة محاكم التفتيش في العالم،ص٧١.

(٣) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة ص١١٩، محاكم التفتيش الإسبانية ص٨٩.

الذنب، وإيمانه الذي لا يتزعزع بالكنيسة والقانون الكنيسي منذراً نفسه للدفاع عن الكثلكة والذود عنها[1].

وعندما تفشل عمليه الاستنطاق يستخدم المفتشون طرائق الكذب والترغيب والترهيب والضغط النفسي على المتهم حتى يشعر بالضياع مثل إخباره أن التهمة قد ثبتت عليه من شهادات كثيرة أدلى بها أقاربه ومعارفه ولم يبق عليه لإنقاذ نفسه غير الاعتراف بالذنب، ويستخدمون كذلك رسلاً وشاة معه في الزنزانة يصرحون له بأنهم متهمون بمثل ما اتهم به من هرطقة حتى يأمن لهم ويخبرهم بذنبه، وقد يأتون له بزوجته وأولاده ليحرضوه على الاعتراف بالذنب وإن كان غير مذنب رأفة بأولاده وتأوهاتهم[2].

۞ المسألة الثالثة: من أساليب التعذيب:

لقد كان الجانب الأكثر وحشية في نظام محاكم التفتيش، هي الأساليب التي انتزعت بها الاعترافات، فمجرد النظرة إلى غرفة التعذيب كانت كافية لدفع الإنسان إلى الاعتراف، أو أن يموت خلال سير التحقيق، كانت عادة عبارة عن قبو معتم دون نوافذ وتحت الأرض، جدرانه مطلي باللون الأسود لتكثيف الظلمة، ولا يضاء إلا بشموع راعشة يتصاعد منها الدخان، وعلى الجدران تثبت مسامير ضخمة ناتئة، وأرضيتها من خشب تهرأ بفعل الرطوبة تتصاعد منها روائح كريهة، وثبتت فيها حلقات ضخمة تمسك بسلاسل حديد لربط المتهمين[3].

أما عن أساليب التعذيب، فلم تكن هناك وسيلة واحدة يمكن اعتبارها الأكثر

(١) انظر: قصة محاكم التفتيش في العالم ص٧١.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٧٥، وانظر كذلك مختصر تاريخ الكنيسة ص٣٤٨.

(٣) انظر: تاريخ التعذيب ص٥٧، محاكم التفتيش بإسبانيا والبرتغال د. علي مظهر ص١١١، قصة الديانات، سليمان مظهر ص٤٤٠.

قسوة، فالنظام ككل كان يقوم على التعذيب، ومجرد الوقوع في قبضة محاكم التفتيش يعني الحكم النهائي بالموت ومن تلك الأساليب:

-الجلد: وهذه الوسيلة كانت شائعة بالنسبة لهؤلاء السجناء فقد كان المتهم يساق إلى مكان عام عارياً تماماً وينفذ فيه الجلد، يقول أحد الكتاب في وصف استخدام محاكم التفتيش لهذه الوسيلة: "لأقل خطأ يجلد المرء جلداً عنيفاً. يعرونه ويلقوه على الأرض على وجهه. ويمسك به عدة رجال وهو في هذه الوضعية بينما يقوم آخرون بجلده بقسوة بالغة بحبال تزاد قساوتها بغمسها بالزفت، حتى تصبح قادرة على انتزاع اللحم مع كل ضربة وحتى يصبح الظهر قرحة كبيرة واحدة"[(١)].

-آلة البندول: كان المتهم يُطرح ظهراً على طاولة خشبية ويُربط ربطاً محكماً في مجرى محفور في أعلى الطاولة لهذا الغرض، وكان يتدلى فوقه شيء يشبه بندول الساعة، وهذا البندول له طرف حاد ومركب بكيفية تجعله يستطيل إلى أسفل مع كل دورة يتأرجحها. وكان المتهم يرى آلة الهلاك هذه تتأرجح فوقه جيئة وذهاباً، والطرف الحاد يقترب إليه لحظة بعد لحظة، وأخيراً يصل إليه فيقطع جلد وجهه أولاً ثم يأخذ بحيز في رأسه تدريجياً حتى تنتهي حياته[(٢)].

-التابوت: هو عبارة عن خزانة حديدية يقف فيها المتهم، وفي بابها سن من الحراب القصيرة المثبتة، فإذا ما أغلق ذلك الباب بقوة دخلت حربتان في عيني المعذب، فتنفدان من مؤخرة الجمجمة، وتدخل حربة في قلبه وأخرى في معدته وأخريان في بطنه، فتمزقه إرباً إرباً[(٣)].

-التعذيب بالنار: كان المفتشون يطرحون المعذب على الأرض ويدهنون رجليه

(١) تاريخ التعذيب ص٥٨.

(٢) انظر: تاريخ مختصر الكنيسة ص٣٤٨.

(٣) انظر: قصة الديانات، سليمان مظهر ص٤٤١.

بالشحم، ثم يضعونها بالقرب من النار حتى يتلظى السجين من شدة الوهج، ويصبح مستعداً للاعتراف بما يريده معذبوه[1].

-التعذيب بالماء: وكانت من أكثر الأساليب انتشاراً، إذ يقوم السجان بإحضار كمية من الماء مع قطعة من الخشب، وبعد ربط يدي المتهم بحبال متينة يرفع رأسه ويوضع قمع في فمه، ثم يبدأ يصب الماء، وتزاد الكمية مع الرفض وعدم الاعتراف حتى تنتفخ بطنه وتجحظ عيناه ثم يفارق الحياة ويموت اختناقاً[2].

-ومن تلك الوسائل الشنيعة بشكل خاص، يتم فيها قلب وعاء كبير مملوء بالفئران على المعدة العارية للضحية، ثم كانت النار توقد على ظهر الوعاء مسببة الرعب للفئران، فتبدأ الفئران في الحفر للاختباء في المعدة[3].

ولقد كانت هناك وسائل تعذيب أخرى غير هذه تطبقها محاكم التفتيش يطول الحديث عنها، لكننا نذكر هنا صورة حية قاست بنفسها ألواناً من التعذيب ومورست عليها همجية محاكم التفتيش، وهو اسكوتلندي "وليم ليشغو" وذلك حينما وصل إلى إسبانيا عام ١٦٢٠م، اعتقل تحت شبهة أنه جاسوس وألقي في زنزانة وعذب لمدة طويلة من الزمن، إضافة إلى وضعه على المخلعة وجلده، مُزق لحم إحدى يديه لأن عليها وشماً يحمل اسم الملك جيمس الأول وتاجه. ولقد انزعج المحققون من هذا الوشم لأنهم كانوا يعتبرون الملك الإنجليزي عدواً مهرطقاً. وبعد ذلك كله يقول ليشغو: "بدأت عيناي ترتجفان وفمي يرغي ويزبد وأسناني تصطك مثل إيقاع مضارب الطبال. يا لوحشية البشر الغريبة، يا للجزارين الرهيبين...رغم عجزي عن مقاومة ارتعاش شفتي، في هذه الحالة الانفعالية الهائجة...وتأوهاتي الحارة، ودمي

---

(١) انظر: تاريخ مختصر الكنيسة ص٣٤٨.

(٢) انظر: محاكم التفتيش الأسبانيه،د. بشرى الزويعي ص٩٦.

(٣) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ص١٠٠.

المتدفق من ذراعي وأعصابي المحطمة وفخذي وركبتي المتخاذلة وارتكاز ثقلي على حبال تقطع اللحم، فإنهم راحوا يضربوني على وجهي بالهراوات لإسكاتي ولإيقاف صراخي الداوي".

يقول: "إنه كان يوضع على المخلعة يومياً ساعات عديدة في نهاية العملية، وأخيراً وبعد اثنين وسبعين ساعة دون طعام أو شراب أخضع للتعذيب بالماء وكان هذا يشمل على سكب الماء في حلقه عبر كيس من الشاش وفيما كان الماء ينزل كان المسكين يتقلب ويقاوم إلى أن يدخل الكيس إلى معدته".

وفي وصف هذه الطريقة يقول ليشغو: "يا للعذاب الخانق!! أغلقت شفتي مرة أخرى الأمر الذي أثار غضب السجان ففتح لي أسناني... حيث إن بطني المنطبق جوعاً كان يصدر أصواتاً من خوائه أشبه بالطبول، لأن الألم كان خانقاً خاصة أن رأسي كان متدلياً وكان الماء يتسرب في حلقي بقوة دافقة فقد كان الماء يخنقني ويقطع أنفاسي بسبب زعيقي وأنيني"[1].

وهناك أنواع أخرى من وسائل التعذيب التي تستخدمها محاكم التفتيش وتصدرها وهي إحكام إدانة وقد سميت بالأحكام الشعبية ومنها:

-الحج ويعد هذا الحكم من ألطفها، وكان يجبر الجاني على القيام برحلة إلى الأماكن المقدسة سيراً على الأقدام، ومثل هذه العقوبة قد يستغرق تنفيذها أعواماً، خلالها يمكن أن يهلك هو أو تهلك أسرة المحكوم عليه.

-ارتداء الصلبان: كان يطلب من المعاقب أن يرتدي صلباناً كبيرة زعفرانية اللون في الأمام وفي الخلف، مما اخضع المعاقبين للسخرية الشعبية، وأعاق كل جهد في سبيل كسب العيش

-السجن المؤبد: يعتبر من أكثر قرارات الحكم صدوراً، وكان يسمح للسجين

(١) تاريخ التعذيب، ص٥٨-٥٩.

قليلاً جداً من الطعام الذي تألف من الخبز والماء القراح، وفي بعض الأحيان كان يقضي على المدان بالبقاء بالأغلال. والمتوقع دوماً أن الحياة بالنسبة لكل محكوم عليه بالسجن أن تكون قصيرة جداً[1].

أما حينما يبقى المتهم على عناده ولم يقر للمحققين بشيء، فإنهم ينزلون به أقسى العقوبات وهي الإحراق بالربط إلى عمود في ميدان عام[2].

وقد أبعدت الكنيسة نفسها ونأت بها عن القتل بتحويل الهراطقة إلى السلطات الزمنية من أجل الإحراق الفعلي وتنبههم إلى أن يتجنبوا كل ما من شأنه سفك الدماء أو التعريض لخطر الموت، وهذا يعني أن يموت المتهم حرقاً، وأن يقدم إلى النيران وهو حيٌّ، ومثل تلك السلطات لم يكن مسوحاً لها بالاعتذار أو الرفض عن تنفيذ مثل هذه العقوبات وإلا تعرضت لعقوبة الحرمان الكنسي[3].

لقد كانت محاكم التفتيش تمثل صفحة قاتمة في تاريخ النصرانية، ومهما حاولت الكنيسة أن تتستر على تلك الحقائق المروعة، وحجب التقارير ومحاضر التحقيق إلا أنها تعجز عن ذلك لخروجها عن حدود الكتمان، ليس هذا فقط بل إن ما يمارسه الغرب المعاصر في سجونهم ضد المسلمين ما هو إلا استمرار لتلك الحقيقة السوداء من محاكم التفتيش، وخير دليل على ذلك ما يمارسه الغرب الصليبي من اضطهاد وتنكيل ضد المسلمين في معتقلات غونتاناموا وغيرها في زمن تدعي تلك الدول حفظ الحقوق والحريات. وهذا كله يحدث على مسمع ومرأى من الفاتيكان وباباواتها دون أن يكون لها دور في الضغط على تلك الدول الظالمة من أجل حقوق السجين والأسير.

---

(١) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ص٩٧، قصة محاكم التفتيش في العالم، ص٨٦-٨٧، قصة الحضارة ١٦/ ١٠٠-١٠١

(٢) انظر: قصة الحضارة ١٦/ ١٠٢.

(٣) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ص٩٧-٩٨، قصة الحضارة ١٦/ ١٠٣.

المطلب الرابع
الحروب الدينيــة

لا شك أن الدين كان محركاً قوياً في كثير من الحروب التي حدثت في تاريخ النصرانية سواء ضد المسلمين أو بعضهم البعض.

ومن أبرز تلك الدلائل على تأثير الدين بشكل مباشر في هذه الحروب ما يلي:

١-أن أوربا قبل هذه الحروب كانت تعيش حركه إصلاحية قوية - بما يعرف بعصر الإيمان- مثل حركه "دير كلوني" التي ركزت بادئ الأمر على إصلاح أحوالهم الداخلية بين جدران أديرتهم، ثم ما لبثت أن نشرت هذا الاصلاح بين عدد من الأديرة.

وقد كانت لهذه الأديرة الأثر الكبير في إصلاح الجهاز الكنسي البابوي كله من الفساد الذي تغلغل في كيانه وقتذاك خلال القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين، ومن ذلك زواج القسس، والرشوة التي تعرف أيضاً بالسميونية[1]، وبيع صكوك الغفران، وبذلك عادت البابوية إلى سطوتها القديمة التي جعلها تفرض نفوذها وقوتها حتى على الأباطرة والملوك في أوربا.

فكان هذا أحد مظاهر الحماسة الدينية عند الشعوب الأوروبية وأصبح الدين المحرك لتفكير الناس وعواطفهم[2].

٢-رعاية البابوية لهذه الحروب وإضفاء الصبغة الدينية عليها، فقد كانت تقوم

---

(١) السيمونية: تنسب الى سيمون الساحر، والمقصود بها شراء الوظائف الدينية بالمال.(انظر: أوربا العصور الوسطى، أ.د سعيد عاشور، ١/ ٣٢٧).

(٢) انظر: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، د. جوزيف نسيم، ص١٧٣-١٧٤، أوروبا العصور الوسطى، أ.د سعيد عاشور، ١/ ٤١٦.

باختيار رجال دين من قسس ورهبان تكون لهم القيادة وهو ما قام به " أوربان الثاني" عندما أرسل رسالة بعث بها إلى "الفلاندرز" عقب مجمع كليرمونت قال فيها: "لقد زرنا بلاد الغال (فرنسا) وحرضنا السادة والرعايا بحمية في هذا الإقليم على تحرير الكنائس الشرقية، وفرضنا عليهم التزامات بأن ينجزوا مثل هذا المشروع لمحو كافة خطاياهم، وعينا نائباً عنا قائداً لهذه الحملة، ابننا العزيز "أديمار" أسقف لي بوي ومن ثم فإن كل من يقرر الذهاب في هذه الرحلة فعليه أن يطيع أوامره كما لو كانت صادرة منا، كما يجب أن تخضع لسلطانه تماماً في الحل والعقد في أيه قرارات تتصل بعمله"(١).

٣-ربطت الكنيسة تكفير الخطايا والذنوب بالمشاركة في تلك الحملات والحروب وإنزال عقوبة الحرمان كل من تخاذل ولم يشارك فيها، ففي الحملة الصليبية الثالثة دعا البابا "جريجوري الثامن(٢)"إلى حملة صليبية من أجل استرجاع القدس وقد وعد البابا جميع المشتركين فيها بغفران خطاياهم والحياة الأبدية التي ستلي ذلك إذا ماتوا، وإذا عادوا فليعلموا أنه بواسطة الرب القوي، وبسلطة الرسل القديسين بطرس وبولس، وبسلطتنا، هم معفون من أي توبة أخرى تفرض عليهم"(٣).

٤-إن البابوية كانت تشجع وتبارك القادة الذين يخدمون مصالحها في تلك الحروب ويلبون نداء البابا، بخلاف الزعماء والأباطرة الذين يتطوعون في القيام بحروب عسكرية- حتى ولو كان في ذلك خدمة لمصالحها- فإنها تمتنع عن مباركتها ودعمها، فهي لا تريد أن تكون للملوك قوة عسكرية تغزو أي بلاد دون طلب من الكنيسة.

---

(١) الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، د. رأفت عبدالحميد ص٧١

(٢) جريجوري الثامن: ألبرت دي مورا ولد سنه ١١١٠م، اصبح راهباً في عمر مبكر، تعين كاردنيالاً لكنيسة لورنز، وبلكيناً، عمل أستاذا للقانون في بولونيا، وشغل وظيفة مدير القضاء في الكنيسة الرومانية، عين بابا سنه ١١٨٧م دعا إلى حملة صليبية جديدة عند استرد صلاح الدين الأيوبي القدس مات سنة ١١٨٧م (انظر: دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وعلاقاتها بالشرق، ص١٤٤).

(٣) انظر: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص١٤٦).

فعلى سبيل المثال: لما أعلن ملك ألمانيا "كونراد الثالث"عزمه على قيادة جيشه حاملاً الصليب إلى المشرق قابل البابوية ذلك ببرود كامل، ورفض "يوجينيوس الثالث" طلب كونراد بالسماح له بمقابلته وغادر الملك الألماني بلاده دون الحصول على مباركة البابا له أو لحملته، بينما التقى البابا "لويس السابع"وباركه عند ذهابه لحملته الصليبية؛ لأنه هو الذي رتب له ذلك ودعاه إلى الخروج[1].

٥-تعهد البابوية في حماية أولاد وأموال المشاركين في الحروب التي كانت تدعو إليها، وإسقاط الفوائد عنه إذا كان مديناً لأحد[2].

وحتى تتضح الصورة أكثر فإننا نورد بعض تلك الأحداث والحروب التي كان الاضطهاد الديني حاضراً فيها ومن ذلك:

أولاً: الحروب الصليبية:

إن الحروب الصليبية التي خاضها الغرب الصليبي ضد الشرق، والتي قادتها بشكل أساسي الكنيسة الكاثوليكية، واستمرت قرنين من الزمن كانت أكبر دليل على رغبة النصارى الملحة في السيطرة على العالم الإسلامي، وفرض سيطرتهم عليه بقوة السلاح، وقد عرفنا فيما سبق كيف كانت فصول هذا الصراع الصليبي الحثيث ضد العالم الإسلامي، وما حصل فيه من مآسي وجرائم بشعة تبين صورة حقيقة تعامل النصارى مع المسلمين.

ثانياً: الحروب الدينية في أوروبا:

حدثت في أوروبا سلسة من المعارك وذلك خلال قرون العصور الوسطى، وقد كان للدين دور كبير في تلك الصراعات والنزعات، "فهذا الذي يضمن تماسك المجتمعات ويدافع عن شريعة الحاكم السياسي لكونه يغمر الحياة اليومية ويطبع

---

(١) انظر: الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، د. رأفت عبدالحميد ص٩٦.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص١٤٦.

العقليات بطابعه، وإذا حدث فجأةً انقسام ديني، تعرض للخطر نظام العالم وسلطة الدولة الناشئة على السواء"[(1)].

لقد شهد التاريخ الأوروبي سلسة من الحروب والتي قتل بعضهم بعضا وسفكوا دماءهم بأيديهم، وتغيرت فيها الحدود السياسية داخل أوروبا مراراً بفعل تلك الحروب، والتي راح ضحيتها ملايين البشر ومن أبرزها ما يلي:

١-حروب المائة عام:

واستمرت من (١٣٣٧-١٤٥٣م) وكانت حروباً متقطعة دارت بين إنجلترا وفرنسا وكان يهدف فيها ادوارد الثالث ملك إنجلترا إلى إخضاع البلاد الفرنسية لسيادته والمطالبة بالتاج الفرنسي لنفسه، ولكن السبب المباشر لقيامها هو الأخطار التي كانت تهدد التجارة الإنجليزية مع بلاد الفلمنك التابعة للتاج الفرنسي تبعية إقطاعية، وكانت مقاطعة تجارية تستورد الصوف من انجلترا التي اشتهرت بتربية الأغنام فلما خشيت انجلترا فقدان هذه السوق المهمة؛ بسبب احتلال فرنسا لها نشبت الحرب بينها وبين فرنسا وفيها ظهر العداء الكامن بين البلدين ووضحت ميادين الصراع بينهما، وفي سنه ١٣٤٧م سقطت مدينة كالية الفرنسية في قبضة الانجليز، ولم يستردها الفرنسيون إلا في القرن السادس عشر[(2)].

استمرت الحروب بينهما سنوات طويلة ولقيت فرنسا فيها هزائم كثيرة وسلبت منها مقاطعات ومدن عديدة، أصبحت فيها البلاد الفرنسية خراباً، كما أبيدت المحاصيل والماشية وأحرقت البلاد والقرى وفي هذه الحرب قضى الإنجليز على مجد فرنسا الحربي واستطاعت جيوشهم أن تتقدم نحو أسوار باريس. وأن تعمل السيف

---

(١) تاريخ الكنيسة المفصل ٣/ ١١١.

(٢) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، د. جلال يحيى ص١٠٧، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، د. جوزيف يوسف ص٢٣١، الموسوعة العربية العالمية «مادة الحروب مائة عام»المكتبة الشاملة.

والنار في أقاليم فرنسا الوسطى الشهيرة بمزارعها وبساتينها، وأصبحت فرنسا في أصعب حالاتها بعد أن تم تخريب أغنى منابع الإيراد فيها، وبعد أن أصبح ملكها "حنا الكريم" أسيراً في انجلترا، واضطرت فرنسا إلى دفع جزية باهضة من أجل إخلاء سراح ملكهم مما جعل المزارعين الفلاحين يقومون بثورات ضد النبلاء الذين أضاعوا فرنسا للانجليز(١).

وقد تجددت أطماع الانجليز في فرنسا وذلك بمجرد اعتلاء "هنري الخامس"(٢) عرش إنجلترا، الذي جهز حملة لغزو فرنسا فعبرها وانتصر عليهم عند اجنكورت سنه١٤١٥م، بعد أن سحق جيشه ٥٠٠٠٠جندي فرنسي يحملون الأسلحة الثقيلة تجمعوا على إحدى الهضاب، دون أن تساعدهم طبيعة الأرض على الحركة فقضى عليهم بأسهم الإنجليز، وتم له بعد ذلك فتح نورمنديا(٣) وحلت هناك الإدارة الإنجليزية محل الفرنسية واعترف ملك فرنسا بهنري الخامس ملكاً على فرنسا(٤).

وفي نهاية هذه الحملات والمعارك استطاعت فرنسا أن تعيد كل الإقطاعات والمدن التي استولت عليها انجلترا، وانتهت هذه الحروب بعقد صلح بين الإنجليز والفرنسيين سنه١٤٥٣م(٥).

---

(١) انظر: تاريخ العصور الوسطى الأوربية ص٢٣٢.

(٢) هنري الخامس (١٣٨٧-١٤٢٢م) ملك انجلترا (١٤١٣-١٤٢٢م)، هزم الفرنسيين عام ١٤١٥م، جعل من إنجلترا أقوى مملكة في أوروبا.(انظر: موسوعة المورد العربية ٤/ ١٢٧٢).

(٣) نورمنديا: مقاطعة في شمال غرب فرنسا على الأطلسي، سكنها النورمان منذ أوائل القرن العاشر. (انظر: المنجد في الأعلام، ص٥٨٧).

(٤) انظر: أوروبا في العصور الحديثة، ص١١٨-١١٩بتصرف.

(٥) انظر: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، ص٢٣٥.

٢- الحروب الإيطالية:

تعتبر هذه الحروب التي نشبت بين فرنسا واسبانيا، والتي استمرت خمسة وستين عاماً ما بين (١٤٩٤-١٥٥٩م) من أشد الحروب ضراوة وفتكاً بالناس، وكانت شبه الجزيرة الإيطالية ميداناً لتصارع الدولتين خلال المراحل الأولى من مراحل الحرب غير أنها تطورت بعد ذلك إلى صراع أوروبي انتقل إلى ميادين خارج شبه الجزيرة الايطالية.

وقد مرت الحروب الايطالية بين فرنسا وإسبانيا بدورين:

الدور الأول: بداية من سنه ١٤٩٤م ونهاية بعام ١٥١٥م، وقد حاولت فرنسا في هذا الدور تحقيق ادعاءاتها في وراثة عرش كل من مملكة نابولي ودوقية ميلان، فوقع الهجوم الفرنسي الأول على مملكة نابولي في عهد "شارل الثامن"[(١)] ملك فرنسا، ووقع الهجوم الثاني على دوقية ميلان في عهد الملك "لويس الثاني عشر"[(٢)]، وقد اتخذت هذه الحرب شبه الجزيرة الايطالية ميداناً لها.

الدور الثاني: بدأ في عام ١٥١٥م بارتقاء "فرنسوا الأول"[(٣)] عرش فرنسا سنه ١٥١٥، وانتهى في عام١٥٥٩م بتوقيع معاهدة كاتوكمبرسيين التي أنهت الحروب

---

(١) شَارْل الثامن (١٤٧٠ - ١٤٩٨م). كان عمره ١٣ عامًا عندما خلف والده، الملك لويس الحادي عشر، كملك في عام ١٤٨٣م. أضاف تشَارْل بريتاني إلى فرنسا. ثم توسَّع في إيطاليا، حيث كان له مطلب بأحقيته في مملكة نابولي. وبالرغم من أنه سرعان ما أجبر على الهرب، إلا أنه كشف الضعف والانقسام في إيطاليا.(انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٨/ ٢٢).

(٢) لويس الثاني عشر (١٤٦٢-١٥١٥م) ملك فرنسا (١٤٩٨-١٥١٥م)، تمتع بشعبية كبيرة حتى أكسبته لقب أبو الشعب، شن حملات عدة لبسط سلطانه على بعض المدن الإيطالية لكنه فشل. (انظر: موسوعة المورد العربية ٤/ ١٠٤٩).

(٣) فرنسوا الأول: (١٤٩٤-١٥٤٧م) ملك فرنسا ١٥١٥م، حارب شارل ملك إسبانيا والنمسا، اقر الفرنسية لغة البلاد الفرنسية بدل اللاتينية.(انظر: المنجد في الأعلام، ص٤١٧).

الإيطالية وقد دار فيه النزاع بين الأسرتين الكبريتيين اللتين كانتا تحكمان في القارة الأوربية وهما أسرة الهابسبرج النمساوية وأسرة فالوا الفرنسية، وقد اشتدت قوة الأسرة الأولى عندما تم اختيار شارل ملك إسبانيا إمبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ١٥١٩م، واتخذ لنفسه لقب "شارل الخامس"[(١)] وكانت في نفسه رغبة جامحة في أن يبسط سلطانه على أوروبا وعلى الأقاليم الشاسعة وأن يجعل النمسا مركز إمبراطورية عالمية، وأما الأسرة الثانية والتي كان ينتمي إليها "فرنسوا الأول" ملك فرنسا فكانت تنتهج سياسة التوسع الإقليمي في إيطاليا، وحول هذا النزاع بين الهابسرج والفالوا توزعت جميع الدول الأخرى تبعاً لمبدأ التوازن الدولي ولذلك اشتعلت الحروب الإيطالية في هذا الدور من مجرد حوادث محلية مسرحها ايطاليا إلى نضال أوروبي واسع النطاق في ميادين متعددة[(٢)].

لقد كانت البابوية طرفاً في هذه الحروب، إذ نجدها أداة في يد أحد المتحاربين فتارة تقف مع ملك فرنسا وتارة تتحالف مع الإمبراطور وملك إسبانيا ضده، فأصبحت المصالح تتحكم في موقف البابوات من تلك الدول المتحاربة، ولاشك أن مثل هذه المواقف جلب لها العداء والانتقام وهو ما حصل في كثير من الأحيان وخير

---

(١) شارل الخامس شارلكان، (١٥٠٠-١٥٥٨م)، ملك أسبانيا منذ عام ١٥١٦. رأس الأمبراطورية الرومانية المقدسة (١٥١٩-١٥٥٦م)، هزم القوات الفرنسية وأسر الملك فرنسوا الأول، أعلن الحرب على البروتستانتية ثم عقد معها صلح أوغسبورغ، تخلى عن العرش عام ١٥٥٦م، واعتزل في أحد الأديرة.(انظر: موسوعة المورد ٣/ ٦٧٤).

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، د. عبدالعزيز الشناوي ص١٢٤-١٣٨، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث د. عمر عبدالعزيز ص١٠٠-١٠٣، أوروبا في العصور الحديثة، د. جلال يحيى ص٣٨٣ وما بعدها، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي ص٤٤٩ وما بعدها، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى د. عبدالعزيز نوار، د. محمود جمال الدين ص٨٦ وما بعدها.

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٢١٢.

مثال على ذلك ما حدث للبابا "كلمنت السابع"، فقد كانت في إيطاليا أسرة كبيرة تسمى كولونا قوية الشكيمة اشتهرت بأنها أنجبت عدداً من الباباوات والكرادلة والقواد العسكريين، وقد استطاع الإمبراطور أن يستميلها إليه، فقامت بهجوم على الممتلكات البابوية وكونوا للهجوم على البابا، وأراد البابا مهادنتهم وعقد معهم صلحاً واطمأن لجانبهم لكنهم كانوا يبيتون له الغدر، فإذا بهم على حين غفلة يقومون بهجوم غادر على روما أصاب المدينة بخسائر، واضطر البابا إلي عقد هدنة مع الإمبراطور سنه١٥٢٧ وبذلك خرج البابا على حلف كان هو أول الداعين له وهو حلف كوجناك[1].

الموقف الآخر وهو ما حصل لروما من الهجوم المسلح من الجنود المرتزقة الذين كان يستخدمهم الإمبراطور "شارل الخامس" ولما تأخرت الإمبراطورية في دفع مرتبات الجنود قاموا بحركة تمرد إذ عزموا على أن يستوفوا مستحقاتهم إضعافاً مضاعفة عن طريق السلب والنهب في مدن أعدائهم، واختاروا فلورسنا بصفتها من أغنى المدن الايطالية، ولكن محاولتهم فشلت لوجود جيشين يرابطان على مشارفها، أحدهما فرنسي والآخر بندقي، دفاعاً عن المدينة فاتجهوا إلى روما وظهروا أمام أسوارها في ٥ من مايو سنه ١٥٢٧م، وفوجئوا بجنود الإمبراطور يقتحمون روما وكانوا قوات زاحفة جرارة يبلغ عددها ثلاثة وعشرين ألف جندي، من أسوأ أنواع جنود الإمبراطورية الذين شهدتهم أوروبا في القرن السادس عشر، وأكثرهم نزوعاً إلى أعمال التخريب والدمار وكانت توجد في صفوف القوات الإمبراطورية فرقه قواتها ثلاثة عشر ألفاً من الجنود الألمان المشاة الذين يطلق عليهم لانكينيه[2] وكانوا من

---

(١) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) لانكينيه: مصطلح يطلق على جنود ألمان مرتزقة من سلاح المشاة، وكانوا يحاربون تحت أعلامهم الخاصة، وتحت إمرة ضباط كانوا يتكلمون اللغة الديفة التي اندلعت في فرنسا ضد الهجونت.(انظر: أوروبا مطلع العصور الحديثية، هامش ١، ص١٩٠).

أنصار مارتن لوثر وكان بدافع التعصب الديني العنيف لمذهبهم الجديد يشعرون بمقت شديد نحو البابا ورجال الكنيسة ومدينة روما باعتبارها مقر الكنيسة الكاثوليكية والبابوية، اقتحم هؤلاء الجنود مدينة روما في ٥ من مايو سنه١٥٢٧م وكان هدفهم الأول المدينة البابوية[١] وجلسوا خلال الديار ينهبون ويسرقون ويقتلون، ويمثلون أبشع تمثيل برجال الدين الكاثوليك، وكانت الراهبات الشابات الجميلات صيداً ثميناً للجنود واعتدوا عليهن اعتداءات منكرة، وبعدها أخذوهن أسيرات، أما الراهبات الطعانات في السن فقد تعرضن لضرب وحشي، وضربت أعناق الرهبان والقسس وحوصر البابا في حصن انجلو في روما وحطموا الكنائس والأديرة وسائر المؤسسات الدينية، ونهبوا ما كانت تزخر به من أثاث وتحف وكنوز، وأمعنوا في الأعمال الانتقامية فحولوا كنيسة بطرس والقصر المقدس إلى حظائر لخيولهم، واستمرت هذه الأعمال الوحشية ثمانية أيام وصل فيها عدد القتلى إلى أربعة آلاف قتيل وحل الدمار الكامل بمدينة روما، وظل البابا في الحصار ولم يستطع الخروج منه إلا عندما خرج متنكراً في زي خادم مطبخ ثم هرب إلى إحدى المدن في الولايات البابوية وعقد صلحاً مع الإمبراطور شارل الخامس[٢].

٣- حرب الفرسان:

من تلك الحروب الدينية ما يسمى بحرب الفرسان والذي حدثت سنة ١٥٢٣م، فقد كان الفرسان يملكون إقطاعات صغيرة، ومع بداية العصور الحديثة فقدوا تلك المكاسب والامتيازات بسبب انحلال النظام الاقطاعي بوجه عام في غربي أوروبا، ولما ظهرت حركة الاصلاح الديني رأوا فيها فرصة لاسترداد نفوذهم وثروتهم وخاصة عندما نادى لوثر بتجريد الكنيسة من أملاكها كوسيلة لإرغامها على الرجوع إلى سيرتها الأولى من البساطة والبعد عن أسباب البذخ والمجون، فقامت هذه

---

(١) المدينه البابوية تسمى بورجو وتشتمل الفاتيكان وكائدرائيه القدس بطرس وقلعة ساس أنجلو.

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ص٢١٢-٢١٥بتصرف.

الجماعة بالهجوم على الكنيسة والاستيلاء على أملاكها ودمروا ما فيها من صور وتماثيل ونفائس وهجموا على الأديرة وأخرجوا من بها من الرهبان والراهبات.

فما كان من رجال الدين إلا أن استنجدوا بالأمراء وحكام المقاطعات لقمع هذه الجماعة، وبالفعل هزم الفرسان وتمكن الأمراء من دك حصونهم والقضاء عليهم وعلى ريسهم[(١)].

٤- حرب الفلاحين:

تعد أكثر الحروب في ألمانيا دموية ما حصل للفلاحين الذين كانوا يعانون من ظلم الجميع لهم، سواءً من الأمراء والإقطاعيين أو رجال الدين، فلما جاءت الحركة اللوثرية علق عليها الفلاحون أعذب الآمال، إذ كانت قد ترامت إلى أسماعهم المبادئ والآراء التي كان ينادي بها لوثر مثل الحرية والإنسانية والإخاء والمساواة بين جميع الناس فاستهوتهم هذه الآراء، كما أعجبهم مهاجمة لوثر لرجال الدين الذين أثقلوا كواهم بفرض الضرائب والعشور.

فقام الفلاحون بوضع بيانٍ صدر سنة ١٥٢٥م ضمنوه مطالبهم التي كانت تسعى إلى تحسين أوضاعهم المعيشية، والرغبة في الاحتكام إلى قواعد الدين كما جاءت في الكتاب المقدس، وقد اقترنت هذه المطالب بهياج عظيم سرعان ما تطورت إلى حروب حيث تحالف الأمراء والفرسان مع القوات الإمبراطورية وبتأييد من لوثر الذي رأى في هذه الثورة خطراً يتهدد حركته الإصلاحية، فطلب من الأمراء ضرب هذه الثورة بكل عنف وقوة[(٢)].

---

(١) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٢٩٦- ٢٧٩، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د. عبدالحميد البطريق، د. عبدالعزيز نوار، ص٩٨، الأصول الدينية للحرب والسلام في اليهودية والنصرانية والإسلام دارسة تحليلية، نبيل أمير، ص٦٥٢.

(٢) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص٣٠٠-٣٠٢.

وقد قامت الجيوش المنظمة بسحق ثورة الفلاحين والقضاء عليها تماماً، وذلك عندما تم القاء القبض على زعماء الثورة وأعدموا بعد عمليات من التعذيب الوحشي. ولم تنته سنة ١٥٢٥م حتى كانت الثورة قد تهاوت بعد أن بلغ عدد القتلى الفلاحين وحدهم نحو مئة وثلاثون ألف في ساحة القتال أو على نطع التكفير، وتم تنفيذ حكم الإعدام على عشرة ألاف رجل وتشرد ما يزيد على خمسون ألف فلاح وأخذوا يهيمون في الطرقات العامة أو يختبئون في الغابات، وترملت آلاف النساء وتيتم الآلاف من الأطفال، وبإخماد الثورة غدا الفلاحون الألمان أشد فقراً وأكثر هواناً مما كانوا عليه من قبل[1].

٥-حرب القرم[2]: (١٨٥٣-١٨٥٦م).

كان سببُ حرب القرم الرئيسُ هو الخلاف على حماية القدس -التي كانت حينئذ تحت حكم العثمانيين - وحقوق النصارى فيها؛ إذ كانت روسيا تنافح عن أتباعها من النصارى الأرثوذكس، بينما تولت فرنسا الكاثوليكية الدفاع عن حقوق الكاثوليك؛ أما الدولة العثمانية فكانت تمر بمرحلة ضعف كبيرة بحيث لم تكن تستطيع مقاومة الغرب.

يقول فيشر: "قامت حرب القرم نتيجة نزاع شجر بين رهبان الكنيستين: الأرثوذكسية والكاثوليكية في: أيهم أحق بحراسة بعض الأماكن المقدسة المسيحية في بيت المقدس. وكان قيصر روسيا يعاضد تعضيداً قوياً المطالب الأرثوذكيسية"[3].

---

(١) انظر: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، الشناوي، ص٣٠٢، قصة الحضارة ٢٤/ ٩٢.

(٢) القرم: شبه جزيرة في أوكرانيا تفصل بين البحرين الأسود وأزوف، حكمها العثمانيون ١٤٧٥-١٧٧٤م، ضمها الروس ١٧٨٣-١٧٨٤م، ثم أُلحقت بأوكرانيا سنة ١٩٥٤م. (انظر: المنجد، ص٤٤٢). وقد استعادها الروس سنة ٢٠١٥م.

(٣) تاريخ أوروبا في العصر الحديث، فيشر، ص١٢٥.

تحركت جحافل الروس قاصدة إسطنبول؛ لتضمن وصايتها على الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، والتقت جيوش العثمانيين، فلما رجحت كفتهم على كفة العثمانيين تدخَّلت فرنسا وبريطانيا إلى جانب العثمانيين.حفاظاً على مصالحهما ورغبة في عدم زيادة النفوذ الروسي في ممتلكات الدولة العثمانية، ودارت معارك متفرقة أدت إلى تحطيم الاسطول البحري الروسي، مما جعلها تعقد صلحاً في عام ١٨٥٦م بقبول روسيا مذكرة أعدتها الدول الأوروبية(١).

٧- الحرب العالمية الأولى:

ان القرن العشرون أكثر القرون الأوربية دموية، إذ قتل الملايين من البشر في حربين عالميتين بسبب نمو النزعات القومية والدينية، فقد أسفرت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) عن قتل عشرة ملايين جندي من الدول التي خاضت الحرب، وأصيب عشرون مليون آخرون.

وهذه الحرب كانت دوافعها طائفية بدرجة كبيرة،فقد كانت فرنسا قطعت علاقاتها مع البابوية، ففي عام ١٨٩٢م وقعت فرنسا تحالفاً مع الوصي على الأرثوذكسية وعدو البابوية اللدود: روسيا؛ كما أنها تقاربت مع إيطاليا التى نزعت عن روما ربقة البابوية عام ١٨٧٠م.

كانت الكنيسة الأرثوذكسية قد ضربت أطنابها في منطقة البلقان، لاسيما صربيا. وبعد معاهدة بوخارست التي وُقِّعت عام ١٩١٣م، وانتهت بها حقبة من الصراع في دول البلقان اتسعت رقعة صربيا وأصبحت عمقاً مهماً للأرثوذكس الذين كانوا خاضعين للنمسا الكاثوليكية، وهنا اتفقت الفاتيكان والنمسا على أن صربيا هو العدو

(١) انظر: تاريخ أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، ص٢٣١، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، ٢/ ٧٨٩،نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، د. أحمد القضاة، الموسوعة العربية العالمية، «مادة حرب القرم » | كتبة الشاملة.

الذي ينبغي إسقاطه.

في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩١٤م قتل الأرشدوق النمساوي فرنسوا فرديناند في سراييفو ولم يكن القاتل ذا علاقة بالحكومة الصربية، لكن مقتله أشعل فتيل الحرب ضد صربيا الأرثوذكسية.

وقد شعرت صربيا بالخطر المحدق بها وأخذت تتنازل للجانب النمساوي محاولة الحفاظ على السلام وتجنب الحرب عليها لكن الحكومة النمساوية أرسلت تهديداً إلى صربيا.علق ممثل النمسا لدى الفاتيكان بقوله: "من المستحيل أن يأنس المرء روح المجاملة والمصالحة في كلمات البابا.صحيح أنه وصف تهديد النمسا لصربيا بالعنيف، لكنه مع ذلك استحسنه تماماً، وفي الوقت ذاته وبشكل غير مباشر أعرب عن رغبته في أن تنجز الملكية النمساوية المهمة".

يعلق "الكونت سفورزا" على هذا التوجه العدائي من قبل الكنيسة الكاثوليكية بقوله: "لأحدٍ أن يسأل نفسه : لِمَ تتبنى الكنيسة الكاثوليكية مثل هذا الموقف المولع بالحرب؟ والإجابة يسيرة جداً :إن البابا ورجاله يرون في صربيا داءً فتاكاً استطاع شيئاً فشيئاً أن يخترق إلى نخاع الملكية، وسينتهي بدوره إلى تفكيكها... إن النمسا/ المجر ستبقى الدولة الكاثوليكية بلا منازع وسند الدين الأقوى الذي تبقى للكنيسة. وبالنسبة للكنيسة فإن سقوط هذا السند سيعني خسارة أقوى دعائمها... في ظل هذا الحقيقة. ليس من الصعب إيجاد علاقة بين المشاعر الرسولية وروح الحرب"[1].

لقد كانت الفاتيكان تدرك تماماً حجم المغامرة التي تخوضها، وما قد يترتب عليها من مخاطر عظيمة لكنها مع ذلك بذلت كل ما في وسعها لإضرام نارها؛ إذ إنها فرصة لاستعمال الذراع الألمانية ضد روسيا الأرثوذكسية وتأديب فرنسا وإنجلترا

(١) Pierre Dominique> La Politique des Jesuites,p.247. نقلاً عن الصراع الطائفي النصراني،ص ٣٧١.

فكان كل شيء يتجه في صالح الكنيسة الكاثوليكية.

لقد كان بيوس العاشر البابا على الكنيسة الكاثوليكية وقت حصول هذه الأحداث وقد أخبر الكاردينال "ميري دال فال" أكثر من مره بأن الحرب العظيمة قادمة، ولن ينقضي عام ١٩١٤م قبل أن تندلع الحرب. وقال للوزير البرازيلي الذي كان يغادر مجلسه: "أنت محظوظ! لن ترى الحرب العظيمة عن كثب" وبالفعل بعد أقل من ثلاثة أشهر، كانت خمس دول قد عبأت جيوشها لهذه الحرب[1].

(١) انظر: الصراع الطائفي النصراني، ص ٣٧١-٣٧٢، بتصرف.

المبحث الثاني

آثار الاضطهاد الديني عند النصارى

وفيه توطئة ومطلبان:

- المطلب الأول: الآثار الإيجابية من الاضطهاد الواقع على النصارى.
- المطلب الثاني: الآثار السلبية من الاضطهاد الديني على النصارى.

* * * ** * * *

توطئـــــة

لاشك أن النصرانية مرت بظروف متعددة ومراحل متشعبة، عانت فيها فترات وازدهرت فترات أخرى، لقي فيها النصارى عنتاً شديداً في بدايات دعوتهم، ثم تجشموا هم بعد زمام المواجهات والاضطهادات، وكانت حقبة مليئة بصنوف شتى من الظلم والبغي الذي سبق أن أشرنا اليه ونأتي لنبين الآثار التي خلفتها تلك الاضطهادات سواء على النصارى انفسهم أو مع مخالفيهم ويمكن جعل الآثار على اتجاهين:



المطلب الأول
الآثار الإيجابية من الاضطهاد الواقع على النصارى

١-حفظ الله لنبيه عيسى عليه السلام ونجاته من كيد اليهود وتآمرهم من أجل قتله وصلبه، فقد أمتن الله سبحانه وتعالي بنعم عظيمة على عيسى عليه السلام، وخص بالذكر هذه النعمة فقال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ [المائدة:١١٠]، يقول ابن عاشور رحمه الله: "وهذا من أعظم النعم، وهي نعمة العصمة من الإهانة فقد كف الله عنه بني إسرائيل سنين، وهو يدعو إلى الدين بين ظهرانيهم مع حقدهم وقلة أنصاره، فصرفهم الله عن ضره حتى أدى الرسالة، ثم لما استفاقوا وأجمعوا أمرهم على قتله عصمه الله منهم فرفعه إليه ولم يظفروا به، وماتت نفوسهم بغيظها"[(١)].

٢-تأييد الله لنبيه عيسى عليه السلام بالمعجزات والآيات، ومعجزات عيسى عليه السلام كثيرة، ومنها معجزة الإنقاذ، فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران:٥٢-٥٥] ورغم ما في الأناجيل من أحاديث مطولة عن نهاية المسيح نهاية تساير مقولات المنتسبين إليه من أنه صلب وقتله اليهود على الصليب، إلا أننا نقرأ بين ثنايا هذه الروايات ما يفيد أن المسيح قد نجا من مطارديه، فنراه يقول لكهنة المعبد "حيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا"[(٢)(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير ٧/ ١٠٢.

(٢) إنجيل يوحنا ٧/ ٣٤.

(٣) انظر: معجزات المسيح في الإنجيل والقرآن، محمد عبدالرحمن عوض، ص١٣٨-١٣٩.

وما سبق ذكره من الآيات يجلى هذه الحقيقة وهو عندما شعر عيسى عليه السلام بالخطر من حوله وتربص اليهود من أجل قتله فطلب من أتباعه وأنصاره بيان موقفهم في نصرته وحمايته من أجل تبليغ دين الله عز وجل، وتأتي الإجابة سريعة من تلاميذه وأتباعه بتحمل التبعة والمخاطر من أجل هذه الرسالة، بل والدفاع عنه. فقد روي أن اليهود لما طلبوه ليقتلوه قال للحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقى فيه شبهي فيقتل مكاني فقال سرجس: أنا يا روح الله. قال: فاجلس في مجلسي. فجلس فيه، ورفع عيسى صلوات الله عليه، فدخلوا عليه فأخذوه، فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به"[1].

٣- إيمان طائفة من بني إسرائيل بدعوة المسيح عليه السلام، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن طائفة من بني إسرائيل أنها صدقت به وبدعوته، وقد ذكر الله سبحانه تلك الطائفة المؤمنة في أكثر من موضع في القرآن ومن تلك المواضع قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المائدة:١١١] وفي قوله تعالى: ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف:١٤] وقد جاء ذكرهم على سبيل العبرة والافتخار بتلك الجماعة التي آمنت وصدقت حين نصرت عيسى عليه السلام، ووقفت إلى جانبه في أحلك الظروف، وأصعب الأوقات حين قامت قوى الشر ضد المسيح، فكان هؤلاء هم القوة الدفاعية لمواصلة التبليغ والارشاد، بما أوتوا من إيمان وقوة، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين[2].

٤-إن هجرة أعداد كبيرة من النصارى هرباً بدينهم إلى أقاليم بعيدة عن سلطة الإمبراطورية وقوانينها، قد هيأت فرصاً لانتشار النصرانية في كثير من البلدان سواء في الشرق أو في الغرب.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٧/ ٦٥٦-٦٥٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٨/ ١١٨، أصول المسيحية، ص٨٤.

يقـول د. لاسي اولـيري: "ولم يكـن الاضـطهاد هـو الـسبب الوحيـد في انتـشار المسيحية ولكنه كان سبباً من اسباب انتشارها، لعله كان من أهم الأسباب"[1]. ثم بين كيف أن الاضطهاد كان سبباً في انتشار النصرانية بقوله: "لقد كان الاضطهاد يقع بـين الحين والحين ولا يدوم الا فـترة وجيـزة، وكانـت تثـيره عـادة دوافـع لا تتـصل بالـدين ولكن كان هناك دائماً احتمال وقوع الاضطهاد، وهذا لاشك ما حدا ببعض المسيحيين إلى النزوح خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية أو عـلى الأقـل الانتقـال إلى ولايـة كـان الاضطهاد فيها نادراً نسبياً. إن الكنيسة الإنجليزية ترجع في نشأتها الأولى فيما يبـدو إلى اللاجئين الهاربين من الاضطهاد في بلاد الغال وليست الكنيسة الوحيدة المدينة بنشأتها الأولى للاجئين"[2].

٥- تنامي مشاعر الأخـوة الدينيـة التـي أساسـها الرابطـة العقائديـة، مما أدى إلى ظهور مؤسسات سرية أخذت على عاتقهـا إعانـة المـضطهدين، وتقـديم العـون لـذوي المبعدين.

(١) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥٦.

المطلب الثاني
الآثار السلبية من الاضطهاد الديني على النصارى

سيكون الحديث عن هذه الآثار في المسائل التالية:

۞ المسألة الأولى: أثر الاضطهاد في تحريف دعوة المسيح عليه السلام:

١-ظهور عقائد جديدة لم تكن موجودة.

قامت دعوة المسيح عليه السلام على التوحيد الخالص، كبقية دعوات الأنبياء ولم يصبها الانحراف إلا بعد أن لحق هذه الدعوة التغيير والانحراف من اضطهاد وتأثر بالفلسفات والوثنيات، فعقيدة الصلب والفداء، وقيامة المسيح من القبر بعد موته -بزعمهم- وظهر كذلك القول بألوهية المسيح في عهد مبكر مع وجود الحواريين مع أن سيدنا عيسى عليه السلام لم ترد عنه أي دعوى تفيد أنه من عنصر إلهي أو من عنصر أعلى من العنصر الإنساني المشترك[1].

لقد أصاب ديانة المسيح عليه السلام التحريف وهي ما زالت في مهدها فقد جُعل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وثناً معبوداً بعد أن جاء هو نفسه لتحطيم الوثنية والأوثان، ولاشك أن هذا التحول الديني يعتبر من أخطر المزالق التي وقعت فيها هذه الديانة والتي أصبحت ديانة ملفقة من وثنيات وفلسفات أدخلها البغيض بولس[2].

ولدى خروج ديانة المسيح عليه السلام عن الحدود التي رسمها واجهت اضطهاداً من المخالفين لها كما سبق أن بينا، فقرر رجال الدين وعلى رأسهم بولس التردد إلى الفلسفة اليونانية كسند يؤيد العقائد الدينية، فدخل كثير من الفلاسفة إلى

(١) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد الحاج، ص ٨٠-٨٢،

(٢) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص٢٨٢-٢٨٣.

النصرانية ومزجوا الفلسفة بالدين مما أدى إلى إيجاد نظم دينية من وراء المادة وكان الشعب خليطاً في أفراده وفي ثقافته فوجدت الفلسفة جواً ملائماً لما ستقوله فولدت ديانة جديدة قامت على أساس الفلسفة(1).

٢-ضياع الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام.

الإنجيل هو كتاب الله المنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام هدى ونوراً لبنى إسرائيل كما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦] فالإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين، ويدعو إلى التوحيد الكامل، وفيه بشارة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولأنه أمر أتباعه باتباعه حين بعثته؛ ولكل ذلك كان على أتباع الإنجيل أن يحكموا به، وأن يسيروا على هديه. فإنهم لو فعلوا ذلك لما وسعهم إلا اتباع خاتم النبيين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واتباع كتابه العزيز(2).

وقد جاءت نصوص كثيرة من كتب النصارى أنفسهم تبين أن المسيح عليه السلام كان معه إنجيل يدعو به في المجامع ويبشر به في قومه بنى إسرائيل، ففي إنجيل متى يقول المسيح مخاطباً تلاميذه: "الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل في هذا العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها"(3).

وفي إنجيل مرقس: "من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها"(4).

وقد تحدث بولس عن إنجيل المسيح قائلاً: "إني أعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر... يوجد قوم يريدون أن يحولوا

(١) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث،ص ١١٤بتصرف.

(٢) انظر: دراسات في النصرانية، د. محمود مزروعة، ص٧٢

(٣) ٢٦/ ١٣.

(٤) ٨/ ١٥.

إنجيل المسيح"[1].

ولا شك أن إنجيل عيسى عليه السلام يختلف كلية عن بقية تلك الأناجيل الموجودة الآن في نصوص العهد الجديد لأنها:

أ-لا تضاف إلا إلى أصحابها.

ب-أن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل ولم يكن واحد من هذه الأناجيل موجودة في عهده ويمتنع عقلاً أن يعظ ويبشر بأقوال تلاميذه وهم لا يزالون يتلقون التعليم.

ج-أنه ذكر من غير نسبته إلى أحد - كما جاء في إنجيل مرقس - وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه[2].

وقد امتنع عموم النصارى من الاعتراف بوجود إنجيل حقيقي للمسيح فقالوا: لم ينزل على المسيح شيء، بل الإنجيل هو أقواله الشخصية.

الا أن هناك عدداً من علماء النصارى قد أقروا بوجود إنجيل المسيح قبل ضياعه واختفائه، ومنهم "أكهارت"، حيث يقول: "كان في بداية المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح، ويجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، ولم تكن الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب"[3].

وهكذا فإن فقدان إنجيل عيسى عليه السلام في أول عهود النصرانية يعد فقداناً للمصدر الصحيح الذي يرجع إليه النصارى في اعتقاداتهم وشرائعهم، ولكن كيف تم فقدانه بهذه الصورة التي جعلت عامة النصارى ينكرونه؟!

ومما لاشك فيه أن أكبر أثر لذلك الاضطهاد الذي تعرض له المسيح في بداية

---

(١) رسالته إلى أهل غلاطية ١/ ٦-٨.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، ص٥٦

(٣) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق، د. محمد ملكاوي، ٢/ ٣٧٩

الدعوة، وكذلك ما حصل لتلاميذه من تعذيب وتشريد وقتل وقد امتد ذلك الاضطهاد إلى أماكن عبادتهم وكتبهم وكل ما يمتلكون؛ فأدى ذلك إلى ضياع الإنجيل الصحيح المنزل على عيسى عليه السلام.

وذلك لأن هذا الاضطهاد الذي دام إلى أوائل القرن الرابع الميلادي لم يترك عالماً بالديانة إلا وعذب، ولا كتاباً خاصاً بها إلا وأبيد من الوجود، فكان لهذا الاضطهاد الأثر السلبي على بقاء هذا الإنجيل. خاصة وأن مثل تلك الاضطهادات ركزت على ما يمكن أن يكون له صلة مباشرة بالمسيح عليه السلام أو أي شيء يكون مرجعاً لهذه الجماعة الخارجة في نظر المضطهدين(١).

٣- تعدد الأناجيل، وفقدان قيمتها بعد ضياع إنجيل عيسى عليه السلام.

لقد كان لضياع الإنجيل الصحيح الأثر البالغ في انتحال أناجيل كثيرة في زمن واحد، وخاصة عندما نشط الأتباع ومن جاء بعدهم في كتابة تلك الأحداث والقصص وأخذ كل واحد يسمي ما كتبه إنجيلاً حتى لقد قيل إن الأناجيل بلغت نيفاً ومائة إنجيل(٢).

ويميل ديورانت إلى هذه الحقيقة وهي أن هذه الأناجيل التي تجعلها النصرانية من مصادرها هي البقية الباقية من عدد أكبر منها في العصور المسيحية الأولى حيث فقدت خلال تلك الانقسامات والاضطهادات التي جرت على أتباع المسيح، حيث قال: "أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة. ذلك أن الأربعة الأناجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني"(٣).

وقد كان لتلك الاضطهادات أثر واضح وبين على هذه الأناجيل وذلك

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٩٠، تحريف رسالة المسيح عليه السلام، ص٢١٨.

(٢) انظر: قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، ص٣٩٩

(٣) قصة الحضارة، ١١/٢٠٦.

من حيث:

أ-التأخر في تدوين الأناجيل:

إن تأخر تدوين الأناجيل يَنمُ عن افتقادها إلى أصل صحيح، يمكن نسبته إلى المسيح أو أحد معاصريه، ولا تعني العناوين التي تحملها الأناجيل أنها من كتابة من تنسب إليهم، فمتى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يكتبوا من هذه الأناجيل شئياً، أضف إلى ذلك أن متى ويوحنا صاحبي الإنجيل الأول والرابع لا علاقة لهما بتلميذي المسيح ومن ثم ليس هناك دليل تاريخي صحيح من القول: إن الأسماء الموضوعة على رأس كل إنجيل هي أسماء لمؤلفيها"[1].

فإذا كانت كتابة الأناجيل بهذا البعد التاريخي فإنما هو بسبب الاضطهاد الذي تعرضت له المسيحية في العصور الأولى من قبل اليهود والرومان الوثنيين[2].

يقول حبيب سعيد: "إن الأربعين سنة من ٧٠-١١٠م تبقى أكثر فترات التاريخ المسيحي غموضاً وإبهاماً، وهو أمر يؤسف له، لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغيير في الكنيسة نفسها... وفي هذه الفترة الغامضة من التاريخ المسيحي كتبت بشائر الإنجيل"[3].

وقبل مجمع نيقيه ٣٢٥م لم تكن الكتب كلها معروفة وآخر كتاب من هذه الكتب كتب في القرن الأول، فبين آخر كتبهم تدويناً في زعمهم، ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوى يرويها، وذلك نتيجة ما حل بهم من الأحداث في هذه المدة ما يذهب باللب ويضيع الرشد، وينسى المرء معه كل شيء،

---

(١) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص١٨٨.

(٢) انظر: حول موثوقية الأناجيل، ص٢٥، القراءات الحديثة للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، د. يوسف الكلاَّم، ص٤١.

(٣) فجر المسيحية، ص٤٧-٤٨.

وأن الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد[1].

ب- انقطاع السند في الأناجيل:

إن الكتاب السماوي الذي يجب الخضوع له والائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه لا يكفي في إسناده إلى شخص ذي إلهام مجرد الظن والوهم لا في وجوب اعتقاده ولا في التمسك به في مقابلة طعن المخالف، كما أن مجرد ادعاء فرقة أو فرق غير كاف لإثبات صحة ذلك الكتاب فإذاً لابد أن يثبت ذلك الكتاب وأنه كتاب الله الذي أنزله على النبي الفلاني بسند متصل في جميع طبقاته متواتر في عامة مراتبه بحيث يكون رواه الجم الغفير عن الجم الذي يؤمن تواطؤهم على الكذب بلا تغيير ولا تبديل ولازيادة ولا نقصان بأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة مختلفة الأمكنة خالية عن الغرض والعلة والجهل[2].

إن قضية اتصال السند وعدم انقطاعه من القضايا المهمة التي تثبت صحة الخبر من عدمه، يقول رحمت الله الهندي[3]: "اعلم أرشدك الله تعالى أنه لا بد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرّد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه،... ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم، فقال: إن سبب فِقدان السند عندنا وقوع المصائب

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، ص٨٦.

(٢) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق نقد الأناجيل، ص١٥.

(٣) رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي الحنفي، ولد في كيرانة من توابع دلهي عاصمة الهند سنة ١٢٣٣هـ. نزيل الحرمين: باحث، عالم بالدين والمناظرة. جاور بمكة وتوفي بها سنة ١٣٠٦هـ. له كتب منها: التنبيهات، في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات، إظهار الحق. (الاعلام للزركلي ٣/ ١٨).

والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً، فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا"[(١)].

ج- الانتقائية في اختيار الأناجيل المعتمدة.

كما تقدم فقد كان هناك عدد كبير من الأناجيل في العصور الأولى من المسيحية لكنها تلاشت وفنيت، ولم يبق منها إلا القليل وحصل هناك انتقاء لهذه الكتب الموجودة الآن وهي في الحقيقة كتابات متأخرة ومشكوك في صحتها فإنجيل لوقا ومرقس ورسائل بولس قبلت مع أنهم ليسوا من تلاميذا المسيح، ورفضت الكنيسة إنجيل برنابا ورسالته مع أنه بنص الأناجيل هو من زكى بولس أمام بقية التلاميذ حتى قبلوه بينهم[(٢)].

يقول القس جين ميسلر: "ما الميزة التي حظيت بها هذه الأناجيل الأربعة ومثيلها من الكتب الأخرى حتى تعتبر مقدسة وإلهية، مع أن هناك كتباً أخرى أيضاً تحمل اسم الإنجيل وتنسب إلى الحواريين؟ فإن قيل إن الأناجيل المرفوضة نسبت خطأً للحواريين فالقول وارد أيضاً بالنسبة للأناجيل الأربعة، وإذا اعتبرنا بعضها محرفاً ومزوراً فالأمر وارد أيضاً بالنسبة للبعض الآخر، وبالتالي ليس ثمة دليل مؤكد نميز به بين هذه وتلك، وبالرغم من أن الكنيسة تريد فرض ذلك فالأمر غير مقبول"[(٣)].

وهكذا بالفعل تعرض النصارى للاضطهاد في تلك الحقبة الزمنية، جعلهم

---

(١) إظهار الحق ١/ ١٠٩.

(٢) انظر: القراءات الحديثة للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، د. يوسف الكلاَّم، ص٥٣- ٥٤ بتصرف.

(٣) المصدر السابق، ص٥٤.

يعيشون فترة عصيبة من الخوف والرعب وجواً غير مهيئ لبقاء الدعوة صحيحة، بل بالعكس فقد كانت الفرصة مواتية لضياع الحقائق، وتعديل النصوص، ونسبة الكتب إلى غير أصحابها ويصير التحقق من موثوقية الأقوال والأفعال والنصوص غير ممكن ومتعسراً، مما جعل من بعدهم يتيهون في وديان التحريف والتبديل في نصوص الأناجيل.

وبعض الكُتَّاب النصارى[1] يحتج على عدم أهمية تلك الفترة الطويلة التي تفصل بين المسيح وكتابة الأناجيل، فيقول: إن كثيراً من مؤلفات الفلاسفة وكتاباتهم بقيت بعدهم أزماناً طويلة ولم يحدث أن دخلها تزييف، وهو بذلك يريد أن يجعل الأناجيل مثل هذه الكتب لم يدخلها تزييف وهذه مغالطة قامت على دليل ضعيف لما يأتي:

أ-إن كثيراً من الفلاسفة وغيرهم ضاعت كتبهم جملة أو ضاعت أجزاء منها كما أن الكثيرين منهم قد نسب إليهم ما ليس من تأليفهم.

ب- لو صحَّ أن الفلاسفة وغيرهم لم تضع كتبهم ولم تزيف فذلك لأنهم لم يكونوا أصحاب رسالة، ولم يكن لهم أعداء كما كان لكتاب الأناجيل الذين ظلوا مطاردين قروناً عديدة.

ج- يعتبر الإنجيل كتاب ديني وليس كذلك مؤلفات المؤلفين فالأمر في الإنجيل متعلق بالعقيدة والمصير في الآخرة وهناك مخالفون في العقيدة ولهم قوتهم التي لا يستهان بها[2].

د- أن اتباع المسيح عليه السلام مكثوا فترة طويلة لم يكتبوا الأناجيل اعتقاداً منهم برجوع المسيح إلى الدنيا قبل أن يفنى ذلك الجيل.

---

(١) وهو عوض سمعان في كتابه إنجيل برنابا.

(٢) انظر: معجزات المسيح في الإنجيل والقرآن، ص٢٢.

٤- الرهبانية والانقطاع والتبتل وجعل ذلك من دين الله.

تعد الرهبانية من نتاج الغلو عند النصارى في دينهم وهي التبتل ولزوم الصوامع والبيع وعدم الخروج منها.

قال ابن الأثير: "هي من رهبنة النصارى، وأصلها من الرَّهبة: الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمُّد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب، فنفاها النبي ﷺ عن الإسلام، ونهى المسلمين عنها"(١).

وقد جاء عند قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد:٢٧] روى الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال: "لرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع"(٢).

وقال الضحاك: "إن ملوكاً بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة، فأنكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع"(٣).

وعليه فإن الرهبانية وإن كانت في أصلها مأخوذة من وثنيات وأديان وضعية(٤) إلا أن تعرض النصارى لأنواع شتى من الاضطهاد والتعذيب كان له دور كبير في انبثاق فكرة الرهبنة(٥) والهروب إلى الفيافي والأديرة من أجل الخلاص من ملاحقة

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق رضوان مامو، ص٥٢٥-٥٢٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٤٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. عبدالله التركي، ٢٠/ ٢٧١-٢٧٢.

(٤) لمعرفة هذا الالتقاء والتأثر من النصرانية بهذه الأديان والفلسفات، ينظر: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، د. أحمد عجيبة، ص١٧-٤٦.

(٥) وقد بالغ د. أسد رستم في إرجاع الرهبنة إلى عيسى عليه السلام، حين قال: "وعاش السيد نفسه فقر وتيه =

المخالفين لهم، ولكن سرعان ما تحول هذا الغرض إلى منهج حياة عند النصارى.

يقول د. جوزيف يوسف: "إن حركة الاضطهادات التي صاحبت ظهور المسيحية والتي بلغت أشدها في عهد دقلديانوس كانت سبباً في اضطرار الناس إلى الفرار إلى الوديان والقفار وإلى قمم الجبال وجوف الصحاري للتوحد والتعبد والتقشف"(1).

ويقول د. رأفت عبدالحميد: "وهكذا كانت حركة الاضطهادات الهامة والعنيفة التي تعرض لها المسيحيون دافعاً أساسياً إلى فرار عدد كبير من النصارى إلى الفيافي والقفار هروباً بالعقيدة وخلاصاً للروح"(2).

كما قال: "إن الاضطهاد هو السبب المباشر لنشأة هذا النسق من الحياة الزهدية"(3).

ولا شك أن هذه الدعوة لا تتفق مع الفطرة ولا تستقيم مع طبائع النفس وصفاتها وكانت نتيجة هذه الرهبانية أن خلال الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل، عادت فاستحالت عيوباً ورذائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية، وعم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حناناً ورحمة، وعيونهم من الدمع، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات

= ومسكنة. وعلَّم باقتراب النهاية. وأرسل تلاميذه ليكرزوا بملكوت الله. وأوصاهم ألا يحملوا شيئاً للطريق لا عصا ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة والا يكون للواحد منهم ثوبان " (انظر: الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ص١٠٢). هذا النص لا يثبت عن عيسى عليه السلام، ولو ثبت فالمقصود بذلك الآيات التي أعطيت لعيسى عليه السلام كدليل على صدق نبوته.

(1) دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣٦-٢٣٧.

(2) الدولة والكنيسة، د. رأفت عبدالحميد، ٣/ ١٨٢.

(3) ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي، ص٤١.

والأولاد، فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيامي والأولاد يتامى، عالة يتكففون الناس[1].

٥- تسلط المجامع الكنسية:

لم تقم المجامع الكنسية يوماً من الأيام من أجل اتفاق بين فئتين للوصول إلى القول الحق، بل كانت دوماً سيفاً مصلتاً وسوط عذاب لكل من يجهر بعقيدة التوحيد، أو يأتي برأي يخالف الطرف الأقوى.

وقد كان تأثير اضطهاد المجامع واضحاً وبيناً في تحريف ديانة المسيح فإن المجامع الكنسية من أولها إلى آخرها كانت أداة هدم وتخريب لما جاء به عيسى عليه السلام.

وكان أول مجمعٍ حصل فيه هذا النوع من الاضطهاد مجمع الشيوخ الذي عقد سنة ٥٤م؛وذلك بسبب النزاع الذي حصل بين النصرانية البولسية والنصرانية اليهودية، وكانت قضية الختان - بوصفه طقساً يهودياً - هو محور تلك المشكلة، إذ رأى فريق من اليهود المتمسكين بالناموس وجوب ختان كل أممي يعتنق رسالة المسيح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بينما رأى فريق آخر أن ذلك مما لا يلزم. هذا النزاع كان له أثره في توجه بولس إلى دعوة غير اليهود[2].

وقد دلت النصوص التي ذكرها كتاب العهد الجديد[3] شدة تلك الخصومات بين الطائفتين، فكان لذلك المجمع تأثير على بداية دعوة المسيح عليه السلام حيث أقر ذلك المجمع عدم الزام الأمميين بأكثر من أربعة أمور: تحريم الزنى وأكل الدم والمخنوق، وما ذبح للأصنام، وكذلك كان هذا المجمع قاعدة لبقية المجامع في التحكم بأمور الدين، ونسبة ذلك إلى الروح القدس، وقد كان ذلك نهجاً لبابوات الكنيسة في اتخاذ

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، الندوي، ص١٥٢.

(٢) انظر: تحريف رسالة المسيح، ص١٠٤.

(٣) انظر: سفر أعمال الرسل ١٥/ ١-٣٥

القرارات التي أثرت تأثيراً كبيراً على رسالة المسيح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[(١)].

كما نجد أن هذه المجامع الكنسية زادت من حدة الخلاف بين النصارى، فبدلاً من أن تكون المجامع سبيلاً للاتفاق والتوحد كانت النتيجة عكس ذلك تماماً؛ لأن جعل بعض آراء رجال الكنيسة الفيصل في تحديد العقائد يعتبر تحول خطير في الديانة، نتيجة إعطاء رجال الدين سلطة فوق سلطتهم؛ حيث إن سلطتهم يفترض لها أن تكون في دائرة الإرشاد والتوجيه أما رسم معالم الديانة فهو أمر قد انتهى بما جاء به عيسى عليه السلام وأي زيادة على ذلك تعتبر مردودة[(٢)].

۞ المسألة الثاني: أثر الاضطهاد الديني على دعوة المسيح وأتباعه:

١- اتجاه الدعوة إلى السرية.

لاشك أن اتجاه أتباع المسيح إلى السرية في دعوتهم كان ظرفاً طارئاً بفعل الاضطهاد والتعذيب الذي لحقهم من اليهود والرومان، مما جعل الدعوة تنحصر وتتسرب إليها كثير من الوثنيات، بحكم أن هذا الشخص الوثني كان يدخل في الديانة ويمزج عقائده بالمسيحية دون أن يجد له من يصحح له المعتقد، أو لا يجهر بمعتقده خوفاً من الاضطهاد[(٣)].

لقد استطاعت بالفعل تلك الأفكار الوثنية التي كانت موجودة في ذلك الحين أن تتسلل إلى المسيحية الحقة لتزيح غيرها من الأفكار الدينية الصحيحة، وساعدها على ذلك أن المسيحي ما كان يستطيع أن يميز بين ما هو مسيحي وما هو وثني وذلك

(١) انظر: الحواريون ص٤٤٨، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، ص٣٤٢.

(٢) انظر: قضايا المسيحية في قصة الحضارة لـ" ول ديورانت" دراسة تقويمية، د. أسامة محمد بهلول، ص٤٥٨-٤٥٩.

(٣) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٩٢.

بسبب الخوف من الاضطهاد والتعذيب[١].

٢-قتل عدد كبير من أتباع المسيح عليه السلام.

لقد عرف المخالفون من اليهود والرومان أن القضاء على أتباع المسيح وتلاميذه هو قضاء على الدعوة التصحيحية التوحيدية في مهدها، ولذلك ما أن توهموا بقتل المسيح حتى تفرغوا إلى ملاحقة الحواريين وكل من آمن بهذه الدعوة؛ لأن أي دعوة لابد أن يكون لها أنصار وقد امتدح الله الحواريين بمناصرتهم عيسى عليه السلام ودعوته، ولكن هؤلاء اليهود استطاعوا أن يلاحقوا أتباع المسيح وخاصة حواريي عيسى عليه السلام الاثني عشر الذين انتدبهم لتبليغ دعوته.

وقد لحق أتباع المسيح عليه السلام وتلاميذه اضطهادٌ كبيرٌ؛ اضطرهم للخروج من أورشليم، وانتشروا في الأرض، فاختلف مصيرهم فمنهم من قتل، ومنهم من صلب، ومنهم من عذب عذاباً شديداً[٢].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "فما تركوا عالماً منهم بالديانة إلا قتلوه، وكان الولاة يتفننون في طرق إبادة المسيحية من الوجود، أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد إليها، ويتوارث العلم بها"[٣].

وفي ظروف مثل هذه هل باستطاعة تلاميذ المسيح عليه السلام أن يبلغوا الشرع بتلك

---

(١) انظر: الحركة الفكرية ضد الإسلام، د. عبدالفتاح دويدار، ص٢١٤، بتصرف.

(٢) نجد أن بعض المؤرخين النصارى يسجل وقائع وأحداث حول اضطهاد أتباع عيسى عليه السلام وليست لها دليل لا من قريب ولا من بعيد. (ينظر: موسوعة الأقباط ١/ ٨١-٨٢، تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص٧٨)، حتى أن بعض الدوائر الكتابية المحت إلى شيء من ذلك، فقد جاء في سيرة فيلبس أحد حواريي المسيح "المرجح بعد أن كرز بالإنجيل في جهات كثيرة، استقر في مدينة هيرابوليس إحدى مدن ولاية أسيا الرومانية، ومات فيها ولا يعلم على وجه اليقين ما إذا كان قد مات موتاً طبيعياً أو مات شهيداً" (انظر: دائرة المعارف الكتابية ٦/ ١٢٩).

(٣) محاضرات في النصرانية، ص٨٦.

الصفة التي أخذوها وتعلموها من نبيهم عيسى عليه السلام؟ وهل باستطاعة أناس من الذين صدقوا بدعوة المسيح عليه السلام أن يتحملو كل هذه المصاعب وصنوف الاضطهاد والعذاب مع أنهم ما زالوا في بداية الدعوة؟

ولا شك أن مثل هذه الظروف الصعبة لم تكن مهيأة لانتشار الدعوة كما جاءت صحيحة عن عيسى عليه السلام، فلا نستطيع أن نقول إنهم تلقوا الشرع السماوي كاملاً؛ لأن ظروف الاضطهاد منعت الكثيرين أن يجلسوا إلى تلاميذ المسيح ليتعلموا منهم كل ما نزل على المسيح عليه السلام، فقد يكون تلقى البعض تلك الشرائع لكن الداخلين في الديانة الجديدة دخلوا وعقولهم وقلوبهم مليئة بالعقائد الوثنية فمزجوا بين عقائدهم وبين ذلك الحق، حتى أدى ذلك إلى تكون ديانة جديدة بعيدة تماماً عن دعوة المسيح الأولى(١).

٣- تشتت الاتباع خارج بلاد اليهود.

عندما فقد أتباع المسيح عليه السلام الأمان على أنفسهم ودينهم بدأوا يفرون ويهاجرون من أماكن اليهود وتجمعاتهم، ومؤامراتهم الخبيثة والمستمرة في كل حين ومكان.

إن تشتت بعض المؤمنين بديانة المسيح لنشرها خارج فلسطين بين اليهود اليونانيين الوثنيين، قد أثر تأثيراً كبيراً على الديانة النصرانية. فقد كان يهود الشتات أكثر استعداداً من سكان اليهودية للتفاعل مع الأمل المسيحي لكنهم لم يستنكفوا من تأويله في ضوء العادات الفكرية التي كانت سائدة في أوساطهم، حيث الابتعاد عن التمسك بحرفية الشريعة والتأثر بنسب مختلفة بميل اليونان إلى مزج الأساطير والعقائد المختلفة في نظام واحد(٢).

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٨٩، بتصرف.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٥٨.

وقد أخذ الناس ينظرون إليهم نظرة مختلفة، فقد كانت الفكرة السائدة أن هذه الديانة ماهي إلا فرقة يهودية وقد عرف عن اليهود عنصريتهم وعدم تبشيرهم لدينهم، فلما وجدوا أن أتباع النصرانية يبشرون بدينهم وأنهم في زيادة عندها تغيرت نظرة الوثنيين للنصارى وأصبحوا يعاملونهم معاملة تختلف عن سابقتها فاصبحوا يطلقون عليهم «الوثنيون» الاسم الخاص بهم وهو المسيحيون، واعتبارها ديانة مستقلة لا تحظى بنفس الامتيازات والتسهيلات التي كان يتمتع بها اليهود[1].

إن أتباع المسيح عليه السلام حينما خرجوا من فلسطين لم يتركوا اليهود وحدها بل تركوا معها ديانة بني إسرائيل وشرائعها وعقائدها، فقد اتفقوا في مجمع الشيوخ على ترك الختان عن الداخلين الجدد في الديانة وذلك من أجل أن تروق في أعينهم وهو أخطر شيء على ديانة المسيح إذ معناه البدء في التنازل عن الشرائع والعقائد من أجل دخول اليونانيين في المسيحية، وكذلك كان هناك أثر سيء وهو أن هؤلاء الوثنيين الذين دخلوا في النصرانية لم يدخلوها بذهن خال من الخرافات والوثنيات بل بالعكس كانوا متشربين لتلك الوثنيات والفلسفات التي لم تجد في هذا الدين الجديد من يزيلها ويقضي عليها فبقيت في عقولهم ولم يغير الدين الجديد من حالهم، فامتزجت الوثنية مع عقيدة الدين الجديد فكان لذلك تأثير بالغ على ديانة المسيح عليه السلام[2].

۞ المسألة الثالثة: أثر اضطهاد الكنيسة على النصارى:

أوقعت الكنيسة بالنصارى اضطهادات متراكمة بعضها فوق بعض، فقد مارست شتى أنواع الظلم على جميع الأصعدة. اضطهدت الجماعات والطوائف المخالفة لها، وضعت لنفسها طقوساً ومراسم جعلتها تتدخل في كل شيء. اضطهدت

---

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٩١، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٧٢، بتصرف.

(٢) انظر:: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٩١-٩٢بتصرف.

العقل البشري وأنزلته من عليائه واحتقرته وأهانته وفرضت عليه من القيود التي تمنعه من مجرد التفكير، واضطهدت العلم ودفعت بالعلماء إلى محاكم التفتيش من أجل اضطهادهم والقضاء على كل ما كان يتناقض بزعمهم مع كتابهم المقدس وقد نتج عن ذلك آثار جمة منها:

١-الانشقاق الكنسي بين الكنيستين الشرقية والغربية، والصراع المستمر بين الكنيستين، إنما كان نتيجة لتلك الاضطهادات التي تمارسها الكنائس مع بعضها البعض، وادعاء كل منهما الأسبقية على الأخرى، وأنها تمتلك الحقيقة الكاملة، ولكي نعرف حقيقة ذلك الانفصال نقرأ ما سطره جراسيموس مسّره اللاذقي عند حديثه عن الكنيسة الرومانية وتنظيمها الذي جعلها تتكي عليه وتنفرد بمطالبتها بالسلطة المطلقة في السيادة والتشريع النصراني، وألغت سائر الطوائف الأخرى، فيقول: "غير أن هذا النظام لم يُراع حق المراعاة من كنيسة رومية؛ لأن أساقفتها لم يكتفوا بحقوقهم المقررة سابقاً، بل طلبوا السلطان والسيادة على كل الكنيسة الجامعة، وعلى سائر إخوانهم ورؤساء الكهنة من بطاركة ومطارنة ورؤساء أساقفة وأساقفة وزيادة على ذلك طلبوا أن يحصروا في أنفسهم الكهنوت كله وادعوا أنهم الينبوع للكهنوتية الوحيدة التي تفيض منها مواهب لسائر رؤساء الكهنة على اختلاف رتبهم، وأنهم رؤوس الكنيسة ذوو السلطان المطلق عليها كلها وأنهم أرفع منزلة من المجامع المسكونية التي تؤلفها هيئة الكنيسة حتى إن الكنيسة كلها تغلط وهم لا يغلطون، والكنيسة تسقط وهم لا يسقطون... وهذا السبب الأول الذي أنتج انشقاق الكنيسة إلى شطرين متباعدين"[1].

ولا يخفى كذلك أن استمرار الكنيسة في اضطهاد المخالفين لها، وسحق أي صوت ينادي بنقدها أو الاعتراض على بطشها كان مدعاة إلى مزيد من الخلاف والانشقاق والتفرق بين النصارى وهو الأثر الآخر من قبائح الكنيسة.

---

(١) تاريخ الانشقاق، ١/ ٤٠-٤١.

٢- كثرة الفرق والاختلاف بين النصارى.

وكان من نتاج الاضطهاد أن زرع الله بينهم الاختلاف والتفرق، كما أخبر سبحانه في قوله ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة:١٤]، يقول الرازي: "وفي قوله ﴿بَيۡنَهُمُ﴾ وجهان: أحدهما: بين اليهود والنصارى. والثاني: بين فرق النصارى، فإن بعضهم يكفر بعضاً إلى يوم القيامة"[(١)].

يقول ديورانت مقرراً هذه الحقيقة: "بيد أن المسيحية تفرقت شيعاً بسبب النزاع الدائم بين أهلها... حتى ليكاد يكون لكل رجل فيها آراؤه الخاصة في الدين"[(٢)].

٣- تزعزع ثقة النصارى بالكنيسة وبمبادئها.

لم يعد النصارى يصدقون الكنيسة في مزاعمها، خاصة بعدما ظهرت نظريات علمية وقوانين رياضية جديدة تعارض المسلمات الكنيسة، ووجد الناس في تلك النظريات الحجة العلمية السليمة بخلاف أقوال الكنيسة المبنية على التناقضات واستخدام القوة من أجل فرضها وتعميمها.

ومع مرور الوقت زادت الثقة بقيمة عدد من النظريات المخالفة لما تدعيه الكنيسة وهو ما افقد الكثيرين ثقتهم في الكنيسة وأدت إلى التشكيك في معلوماتها[(٣)].

إن تاريخ الكنيسة في ذهن الإنسان الغربي النصراني، يعني الاضطهاد والقتل، ومحاكم التفتيش، والمذابح المستمرة بين الطوائف المتنازعة بعضها وبعض، وعودة

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ١١/ ٣٢٦.

(٢) قصة الحضارة، ١٢/ ١٢٧.

(٣) انظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، دراسة تحليلية نقدية، د. صالح الدميجي، ص١٤٢.

السلطة إليها، تعني عودة هذه المآسي، فلا غرو أن ينفر الإنسان الغربي منها، ويقف في سبيل حكمها وتسلطها(١).

٤- التقليل من شأن الدين وأهميته بتصرفات الكنيسة الظالمة وممارستها الكهنوتية.

ضاقت المجتمعات المضطهدة ذرعاً من ذلك التعامل القاسي من الكنيسة، وبدلاً من أن تتكاتف وتتخلص من منابع القهر والاستبداد التي تعتمد عليها الكنيسة، اتجهت إلى الدين وأصبحت تلك المجتمعات تنابذ الدين العداء والكره والسعي للتخلص منه(٢).

إنه حتماً ليس هو الدين الصحيح ولكن هكذا فهمت تلك المجتمعات كونه أتى من عند الكنيسة، فكرهت الكنيسة وكل الأديان وانتابت تلك المجتمعات موجة من الإلحاد.

٥- تأخر العلوم والكتابة والتقدم المعرفي في أوروبا.

كان هذا نتيجة طبيعية للاضطهاد الذي مارسته الكنيسة طيلة قرون طويلة من الحجر الفكري ومصادرة كل ما يمكن أن يتعارض مع مبادئها، فاختفت كثير من الحقائق العلمية التي عجز أصحابها عن التفوه بها؛ لأن ذلك يعني الموت أو الحرق أو السجن.

وقد ذكر هذه الحقيقة غير واحد من الباحثين الغربيين تقول "هيلين إيلبربي": "كان للكنيسة أثرها المدمر على المجتمع، فبعد ما تسلمت الكنيسة القيادة تهاوت الأعمال والنشاطات في ميادين الطب والتقنيات والعلوم والتعليم والتاريخ والفن والتجارة ودخلت أوروبا عصور الظلام. ومع أن الكنيسة جمعت ثروة كبيرة جداً

(١) انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، د. يوسف القرضاوي، ص٥٧.

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، ص٥٢،

خلال هذه القرون، لكن كل ما يتعلق بالحضارة قد اختفى"[1].

وهي القائلة كذلك: "كان للكنيسة المسيحية تأثير ضاغط على العلم والتعليم فقد أحرقت الكنيسة كميات هائلة من الكتب ففي عام ٣٩١م أحرق المسيحيون واحدة من أعظم مكتبات العالم في الإسكندرية التي قيل بأنها احتوت على سبعمائة ألف مدرج مخطوط وأغلقت أكاديميات التعليم القديمة، وصار التعليم بالنسبة إلى من هو خارج الكنيسة أمراً منهياً"[2].

وقد كانت الكنيسة تتحكم حتى في الجامعات وتهيمن عليها، وأخذت تلقي عليها الأوامر والتعليمات، وتلقن طلابها ما تسمح به الكنيسة وتمنع عنهم كل ما تحرمه. ومن هنا نشأت سياسة التعليم السلمي الذي جرت عليه الجامعات، وأصبح أساتذة الجامعات لا يعنون بالحقيقة من حيث هي وليدة نظر عقلي سليم أو اختبار تجريبي مؤكد، بقدر ما يعنون بالاستجابة لطاعة الكنيسة واعتناق ما تقره من آراء[3].

و هذا سلوك الكنيسة طيلة سيطرتها على المجتمع الغربي، ومن أمثلة ذلك الإرهاب الفكري الذي ترنو اليها الكنيسة دائماً ما قررته في بعض المجامع من قرارات تهدف إلى قمع الحرية وجعل الكتب وملحقاتها حكراً على رجال الدين، فقد أصدر مجلس عقد في مدينة طولوز عام ١٢٢٩م قراراً يقضي بألا يمتلك شخص من غير رجال الدين كتباً مقدسة عدا كتب التراتيل والأدعية[4].

٦- فصل الدين عن الدولة.

لم تكتف الكنيسة بحق تأويل الكتاب المقدس ولا بتلك المفاهيم المغلوطة من

---

(١) الجانب المظلم من التاريخ المسيحي، ص٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص٦١.

(٣) انظر: قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص٤٧-٤٨.

(٤) انظر: قصة الحضارة ١٦/ ٧٨.

عقائدهم المنحرفة، بل أخذوا في فرض مسلمات علمية عصرية، تتصل بالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والفلكية وجعلت تلك المعلومات من المسلمات التي يستحيل مناقشتها وتصحيحها أو القول بخلافها، مما جعل البابوات ورجال الكهنوت يضيقون ذرعاً بكل ما هو خلاف مسلماتهم، فأخذوا الحكم بالكفر والإلحاد على من خالف مقرراتهم ومسلماتهم.

وقد كان الإسلام بعقيدته البسيطة الخالية من الكهنوت والتي تدور حول مفهوم التوحيد، وإعطاء العقل مكانته الرفيعة نقطة تحول في الفكر الأوربي من خلال الصراع بين الشرق والغرب أو تلقيهم علوم المسلمين كما في الأندلس؛ كل ذلك ساعد على حصول التقدم العلمي والتحرر السياسي والنقد العقلي لعقائد الكنيسة في نهاية القرون الوسطى. وتم مواجهة ذلك بأقصى درجات التنكيل والبطش من القتل والحرق والشنق وغيرها من العقوبات ونتيجة لتلك الجرائم الفظيعة من الكنيسة قامت الثورات المتتالية عليها وكان من شعاراتهم اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس، وقد أطاحت هذه الثورات برجال الدين المستبدين وقذفت بهم في زوايا المعابد المظلمة، وأبعدتهم عن ميدان الحياة كلها ولاسيما في مجال الحكم والقضاء والتشريع، وبذلك تم الفصل التام بين الدين والدنيا وبين الدين والدولة[(١)].

٧- شيوع نظريات الإلحاد في الفكر الغربي.

لقد رأى العقل الأوروبي أن ترك الدين والتحول عنه، والاستقلال عن الكنيسة سوف يتيح له حرية البحث المستقل دون رقابة كهنوتية، ودون وصاية من رجال الدين[(٢)].

---

(١) انظر: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ص٥٨- ٦٠ بتصرف، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ص١٤، التيارات الوافدة لمزروعة ص٣٦.

(٢) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص١٠٦.

ونتيجة لهذا وغيره انقلبت أوروبا حرباً على الدين ورجاله، وسعت إلى التخلص من نير الكنيسة الفكري والروحي وطغيانها المادي، وانتقل جمهرة من المفكرين والعلماء من الإيمان بالدين إلى الإيمان بالعقل أولاً، ظناً منهم أنهم عن طريق أقيسته وبراهينه وقضاياه يمكن أن يجدوا تفسيراً لكل شيء، ولكن سرعان ما وقف العقل حائراً عند حدوده واختلطت عليهم الأمور، ولم يستطع العقل أن يفسر المحسوسات فضلاً عن الغيبيات، وتحول بعدها إلى الاتجاه المقابل الذي لا يؤمن إلا بالمادة ولا يعتقد إلا في المحسوس وأصبح لا يرى تفسيراً لحقائق الأشياء إلا التفسير المادي(1).

إن الكنيسة الأوربية بحماقاتها وتصرفاتها التي اظهرت فيها عداءً سافراً لكل ما هو جديد، جعلها تتحمل المسؤولية عن انتشار مثل الأفكار الإلحادية في الفكر الأوروبي، فحينما رأت أوروبا أن تتخلى عن الدين وتحل مكانه العلم لم تكن تتحدث عن حقيقة موضوعية ولا حقيقة مطلقة، إنما كانت تتحدث عن واقع حدث في أوروبا بسبب حماقة الكنيسة حين حاربت العلم والعلماء وخيرتهم بين اتباع الخرافة للمحافظة على الدين - دينها الذي ابتدعته وشكلته على حسب أهوائها - وبين اتباع العلم والخروج من الدين. وقد اختار العلماء اتباع العلم لأنهم يعرفون قدره، ويعلمون أنه أحق بالاتباع من الخرافة(2).

ظهرت نظريات كنظرية الجاذبية، وكوبرنيكس، وكذلك الثورة الفرنسية(3)

---

(1) انظر: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة، د. صابر طعيمة، ص١٤-١٥، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص١٠٦.

(2) انظر: مذاهب فكرية، محمد قطب، ص٦٢٦-٦٢٧.

(3) الثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٩م). أحدثت الثورة الفرنسية تغييرات كبيرة في المجتمع الغربي بشكلٍ عام وفي نظام الحكم الفرنسي بشكل خاص. وكانت لها آثار بعيدة المدى على بقية أوروبا أيضًا. وقد أدخلت الثورة الفرنسية المُثُل الديمقراطية إلى فرنسا لكنها لم تجعل الدولة ديمقراطية. ومع ذلك فقد =

وما أعقبته من نكبات على الكنيسة، لكن كل ذلك لم يزل الإيمان من قلوب الجماهير، وإن صدقت بعض أقوال المفكرين والمنتقدين للكنيسة، لكنهم مع ذلك كله كانوا مؤمنين بوجود إله يدبر الكون، وبأن آدم هو أبو البشر حتى جاءت نظرية داروين[(١)] وسحقت البقية الباقية من الدين[(٢)].

يقول أنور الجندي: "إن المادية جاءت نتيجة غلو الكنيسة الشديد في رهبانيتها المبتدعة التي أهملت الجانب المادي في الإنسان من جهة والتي غالت في جانبه الروحي من جهة أخرى مغالاة انتهت إلى رفع الإنسان من بيئته البشرية إلى مرتبة الألوهية تماماً كما فعلت المذاهب الوضعية فيما قبل التاريخ أمثال البوذية والكرشيين والهنود الذين رفعوا كرشانا وبوذا إلى مصاف الآلهة، وكانت هذه المغالاة العامل الرئيسي والسبب المباشر في انتشار فكرة التطور المادية وهي فكرة أبى أصحابها الاعتراف بمبدأ الخالقية وما يترتب عليه من استغلال الإنسان في نشأته على الرغم من تصريحاتهم الصريحة بخلو فكرة التطور وخوائها من أي دليل إطلاقاً على وجه الخصوص، إن أصحاب نظرية التطور يؤمنون بها كبديل عن الإيمان بالخلق المباشر التي يرفضونها تماماً"[(٣)].

لقد جابهت الكنيسة هذه النظرية، وانتقدتها وبينت انحرافها بنفس الأسلوب

= أنهت الحكم المطلق للملوك الفرنسيين، وجعلت الطبقة المتوسطة قوية. وبعد قيام الثورة ما كان لأحد من ملوك أوروبا أو نبلائها أو أي جماعة مميزة أخرى، أن تنظر إلى سلطاتها كشيء مطلق أو أن تتجاهل مُثُل الحرية والمساواة. وألغوا الملكية ونحوا دينهم المحرف عن التصرف في ملكهم وسياستهم، ووضعت الثورة وثيقة حقوق الإنسان. (الموسوعة العربية العالمية، مادة «الثورة الفرنسية» المكتبة الشاملة.

(١) عالم حيوان إنجليزي، اشتهر خصوصاً بمذهب التطور ولد سنة ١٨٠٩ م، ومات سنة ١٨٨٢م.وقد بنى دارون نظريته على مشاهدات رآها عبر رحلة بحرية، استمرت خمس سنوات، وجمع تلك المشاهدات في كتاب سماه أصل الأنواع.(انظر: الموسوعة الفلسفية لبدوي ١/ ٤٧٣،الموسوعة الفلسفية ص١٩٢، تاريخ الفلسفة الحديثة،ليوسف كرم ص٣٥١- ٣٥٥).

(٢) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق بامبا، ص٢٩٧.

(٣) الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية ص١٧٦.

الذي قابلت فيه النظريات السابقة، لكن الظروف لم تساعدها هذه المرة إذ الإنسان الأوروبي تغير وأخذ يتحين الفرصة من أجل الأخذ بثأره من الكنيسة ورجالها الذين أذاقوه ألوان الذل والاستعباد، فكان ظهور النظرية فتحاً جديداً بالنسبة له. صحيح أن الجماهير وقفت أول الأمر بجانب الكنيسة ضد داروين " لكن موقف الجماهير بعد ذلك تغير، فلئن كانت قد عزّ عليها أن يسلبها داروين إنسانيتها ويردّها إلى أصل حيواني، فقد أخذت تشمت في الكنيسة ورجالها الذين وجدت أن الفرصة سانحة للتخلص من نيرهم المرهق وسلطانهم البغيض"[(١)].

وحتى ندرك أن الكنيسة كانت سبباً وراء القول بفكرة التطور نجد أن أنصاره يقولون أن هذه الفكرة لا يؤيدها العلم الحديث وإنما هو مجرد تخمين وافتراض مما يعطيك دلالة على أن الملاحدة لم يعتنقوا هذا القول لأجل كونه من الحقائق العلمية وإنما اعتنقوه للتعصب ضد الكنيسة ولشهوة الإلحاد والحرية المطلقة والتخلص من نير الكنيسة، يقول أحدهم: "إن نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين وستظل كذلك والسبب الوحيد أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا أمر غير وارد على الاطلاق"[(٢)].

لقد كانت النتيجة المنطقية لانتصار الداروينية على النصرانية أن عمت موجة الإلحاد المجتمعات الغربية وانتقلت منها إلى بقاع الأرض، وسيطرت الأفكار المادية على عقول الطبقة المثقفة، وتخلّت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخلياً كاملاً أو شبه كامل[(٣)].

---

(١) معركة التقاليد، محمد قطب، ص١٢.

(٢) مذهب النشؤ والارتقاء، منيرة الغاياتي، ص٦

(٣) التطور والثبات، محمد قطب، ص٤٠

٨- تقديس العقل وسيادته.

تمجيد العقل وتقديسه إنما كان نتيجة لصراع مرير مع الكنيسة، وقد استمرت تعاليم الكنيسة المهيمنة حتى ظهرت مذاهب عديدة للإجهاز على سلطة الدين النصراني ورجاله، وهي الفترة التي أقصي فيها الدين النصراني وحل محله العقل في كل شيء وصار له الحكم على الدين وعلى سلوك الناس بداية من النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، الذي عُرف فيما بعد ذلك بعصر التنوير، أي سيادة العقل وحده دون منازع في رد فعل عارم لكبت الكنيسة له والإتيان بخرافات وخزعبلات لا يقرها العقل بحال[(١)].

وتقوم حركة التنوير على مبادئ منها:

- نمو شعور العقل واحساسه بنفسه، وبقدرته على أن يأخذ مصير مستقبل الإنسانية في يده. بعد أن يزيل كل عبودية ورثها من قبل وهي عبودية الكنيسة وتعاليمها.

- عقل الإنسان يؤهله لاكتشاف قوانين الكون وبالتالي لمعرفة أسراره.

- عقل الإنسان وما يقوم عليه من مبادئ كاف لتفهم معاني الكون.

- العقل الإنساني لم يعد محتاجاً للرجوع الى الوحي أو المعرفة الماورائية لإدارة حياته وشؤون الدنيا[(٢)].

وقد بدأت هذه الظاهرة في أوروبا وذلك أن أحرار الفكر لما تناولوا النصوص الدينية وفندوها ونقدوها كانت ركيزتهم في ذلك أنها نصوص بشرية لا قداسة لها، وأن رجال الدين هم الذين أحاطوها بالقداسة. وقد تمادوا في ذلك فلم يقتنعوا بنقد

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب عواجي، ١/ ٦١٩، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص٢٥١.

(٢) انظر: الملل المعاصرة، د. اسماعيل الفاروقي، ص٣٣.

أقوال الكنيسة، وإزالة القداسة المزعومة عنه، بل أمعنوا في حملتهم - مدفوعين بالغل الذي كان في قلوبهم تجاه الكنيسة ورجالها - فهاجموا الدين في ذاته، والنص الديني على إطلاقه ولو كان صحيحاً، ونفوا عالم الغيب كله، ونفوا الوحي والنبوة، وكانوا في ذلك شاطحين، لا يرتكزون على شيء من الحق وأصبح موقفهم لا يقل سوءاً عن الموقف الذي تمردوا عليه أول مرة وإن كانوا يقفون في الطرف المقابل. فإذا كانت جريمة الكنيسة أنها جعلت الدين عدواً للعقل، فقد كانت جريمة هؤلاء أنهم جعلوا العقل عدواً للدين[(١)].

ومن رواد فلاسفة الغرب الذين قدسوا العقل وناهضوا الكنيسة ونقدوها:

أ-ديكارت: قام فكره في الأصل على الإيمان بالعقل، وحجيته في كل شيء، وأخرج الدين والوحي من دائرة العلم. وجعل قاعدة اليقين أولى قواعده وفيها أوجب على الباحث ألا يقبل حقيقة على أنها كذلك، إلا إذا بدت أمام عقله الحر المستقل[(٢)].

ويؤكد ديكارت على أنه لا حاجة للنصوص المقدسة الموحاة؛ لأن العقل يزودنا بالمعلومات الوافرة عن الإله[(٣)].

ب- جون لوك[(٤)]: نادى لوك بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض، وكانت فلسفته منصبة على مهاجمة التقاليد، والحكم التعسفي من قبل الكنيسة، فهو ينكر

---

(١) انظر: قضية التنوير في العالم الإسلامي، محمد قطب، ص٧٥.

(٢) انظر: أعداء الحداثة مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، د. محمد سيد، ص١٠٣،قصة الفلسفة، ص١٩٣.

(٣) انظر: تاريخ الكتاب المقدس، كارين آرمسرونج، ترجمة د. محمد صفار، ص١٣٨.

(٤) جون لوك: (١٦٣٢-١٧٠٤م) فيلسوف ومنظر سياسي إنجليزي، ولد في عائلة بروتستانتية، وقد أولى لوك عناية بميادين متعددة من العلم والمعرفة واللاهوت والطب والفيزياء والفلسفة. من كتبه المسيحية العاقلة، التسامح. (انظر: موسوعة أعلام الفلسفة ٢/ ٣٧٩).

سلطة الكنيسة والآباء ويدعو إلى تفسير الكتاب المقدس في ضوء العقل، ومؤكداً على أن سياسة المجتمع، وإدارة شئونه محكومة بالقوانين المدنية لا القوانين الدينية(١)، يقول لوك: "فكل ما أريد قوله: هو أياً كان مصدر السلطة، فإن السلطة ما دامت ذات طابع كنسي، فيجب أن تكون مقيدة بحدود الكنيسة؛ إذ ليس في إمكانها بأي حال من الأحوال أن تمتد إلى الشئون الدينية؛ لأن الكنيسة ذاتها منفصلة عن الدولة، ومتميزة عنها تماماً"(٢).

ويقول أيضاً: "لم تبق حاجة أو نفع للوحي، طالما أن الله أعطانا وسائل طبعية أكثر يقيناً لنتوصل بها إلى المعرفة"(٣).

ويركز لوك على دور العقل والبرهان العقلي في إثبات صحة الإيمان، والقضاء على الخزعبلات والتي على رأسها النظام البابوي في الكنيسة الكاثوليكية(٤).

ج- فولتير(٥): من أكبر فلاسفة التنوير في أوروبا، ويعتبر الممثل الرئيس لدين العقل، وقد أعلن الحرب على الدين ممثلاً في الكنيسة، وكان شعاره "اقضوا على السافل، والكنيسة في الحالة هذه"(٦).

---

(١) انظر: أعداء الحداثة، ص١٠٨، الصراع بين الكنيسة والعلم، ص٥٠، الفلسفة الحديثة عرض نقدي، ص١٤٩.

(٢) رسالة في التسامح، ص٥٨.

(٣) تكوين العقل الحديث، راندال، ص٤٤٠.

(٤) انظر: الإلحاد في الغرب، ص٦٤.

(٥) فرانسوا فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م)، فيلسوف ومفكر فرنسي، نشأ في باريس، وتعلم في كلية لويس الأكبر اليسوعية، كرس حياته للدفاع عن ضحايا رجال الدين والسياسة، دعا فولتير الى الإصلاح، كان حر الفكر في الدين، لذا رفض رجال الكنيسة أن يدفنوه في باريس حسب الطقوس النصرانية. من كتبه: تاريخ شارل، عناصر فلسفة نيوتن.(انظر: الموسوعة العربية الميسرة، غربال، ٢/ ١٣٣٧).

(٦) أطلس الفلسفة، ص١٢٩

ولا شك أن هذه فقط أمثلة قليلة من هجوم وعداء الفلاسفة للكنيسة ورفعهم من شأن العقل وتقديسهم له وهي نتيجة لذلك الصراع والنزاع بين الفريقين فالكنيسة تريد أن تحافظ على سيطرتها ونفوذها، وفرض آرائها وأفكارها، وخضوع الناس لها، والفلاسفة يريدون للعقل أن يتحرر من قيد الكنيسة، ويأخذ نصيبه من الحياة ونتج عن هذه الهوة العميقة استحالة الجمع بين العقل والدين، وقرر الفلاسفة أنهما ضدان لا يجتمعان وأن الإيمان بأحدهما يقتضي الكفر بالأخر[1].

۞ المسألة الرابعة: أثر الاضطهاد النصراني على الموحدين قديماً وحديثاً:

وقفت النصرانية المحرفة ضد الدعوات التوحيدية طيلة العصور والأزمنة واستخدمت في حربها مع هؤلاء الموحدين شتى أنواع الاضطهادات مما أثر على هذه الدعوات وأصحابها ومن تلك الآثار:

١-محاربة الدعوات التوحيدية ومحاولة القضاء عليها.

تهدف النصرانية المثلثة للقضاء على هذه الجماعة بأي طريقة كانت، فهي لا تريد أن تكون هناك عقيدة غير عقيدتهم، وهذا الأمر كان معهم طيلة اضطهادهم لهذه الجماعات، فكانت تعقد المجامع النصرانية من أجل إدانة هذه الفرق والحكم عليها بالهرطقة واللعن.

٢-تشوية صورة هؤلاء الموحدين.

فقد أساء النصارى إلى تاريخ هؤلاء الموحدين والمنكرين للتثليث وطمسوا كثيراً من معالمه، فأحرقوا كتبهم وتراثهم ووصفوهم بأقذع العبارات والأوصاف والألقاب، وكان هذا ديدنهم قديماً وحديثاً فأريوس واتباعه تعاملوا معه بكل غلظة وشدة من أجل ثنيه عن دعوته ومذهبه لكن لما فشلت كل وسائلهم استطاعوا أن

(١) انظر: موقف الكنيسة من العلم، ص١٦٥.

يقنعوا قسطنطين بمذهبهم وأن يجنح إلى رأيهم بحكم وثنيته فقلدهم الحكم عليه وعلى جماعته فما كان منهم إلا أن يصفوه بالهرطقة والكفر وشنوا عليه وعلى أتباعه الاضطهاد المستمر.

وكذلك في العصر الحديث عندما ظهر علماء ومفكرون أنكروا ألوهية المسيح والتثليث وقاموا بنقد عقائد النصرانية من صلب وفداء وأسرار كنسية قامت عليهم الفرق المخالفة من كاثوليك وبروتستانت بوصفهم بالهرطقة والكفر.

فهذا "ميشيل سرفيتيوس" لما ألف كتابه "أغاليط الثالوث" اتهم مباشرة بالهرطقة والإلحاد لدعوته تلك إلى مبدأ التوحيد(١).

وفي إنجلترا تجددت الدعوة إلى الآريوسية وبرز عدد من المفكرين منهم صموئيل كلارك وكان له كتاب صدر عام ١٧١٢م بعنوان " عقيدة الكتاب المقدس في الثالوث المقدس " وفيه أعلن صراحة إنكاره لمبدأ التثليث، وقد لاقت هذه الدعوات اعتراضاً من الكنيسة الغربية واتهم أفرادها بالهرطقة والسطحية ووصفت بأنها حركات متطرفة ضد الديانة الكاثوليكية(٢).

٣- القضاء على كل ماله صلة وعلاقة بهذه الدعوات.

لقد كان تركيز النصارى على اجتثاث كل ما له علاقة بالفرق الموحدة؛ من أجل القضاء على أفكارهم ومبادئهم فكان دوماً تضمن أي اضطهاد بدني بالاضطهاد الفكري ففي مجمع نيقيه اتخذ قراراً بحرق الكتب بل وإعدام من وجدت معه هذه الكتب التي تخالف رأي تأليه المسيح حتى لا يصل الناس إليها فيتبعون ما بها من آراء تخالف ما عليه أصحاب ذلك المجمع(٣).

---

(١) انظر: الدين والسياسة، ص١٦٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٤٩- ١٥٠.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية، ص١٤٦.

وقد أشار ول ديورانت إلى مثل هذا الاضطهاد حيث قال: "ولم تفرض كنيسة العصور الوسطى رقابة منظمة على نشر الكتب؛ فإذا تبين أن كتاباً ما مناقض للدين، وكان في الوقت نفسه ذا تأثير قوي ككتاب أبيلار عن التثليث استنكره مجلس من مجالس الكنيسة"[1].

٤- ملاحقة ومطاردة الموحدين والمنكرين للتثليث.

أخذت الفرق المثلثة تلاحق الموحدين ومنكري التثليث وتتبع أماكنهم وتقوم بتأليب الإمبراطورية الرومانية من أجل إجلائهم واضطهادهم فبولس الشمشاطي كان أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠م، فعندما أنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول تم حرمانه وطرده[2].

وقد كان نصيب آريوس في نهاية الأمر الطرد، فإنه لما رفض الانقياد لقرارات الإسكندر أسقف كنيسة الاسكندرية فاستخدم سلطاته الكنيسية فأمره بالتخلي عن أفكاره التي يؤمن بها ولما رفض آريوس ذلك؛ أصدر الأمر بعزله من وظيفته ولما لم يكف آريوس عن أقواله واستمر يدعو بدعوته تلك أصدر ضده قراراً بالحرمان. وأخذ يطارده حتى اضطره إلى مغادرة مصر إلى نيقوميديا حيث أخذ أسقفها آريوس يقول في رسالة إلى الأساقفة: "لقد صرنا نعاني تلف الحياة لاضطهاد أنزله الأسقف علينا. وما من حجر في المدينة إلا وقذفت به وجوهنا، لفظونا ملاحدة خارج المدينة"[3].

ولما ظهرت الحركات الاصلاحية في أوروبا تجددت الجماعات التوحيدية في

---

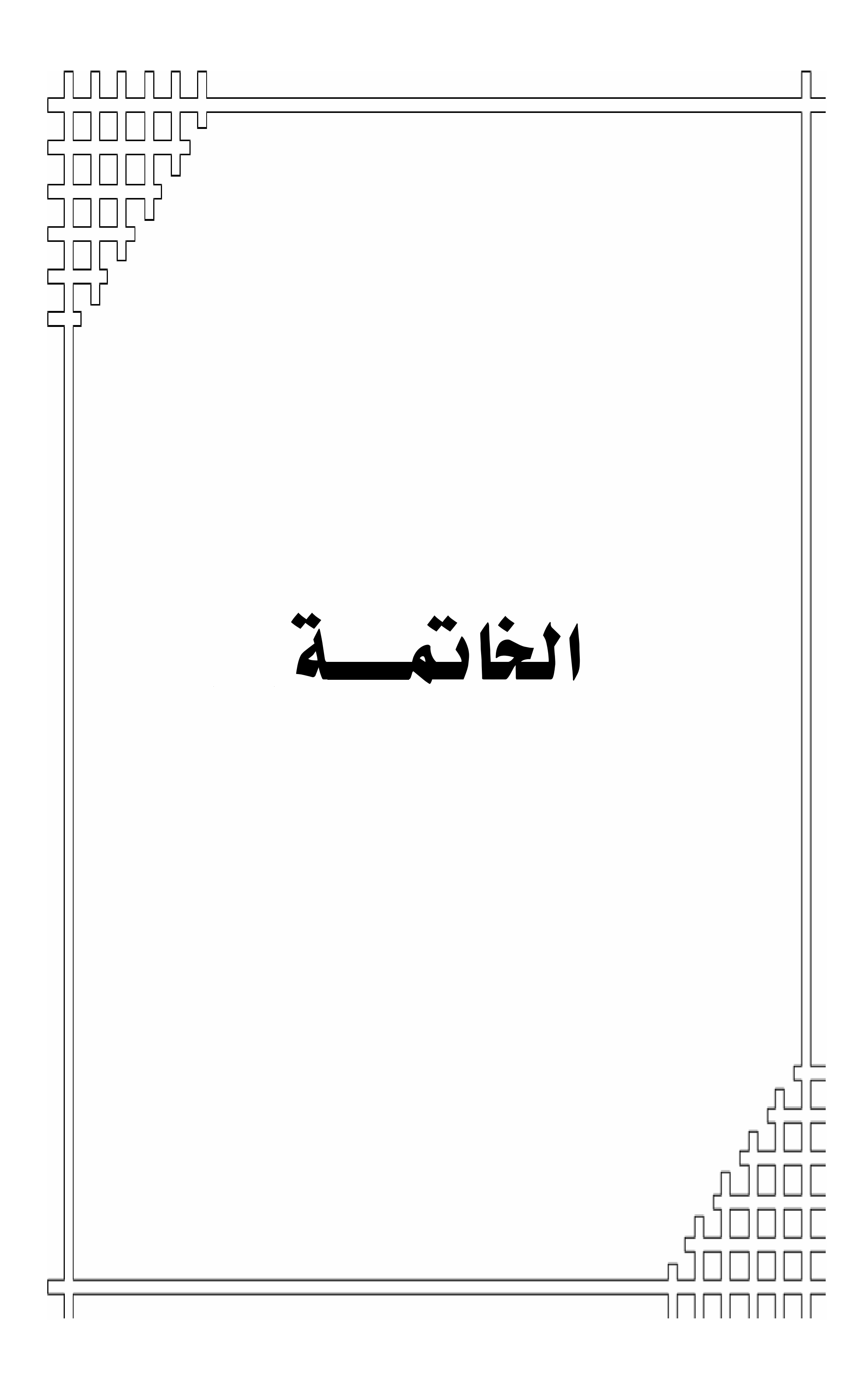
(١) قصة الحضارة ١٧/ ١٠

(٢) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص١٢٤.

(٣) J.AurelioBiach: StoriaDei papi,Vol.IX p.170 Rome 1966 عن الدين والسياسة، ص٤٥.

دعوتها ونقدها للنصرانية وعقائدها مما جعل هذه الجماعات تلاقي أشكالاً من الاضطهاد أدي بالعديد منهم إلى فراراهم ولجأ معظمهم إلى بولندا وإنجلترا ثم انتقلت إلى أمريكا حيث نشأت الكنيسة التوحيدية[1].

(١) انظر: الفرق المسيحية من ظهور الإسلام حتى اليوم، ص٣٠٨.



الخاتمة

الخاتمـــة

أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فقد خرجت الدراسة بجملة من النتائج كان أهمها:

١- أن دعوة المسيح عليه السلام قد واجهت صدوداً وإعراضاً كبيراً من بني إسرائيل، مع إنهم كانوا ينتظرون نبياً مخلصاً لهم من اضطهاد الرومان.

٢- أن اليهود واجهوا دعوة عيسى عليه السلام بشتى الوسائل من أجل القضاء عليه وعلى دعوته فاستخدموا الاضطهاد العقلي والقولي والفكري، ولكن الله سبحانه وتعالى حماه ووقاه من شرهم وكيدهم ورفعه إليه.

٣- حفلت مصادر اليهود وكتبهم ودوائرهم بمواقف عدائية من عيسى عليه السلام وأمه ووصفوهما بأقبح الأوصاف والألفاظ.

٤- تعرض أتباع المسيح عليه السلام للاضطهاد من اليهود بشتى الوسائل من ملاحقة وقتل وتشريد وتشويه لصورتهم أمام السلطات الرومانية، كل هذا أدى إلى أن يعيشوا في جو مليء بالمتاعب والصعوبات وقد أثر ذلك على دعوتهم والتمسك بها.

٥- أن الصراع بين النصارى بدأ مبكراً بين المسيحية المتهودة والمسيحية البولسية، غير أن المسيحية المتهودة تلاشت وانتهت بسبب ما حصل لها من اضطهاد مرير على يد الطائفة البولسية والتي حرفت ديانة المسيح عليه السلام وأصبحت عقيدتها هي السائدة في المجتمعات النصرانية.

٦- أن اضطهاد الرومان للنصارى وإن كان بدأ قاسياً وشديداً على الجماعات النصرانية إلا أنه لم يكن مستمراً طيلة القرون الثلاثة، بل مرت فترات كان النصارى ينعمون فيها بالسلم والحرية.

٧- تحولت النصرانية في عهد قسطنطين من ديانة مُضْطَهَدةٍ إلى ديانة مُضْطَهِدة نتيجة اعترافه بها وما أنعم عليها من عطايا وهبات جعلت النصارى يبدؤون مرحلة جديدة من الخلافات والانقسامات فيما بينهم حتى تحولت إلى خصومات في الدين.

٨- بدا تأثير قسطنطين على النصرانية واضحاً من مجمع نيقية والذي استطاع بحكم عقيدته الوثنية من فرض عقيدة تأليه المسيح وجعلها العقيدة الرسمية في الإمبراطورية، وفرض بقوة السلطان والسلاح إصدار قرارات ظالمة على آريوس وجماعته كان لها تأثيرٌ في زيادة الانحراف عن ديانة عيسى عليه السلام.

٩- أن هناك نصوصاً كثيرة توجد في مصادر النصرانية المحرفة تدعو إلى العنف والاضطهاد، والرغبة الملحة في فرض عقائدها على الناس بقوة السلاح.

١٠- أوضحت الدراسة أن هناك لوناً من ألوان الاضطهاد استمر طيلة تاريخ الكنيسة ألا وهو الاضطهاد الفكري، الذي كان في عهد المسيح عليه السلام وفي عهد الرومان والعصور الوسطى والحديثة إلى وقتنا المعاصر حيث فرضت الكنيسة رقابة منظمة على نشر الكتب والمقالات التي تخالف عقيدتها وآراءها.

١١- أن النصارى استمرأوا الاضطهاد وما رسوه حتى وجد منهم من يُنظّر للاضطهاد ويسميه الاضطهاد العادل.

١٢- من أبرز المكونات التي حصل حولها اختلاف وانشقاق بين الطوائف النصرانية القديمة اختلافهم حول المسيح عليه السلام في تقديسه وتأليهه وجعله في مكانة مساوية مع الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبير- أدى بهم إلى تكفير بعضهم البعض وإلى استمالة السلطة الزمنية في مناصرة كل من يقول بقولهم هذا.

١٣- مارست السلطة الدينية المثلثة مدعومةً بالسلطة الزمنية كثيراً من الاضطهاد ضد الموحِّدين كالقتل والطرد والحرق والسجن.

١٤- أن المجامع الكنسية كانت معولاً من معاول زيادة الانحراف والفرقة بين النصارى، حيث زادت تلك المجامع من الانقسام والخلاف وجاءت بعكس ما كان يتوقع النصارى من صدور رأي موحد يجمعهم.

١٥- أن الانشقاقات والاختلافات العقدية استمرت حتى بين أهل التثليث أنفسهم، فقد حصل انشقاق كبير بين الكنيستين الشرقية والغربية، ثم حصل بعد ذلك تفرق واختلاف في الكنيسة الغربية أدى إلى وقوع اضطهادات وحروب مديدة بينهم.

١٦- أن ظهور حركة الإصلاح الديني كان بسبب فساد الكنيسة الغربية وانسياق بابواتها خلف ملذاتهم وشهواتهم، ومع ذلك لم تستطع إصلاح النصرانية بل بقيت على ما هي عليه من الانحراف، بل لما أصبح عند هذه الحركات قوة وسلطان أخذت تقوم بنفس الدور الذي قامت به الكنيسة الكاثوليكية من اضطهاد المخالفين لها.

١٧- أن موقف اليهود العدائي من المسيح عليه السلام واشتمال مصادرهم على تلك القبائح والاهانات وتبجحهم بذلك؛ كان دافعاً للنصارى على الانتقام منهم واضطهادهم وملاحقتهم وطردهم خلال العصر الحديث في أوروبا، ولذلك رأت أوروبا أن توجد لهم موطناً في فلسطين للخلاص منهم وجعلهم شوكة في حلق المسلمين لإضعافهم والتسلط عليهم.

١٨- أن كل حروب النصارى ضد المسلمين من بداية الدعوة الإسلامية إلى ملاحم آخر الزمان تعد حروباً صليبية من أجل القضاء على الدين الإسلامي وأتباعه.

١٩- استناد البابوية في سلطتها وهيمنتها إلى عدة عقائد وأفكار جعلها تدعي أحقيتها بفرض السيادة على كل السلطتين الروحية والزمنية؛ فترتب على ذلك صراعات وحروب دامية بين الاباطرة والباباوات.

٢٠- استطاعت الكنيسة أن تنشئ لنفسها تعاليم وطقوساً جعلت منها قوة مسيطرة على المجتمع النصراني مارست من خلاله كل أنواع الاضطهاد والطغيان من أجل فرض تلك القوة والهيمنة.

٢١- أثبتت الدراسة أن المجامع النصرانية كانت صورة قاتمة من الاضطهاد الديني نتيجة ما حصل فيها من غطرسة وهيمنة وفرض آراء واعتقادات وتأليب للسلطة الحاكمة ضد مخالفيها.

٢٢- البعد الديني كان حاضراً في تلك الحروب الدينية في أوروبا، وكانت الكنائس تذكي تلك الحروب.

٢٣- أن تلك الاضطهادات الدامية التي لحقت أتباع المسيح عليه السلام كانت لها آثار وخيمة على دعوته، وكانت سبباً في ضياع الإنجيل والتحريف الذي أصاب رسالته عليه السلام، فلا يمكن أن يبقى هذا الكتاب سليماً من التغيير والتحريف في مثل هذه الظروف القاسية، وخاصة أن الله سبحانه قد وكل حفظ الإنجيل إلى البشر.

٢٤- تسلط الكنيسة وظلمها وجبروتها في العصور الوسطى دفعت الناس إلى التخلص من الدين، والانسياق خلف الفلاسفة والعلماء الذين هاجموا الكنيسة ونقدوها ونقدوا تعاليمها وأفكارها.

٢٥- اعتنقت شخصيات لها مكانتها في المجتمع الغربي النصراني عقيدة التوحيد المنكرة للتثليث، فكان منهم الأطباء والعلماء والساسة.

۞ التوصيــــــات:

١- إنشاء مراكز بحثية تقوم بدراسة ما يلي:

أ- ظاهرة الصراع الطائفي بين النصارى وخلفيته الأيدلوجية وتأثيره على العالم الإسلامي.

ب- ظاهرة التمييز الطائفي في العالم الغربي حتى بين ساستهم وأصحاب القرار منهم، وكشفه إعلامياً وقانونياً.

ج- تأريخهم وتوضيحه للعالم الإسلامي، ولمعرفة نقاط القوة والضعف لديهم، وكيفية الاستفادة منها في إدارة أي صراع يحدث معهم أو في دعوتهم الإسلام.

٢- الاهتمام بظاهرة الفرق المنكرة هناك للتثليث ومعرفة واقعها الكنسي وتوجيه دعوة مركزة لها.

٣- إنشاء مركز أو كرسي للترجمة؛ فهي تعد عائقاً كبيراً لكثير من الباحثين، واتمنى من جامعتنا العريقة أن يكون لها سبق المبادرة في هذا الجانب.

* وصلى الله على نبيّنا مُحمّد وعلى آله وصحبه وسلم *



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)﴾	آل عمران:٥٠	٣	١٠٩
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)﴾	آل عمران:٥٢-٥٣	٣	٤٢
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)﴾	آل عمران:٥٢-٥٥	٣	٤٣٦
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾	آل عمران:٦٤	٣	٣١٧
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾	آل عمران:٧٥	٣	٢٥
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾	آل عمران:١١٢	٣	٤٣

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	آل عمران:١٣٥	٣	٣٧٩
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾	النساء:٦٦	٤	٢٩٠
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾	النساء:١٥٧	٤	٨٥
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾	المائدة:١١٠	٥	٤٣٦،٥٦
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾	المائدة:١١١	٥	٤٣٧
﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾	المائدة:١١٦	٥	٢٠٥
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾	المائدة:١١٧	٥	٦
﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾	المائدة:١٤	٥	٤٥٥،٢٧٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ ﴾	المائدة:١٧	٥	٣١٧
﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾	المائدة:٤٦	٥	٤٤٠
﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾	المائدة:٧٢	٥	٣١٧
﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾	المائدة:٧٣	٥	٣١٧
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾	المائدة:٨٢	٥	٣١٣
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾	الأنعام:٢٠	٦	٣٢٠
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	التوبة:٣١	٩	٣٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾	التوبة:٣٤	٩	٤٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾	التوبة:١٢٣	٩	٣٢٣
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾	هود:١١٨-١١٩	١١	٣١
﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾	يوسف:٧٦	١٢	١٩
﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾	الحجر:٨٥	١٥	٣١

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	الأنبياء:٢٥	٢١	٣١٧
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾	الأنبياء:١٠٧	٢١	٣١
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾	الجاثية:١٤	٤٥	٣١
﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦﴾	الواقعة:٨٦	٥٦	١٩
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾	الحديد:٢٥	٥٧	٢٢
﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾	الحديد:٢٧	٥٧	٤٤٧
﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣﴾	الحشر:٣	٥٩	٢٩٠
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾	الممتحنة:٨	٦٠	٢٩
﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾	الصف:١٤	٦١	٤٣٧



فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأعلام

م	اسـم العلـم	الصفحة
٢٢	إيرين	٢٠٩
٢٣	إيزابيلا	٣٥٦
٢٤	البابا شنودة	٢٠٢
٢٥	باركلي	٥٠
٢٦	برتراند رسل	١٦٦
٢٧	برنارد لويس	٣٢٣
٢٨	بطرس المبجل	٣٣٢
٢٩	بلينوس الصغير	١٢٠
٣٠	بندكت الخامس عشر	٢٥٣
٣١	بنو الأحمر	٣٥٥
٣٢	بوركهارت	١٦٤
٣٣	بولس الخامس	٣٩٣
٣٤	بيوس الثاني عشر	٣٠٩
٣٥	بيوس الخامس	٢٦١
٣٦	تاستيوس أوتاسيتوس	١٢٧
٣٧	تراجان	١٢٩
٣٨	تراجان موس	١٢١
٣٩	ترتيليان	١٤٥
٤٠	تشارل التاسع	٢٦٠
٤١	توما الأكويني	٣٣٤
٤٢	توماس توركويمادا	٣٥٨
٤٣	تومس ووكر آرنولد	٣٤
٤٤	تيموثي وير	٤٠٦
٤٥	ثيودوروس	١٨٦

م	اسم العلم	الصفحة
٧٠	دوميتيان	١٢٨
٧١	دوناتس	١٧٧
٧٢	ديسيوس	١٣٣
٧٣	ديكارت	٣٩٥
٧٤	ديوسقيورس	١٩٧
٧٥	رحمت الله الهندي	٤٤٤
٧٦	رفائيل بن يوسف نخلة اليسوعي	١٥٢
٧٧	ريتشارد الأول	٢٩٨
٧٨	ريكارد	٢٨٨
٧٩	سكستوس الرابع	٣٥٨
٨٠	سلستينوس الأول	١٨٨
٨١	سليس	١٤٨
٨٢	سيبتيموس سيفيروس	١٣١
٨٣	سيجسموند	٢٣١
٨٤	سيكستوس الرابع	٢٩٩
٨٥	شارل الثامن	٤٢٥
٨٦	شارل الخامس	٤٢٦
٨٧	شارل جينيبير	٤٤
٨٨	طيباريوس	١٤٦
٨٩	غازان محمود بن أرغون بن بغا	٣٤
٩٠	غمالائيل	١١٢
٩١	غوستاف لوبان	٣٥٩
٩٢	فاليريانس	١٣٥
٩٣	فاوستو باولو سوزيني	٢٤٨

م	اسم العلــــــم	الصفحة
٩٤	فرناندوا	٣٥٥
٩٥	فرنسوا الأول	٤٢٥
٩٦	فريناند الثاني	٢٦٥
٩٧	فلافيانوس	١٩٧
٩٨	فليب أغسطس	٢٣٦
٩٩	فليب حتى	١٦٣
١٠٠	فوتيوس	٢١٥
١٠١	فوشيه الشارتري	٣٤٩
١٠٢	فولتير	٤٦٤
١٠٣	فيليب الرابع	٢٣٩
١٠٤	قسطنطين الأول	١٤٢
١٠٥	قسطنطين الخامس	٢٠٨
١٠٦	قسطنطين السادس	٢٠٩
١٠٧	قطلوشاه الرومي	٣٤
١٠٨	قيافا	٦٠
١٠٩	كاليغولا ابن أغريبينا	١٠٥
١١٠	كراكلا	١٣٣
١١١	كمال الصليبي	١٠٢
١١٢	الكندروس	١٨٢
١١٣	كوبرنيقوس	٣٩٠
١١٤	كيرلس	١٨٨
١١٥	لورنتي	٣٦٠
١١٦	لوقيانيوس	١٤٢
١١٧	ليكينيونس	١٥٩

م	اســـــم العلـــــــم	الصفحة
١١٨	ليو الكبير	١٦٩
١١٩	مارتن لوثر	٢٢٤
١٢٠	ماكسيميانوس	١٣٦
١٢١	متى هنري	٦٤
١٢٢	محمد الطاهر ابن عاشور	٣١
١٢٣	محمد الغزالي بن أحمد السقا	١٧٣
١٢٤	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	٣٠
١٢٥	محمد توفيق الطويل	٣٢
١٢٦	محمد رشيد رضا القلموني	٨٧
١٢٧	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٢٥
١٢٨	مرقيانوس	١٩٩
١٢٩	مكسنتيوس	١٦٠
١٣٠	منصور بن العزيز بن المعز (الحاكم بأمر الله)	٣٤٦
١٣١	موسى بن ميمون	٤٤
١٣٢	نسطور	١٨٦
١٣٣	نسطوريوس	١٧٠
١٣٤	نصري سلهب	٥٠
١٣٥	نقولا الأول	٢١٥
١٣٦	نيرون ابن كلاديوس	١٢٦
١٣٧	نيكوس كازا نتزاكس	٥٣
١٣٨	هتلر	٣٠٤
١٣٩	هربوت جورج ولز	١٦٧
١٤٠	هنري الثالث	٢٩٣
١٤١	هنري الثامن	٢٦٣



فهرس الأماكن والبلدان



فهرس المصطلحات

م	الكلمة	الصفحة
١	إبرشية	١٣٦
٢	بافوميه	٢٣٩
٣	البندكتيين	٢٢١
٤	التثليث	١٨٠
٥	التعميد	١٣٢
٦	التقليد المسيحي	٢٨٢
٧	التكريز	٧٠
٨	التلمود	٢٤
٩	التنوير	٣٠٣
١٠	جشيماني	٧٤
١١	الحِرْم	١٦٦
١٢	الحروب الصليبية	٣٣٥
١٣	سان بارتلمي	٣٦٠
١٤	السميونية	٤٢٠
١٥	السنهدرين	٤٣
١٦	سيامته	١٧٧
١٧	الشماس	٩٤
١٨	العصور الوسطى	٢٨٨
١٩	العمل الراعوي	٤٠٤
٢٠	الكنيسة	٥٠



فهرس الفرق والجماعات وغيرها



فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

(١) ابن رشد والرشدية، إرنست رينان، ترجمة د. عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، عام ١٩٥٧م.

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

(٣) أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د.محمد صالح منصور، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، ٢٠٠٩.

(٤) أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د. أحمد عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.

(٥) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، د. جميل المصري، مكتبة الدار، المدينة المنورة.

(٦) أجنحة المكر الثلاثة، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٧) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، تحقيق: د. بكر زكي علي، كلية أصول الدين، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٦م.

(٨) أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول، اليزا أفرت.

(٩) أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ترجمة سعيد جزائرلي، دار النفائس.

(١٠) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح،مكتبة الصحابة، الشارقة، ط الأولى، ١٩٨٩م.

(١١) اختراق الصهيونية المسيحية، د. أكرم لمعي، دار الشروق القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ.

(١٢) الاختلاف والاتفاق بين أنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، محمد عبدالرحمن عوض، دار البشير، القاهرة.

(١٣) أخلاق الإنجيل دراسة سوسيولوجية، البير بايه، ترجمة، د. عادل العوا.دار الحصاد.

(١٤) الادلة الوحدانية في الرد على النصرانية، القرافي تحقيق: حسين عبدالرحمن محمد، (بدون معلومات أخرى).

(١٥) الاستشهاد في المسيحية، لنيافة الأنبا يوأنس، مكتبة الاسكندرية، مصر، ط٦، ٢٠٠٢م.

(١٦) الاستعمار اطماع واحقاد، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، مصر، ط٤، ٢٠٠٥م.

(١٧) الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، د. منقذ السقار، موقع صيد الفوائد.

(١٨) الاستعمار والإسلام، أنور الجندي، دار الانصار، القاهرة.

(١٩) إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السَّامية، أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢.

(٢٠) إسرائيل فتنة الأجيال في العصور الحديثة، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي

(٢١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢٢) الإسلام والصراعات الدينية، حافظ عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٢٣) الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، محمد مبروك، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

(٢٤) الإسلام والغرب، برنارد لويس، دار الرشيد، دمشق، ط الأولى ١٩٩٤م.

(٢٥) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم الى آفاق الحوار والتفاهم، أليكسي جورافسكي،ترجمة: د. خلف محمد الجراد، مراجعة. أ.د محمود حمدي زقزوق، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت طبعة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

(٢٦) الإسلام والنصرانية، محمد عبده، مكتبة النافذة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

(٢٧) أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، د. داوود الفاضلي، دار مكتبة المعرفة، الرباط.

(٢٨) اضمحلال الأمبراطورية الرومانية وسقوطها، إدوارد جيبون، ترجمة: محمد علي أبو درة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٩م.

(٢٩) أضواء جديدة على الحروب الصليبية، سعيد عبدالفتاح عاشور، دار القلم، مصر، ١٩٦٤م.

(٣٠) أضواء على الإصلاح الانجيلي، القس، د. فايز فارس، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٣١) إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق د. محمد احمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ -١٩٨٩ م

(٣٢) أعداء الحداثة مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، د. محمد سيد، مركز الفكر المعاصر، الرياض، ط الأولى، عام ١٤٣٤هـ.

(٣٣) الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين للحريري،

(٣٤) الأعلام، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٣٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد بن حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣٦) أفكار ورجال قصة الفكر الغربي، كزين برنتن، ترجمة :محمود محمود، مكتبة الانجلو المصرية.

(٣٧) الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة، د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٣٨) الإلحاد في الغرب، د.رمسيس عوض، دار سينا للنشر، مصر، ط ١، ١٩٩٧م.

(٣٩) الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق بامبا، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ.

(٤٠) الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، أ.د زينب عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٤

(٤١) الأمانات والاعتقادات، سعيد الفيومي، تحقيق س. لانداور، لندن، دار بريل، عام ١٨٨٠م.

(٤٢) الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن، سعد رستم، إسلام أباد، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م

(٤٣) إنجيل برنابا، ترجمة: د. خليل سعادة، تحقيق وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٤٤) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، علي بخيت الزهراني، دار الرسالة، مكة المكرمة.

(٤٥) أوروبا العصور الوسطى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

(٤٦) أوروبا في العصور الحديثة، د. جلال يحي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨١م

(٤٧) أوروبا في مطلع العصور الحديثة، د. عبدالعزيز الشناوي، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠١١م.

(٤٨) البحث عن يسوع قراءة جديدة في الأناجيل، د.كمال الصليبي، دار الشروق، عمان.

(٤٩) البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق:د. عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

(٥٠) البروتـستانت والإنجيليـون في العـراق، حـارث يوسـف غنيمـة، دار المكتبـي، بغداد،١٩٩٨م.

(٥١) بنو إسرائيل، د. محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م

(٥٢) بولس يقول دمروا المسيح وأبيدوا أهله، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

(٥٣) بيزنطـة بـين الفكـر والـدين والـسياسة، د. رأفـت عبدالحميـد، عـين للدراسـات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٧م.

(٥٤) بين الإسلام والمسيحية للخزرجي، تحقيق د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧ م.

(٥٥) بين الدين والعلم، اندرو ديسكون وايت، ترجمة اسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

(٥٦) بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، مارك ر. كوهين قدم له صادق جلال، ترجمة.إسلام ديه – معز خلفاوي، منشورات الجمل، كولونيا، ط الأولى، ٢٠٠٧م.

(٥٧) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م

(٥٨) تاج العروس، للزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين،

(٥٩) تاريخ ابن خلدون، لابن خلدون، ضبطه: خليل شحادة، راجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ.

(٦٠) تاريخ الأديان، فاروق الدملوجي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤

(٦١) تاريخ الاسرائيليين، شاهين مكاريوس، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٠٤م.

(٦٢) التاريخ الأسود للكنيسة، القس دي روزا، ترجمة آسر خطيبة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

(٦٣) تاريخ الأقباط، تقي الدين المقريزي، تحقيق عبدالمجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة.

(٦٤) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، د. سيد أحمد الناصري، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

(٦٥) تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة روفليه، مطبعة التوفيق، القاهرة، ط أولى، ١٩٥٨م.

(٦٦) تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الاول الى القرن الحادي عشر، تأليف الارشيمندريتي جراسيموس مسرَّه اللاذقي،

(٦٧) تاريخ البشرية، ارونولد تويني، ترجمه د.نقولا زيادة، الناشر الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط الأولى، عام ١٤٢١هـ.

(٦٨) تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، جوزيف لوكلير.ترجمة د. جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط الأولى، عام ٢٠٠٩م.

(٦٩) تاريخ التعذيب، بيرنهاردت ج.هروود، ترجمة: ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ٢٠١٠ م

(٧٠) تاريخ الحروب الصليبية، د.محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، عام ١٩٩٩م.

(٧١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط عام ١٤١٧هـ.

(٧٢) تاريخ الدولة البيزنطية، د. عمر كمال توفيق، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٠م.

(٧٣) تاريخ العالم، نشر جون هامرتن، إشرف على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم بمصر، نشر: مكتبة النهضة المصرية.

(٧٤) تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، د. جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠م.

(٧٥) تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. أحمد الشامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٧٦) تاريخ الفكر الأوربي الحديث، رونالد ستر ومبرج، ترجمة، أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، القاهرة، ط الثالثة. ١٤١٥هـ.

(٧٧) تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا الخضري، دار الثقافة، مصر، ط١، ١٩٨١م.

(٧٨) تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ترجمة د. محمد سيد أحمد، مراجعة إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٧٩) تاريخ الفلسفة الغربية.برتراند رسل، ترجمة د زكي نجيب محمود، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٠.

(٨٠) تاريخ الكتاب المقدس، كارين آرمسرونج، ترجمة د. محمد صفار.

(٨١) تاريخ الكنسية، يوسابيوس القيصري، ترجمة: مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ط الثالثة، عام ١٩٩٠م.

(٨٢) تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، الأب البير أبونا، دار المشرق، بيروت، ط٥، ٢٠٠٧م.

(٨٣) تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، المطران ميشيل يتيم، والاشمندريت إغناطيوس ديك، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط٤، ١٩٩٩م.

(٨٤) تاريخ الكنيسة القبطية، القس منسى يوحنا، مكتبة المحبة، مصر.

(٨٥) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، يوحنا لورنس فان موسهيم، ترجمة يعقوب مردوك الاميركاني، المطبعة الاميركانية، بيروت.

(٨٦) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، يوحنا لورنس فان موسهيم، ترجمة يعقوب مردوك الاميركاني، المطبعة الاميركانية، بيروت.

(٨٧) تاريخ الكنيسة المفصل، نقله إلى العربية الاب صبحيى حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣

(٨٨) تاريخ الكنيسة، القس جون لوريمر، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة، ط١.

(٨٩) تاريخ الكينسة المسيحية، سمير نوف، الكسندروس، طرابلس- لبنان، مكتبة السائح.

(٩٠) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، افيشيوس المكنى سعيد ابن البطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م

(٩١) التاريخ الوسيط حضارة البداية والنهاية، نورمان. كانتور، ترجمة وتعليق: د.قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية، الجيزة،٢٠٠٩

(٩٢) تاريخ اليهود وديانتهم عقب ثلاثة آلاف عام، إسرائيل شاحاك.

(٩٣) التاريخ اليهودي العام، د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط الثالثة، ١٤١١هـ.

(٩٤) تاريخ انتشار الديانة المسيحية، المتنيّح القس منسي يوحنا، تنسيق وتعليق دياكون د. ميخائيل مكس إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة.

(٩٥) تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ه. أ. ل.فشر، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، ط السادسة، ١٩٧٦م.

(٩٦) تاريخ أوروبا في العصور القديمة والوسطى والحديثة، عصام يوسف، الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، ط١، ٢٠١١م.

(٩٧) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، فليب حتى، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، ط الثانية، ١٩٧٢م.

(٩٨) تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، الأمير شكيب ارسلان، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٩٩) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلام، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م

(١٠٠) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، د.عمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.

(١٠١) تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، د. بسمة أحمد جستنية، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

(١٠٢) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، سارة العبادي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثانية، عام ١٤٢٦هـ

(١٠٣) التحولات الكبرى، أحمد عبدالرحمن الصويان وآخرون، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٥هـ.

(١٠٤) التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة وترتيب نظام الكهنوت، باسيليوس المقاري،دار مجلة مرقس، ٢٠٠٢م.

(١٠٥) التطور والثبات في حياة البشرية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

(١٠٦) تعدد الأديان وأنظمة الحكم، د.جورج قرم، دار الفارابي، بيروت، ط٤، ٢٠١١م.

(١٠٧) التعريفات للجرجاني، مكتبة لبنان. بيروت، ١٩٨٥م.

(١٠٨) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام دحض شبهات ورد مفتريات، الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط الأولى.

(١٠٩) التعميد عند النصارى عرض ونقد، د. سالم السحيمي، مكتبة النصيحة، المدينة المنورة، ط الأولى، عام ١٤٣٠هـ.

(١١٠) تفسير التحرير والتنوير، الامام الشيخ محمد الظاهر ابن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

(١١١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا،دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٩٧م.

(١١٢) التفسير الحديث للكتاب المقدس انجيل متى، ر. ت. فرانس، ترجمة اديبة شكري، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠ م

(١١٣) التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د حكمت بشير ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١١٤) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، ترجمة القس: جرجس هابي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

(١١٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط الثانية، عام ١٣٣٢هـ.

(١١٦) تفسير القرآن، لأبي المظفر لسمعاني، تحقيق: أبي بلال غنيم، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

(١١٧) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، مطبوعات إيجلز، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(١١٨) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

(١١٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي،، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط الأولى، عام ١٩٩٧م.

(١٢٠) تقويم تجربة الحوار بين المسلمين والنصارى، د. أحمد القاضي، ضمن بحوث مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام، مجلة البيان.

(١٢١) تكوين العقل الحديث، جون هرمان، ترجمة د. جورج طعمة، مراجعة برهان الدجاني، دار الثقافة، بيروت،

(١٢٢) التلمود البابلي، المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، عمان، ط أولى، ٢٠١١م.

(١٢٣) تهذيب اللغة، للأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م،

(١٢٤) التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، د. محمود مزروعة. دار الرضا، القاهرة، ط الأولي، عام ١٤٢٥هـ.

(١٢٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق، د. عبدالله التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٤هـ.

(١٢٦) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليربي، ترجمة: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ط الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

(١٢٧) الجدل اليهودي ضد المسيحية في ضوء الجنيزا القاهرية، د.محمد الهواري، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(١٢٨) الجواب الصحيح لمن بدل الدين المسيح، علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ط الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

(١٢٩) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د.جميل المصري، دار أم القرى، عمان، ط الثالثة، ١٤١٧هـ.

(١٣٠) الحداثة والهولوكست، زيجمونت باومان، ترجمة حجاج أبو جبر-دينا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م

(١٣١) الحرب المقدسة الجهاد الحرب الصليبية، جان فلوري.ترجمة غسان مايسو، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤

(١٣٢) الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم الإسلامي، كارين ارمسترونغ، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥.

(١٣٣) حرب صليبية بكل المقاييس، أ. د: زينب بنت عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط الأولى، عام ٢٠٠٣م.

(١٣٤) حرب في الكنائس، د. أسد رستم، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط الثالثة، ١٩٩١م.

(١٣٥) الحركة الصليبية، أ. د سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط السادسة، ١٩٩٤م.

(١٣٦) الحركة الفكرية ضد الإسلام اهدافها ومقاومتها، د. عبدالفتاح دويدار، دار التراث العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط الثانية، ١٩٨٠م.

(١٣٧) الحروب الصليبية الأولى، د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الأولى، عام ١٩٩٨م.

(١٣٨) الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، د. محمد مؤنس، القاهرة، ١٩٩٩م.

(١٣٩) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

(١٤٠) حضارة البداية والنهاية، نورمان ف. كانتور، ترجمة وتعليق: د قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية، الجيزة،٢٠٠٩.

(١٤١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: د. عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م.

(١٤٢) حفارو القبور، روجيه جارودي، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(١٤٣) حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام، د. خالد محمد الشنيبر، مجلة البيان، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ.

(١٤٤) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، عام١٤٠١م.

(١٤٥) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د.عبدالرحيم السلمي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م

(١٤٦) حكمة الغرب، برتراند رسل، ترجمة د. فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م

(١٤٧) الحوار المسيحي الإسلامي، داود بسام عجك، دار قتيبة، دمشق، ط الأولى، عام ١٤١٨م.

(١٤٨) حــول موثوقيــة الأناجيــل.محمــد الــسعدي، منــشورات الجهــاد، طــرابلس، ط ١، ١٣٩٥هـ -١٩٨٥ م

(١٤٩) حياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس، تعريـب القمـص، مـرقس داود، مكتبـة المحبـة، القاهرة، ط عام ١٩٧٥م.

(١٥٠) الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، أيسوذورس، مكتبة السائح، طرابلس.

(١٥١) خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، عبدالله التل، دار القلم،

(١٥٢) الخلفيـة الأيدلوجيـة للحـروب الـصليبية، د. قاسـم عبـده قاسـم، عـين للدراسـات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ط ١، ١٩٩٩ م

(١٥٣) دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي، دار الثقافة، القاهرة، ط٢.

(١٥٤) دائرة المعارف، بطرس البستاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

(١٥٥) دراسات في الأديان اليهودية والنـصرانية، د. سـعود بـن عبـد العزيـز الخلـف، مكتبـة اضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ

(١٥٦) دراسـات في التـاريخ الأوروبي والأمريكـي الحـديث، د. عمـر عبـدالعزيز عمـر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٢

(١٥٧) دراسات في النصرانية، د. محمود مزروعة، ط ١٩٧٩م.

(١٥٨) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الاعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

(١٥٩) دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبيـة وعلاقاتهـا بالـشرق، د. محمـد فـوزي رحيل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣

(١٦٠) دعوة التقريب بـين الأديـان دراسـة نقديـة في ضـوء العقيـدة الإسـلامية، د. أحمـد بـن عبدالرحمن القاضي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

(١٦١) دعوة الحق بين المسيحية والإسلام. القاضي منصور حسين عبدالعزيز..

(١٦٢) الدعوة إلى الإسلام، سير توماس أرنولد، ترجمة، حسن إبراهيم حسن وزملائه، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٧٠م.

(١٦٣) دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره، د. عبدالرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الدار العالمية للكتب والنشر.

(١٦٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٦٥) الدليل إلى طاعة الإنجيل، المعلم ميخايل مشاقة، (بدون معلومات أخرى).

(١٦٦) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الاب جان كمبي، دار المشرق، بيروت، ط٢،عام ٢٠٠٢.

(١٦٧) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

(١٦٨) الدولة والكنيسة، د. رأفت عبد الحميد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م

(١٦٩) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبدالله دراز، مكتبة الفنون والآداب، القاهرة.

(١٧٠) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، لابن ربن الطبري، تحقيق: عادل نهويض، دار الآفاق الجديدة، ط الرابعة، ١٤٠٢هـ،

(١٧١) الدين والسياسة، د. سالمة عبدالجبار، منشورات المؤسسة العربية للنشر والابداع، الدار البيضاء.

(١٧٢) ذئاب في ثياب حملان مختصر قصة الأصولية الأمريكية، إميل أمين، دار المريخ، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(١٧٣) ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى حمزة ابن القلانسي، الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

(١٧٤) رسالة في التسامح جون لوك.ترجمة عبدالرحمن بدوي، الناشر مركز عبدالرحمن بدوي للإبداع، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

(١٧٥) الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، د. أحمد عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٤م.

(١٧٦) الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، أسد رستم، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ط٢، ١٩٨٨م

(١٧٧) روما نظرة أُخرى الأرثوذكسية والبابوية، أوليفييه كليمان، تعريب، كاترين سرور، مكتبة النور الأرثوذكسية، ط عام ٢٠٠٤م.

(١٧٨) زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن ابي جراده، تحقيق سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٤١٨هـ.

(١٧٩) السلام الصليبي، توماس ماستناك، ترجمة بشير السباعي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.

(١٨٠) سير أعلام النبلاء.الامام شمس الدين محمد احمد عثمان الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥م.

(١٨١) السيرة النبوية، لابن هشام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٠هـ.

(١٨٢) الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، د. رشاد عبدالله الشامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.

(١٨٣) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

(١٨٤) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن النيسابوري، اعتنى به: ياسر حسن وآخرون، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط أولى، ١٤٣٠هـ.

(١٨٥) الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي ٩٢هـ حتى سقوط غرناطة ٨٩٧هـ، دراسة عقدية، د. خالد الغامدي، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

(١٨٦) صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة مازن مطبقاني، مركز الفكر المعاصر، الرياض، ط٢، ١٤٣٤هـ.

(١٨٧) صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، نجيب اسطيفان، دار التكوين للتاليف والترجمة والنشر، دمشق ط١، ٢٠١١.

(١٨٨) صلب المسيح ومسئولية اليهود قراءة جديدة في الأناجيل، نصري سلهب، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت ط ١، ٢٠٠٢م.

(١٨٩) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، ناصر بن محمد الزامل، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(١٩٠) الصهيونية وخيوط العنكبوت، د. عبدالوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، ط الثالثة، عام ١٤٣٠هـ.

(١٩١) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ريتشارد سودرن، ترجمة د. رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٦م.

(١٩٢) الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي، د. محمد علي آل عمر، مجلة البيان، الرياض، ط الأولى، عام ١٤٣٢هـ.

(١٩٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق، زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الثانية، ١٤٠٨هـ.

(١٩٤) الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق د - علي محمد عمير، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٩٥) طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للإقباط الأرثوذكس، القاهرة، ط التاسعة، ٢٠٠٤م.

(١٩٦) طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها، د. انعام بنت محمد عقيل، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، جدة، ط الأولى، ١٤٣٥هـ.

(١٩٧) عصر المجامع كيرلس الأنطواني، تنسيق وتعليق دياكون د. ميخائيل إسكندر، مكتبة المحبة، ط الأولى.

(١٩٨) العقيدة النصرانية من القرآن والإنجيل، حسن الباش، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م

(١٩٩) العلاقات السياسية والكنسية، د. عادل زيتون، دار دمشق، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

(٢٠٠) العلاقات بين الشرق والغرب، د عزيز سوريال عطية، ترجمة د.فيليب صابر سيف، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ط ١، ١٩٧٢ م

(٢٠١) علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية د. محمد خليفة حسين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.

(٢٠٢) العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغروس، جورج ب. ستاتسيو، ترجمة د. كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

(٢٠٣) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مكتب الطيب، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

(٢٠٤) العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، د. أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، الرياض، ط الأولى، عام ١٤٢٨هـ.

(٢٠٥) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، د. لاسي اوليري، ترجمة، د. وهيب كامل، راجعه زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

(٢٠٦) عن القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مصطفى الحياري، مكتبة عمان، عمان، ١٩٩٤م.

(٢٠٧) العنف في العهد القديم، للأب سمير بشارة اليسوعي

(٢٠٨) عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ترجمة، عادل محمد حامد،مركز الحضارة العربية، القاهرة.

(٢٠٩) الفارق بين المخلوق والخالق، عبدالرحمن الباجه، مكتبة النافذة، القاهرة،

(٢١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، اعتنى به أبو قتيبة نظر الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط الرابعة، ١٤٣٢هـ.

(٢١١) فجر المسيحية، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة ١٩٧٨م.

(٢١٢) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، ط٢، ٢٠٠٥م.

(٢١٣) الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس: إبراهيم عبدالسيد، مكتبة المحبة، القاهرة، ط الثالثة عشر، ١٩٩٦م.

(٢١٤) فضح التلمود، الأب أي بي برانـاتيس، اعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، ط الثالثة، عام ١٤٠٥هـ.

(٢١٥) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الرابعة عشرة، ١٤٢٦هـ.

(٢١٦) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٤، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م

(٢١٧) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر، عبدالمجيد الشرفي، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

(٢١٨) الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، دار الفضيلة، القاهرة.

(٢١٩) الفكر الديني في مواجهه الاضطهاد، د. اميرة قاسم عبدالمنعم الحديني، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية.

(٢٢٠) الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، د.رأفت عبدالحميد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢٢١) فلسطين أرض الرسالات السماوية، جاروري، ترجمة قصي أتاسي، ميشيل واكيم، دار طلاس، دمشق، ط ١٩٩١م.

(٢٢٢) الفلسفة الحديثة، عرض نقدي، د. متى كريم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط الثانية، ٢٠٠١م.

(٢٢٣) فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غرديه، جورج قنواتي، ترجمة د صبحي الصالح. د فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت ط٢، ١٩٧٩

(٢٢٤) في علم الأديان مفهوم العقيدة تطورها، د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٩هـ.

(٢٢٥) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ط المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٢٢٦) قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب، مؤسسة علوم القرآن، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢٢٧) قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، الأب جوزيف كميل جبارة، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

(٢٢٨) قاموس الكتاب المقدس، د. بطرس عبدالملك وآخرون، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، لبنان، ط١٥، ٢٠١١م.

(٢٢٩) القراءات الحديثة للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، د. يوسف الكلاَّم، مجلة البيان، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٤هـ.

(٢٣٠) قراءات في عقائد الغرب، فيصل بن علي الكاملي، مجلة البيان، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٤هـ.

(٢٣١) قـصة الاضـطهاد الـديني في المسيحية والإسـلام، د. توفيـق الطويـل، دار الزهـراء للإعلام العربي، مصر، ط١، ١٤١٢هـ.

(٢٣٢) قصة الحضارة.ول وايريـل ديورانـت، ترجمـة د عبدالحميـد يـونس، دار الجيـل للطبـع والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

(٢٣٣) قصة الديانات، سليمان مظهر، الوطن العربي.

(٢٣٤) قصة الصراع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويـل، دار النهـضة العربيـة، القـاهرة، ط٣، ١٩٧٩م.

(٢٣٥) قـصة محـاكم التفتـيش د. بـسام اسـخيطة.، دار هيـا للنـشر والتوزيـع، دمـشق، ط ١، ٢٠٠٠م.

(٢٣٦) قضايا المسيحية في قصة الحضارة لـ" ولديورانت" دراسـة تقويميـة، د. أسـامة محمـد بهلول، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، عام ١٤٣٦هـ.

(٢٣٧) قـضية التنـوير في العـالم الإسـلامي، محمـد قطـب، دار الـشروق، القـاهرة، ط الثانيـة، ١٤٢٣هـ.

(٢٣٨) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، تحيق ابي الفداء عبدالله ا لقـاضي، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

(٢٣٩) كتاب العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبـراهيم الـسامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٢٤٠) الكتاب المقدس، دار الشروق، بيروت، ط الحادية والعشرون، ٢٠١١م.

(٢٤١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهـانوني، تحقيـق: د. عـلي دحـروج، مراجعـة وتقديم، د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٦م.

(٢٤٢) الكـشاف عـن حقـائق غـوامض التنزيـل، دار الكتـاب العـربي، بـيروت ط الثالثـة، ١٤٠٧.

(٢٤٣) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، وليم إدي، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢٤٤) كنيس في الكنيسة العلاقات المسيحية اليهودية عبر التاريخ، ميشيل منير، دار جفرا للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م

(٢٤٥) الكنيسة الارثوذكسية في الماضي والحاضر، ثيموتي وير، ترجمة هاشم حسيني، منشورات النور، بيروت ١٩٨٢م.

(٢٤٦) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الأنبا يؤانس.

(٢٤٧) الكنيسة في التاريخ، الخوري ناصر الجميل، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

(٢٤٨) الكنيسة قبل الإسلام، سيلفستر شولر، ترجمة المحامي فؤاد جرجي ابوريحان.

(٢٤٩) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، د. أسد رستم، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢٥٠) الكنيسة والعلم تاريخ الصراع، جورج شحيد، ترجمة د. جمال شحيد، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دمشق، ط ١، ٢٠٠٥م.

(٢٥١) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبدالرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط الثالثة، ١٤١٩هـ.

(٢٥٢) اللاهوت المسيحي، نشأته وطبيعته، د- أنهار احمد محمد، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ط١، ٢٠١٠م

(٢٥٣) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٢٥٤) لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام ﷺ، د.باسم خفاجي، لمركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ط أولى، ١٤٢٧هـ.

(٢٥٥) الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كوليز، ترجمة فؤاد كامل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٢٥٦) الله ليس كذلك، زبغريد هونكه، ترجمة غريب محمد غريب، دار الشروق، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٧هـ.

(٢٥٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة.

(٢٥٨) ماهية الحروب الصليبية، د قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٤٣١هـ

(٢٥٩) المجتمع الفاتيكاني الثاني، دساتير - قرارات - بيانات، معهد القديس بولس حريصا، لبنان، أشرف على ترجمته من اللاتينية: الأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، ط الأولى، ١٩٩٢م.

(٢٦٠) المجمع المسكوني الأول نيقيا الأول ٣٢٥، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، المكتبة البولسية، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٣م.

(٢٦١) المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، الأب انطوان الفرغاني، دار ومكتبة بيبليون، جبيل - لبنان، ٢٠٠٥.

(٢٦٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٢٦٣) مجموعة الشرع الكنسي، جمع وترجمة وتنسيق - حنانيا إلياس كساب، منشورات النور، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٨ م

(٢٦٤) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٦م.

(٢٦٥) محاكم التفتيش الإسبانية، د. بشرى محمود الزوبعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٢.

(٢٦٦) محاكم التفتيش بأسبانيا والبرتغال د. علي مظهر، المكتبة العلمية.

(٢٦٧) محاكم التفتيش، غي تستاس - جان تستاس، ترجمة د. ميساء السيوفي، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

(٢٦٨) محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.

(٢٦٩) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة، ابن القيم الجوزية، تحقيق د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

(٢٧٠) مختصر تاريخ الكنسية، أندرو ملر، مكتبة الإخوة الطبعة الرابعة ٢٠٠٣،.

(٢٧١) المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عيسى بن عبدالله السعدي، دار الاوراق الثقافية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ.

(٢٧٢) المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة.

(٢٧٣) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس الدكتور عيسى دياب، مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية، لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.

(٢٧٤) مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، محمد علي قطب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢٧٥) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط الأولى، ١٤٢٧هـ.

(٢٧٦) مذاهب فكرية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٧، ١٤١٢هـ -١٩٩٣م.

(٢٧٧) مذهب النشؤ والارتقاء، منيرة علي الغاياتي، تقديم محمد البهي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

(٢٧٨) مرويات السيرة النبوية لابن هشام عن موقف النصارى من نبوة الرسول ودعوته، د. صالح التجاني حمودي، بحث منشور في مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية.

(٢٧٩) المسألة اليهودية قصة الصراع اليهودي المسيحي، م. غسان سميح، دار بيسان، بيروت، ط الأولى، عام٢١١٢م.

(٢٨٠) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، مراجعة وتقديم: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

(٢٨١) المساومة الكبرى د. زينب عبدالعزيز، ط ٢، ٢٠٠٨ م

(٢٨٢) المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط الرابعة، ١٩٨٠م.

(٢٨٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية.١٤٢هـ.

(٢٨٤) المسيح بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي، مراجعة وتقديم علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

(٢٨٥) المسيح عيسى ابن مريم مصدق لما بين يديه من التوراة، د. عبدالله بن عبدالعزيز الشعيبي، بدون معلومات أخرى.

(٢٨٦) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مهندس أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

(٢٨٧) المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة "دراسة عقدية تحليلية"، راجح إبراهيم السباتين، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ.

(٢٨٨) المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح بين الالتزام والتحريف ودعوة الإِسلام، علاء أبو بكر،.

(٢٨٩) المسيحية الرابعة، رؤوف متولي، مكتبة الأزهر، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٢٩٠) المسيحية العربية وتطوراتها، د. سلوى بالحاج صالح، دار الطليعة، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٧م.

(٢٩١) المسيحية المؤمنة بنبوة عيسى ، د. أميمة بنت أحمد الجلاهمة، مطابع جامعة أم القرى، مكة الكرمة، ط١، ١٤٣٠هـ.

(٢٩٢) المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، عيسى اليازجي، الدار الوطنية للنشر والتوزيع، دمشق، ط الأولى، ٢٠٠٥م.

(٢٩٣) المسيحية دراسة وتحليل، ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢٩٤) المسيحية في العالم العربي الحسن بن طلال، مكتبة عمان، عمان، ١٩٩٠م

(٢٩٥) المسيحية في سورية تاريخ وإشعاع، الارشمندريت اغناطيوس ديك، مطبعة الاحسان للروم الكاثوليك، حلب، ٢٠٠٧ م

(٢٩٦) المسيحية نشأتها وتطوراتها، جينيبر، ترجمة د. عبدالحليم محمود ص١٦٦،

(٢٩٧) المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، د. لينه حمصي.تقديم د. الشيخ رجب ديب وآخرون، دار العظماء دمشق، الطبعة الاولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١٢.

(٢٩٨) المسيحية والتوراة، شفيق مقار، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط ١، ١٩٩٢م.

(٢٩٩) المسيحية والحضارة العربية، الأب د جورج شحاتة قنواتي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٣٠٠) المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثامنة، ١٩٨٤م.

(٣٠١) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، إ. س. سفينسيسكايا، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحق، منشورات دار علاء الدين، سورية، ط٢، ٢٠٠٧.

(٣٠٢) المسيحيون المصريون وعلاقاتهم بالمسلمين في القرن العشرين، د. أحمد الحذيري، منشورات كارم الشريف، تونس، ط١، ٢٠١٠م

(٣٠٣) المسيحيون في الشرق قبل الإسلام، أدمون ربّاط، ضمن المسيحيون دراسات ومناقشات، المحرر الياس الخوري، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط الأولى، ١٩٨١م.

(٣٠٤) مشتهى الأجيال، آلن هوايت، بدون معلومات أخرى.

(٣٠٥) مصادر النصرانية دراسة ونقداً، د. عبدالرزاق الأروا، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.

(٣٠٦) المصريون والمسيحية، التاريخ وثقافة الصراع. أ.د. محمد عبدالفتاح سليمان، مكتبة افاق، الكويت، ط ١، ٢٠١٢.

(٣٠٧) المصنف الوجيز في تاريخ الأديان، فريدريك لونوار، ترجمة محمد الحداد.دار سيناترا، تونس، ٢٠١٢.

(٣٠٨) مظاهر الشرك في الديانة النصرانية، د. محمد السحيم، مطبوعات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ.

(٣٠٩) معالم تاريخ الإنسانية.هـ.ج. ولر، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٣١٠) معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط: الأولى.

(٣١١) المعتقدات الدينية لدى الغرب، د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧ م

(٣١٢) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣١٣) معجم الأديان، جون ر.هينليس، ترجمة هاشم احمد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

(٣١٤) معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي، دار المشرق، بيروت، ط. الثانية ١٩٩٨.

(٣١٥) معجم الباباوات، خوان داثيو، ترجمة.أنطوان سعيد خاطر، دار المشرق، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٣١٦) معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٦م.

(٣١٧) المعجم الفلسفي الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط الثالثة، ٢٠٠٠م.

(٣١٨) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

(٣١٩) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

(٣٢٠) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، ط. عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

(٣٢١) معجم المؤلفين، لعمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.
(٣٢٢) معجم المصطلحات الكنسية، راهب من الكنيسة القبطية، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠١م.
(٣٢٣) معركة التقاليد، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ
(٣٢٤) المغازي للواقدي تحقيق، د. مارسدن جونز، عالم الكتب، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.
(٣٢٥) مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
(٣٢٦) المكون اليهودي في الحضارة الغربية، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
(٣٢٧) ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي، د. رأفت عبدالحميد، روزال يوسف، القاهرة، ١٩٧٣م.
(٣٢٨) الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. اسماعيل الفاروقي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م.
(٣٢٩) من الدين إلى الطائفة في ضرورة الدولة المدنية، خالد غزال، دار الساقي، بيروت، ط الأولى، ٢٠١٥م.
(٣٣٠) مناظرة بين الإسلام والنصرانية، العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط الثانية، ١٤١٣هـ.
(٣٣١) مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، برنار لازار، ترجمة د. ماري شهرستان، دار الاوائل، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤.
(٣٣٢) المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل أبو الفضل السعودي
(٣٣٣) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط الثالثة والأربعون، ٢٠٠٨م.

(٣٣٤) منهج القرآن في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، د. نادية الشرقاوي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠١٠ م

(٣٣٥) المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتدين إلى الإسلام من أهل الكتاب، مصطفى بوجمعه، الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م.

(٣٣٦) منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية، د. عبدالراضي عبدالمحسن، مكتبة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

(٣٣٧) منهجية جمع السنة والأناجيل دراسة مقارنة، د. عزية علي طه، ط الثانية، عام ١٤١٧هـ.

(٣٣٨) المواقف في علم الكلام، الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

(٣٣٩) موجز تاريخ المسيحية، الانبا ديوسقورس، مراجعة دياكون د. ميخائيل مكس اسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٣

(٣٤٠) الموريسكيون في الفكر التاريخي، ميغيل إيبارا، ترجمة: وسام جزر، مراجعة وتقديم: د. جمال عبدالرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٥م.

(٣٤١) موسوعة الحضارات، ادوارد بروى، ترجمة. يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦ م

(٣٤٢) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

(٣٤٣) الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار احياء التراث، بيروت.

(٣٤٤) موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

(٣٤٥) موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.

(٣٤٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني

(٣٤٧) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.

(٣٤٨) موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ط٢، ١٩٦٨م.

(٣٤٩) موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د مفيد الزيدي، دار اسامة للنشر، عمان، ط٣، ٢٠٠٩م.

(٣٥٠) موقف الغرب من الإسلام محاصرة وابادة أ.د. زينب بنت عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، ط الأولى، ٢٠٠٤م.

(٣٥١) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، دراسة تحليلية نقدية، د. صالح بن محمد الدميجي، مجلة البيان، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.

(٣٥٢) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية مفرح القوسي، دار الفضيلة، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٣٥٣) موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله، الدكتورة: سارة بنت حامد بن محمد العبادي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

(٣٥٤) الموقف من الديانات الأخرى، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة. الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٣٥٥) نحن والفاتيكان وإسرائيل، أنيس القاسم، مركز الأبحاث، ١٩٦٦م.

(٣٥٦) نحن ورومة والفاتيكان، د. أسد رستم، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ط٣، ١٩٩١م.

(٣٥٧) النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، كارين آرمسترونغ، ترجمة محمد الجورا، دار الكلمة، دمشق، ط الأولى، ٢٠٠٥م.

(٣٥٨) النصرانية بين الحقيقة والخرافة، أ.د عبدالله علي سمك، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤٣٦هـ.

(٣٥٩) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق. ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

(٣٦٠) النصرانية نشأها التاريخية وأصول عقائدها، د. عرفان عبدالحميد فتاح، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣٦١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٣٦٢) نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، عدنان المقراني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٣٦٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق رضوان مامو. مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط الأولى، ١٤٣٢هـ.

(٣٦٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد احمد الحاج، دار القلم. جدة. ط١، ١٤١٦هـ

(٣٦٥) الهرطقة في الغرب، د. رمسيس عوض، الانتشار العربي، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٧م.

(٣٦٦) الهرطقة في المسيحية، ويتلر، ترجمة جمال سالم، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢،

(٣٦٧) الهولوكست حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، ندى الشقيفي، باحث للدراسات، بيروت، ط الأولى عام ٢٠١١م.

(٣٦٨) واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ط الثالثة، ١٤١١هـ.

(٣٦٩) الوحدانية، د.بركات دويدار، دار الافاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦ م

(٣٧٠) الوحدة الحقيقية ستكون إلهاما للعالم، متى المسكين' دير القديس أنبا مقار

(٣٧١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. أحمد القاضي، مدار الوطن، الرياض، ١٤٣١هـ.

(٣٧٢) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء؟ دارسة مقارنة للمسيحية، د. رؤوف شلبي، مكتبة الأزهر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٤هـ.

(٣٧٣) اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، فيصل بن علي الكاملي، مجلة البيان، الرياض، ط١، ١٤٣١- ٢٠١٠.

(٣٧٤) اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، د. محمد أحمد ملكاوي.

(٣٧٥) اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الثامنة، ١٩٨٨م.

۞ الرسائل الجامعية:

(٣٧٦) الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري، يوسف بن حمود الحوشان، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٣٧٧) أهم عوامل انحراف النصرانية، للشيخ إبراهيم التركي، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٤٠٥هـ.

(٣٧٨) البابوية عند النصارى دراسة عقدية مقارنة، الباحث / موسى بن عقيلي الشيخي، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة، جامعة أم القرى.

(٣٧٩) الحواريون بين النصرانية والإسلام دراسة مقارنة، بتول إدريس برناوي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

(٣٨٠) صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة الدوسري، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، جامعة أم القرى.

(٣٨١) العلاقة بين اليهود والنصارى خلال النصف الأول من القرن العشرين، نصر عمر الحطامي، المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٦هـ

(٣٨٢) المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى عرض ونقد، علي المقوشي، جامعة أم القرى.

المقـــالات:

(١) مقال العلاقات الفاتيكانية الإسرائيلية، وزيارات باباوات الفاتيكان مسامحه تكتيكيه وهيمنة استراتيجته، د. سامر أبومازن، مجلة البيان.

(٢) مقال بعنوان: القدس في ظل العلاقة اليهودية الرومية فيصل الكاملي، مجلة البيان، العدد ٣١٩، سنة ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٣م.

(٣) مقال بعنوان: ترجمة القرآن إلى اللاتينية انطلاقة لحركة الاستشراق، د.عباس أرحيلة، موقع المفكر المغربي عباس أرحيلة

المجلات والدوريات:

(١) مجلة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

(٢) مجلة البيان، تصدر عن مركز البيان للبحوث والدراسات.

(٣) مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة.

(٤) مجلة الدراسات الإسلامية، تصدر عن جامعة الملك سعود.

(٥) مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية.

(٦) مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية.

المواقع الالكترونية:

(١) موقع الأب متى المسكين.

(٢) موقع البابا شنودة الثالث

(٣) موقع الجزيرة نت.

(٤) موقع المفكر المغربي عباس أرحيلة.

(٥)موقع الموسوعة الحرة ويكيبديا.

(٦)موقع صيد الفوائد.

(٧)موقع مفكرة الإسلام.

(٨)موقع مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز جامعة أم القرى.

(٩)موقع مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان.

فهرس الموضوعات

